



OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ۸۹۱ ۵ ۴۵ Accession No. ۸۱۴۵

Author محمد زکی مصفوت

Title جہنم و طلب العرب جز الثالث

This book should be returned on or before the date last marked, below.

جوهرة خُطِّب العرب

في عِصْوَ العَرَبِ في الزَاهِرَةِ

الجزء الثالث

العصر العباسي الأول

ويليه ذيل الجمهرة

تأليف

أحمد زكي صفوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنقل محفوظة

مكتبة المطبعة والنشر في القاهرة

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٦

تقدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وفقنتى إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة فى البدء والنهاية ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب العرب » فى خطب العصر العباسى الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطاً وتحريراً ، وشرحاً وتعليقاً ، ويليه ذيل الجمهرة ، فى خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : فى خطب الأندلسيين والمغاربية .

» الثانى : فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

» الثالث : فى ثرا الأعراب .

» الرابع : فى خطب النكاح .

» الخامس : فى خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريقة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قصدت إلى جمعه فى هذا المؤلف ، وإنى أبتهل إلى المولى القدير أن يحقق ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسد خطانا جميعاً إلى سبيل الرشاد ، إنه الكبير المتعال
أحمد زكى صفوت

فهرس مأخذ الخطب فى هذا الجزء

-
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » التاسع
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول - التاسع
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » السادس
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى
- أمالى السيد المرتضى : » الأول - الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » التاسع - العاشر
- تاريخ الكامل : لابن الأثير : » السادس
- مروج الذهب : للمسعودى : » الثانى
- وفيات الأعيان : لابن خلكان : » الأول - الثانى

— د —

مواسم الأدب: للسيد جعفر البيتي العلوي : الجزء الثاني

الصناعتين : لأبي هلال العسكري

مقدمة ابن خلدون

المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى

~~~~~



## الباب الرابع

# الخطبة الوصائية

في

## العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة

( توفي سنة ١٣٦ هـ )

صعد أبو العباس<sup>(١)</sup> السَّقَّاح المنبر حين بويع له بالخلافة، فقام في أعلاه، وصعد عمه داود بن علي فقام دونه، وتكلم أبو العباس، فقال :  
« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تَكْرِمَةً ، وَشَرَفَهُ وَعَظُمَهُ ، واختاره لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وَكَهْفَهُ<sup>(٢)</sup> وَحِصْنَهُ ، والقُوَّام به ، والذائين عنه ، والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى ، وجعلنا أحقَّ بها وأهلها ، وخصنا

---

[١] هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة سنة ١٣٢ هـ . [٢] الكهف : الوزر واللجأ .

بِرَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِهِ ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ آبَائِهِ ، وَأُنْبَتْنَا مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَاشْتَقْنَا مِنْ نَبْعَتِهِ <sup>(١)</sup> ، جَعَلَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا عَنِتْنَا <sup>(٢)</sup> ، حَرِيصًا عَلَيْنَا ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفًا رَحِيمًا ، وَوَضَعْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وَأُنْزِلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَابًا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ <sup>(٣)</sup> أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » ، وَقَالَ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ، وَقَالَ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، وَقَالَ : « مَا أَفَاءَ <sup>(٤)</sup> اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وَقَالَ : « وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى فَأَعْلَمَهُمْ جَلْ ثَنَاؤِهِ فَضْلَنَا ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمْ حَقَّقْنَا وَمَوَدَّتْنَا ، وَأَجْزَلَ مِنَ النَّفْيِ <sup>(٥)</sup> . وَالْغَنِيمَةُ نَصِيبُنَا ، تَكْرِمَةٌ لَنَا ، وَفَضْلًا عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَزَعَمَتِ السَّبِيَّةُ الضَّلَالُ أَنْ غَيْرَنَا <sup>(٦)</sup> أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا ، فَشَاهَتِ <sup>(٧)</sup> وَجُوهَهُمْ ! يَجْمَعُ وَلَمْ يَأْهِمِهَا النَّاسُ ؟ وَبَنَّا هَدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ ، وَبَصَّرَهُمْ بَعْدَ جَهَالَتِهِمْ ، وَأَتَقَدَّمُ بَعْدَ هَلَكَتِهِمْ ، وَأُظْهِرُ بَنَا الْحَقِّ ، وَأُذْخَضُ بَنَا الْبَاطِلِ ، وَأُصْلِحُ بَنَا مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِدًا ، وَرَفَعُ بَنَا الْحَسَنِ ، وَأَتَمُّ بَنَا النَّقِيبَةِ ، وَجَمَعَ الْفُرْقَةَ ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاطُفٍ وَبِرٍّ ، وَمُوَاسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَإِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ ، فَفَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنَّةً وَمِنْحَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأُثْرُهُمْ شُورَى

[١] النجى والصلح : شرح للقسى والسهم . [٢] الت بالتحريك : دخول الشقة على الإنسان .  
[٣] الغنى ، وكل ما استغنى من العمل . [٤] ما أعاده عليه أى صيره له .  
[٥] المنية . [٦] يريد العلويين . [٧] شاه وجهه شوها بالفتح : قبح .

يَنْتَهُم ، فُخِرُوا مَوَارِيثَ الْأُمِّ ، فَعَدَلُوا فِيهَا ، وَوَضَعُوا مَوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا ،  
وَخَرَجُوا خِمَاصًا<sup>(١)</sup> مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْوَانُ فَابْتَزُّوْهَا وَتَدَاوَلُوهَا بَيْنَهُمْ ،  
فَجَارُوا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلِي<sup>(٢)</sup> اللَّهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ<sup>(٣)</sup> ،  
فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا ، وَتَدَارَكَ بَنَا أَمْتَنَا ، وَوَلَّى نَصْرَنَا  
وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيَمُنَّ بَنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَخَتَمَ بَنَا كَمَا افْتَتَحَ بَنَا ،  
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَا كَمُ الْخَيْرِ ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ  
الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ .

يَأْهَلُ الْكَوْفَةِ ، أَنْتُمْ حَمَلْتُمْ حُبَّنَا ، وَمَنْزِلُ مَوَدَّتِنَا . أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْتَبِرُوا عَنْ  
ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْقَسِكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ . حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَنَا كَمُ  
اللَّهِ بِدَوْلَتِنَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بَنَا ، وَأَكْرَهَهُمْ عَلَيْنَا ، وَقَدْ زِدْتِكُمْ فِي أُعْطِيَا تَكُمُ  
مِائَةَ دَرْهَمٍ ، فَاسْتَعْدُوا ، فَأَنَا السَّقَّاحُ الْمَسِيحُ ، وَالتَّائِرُ الْمُبِيرُ<sup>(٤)</sup> ،  
وَكَانَ مَوْعُوكَا فَاشْتَدَّ بِهِ الْوَعَكُ<sup>(٥)</sup> . جَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ . وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ،  
فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَاقِي<sup>(٦)</sup> الْمُنْبَرِ ، فَقَالَ :

( تَارِيخُ الطُّبْرِى ٩ : ١٢٥ ، وَشَرَحَ ابْنُ الْحَدِيدِ ٢ : ص ٢١٣ )

## ٢ — خُطْبَةُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا ، الَّذِي أَهْلَكَ عَدُونَا ، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِيرَاثَنَا  
مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الْآنَ أَقْشَعَتْ<sup>(٧)</sup> حَنَادِسُ الدُّنْيَا ،

[١] جِيَا يَعْنِي خَمِيْسٌ مِنْ حَمْسٍ الْبَطْنُ مِثْلَةُ اللَّيْلِ أَيْ خَلَا ، وَانْخَمَصَتْ : انْجَمَاعُهُ ، وَهُوَ حَمْدَانُ بِالْقَمَرِ ،  
وَحَمِيْسٌ الْمَشَا ضَامِرُ الْبَطْنِ . [٢] أَمَهُلَهُمْ . [٣] أَغْضَبُوهُ . [٤] أَمَارُهُ : أَهْلُكَ .  
[٥] الْوَعَكُ : أَذَى الْجَمْرِ وَوَجْعُهَا ، وَالْمِنْ مِنْ شِدَّةِ النَّعْبِ . [٦] جَمْعُ مَرْفَافَةٍ يَفْتَحُ لِلْيَمْرِ وَكَرَاهَا .  
[٧] قَشَعَتْ الرِّيحُ السَّحَابَ : كَشَفَتْهُ كَأَنَّهُ قَشَعَتْ فَأَمْتَعَتْ وَاقْتَعَتْ وَفَتَعَتْ ، وَالْحَنَادِسُ جَمْعُ حَنْدَسٍ بِكَسْرِ الْحَاءِ  
وَالدَّالِ ، وَهُوَ الظَّلْمَةُ .

وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها ومحاوها ، وطلعت الشمس من مظلها ،  
 وبزغ القمر من مبرزه ، وأخذ القوس باريها ، وعاد السهم إلى النزعة <sup>(١)</sup> . ورجع  
 الحق إلى نصابه <sup>(٢)</sup> ، في أهل بيت نبكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والمطف عليكم .  
 أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجننا ، ولا  
 عقيانا <sup>(٣)</sup> ، ولا نحفر نهراً ، ولا نبني قصرًا ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم  
 حقًا ، والغضب لبني عمنا ، وما كرتنا <sup>(٤)</sup> من أموركم ، وبهظنا من شئونكم ،  
 ولقد كانت أموركم ترمضنا <sup>(٥)</sup> ونحن على فرشنا ، ويشد علينا سيرة بني أمية  
 فيكم ، وخرقهم بكم ، واستذلهم لكم ، واستشارهم بينكم وصدقاتكم ومناعمكم  
 عليكم ، لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس  
 رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة منكم  
 والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبتًا تبتًا لبني حرب بن أمية وبني  
 مروان ، آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة ، والدار الفانية على الدار  
 الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأنام ، واتهكوا المحارم ، وغشوا الجرائم ،  
 وجاروا في سيرتهم في العباد ، وسنتهم في البلاد ، التي بها استلذوا تمرُّبيل الأوزار ،  
 وتجلَّبب الآصار <sup>(٦)</sup> ، ومَرَحوا في أعنة المعاصي ، ورَكَضوا في ميادين النِّي ،  
 جهلا باستدراج الله ، وأمنًا لمكر الله ، فأتهم بأسُ الله ييكاتا وهم ناعمون ، فأصبحوا  
 أحاديث ، ومزقوا كل ممزق ، فبعدًا للقوم الظالمين ، وأدالنا <sup>(٧)</sup> الله من مروان ،

[١] جمع نازع وهو الزام يشد الوتر إليه ليضع فيه السهم ، وصار الأمر إلى النزعة أي قام بإصلاحه  
 أهل الأئمة ، وعاد السهم إلى النزعة : رجع الحق إلى أهله . [٢] أصله . [٣] ذنبًا .  
 [٤] كرهه الله كقرب وصر : اشتد عليه كآثره . [٥] أرمعه : أوجسه وأحرقه ،  
 أرومض الحر القوم : اشتد عليهم فأخزم . [٦] جمع لمصر كحمل وهو الذنب . [٧] نصرنا عليه .



وقد غره بالله التُّرُور ، أُرسل لعدو الله في عِنايه ، حتى عَرَّ في فَضْل خِطامه ،  
فظن عدو الله أن لن تَقْدِر عليه ، فنَادى حِزبه ، وجمع مكايده ، ورمى بكتائبه ،  
فوجد أَمَامَهُ ووراءه ، وعن يمينه وشماله ، من مكر الله وبأسه ونِقْمته ، ما أَمَات  
باطله ، وتَحَقَّ ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزنا ، وردَّ إلينا  
حقنا وإِزْمنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر  
بعد الصلاة ، أنه كَرِهَ <sup>(١)</sup> أن يَخْلُطَ بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعهُ عن استنم  
الكلام ، بعد أن اسْتَحْفَرَ <sup>(٢)</sup> فيه شدَّةَ الوجع ، وادعوا الله لأُمير المؤمنين بالعافية ،  
فقد أبدلكم الله بمرؤسٍ عدوِّ الرحمن ، وخليفة الشيطان . المتع لسفلة الذين  
أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، بإبدال الدين ، وانتهاك حريم المسلمين ،  
الشاب <sup>(٣)</sup> المتكهل الممهَّل ، المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا  
الأرض بعد فسادها بعالم الهدى ، وناهج التقوى « - فمعَّجَّ الناس له بالدعاء -  
ثم قال :

« يا أهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين مهْزُورين على حقنا ، حتى أتاح  
الله لنا شيعتنا أهل خُرَّاسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج <sup>(٤)</sup> بهم حجتنا ، وأظهر  
بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تشوُّفون ، فأظهر فيكم  
الخليفة من هاشم ويئُض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم  
السلطان وعز الإسلام ، ومنَّ عليكم بإمام منحه العدالة ، وأعطاه حسن الإمالة <sup>(٥)</sup> ،

[١] أي لأنه كره . [٢] استحفر الخائب : اتع في كلامه . [٣] كانت سنة ٤٠ هـ .  
الخليفة ٢٨ سنة إذ ولد سنة ١٠٤ هـ . [٤] نصر . [٥] آل الملك رعيته إيالا : ساسهم ،  
وآل على القوم إيالا وإيالة : ولى .

خُذُوا مَا آتَاكُمْ اللَّهُ بِشُكْرٍ ، وَالزَّمُوا طَاعَتَنَا ، وَلَا تُخَدِّعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكُمْ ، فَإِنَّ لِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ مَصْرًا ، وَإِنِّكُمْ مَصْرُنَا ، أَلَا وَإِنَّهُ مَا صَدَّ بِنَبْرِكُمْ هَذَا خَلِيفَةً بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ - وَأَشَارَ يَدَهُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ - فَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِينَا لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَّا ، حَتَّى نَسْلُهُ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى مَا أَبْلَانَا وَأَوْلَانَا .

( تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ )

### ٣ - خطبة داود بن عليّ وقد ارتج على السفاح

وروى أنه لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر ، قام بوجه كورقة المصحف . فاستحيا فلم يكلم ، فنهض داود بن عليّ حتى صعد المنبر ، فقال المنصور : قلت في نفسي : شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه ، فلا يختلف عليه اثنان ، فاتصيت سيفي . وغطيته بنوبي<sup>(١)</sup> ، وقلت : إن فعل ناجزته ، فلما رقي عتبا استقبال الناس بوجهه دون أبي العباس ، ثم قال : « أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن يقدم موأه فعله ، ولأثرُ الفعل أجدى عليكم من تشقيق<sup>(٢)</sup> المقال ، وحسبكم بكتاب الله مُتَمَثِّلًا<sup>(٣)</sup> فيكم ، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم ، والله - قسما بَرًّا لا أريد به إلا أفة - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحقُّ به من عليّ بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين هذا ، فليظنُّ ظانُّكم ، وَلِيَهْمِسْ هَامِسُكُمْ » قال أبو جعفر : ثم نزل ، وَشَمْتُ<sup>(٤)</sup> سيفي .

(عيون الأخبار ٢ : ٢٥٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

[١] في عيون الأخبار : « وغطيته بنوبي » وهو تحريف . [٢] شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج .

[٣] امثال طريقته : تبعها علم يبعها . [٤] شام سيفه يشبهه : عمده ( واستله أيضا : ضد ) .

## ٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يوماً أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مُفْرِط - فأَرْجَحَ عليه ، فقال داود بن علي\* بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين الذي قلَّده الله سياسة رعيته ، عَقَلَ من لسانه ، عند ما يُهَمِّد من يَبَّانِه ، ولكل مرتقٍ بِهِ<sup>(١)</sup> ، حتى تنفَسَه العاداتُ ، فَأُبَشِّرُوا بنعمة الله في صلاح دينكم ، ورَغَدَ عِيشِكُمْ » . ( أمالي السيد المرتضى : ١٦ )

## ٥ - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » والله لا أَعِدُّكُمْ شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعد ، ولَأَعْمَلَنَّ اللين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولَأَنْعِمَنَّ السيف إلا في إقامة حد ، أو بلوغ حق ، ولَأَعْطِيَنَّكُمْ حتى أرى العطية ضياعاً ، إن أهل بيت اللعنة والشجرة<sup>(٢)</sup> الملعونة في القرآن ، كانوا لكم أعداء ، لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشدُّ منها ، ولا يَلِي عليكم منهم والٍ إلا تَمَيَّنْتُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وإن كَانَ لا خَيْرَ في جميعهم ، مَنَعُوكُم الصلاة في أوقاتها ، وطالبوكم بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا الْمُقْبِلَ بِالْمَذِيرِ<sup>(٣)</sup> ، والجار بالجار ، وسلطوا شراركم على خياركم ، فقد حَقَّ الله جورهم ، وأزهق باطلهم ، بأهل بيت نبيكم ، فما نَوَخَرَّ لكم عطاء ، ولا

[١] البهر : انقطاع النفس من الإعياء . [٢] هي شجرة الزقوم التي تثبت في أصل الجحيم ، جعلها

الله فية للشركين إذ قالوا : إن النار تحرق الشجر فكيف نخشيه .

[٣] انظر قول زياد بن أبيه في خطبة البراء الجزء الثاني من ٢٠٧ .

نضيق لأحد منكم حقاً ، ولا تُجْرِمَكُم في بَئْت ، ولا تُخاطِرُ بَئِكُم في قتال ، ولا تُبْذُلُكُم دون أنفسنا ، وَأَقَهُ عَلَى مَا تَقُولُ وَكِيلٌ بالوفاء والاجتهاد ، وعليكم بالسمع والطاعة»  
ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣)

## ٦ - خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قُتِل مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - خطب السفاح ، فقال :  
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْلَهُمُ دَارَ الْبُورِ ،  
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ » نكصَ بَئِكُم ياهل الشام آلُ حرب وآل مروان ،  
يَتَسَكَّمُونَ<sup>(١)</sup> بَئِكُم الظلم ، ويتهورون بَئِكُم مَدَاحِضَ<sup>(٢)</sup> الزُّلْق ، يَطَّوْنُ بَئِكُم حَرَمَ  
الله<sup>(٣)</sup> وَحَرَمَ رسوله<sup>(٤)</sup> ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : « رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا  
فَأَتَيْنَاهُمْ عَذَابًا مِنْ النَّارِ » إذن يقول الله عز وجل : « لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ  
لَا تَمْلُؤُونَ » أما أمير المؤمنين فقد انتنف<sup>(٥)</sup> بَئِكُم التوبة ، واغفر لكم الزَّوْلَةَ ،  
وَبَسَطَ لَكُمْ الْإِقَالَةَ<sup>(٦)</sup> ، وعاد بفضله على تقصمكم ، وبجمله على جهلكم ، فليُفْرِخْ  
رُوعُكُمْ<sup>(٧)</sup> ، ولتطمئن به داركم ، وليقطع مصارع أوائلكم ، « فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ  
خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا » (العنود الفريد ٢ : ١٤٠)

## ٧ - خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي - عم السفاح - لما قتل مروان ، فقال :

[١] تسكع : متى متشبا متسفا . [٢] جمع مدحضة : وهي المرة . [٣] يشير إلى ما كان من  
مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بكلاً ، ورميه الكفة بالمنهيق في عهد عبد الملك بن مروان .  
[٤] يشير إلى وقعة الحرة وما أحدثه جيش مسلم بن عقبة للري بالمدينة على عهد يزيد بن معاوية .  
[٥] استأنهت وأجداً . [٦] أهل عثرته : رصه من سقوطه . [٧] الروع بالعص القلب ، أو  
موضع الفزع منه ، والروع بالفتح : الفزع ، وأفرخت البيضة : خرج الفرج منها ، أي ليخرج الروع  
من روعكم ولتهدهوا وتطشوا .

« الحمد لله الذى لا يفوته من طلب ، ولا يعجزه من هرب ، خَدَعَتْ وَاللَّهِ  
الْأَشْقَرُ نَفْسُهُ ، إِذْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ مُنْهَلُهُ ، وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ  
الْكَافِرُونَ ، فَخِيَ مَتَى ، وَإِلَى مَتَى ؟ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كَرِهَتْهُمْ الْعِيدَانِ <sup>(١)</sup> الَّتِي  
اقْتَرَعُوها ، وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ دَرَّهَا <sup>(٢)</sup> ، وَالْأَرْضُ رِيَمَهَا <sup>(٣)</sup> ، وَقَحَلَ الضَّرْعُ <sup>(٤)</sup> ،  
وَجَفَزَ الْفَتَيْقُ <sup>(٥)</sup> ، وَأَتَمَّلَ <sup>(٦)</sup> جِلْبَابُ الدِّينِ ، وَأَبْطَلَتِ الْحُدُودُ ، وَأَهْدَرَتِ الدِّمَاءُ ،  
وَكَانَ رَبُّكَ بِالرِّصَادِ ، فَدَمَدَمَ <sup>(٧)</sup> عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ، وَلَا يَخَافُ  
عُقُبَاهَا ، وَمَلَكْنَا اللَّهَ أَمْرَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ ، لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَالشُّكْرُ الشُّكْرُ ،  
فَإِنَّهُ مِنْ دَوَاعِي الْمَزِيدِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْأَهْوَاءِ ، وَبَقَاتِ الْفِتَنِ ،  
فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ » . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

## ٨ خطبة داود بن علي بمكة <sup>(٨)</sup>

وخطب داود بن علي الناس بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس ، فقال :  
« شُكْرًا شُكْرًا ، إنا والله ما خرجنا لنُخَفِّرَ فِيكُمْ نَهْرًا ، وَلَا لِنَبْنِي فِيكُمْ قَصْرًا ،  
أَطْلُنْ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ ، أَنْ رُوخِي <sup>(١)</sup> لَهُ مِنْ خِطَامِهِ ، حَتَّى عَثَرَفِي  
فَضْلَ زَمَامِهِ ؟ فَالآنَ حَيْثُ أَخَذَ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَعَادَتِ النَّبْلُ إِلَى التَّرْزَعَةِ ، وَرَجَعَ  
الْمَلِكُ فِي نِصَابِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَالرَّحْمَةِ - وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا تَتَوَجَّعُ لَكُمْ وَنَحْنُ

[١] أى أعواد الناب ، واقترعوا : أى علوها . [٢] مطرها . [٣] الرية : الغمام والزيادة .  
[٤] قحل : ييس جلده على عظمه . [٥] الفتيق : المعدل للمكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا  
يركب ، والجفز : كشمس السرة في المشى ، ولم تذكر كتب اللغة ضبط لعله ، وجاء في اللسان : « الجفز :  
سرعة المشى بحماية ، حكاهما ابن دريد ، قال : ولا أدري ما محبتها » ، وفي رواية « مواسم الأدب » : « وجفل  
فتيق الفرك » . [٦] أتمل الثوب وحمل ، كدخل وكرم : أخلق .

[٧] دمدم القوم ، ودمدم عليهم : طعنهم فأهلكهم ، فسواها : أى الدبسة ، أى عهم بها فلم يفلت  
منهم أحد . [٨] ولده أبو العباس السكوني وسوادها ، ثم ولده المدينة ومكة واليمن واليمامة سنة ١٣٢  
وولاه إمارة الحاج في هذه السنة ، ومات بالمدينة في ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبري ج ٩ ص ١٤٧) .  
[٩] أى لأن روخي له ، ظن أن لن قدر عليه .

في فُرُشنا - أمن الأسود والأحمر<sup>(١)</sup>، لكم ذمة الله، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكم ذمة العباس، لا ورب هذه البنية - وأوماً بيده إلى الكعبة - لا نهييج منكم أحداً . (تهذيب الكامل ١ : ١٨ ، والمعد الفريد ٢ : ١٤٦ ، والبيان والبيان ١ : ١٨٠ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

## ٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أيها الناس : حَتَّامٌ يَهْتِفُ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ<sup>(٢)</sup> ؟ أَمَا أَنِّ لِرَاقِدِكُمْ أَن يَهْبُ من نومهِ ؟ كَلَّا بَلْ رَانَ<sup>(٣)</sup> عَنِّي قُلُوبُهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَغَرَّكُمْ الْإِهْمَالُ حَتَّى حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ ؟ هِيَاهُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالسُّوْطُ كُنْفٌ ، وَالسَّيْفُ مُشَهَّرٌ<sup>(٤)</sup> ! حَتَّى يُبِيدَ قَبِيلَةً فَقَبِيلَةً وَيَمْعَضَ كُلُّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ<sup>(٥)</sup> وَيُقَمِّنَ رِبَاتِ الْخُدُورِ حَرَابِرًا يَمْسَحْنَ غُرُضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ<sup>(٦)</sup> (المعد الفريد ٢ : ١٤٦)

## ١٠ - خطبة أخرى له<sup>(٧)</sup>

وخطب فقال : « أحرز لسانُ رأسه ، اتمطز امرؤ بغيره ، اعتبر عاقل قبل أن يُعتبر به ، فأمسك الفضل من قوله ، وقدم الفضل من عمله » ثم أخذ بقائه

[١] الحمراء : المعجم لأن المال على ألوانهم البيضاء والحمراء .  
[٢] الصريح : السمتيت ( والمعيت أيضا ) . [٣] طلب . [٤] شهر سيفه كبح ، وشهره بالشديد : انتهاء فرسه على اللسان . [٥] نفع الرماح : تسويتها . [٦] قوله ويمجن : أي الرماح ، والصير يعود على ( كل متقف ) . [٧] هذه الخطبة أوردتها ابن قتيبة ، ورواها إلى داود بن علي ، وسبها صاحب القند إلى المصور ، وأنه قالها لما قتل الأمويين ( راجع القند ج ٢ : ص ١٤٥ ) .

ونصها كما أوردتها : « أحرزَ لسان رأسه ، اتقنه امرؤ لحطه ، نظر امرؤ في يومه لفته ، فشى القصد ، وقال الفضل ، وجانب المخبر » ، ثم أخذ بقائه سيفه ، فقال :

« أيها الناس : إن بكم داء هذا دواؤه ، وأما زعيم لكم بشفائه ، فليعتبر عبد قبل أن يُعتبر به ، فإنما بعد الوعيد الاقطاع ، وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بإيات الله والمهر : الفرج من الكلام ..

سيفه ، فقال : « إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع » . ( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

## ١١ - خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بني العباس

وبلغته أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس ، فافترع المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَغْدراً يا أهل الحِمْز<sup>(١)</sup> والتبديل ؟ ألم يرَدَّ عكم الفتح المبين<sup>(٢)</sup> ، عن الخوض في دَم أمير المؤمنين ؟ كلا والله حتى تحملوا أوزاركم وأوزار الذين كانوا من قبلكم ، كيف قامت شفاهكم بالشكوى لأُمير المؤمنين ؟ بعد أن حانت آجالكم فأرجأها ، وانبعثت دماؤكم لحققتها ، لآلآن يا منابت الدمين ، مشيتم الصَّراء<sup>(٣)</sup> ، ودَينتم الحِمْز<sup>(٤)</sup> ، أما ومحمد والعباس إن عُدْتُم لمثل ما بدأتم ، لأحْصُدَنَّكم بظَبَات السيف ، ثم يُعْنِي ربنا عنكم . ونستبدل غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم .

مهلا ياروايا<sup>(٥)</sup> الإرجاف ، وأبناء النفاق ، عن الخوض فيما كفيتم ، واننخضى إلى ما حُذِرتُم ، قبل أن تلتف نفوس ، ويقلَّ عُدَد ، ويذلَّ عز ، وما أنتم وتلك ؟ ألم تجدوا ما وعد بكم حقاً من إیراث المستضعفين مشارق الأرض ومغاربها ؟ بلى والحِجْر والحِجْر<sup>(٦)</sup> ، ولكنه حسدٌ مُضْمَرٌ ، وحَسَكٌ<sup>(٧)</sup> في الصدور ، قرغماً للمعاطس<sup>(٨)</sup> ، وبُعْدًا للقوم الظالمين<sup>(٩)</sup> » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

[١] الحِمْز : الحِمْز ، أو أقبجه . [٢] في الأصل « ألم ير عكم الفتح المبين عن الخوض في دم أمير المؤمنين » وهو تحريف . [٣] الصَّراء : الشجر المنف في الوادي ، يقال : توارى الصيد منه في صراء ، وفلان يمشي الصَّراء إذا مشى مستخفياً فيها يوارى من الشجر . [٤] في الأصل « ودَينتم الجراء » وهو تحريف ، وصوابه ما ذكرناه والجاء بالتحريك : كل ما وارك من شجر أو بناء أو غيره ، وخر كفرح : توارى ، ومن أمثالهم : « يدب له الصَّراء ، ويمشي له الجراء » وهو مثل يضرب للرجل يمتثل صاحبه . [٥] الروايات رواية : وهي الزادة فيها الباء . [٦] الحمر : حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم الدار بالكعبة من جانب الشمال . [٧] الحسك : الحقد والعداوة . [٨] المعاطس جمع معطس كجلس ومقعد وهو الأنف ، والرغم : القتل . [٩] وروى صاحب المعقد

## ١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن علي ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال :  
 « أما بعد ، فقد يجِدُ المُعْصِر ، ويُعْصِرُ المُوسِر ، وَيُقِلُّ الحَدِيد ، وَيَقْطَع الكَلِيل ، وإنما الكلام بعد الإغَام ، كالإشراق بعد الإظلام ، وقد يمزُب البيان ، وَيُعَمِّمُ الصواب ، وإما اللسان ، مُضْغَةٌ من الإنسان ، يَفْتَرُ بِقُتُورِهِ إِذَا نَكَل ، وَيُثَوِّبُ بِإِبْطَالِهِ إِذَا ارْتَجَلَ ، أَلَا وَإِنَّا لَا نَنْتَقِ بِطَرًّا ، وَلَا نَسْكُتُ حَصْرًا ، بل نسكت مُتَبَرِّين ، وننطق مُرْشِدِينَ ، ونحن بعدُ أمراء القول ، فِينَا وَشَجَّتْ <sup>(١)</sup> أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَمْنَا عَطَقَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلَنَّا نَهْدَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، فَتَخَيَّرَ مِنْهُ مَا اخْلَوَى وَعَذَّبَ ، وَنَطَرَحَ مِنْهُ مَا ائْتَلَوَحَ وَخَبَّتْ ، وَمَنْ بَعْدَ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبَعْدَ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرَفُ فِيهَا فَضْلُ الْبَيَانِ ، وَقَصْلُ الْخَطَابِ ، وَأَلَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعَانٍ » ثُمَّ نَزَلَ <sup>(٢)</sup> .

( كتاب الصاعيتين ص ٢١ ، وأمالى السيد المرتضى ٤ : ١٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٥ )

من هذه المخطبة وعراها إلى أبي حمزة للصورة ، فقال : « حطب المنصور حين خروجه إلى الشام قال :

شَيْئَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

مهلا مهلا روايا الإيجاب ، وكهوف الفاق . . . إلى آخر المخطبة » ، راجع المقدم المريد ٢ : ١٤٥ - والشفقة : الذبيحة والدابة ، وهو مثل لأبي أخزم الطائي ، وكان له ابن يقال له أخزم ، وكان طاماً ، فبات وترك بيتين ، فوثبوا يوماً على جدم أبي أخزم فآدموه فقال :

إِلَى بِي صَرْجُونِي بِالْهَمِّ شَيْئَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ

أى إن هؤلاء أشبهوا أبيهم في القوق : يصرب في قرب الشبه ، ويكلم : يمحرج .

[ ١ ] وشجت المروق والأعصاب كوعده وشجا وشجيت : اشتبكت ، والواشجة : الرحم للثبكية .

[ ٢ ] يروى الحمصى في زهر الآداب من هذا القول وعراها إلى عبد الملك بن صالح ، وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

« صعد أبو العباس السفاح المنبر ، فأرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان ، بهضة



## ١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي <sup>(١)</sup> عم السفاح ، فقال :  
يا أعضاء النفاق ، وعُبد الضلالة ، أغرّكم لين أسامي ، وطولُ إيناسي ؟  
حتى ظن جاهلُكم أن ذلك لفلولِ حدّ ، وفثورِ جدّ ، وخورِ قنّاةٍ <sup>(٢)</sup> ، كذّبتِ  
الظنونُ ، إنها العِترَةُ بَعْضُها من بعض ، فإذا قد استوليتُم العافية ، فعندى فِطام  
وفيكاك ، وسيف يُقَدُّ الهام ، وإني أقول :

أغرّكم أني بأكرمِ شيمَةٍ رقيقٍ ، وأني بالفواحشِ أخرقٍ ؟  
ومثلي إذا لم يُجَزَّ أحسنَ سَعِيهِ تَكَلَّمُ نَعْمَاهُ فِيهَا فَتَنْطِقُ  
لَمَعْرِي لَقَدْ فَاحَشْتَنِي فَلَبَّتَنِي هَيْثَامِ يَا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَرْفَقُ

( البغد المريد ٢ : ١٤٦ )

## ١٤ - خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب العقد قال :

لما قَدِمَ العَمَرُ بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السَّقَّاح في ثمانين

من الإنسان ، يَكِلْ إذا كَلَّ ، وينفِيسَ بانفاسه إذا فَسَحَ ، ونحنُ أمراءُ الكلام ، منا  
تفرعت فروعه ، وعلينا تهدلت غصونه ، ألا وإنا لا نتكلم هَذَا ، ولا نسكت إلا  
معتبرين » ثم نزل ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « الله هو ! لو خطب بمنل ما اعتذر ،  
لكان من أخطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن علي « هـ .

والبصة فتج الباء وقد تكسر : الفطمة من اللحم ، والمهذر بالتحريك : سقط الكلام ، وسكون الدال  
مصدر هذر في منطقه كضرب وضمر .

[ ١ ] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد وُلّاه السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،  
ثم وُلّاه مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأقره المنصور على  
عمل مصر ثم خرج إلى فلسطين ، ومات وهو حامل حمى بغنرين . [ ٢ ] ضعف .

رجلا من بنى أمية ، وُضعت لهم الكراسى ، ووضعت لهم عمارق<sup>(١)</sup> ، وأجلسوا عليها ، وأجلس النمر مع نفسه فى المصلّى . ثم أذن لشيخته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون<sup>(٢)</sup> ، وكان متوشحاً سيفاً ، متنكباً قوساً ، وكان طويلاً آدم<sup>(٣)</sup> ، فقام خطيباً .

فحمّد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضلال بما حَبِطت<sup>(٤)</sup> أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة ؟ فلمَ وبهم أيها الناس ؟ لكم الفضل بالصّحابة ، دون حقّ ذوى القرابة ، الشركاء فى النسب ، الأكفأ فى الحسب ، الخاصة فى الحياة ، الوفاة<sup>(٥)</sup> عند الوفاة ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم فى الأولى جائعكم ، فكفّم الله بهم من جبّار باغٍ ، وفاسق ظالم ، لم يُسمع بمثل العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدأبيه ، وجلدة ما بين عينيه<sup>(٦)</sup> ، أمينُهُ ليلة العقبة<sup>(٧)</sup> ، ورسوله إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين<sup>(٨)</sup> ، لا يرذّله رأياء ، ولا يخالف له قسماً ، إنكم والله معاشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث ما اختاره الله لكم ، تيّمي<sup>(٩)</sup> مرة ، وعدوى<sup>(١٠)</sup> مرة ، وكنتم بين ظهرائى قوم فد آثروا العاجل على الآجل ، والفانى على الباقي ،

[١] تمارق جمع نفرة كنفقة : وهى الوسادة الصغيرة . [٢] مولى أبى السلس السفاح .

[٣] وصف من الأئمة ، وهى كاللمرة ورتا وهى . [٤] فدت . [٥] الوفاة جمع وف .

[٦] خطب الوليد بن عبد الملك قال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن الحجاج جلدة

ما بين صبيّ » ألا وإنه جلدة وجهى كله » - البيان والنبى ١ : ١٦٠ و ٣ : ٢١ - .

[٧] يوم مباينة الأصهار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً معهم امرأتان وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه السلس - وهو على دين قومه - ولكنه رأى أن يحصر أسرا ابن أخيه ليتوثق له . [٨] كان العباس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين ، حنّوا انزعم المسلمون أول اللوثة ، وكان أحدًا بلجام ملته . [٩] يريد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى . [١٠] يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو من عدى بن كعب بن لؤى .

وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ فِي الشَّهَوَاتِ ، وَالنِّعَى فِي اللَّذَاتِ وَالْفَنَاءِ ، وَالْمَغَانِمَ فِي الْحَارِمِ ،  
إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ لَمْ يَذْكُرُوا ، وَإِذَا قُدِّمُوا بِالْحَقِّ أَذْبَرُوا ، فَذَلِكَ زَمَانُهُمْ ، وَبِذَلِكَ  
كَانَ يَعْمَلُ شَيْطَانُهُمْ <sup>(١)</sup> . (العقد المريد ٢ : ٣٠١)

## ١٥ - خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح <sup>(٢)</sup> ، فقال :  
« الحمد لله الذي حمّد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد  
رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى . واختاره من خلقه ، نفسه من  
أنفسهم ، ودينه من ديوتهم ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعهده ،  
وأشهد ملائكته على حقه . قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، ثم جمل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله في أهل  
بيته ، فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على اللأواء <sup>(٣)</sup>  
والشدّة . وأغضى على الاستبداد والأثرة ، ثم إن قوماً من أهل بيت الرسول  
صلى الله عليه وآله ، جاهدوا على ملة نبيه وسنته بعد عصر من الزمان . من  
عمل بطاعة الشيطان ، وعداوة الرحمن ، بين ظهرائي قوم آثروا العاجل على  
الآجل ، والفاغين على الباقي ، إن رُمِيَ جَوْرُ فَتْوَاهُ ، أَوْ فُتِيَ حَقُّ رَقْوَاهُ ، أَهْلُ مُخُورٍ  
وَمَآخُورٍ ، وَطَنَائِيرٍ <sup>(٤)</sup> وَزَمَائِرٍ ، إِنْ ذُكِّرُوا لَمْ يَذْكُرُوا ، أَوْ قُدِّمُوا إِلَى الْحَقِّ  
أَذْبَرُوا ، وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ فِي الشَّهَوَاتِ ، وَالْمَغَانِمَ فِي الْحَارِمِ ، وَالنِّعَى فِي

[١] نقر هذه الخطبة مروية في خطبة أبي مسلم الخراساني الآتية بعدها ، ولكي أثرت إبراداً للروايتين  
جميعاً كما وردتا . [٢] وذلك في سنة ١٣٦ هـ . [٣] الددة .  
[٤] الطنائير : جمع طنبور كصفور ، وهو لادى يابس به .

النبي، هكذا كان زمانهم، وبه كان يعمل سلطانهم، وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم، فلم يَـبَـمَ أيها الناس؟ ألكم الفضل بالصَّحابة، دون ذوى القرابة، الشركاء في النسب، وَالْوَرثة في السَّلب<sup>(١)</sup>، مع ضربهم على الدين جاهلكم، وإطعامهم في الجذب جائعكم، والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة فط، وما زلتم بعد نبيه تحتارون تيمياً مرة، وَعَدَوياً مرة، وأُمَوياً مرة، وأَسَدِيّاً<sup>(٢)</sup> مرة، وسُفْيَانِيّاً مرة، وَمَرْوانِيّاً مرة، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا يئنه<sup>(٣)</sup>، يضربكم بسيفه، فأعطيتموها غنوة، وأنتم صاغرون، ألا إن

[١] مايلب، والمراد ورثته في الخلافة. [٢] هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن حويلد بن أسد. [٣] قال ابن أبي الحديد: «يُسمى نفسه لأنه لم يكن معلوم النسب»، وقد اختلف فيه أهو مولى أم عربي. وقال ابن حنبل في (وفيات الأعيان ١: ٢٨٠) في ترجمة: «أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وقيل عثمان المراساني القائم بالدعوة الداسية، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سدوس بن حودون من ولد بزرجمهر بن البحتك المراسي، وقد اختلف الناس في نسبه، فقيل إنه من العرب، وقيل إنه من الهمم، وقيل من الأكراد، وفي ذلك يقول أبو دلامة:

أبا محرم ما غير الله صفة على عده حتى يغيرها اليد  
أبي دولة للنصور حاولت غيرة ألا إن أهل النذر آياؤك الكرد

وقال ابن طباطبا في الفهرس ص ١٢٣: «أما نسبه فيه اختلاف كثير، قيل: هو حر من ولد رزجهر، وأنه ولد بأصفهان، ونشأ بالكوفة، فأنزل إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فغير اسمه، وكناه بأبي مسلم، ونسبه وشبهه، حتى كان منه ما كان.

وقيل هو عد تنقل في الرق، حتى وصل إلى إبراهيم الإمام، فلما رآه أعجبه سمته وخلقه، فأباعه من مولاه وثقه ومهّسه، وصار يرسله إلى شيعة وأصحاب دعوته يجراسان، وما زال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان.

وأما هو فإنه لما قويت شوكته ادعى أنه ابن سليط بن عبد الله بن عباس، وكان لعبد الله بن عباس حارية فوقع عليها مرة، ثم اعترها معة، فاستكحها عبداً موثقاً، فولدت منه علامة سسته سليطاً، ثم ألقته سعد الله بن عباس، وأكرمه عبد الله ولم يتعرف به، ونشأ سليط، وهو أكره الخلق إلى عبد الله بن عباس، فلما مات عبد الله نازع سليط ورثته في ميراثه، وأعجب ذلك بني أمية ليضوا من علي بن عبد الله بن عباس، فأطاعوه وأوصوا قاضي دمشق في اللطائف، قال إليه في الحكم وحكم له باليراث، فأدعى أبو مسلم حين قويت شوكته أنه من ولد سليط هذا.

وذكر ابن خلكان أن النصور قال له قبل قتل، وقد عدّ له مساوئ وقتلته منه: «تزعّم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس! لقد أوتيت لا أم لك مرتقى صبا!». .

آل محمد أئمة الهدى ، ومنازل سبيل النقي ، القادة الذادة السادة ، بنو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومُنَزَّل جبريل بالتنزيل ، كم قصم الله بهم من جبار طاع ، وفاسق باغ ، شيد الله بهم الهدى ، وجلى بهم المعى ، لم يُسمع بمثل العباس ، وكيف لا تخضع له الأمم لواجب حق الحرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وإحدى يديه ، وجلدة بين عينيهِ ، أَمِينُهُ يومَ المَقَبَةِ ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّةَ<sup>(١)</sup> ، ورسوله إلى أهلها ، وَحَامِيهِ يومَ حُنَيْنٍ ، عند ملتقى الفَتَيْنِ ، لا يخالف له رسماً ، ولا يَمُصِي له حكماً ، الشافع يوم نيق العُقَاب<sup>(٢)</sup> ، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ .  
(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٥)

## ١٦ - خالد بن صفوان وأحوال السفاح .

روى الجاحظ قال :

كَانَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَهْتَمِيُّ مِنْ سُحَّارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ ، فَفَخَّرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَلْخَارِثَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : لَمْ لَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ ؟ فَقَالَ : « أَخْوَالُ<sup>(٤)</sup> أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ : « فَأَنْتُمْ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ خَالِدٌ : « وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا يَنْ نَاسِجٌ بُرْدٌ ، وَدَابِغٌ جِلْدٌ ، وَسَائِسٌ قِرْدٌ ، وَرَاكِبٌ عَرْدٌ<sup>(٥)</sup> ، ذَلِكَ عَلَيْهِمْ

[١] يشير إلى ما كان من جيش العباس في غزوة أحد ، وذلك أن جيش المشركين خرج من مكة لحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على المدينة ، وبلغ الخبر الرسول من كتاب بعث به إليه عمه العباس الذي لم يخرج منهم في هذه الحرب عتجا مما أصابه يوم بدر ، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين ( وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يآتم إسلامه ) .

[٢] موضع بين مكة والمدينة . وذلك أن العباس شفع فيه يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وفي أهل مكة فعفا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم .

[٣] انظر الجزء الثاني ص ٣١٩ . [٤] كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ربيعة بنت حبيد الله ابن عبد الله بن عبد المنان بن الفيلان الحارثي ، ولذا كان يقال له ابن الحارثية . [٥] الرد : الحمار .

هذه<sup>(١)</sup>، وغرهم قارة<sup>(٢)</sup>، وملكتهم امرأة<sup>(٣)</sup>؟ (اليان واليعين ١ : ١٨٤)

\*\*\*

وروى الحصري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي المباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالي ؟ فقال : « هم هامة<sup>(٤)</sup> الشرف ، وعيرين<sup>(٥)</sup> الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم لمعا<sup>(٦)</sup> ، وأكرم شيئا ، وأطيبهم طعما<sup>(٧)</sup> ، وأوفاهم ذمما ، وأبدم همما ، الجمنة في الحرب ، والرقة<sup>(٨)</sup> في الجذب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب<sup>(٩)</sup> » .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسننت ، فزاد أخواله في الفخر ، ففضيب

[١] يشير إلى حديث المسعود مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَقَعُ الطَّيْرُ قَحَّالٍ مَا لِي لَا أَرَى الْمُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ النَّاسِيئِينَ ، لَأَعَذَّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَنَإٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدْتُ أُخْرَاءَ تَمْلِكُهُمْ ، وَأَوْنَيْتُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . . . الآيات » .

[٢] يشير إلى ما يرمعه للورخون من أن سيل الرمم الذي خرب اليمن كان سببه قرص الجرد لد مأرب . انظر الجزء الأول ص ٣٤٣ . [٣] هي بلفظ ( بالكسر ) ملكة سبأ .

[٤] الهامة : رأس كل شيء . [٥] الرعين : الأنف ، أو ما صلب من عظمه ، ومن كل شيء أوله .

[٦] في الأصل « أما » وأراء عرفاء ، وصوابه « لما » والقلم جمع لمة بالكسر ، وهي القصر الجاوذ شحة الأذن . [٧] الطعم : الطعام . [٨] الرقة : السطاه والعملة . [٩] البهيج : أصل الذئب ، ومؤخر كل شيء . و

أبو العباس لأعمامه ، فقال : افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُزْد ، وسائس قِرْد ، ودانج جِلْد ، وراكب عَرْد ، دلّ عليهم مُدْمِد ، وغرقهم جُرْد ، وملكتهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس . ( زهر الآداب ٣ : ١٣٠ ، ٣٤٦ )

## ١٧ - خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأهمتم ، فقال له العبدري : أنت خالد « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي الدَّارِ »<sup>(١)</sup> ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثُرَابٌ »<sup>(٢)</sup> ، وأنت ابن الأهمتم ، والصحيح خير من الأهمتم<sup>(٣)</sup> ، فقال له خالد بن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلم ؟ وقد هَشَمْتَكَ هاشم ، وأمُتَكَ<sup>(٤)</sup> بنو أمية ، وخزَمْتَكَ بنو مخزوم ، ومَجَحْتَكَ بنو مَجَح<sup>(٥)</sup> ؟ فأنت عبْد دارهم<sup>(٦)</sup> تفتح إذا دخلوا ، وتُغْلِقُ إذا خرجوا ، فقام العبدري محمواً . ( أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٢ )

[١] وتعالى الآية الكريمة : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » .

[٢] صفوان جمع صفوانة : وهي الحجر الصلب الضخم كالصفوان والصفاة ، والآية الكريمة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثُرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ، فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » . [٣] هم كفروح : انكسرت ثنائه من أصولها فهو أهمتم . [٤] قاذبك . [٥] انظر الجزء الثاني من ٩٠ . [٦] وكانت المجابة في بني عبد الدار ، انظر الجزء الثاني من ٩٠ أيضا .

## ١٨ - خالد بن صفوان يرثى صديقا له

وقال الجاحظ : قيل لرجل - أراه خالد بن صفوان <sup>(١)</sup> - مات صديق لك ، فقال :  
« رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ العين جمالا ، والأذن يانا ، ولقد كان يرزجى  
فلا يَحْشَى ، ويُعْشَى فلا يَفْشَى ، ويُعْطَى فلا يُعْطَى ، قليلا لدَى الشرِّ حضوره ،  
سليما للصديق ضميره » . ( البيان والبيان : ٢ : ٢٣١ ، والأمال : ٢ : ١٧٤ )

## ١٩ - خالد بن صفوان يمدح رجلا

وذكر خالد رجلا ، فقال :  
« كان والله بديع المنطق ، ذَلِقَ <sup>(٢)</sup> الجرأة ، جَزَلَ الأنفاظ ، عربى اللسان ،  
ثابت العقدة ، رقيق الحواشى ، خفيف الشفتين ، بليل الريق ، رَحَبَ الشرف ،  
قليل الحركات ، خفي الإشارات ، حُلُو الشمال ، حَسَنَ الطلاوة <sup>(٣)</sup> ، حَيَّا جَرِيئا ،  
قَتُولًا صَمُوتًا ، بَقْلُ الحَزْ <sup>(٤)</sup> ، وَيُصِيبُ المفاصل ، لم يكن بالمعذر <sup>(٥)</sup> فى منطقته ،  
ولا بالزمن <sup>(٦)</sup> فى مُرُوءته ، ولا بالخرق <sup>(٧)</sup> فى خليقته ، متبوعا غير تابع ،  
: كأنه عَلم فى رأسه نار : » . ( زمر الآداب : ٢ : ١٦٧ )

## ٢٠ - كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : « قَدِمْتَ فَأَعطيتَ كُلًّا بِقِسْطِهِ

[١] ورواية الغال : عن الأصمى قال خالد بن صفوان لثقي بن يدي : رحم الله أباك . . . الخ .  
[٢] مأخوذ من : « سيف ذلق » أى سهل الخروج من محمده ، ويقال : اندلق السيل أى اندفع ،  
[٣] الطلاوة مثناة : القول . [٤] الحر : النطق .  
[٥] حذر فى الأمر تمذيرا ، إذا قصر ولم يجتهد . [٦] أى لليب ، والزمالة كسابة : الباعة ،  
[٧] الخرق فهو زمن وزمين . [٨] الخرق الذى لا يمن العمل والتصرف فى الأمور



من وجهك وكرامتك <sup>(١)</sup> ، حتى كأنك من كلِّ أحد ، وحتى كأنك لست من أحد . (الأمال ١ : ٢١٦ ، ، وزهر الآداب ٣ : ٣٤٧ ، ١٦٧)

وقال شبيب بن شيبّة لخالد بن صفوان : « مَنْ أَحَبَّ إِخْوَانَكَ إِلَيْكَ ؟ »  
قال : « مَنْ سَدَّ خَلِّي ، وَغَفَرَ زَلِّي ، وَقَبِلَ عَلَيَّ » . (الأمال ١ : ١٩٨)  
وذكر شبيب عنده مرة ، فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدوّ في العلانية » . قال الجاحظ : « وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة » . (البيان والتبيين ١ : ١٨٤ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٠٩)

وقال خالد : « ما الإنسان ، لولا اللسان ، إلا صورة ممثلة ، أو بهيمة مُمَهَّمَة » ،  
وقال : « اتقوا مجانيق <sup>(٢)</sup> الضعفاء » يريد الدعاء (البيان والتبيين ١ : ١٩٠)  
وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان ، فقال : « يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ ، وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمَرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْرَحُ ! » . (زهر الآداب ٢ : ٨٥)

## ٢١ - عمارة بن حمزة والسفاح

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجوائز نفيسة وكسوة وصيلة ، وأذنّى مجلسه :

« وَصَلَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَكَ ، فَوَاللَّهِ لَنَنْ أَرْدُنَا شُكْرَكَ عَلَى كُنْهِ <sup>(٣)</sup> صِلَتِكَ ، إِنْ الشُّكْرَ لَيَقْصُرُ عَنْ نِعْمَتِكَ ، كَمَا قَصُرْنَا عَنْ مَنَازِلِكَ ، ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَكَ فَضْلاً عَلَيْنَا ، بِالتَّقْصِيرِ مِنَّا ، وَلَمْ تَحْرِمْنَا الزِّيَادَةَ مِنْكَ لِنَقْصِ <sup>(٤)</sup> شُكْرَنَا » .  
(زهر الآداب ٣ : ٣٤٦)

[١] وفي رواية زهر الآداب : « من نظرتك ومجلىك في صورك وعدلك » .

[٢] جمع منجنيق بفتح الميم وكسرهما : آلة ترمى بها الحجارة . [٣] كنه الشيء : حقيقته .

[٤] في الأصل : « لبعض » وأراه محرفاً .

## خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨ هـ)

### ٢٢ - خطبته بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، فقال :

« أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأيدته ، وحارسه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيهِ بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلاً ، إن شاء أن يفتحني فتحنى لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارغبوا إلى الله وسأله في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » أن يوفقني للرشد والصواب ، وأن يُلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

( القدر المفرد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥١ ، تاريخ الطبري ٩ : ٣١٠ )

### ٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه (١) :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ (٢) مِنْ بَعْدِ اللَّهِ كَرِ أَنْ الْأَرْضَ يَرِيهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ، أَمْرٌ مُبَرَّمٌ ، وَقَوْلٌ عَدَلٌ ، وَقَضَاءٌ فَصَلْ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفْلَحَ (٣) حُجَّتُهُ ، وَبُئِدَ لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكُمْبَةَ غَرَضًا ، وَالْفَنَى إِرْثًا ، وَجَعَلُوا

[١] عز صاحب القدر هذه الخطبة إلى سليمان بن علي ( انظر ج ٢ ص ١٤٥ ) ، وكذا صاحب مواسم الأدب ( انظر ج ٢ ص ١١٥ ) . [٢] قيل للارد بالزبور جنس الكتب النزلة ، وبالله كره القوم المحفوظ . [٣] نصر .

الْقُرْآنَ عِضِينَ<sup>(١)</sup> ، لَقَدْ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فَكَمْ تَرَى مِنْ بَرٍّ مُعْطَلَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وَقَصْرِ مَشِيدٍ ، أَمَلَهُمُ اللَّهُ حَتَّىٰ بَدَّلُوا السَّنَةَ ، وَاضْطَهَدُوا الْعِتْرَةَ<sup>(٣)</sup> ، وَعَنْدُوا<sup>(٤)</sup> وَاعْتَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا ، وَغَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُمْ فَهَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكَاةً؟<sup>(٥)</sup> .

(تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢)

## ٢٤ - خطبته بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بغداد » ، فقال :

« يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يدُ خاطئة ، وظلمُ ظالم ، لمشيئتُ بين أظهركم في أسواقكم ، ولوعيتُ مكانَ من هو أحقُّ بهذا الأمر مني لأتيتُهُ حَتَّىٰ أَدْفَعَهُ إِلَيْهِ » . (درج الطبري ٩ : ٥١٠)

## ٢٥ - خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن<sup>(١)</sup> وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

[١] العضة : الزفة والقطعة والجمع عضون ، وجعل المشركون القرآن عِضِينَ أي فرقا : فرقوا فيه القول ، فخلعوه كذبا وسعرا وكهانة وشعرا ، فهم قد (عضّوه) بالتشديد أعضاء ، أي جزّوه أجزاء ، وهو يريد هنا الأمويين يشير إلى أنهم عطلوا بعض أوامر القرآن بما أتوه من الأعمال ، من روى الكنية ، واضطهاد أهل البيت الخ . [٢] متروكة لا يستقى منها هلاك أهلها ، ومشيد : مرفوع ، أو مطلى بالشيد (بالكسر) وهو ما طلى به الحائط من جص ونحوه ، أي مغطى خال من ساكنيه أيضا . [٣] العترة : نسل الرجل ورعايته وعشيرته الأدنون . [٤] عند (مثلث النون) عن الطريق : ماله . [٥] الصوت الخفى . [٦] هو عبيد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حله للتصور هو وأهل بيته ، من المدينة إلى العراق سنة ١٤٤ هـ ، وأقام في غيايات الجون حتى ماتوا بسجن الكوفة ، وكان يتخوف أن يتألبه على الخلافة محمد بن عبد الله هذا (وهو محمد اللقب بالنفس للوكية) وقد خرج عليه بالمدينة فوجهه المنصور جيشا لقتاله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وخرج أخوه إبراهيم على المنصور بالبصرة فقتل أيضا في هذه السنة .

« يَأْهَلُ خُرَّاسَانَ : أَتَمَّ شَيْعَتَنَا وَأَنْصَارَنَا ، وَأَهْلَ دَوْلَتَنَا ، وَلَوْ بِأَيْتَمَ غَيْرِنَا لَمْ تَبَايَعُوا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنَّا ، وَإِنْ أَهْلُ بَيْتِي هَؤُلَاءِ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، تَرَكْنَاهُمْ وَأَقْبَلْنَا إِلَهُهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْخِلَافَةُ ، فَلَمْ نَعْرِضْ لَهُمْ فِيهَا بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ، فَقَامَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَتَلَطَّخَ ، وَحَكَّمَ عَلَيْهِ الْحَكِيمِينَ ، فَافْتَرَقَتْ عَنْهُ الْأُمَّةُ ، وَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الْكَلِمَةُ ، ثُمَّ وَثَبَتْ عَلَيْهِ شَيْعَتُهُ وَأَنْصَارُهُ وَأَصْحَابُهُ ، وَبِطَاتَتُهُ وَثِقَاتُهُ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَوَاقَهُ مَا كَانَ فِيهَا بَرَجُلٌ ، قَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ فَقَبِلَهَا ، فَدَسَّ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : إِنِّي أَجْعَلُكَ وَلِيًّا عَهْدِي مِنْ بَعْدِي ، نَخْدَعُهُ فَانْسَلَخَ لَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ يَتَزَوَّجُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَاحِدَةً فَيُطَلِّقُهَا غَدًا ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ عَلَى فَرَّاشِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، نَخْدَعُهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ ، أَهْلُ التَّقَاتِ وَالنَّفَاقِ ، وَالْإِغْرَاقِ فِي الْفِتَنِ ، أَهْلُ هَذِهِ الْمَدَرَةِ السُّودَاءِ - وَأَشَارَ إِلَى الْكُوفَةِ - فَوَاقَهُ مَاهِيٌّ بِحَرْبٍ فَأَحَارَبَهَا وَلَا مِثْلَ مَا سَالَهَا ، فَرَفَّقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، نَخَذَلُوهُ وَأَسْلَمُوهُ حَتَّى قَتَلَ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ، نَخْدَعُهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَغَرَّوهُ ، فَلَمَّا أَخْرَجُوهُ <sup>(١)</sup> وَأَغْلَهَرُوهُ أَسْلَمُوهُ ، وَقَدْ كَانَ أُنَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ <sup>(٢)</sup> ، فَنَاشَدَهُ فِي الْخُرُوجِ ، وَسَأَلَهُ أَلَّا يَقْبَلَ أَقْوِيلَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي بَعْضِ عَلَمِنَا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ بَيْتِنَا يُصَلِّبُ بِالْكَوْفَةِ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ الْمَصْلُوبَ ، وَنَاشَدَهُ عُمَى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَحَذَّرَهُ غَدْرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ وَتَمَّ <sup>(٣)</sup> عَلَى خُرُوجِهِ ، فَقُتِلَ وَصَلَبَ بِالْكُنَّاسَةِ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْنَا بَنُو أُمَيَّةَ ، فَأَمَاتُوا شَرَفَنَا ،

[١] وَذُو خُرَّاسَانَ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَاتَلَهُ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو التَّقِيُّ وَالْإِشْرَاقِيُّ ، وَقَتْلُ وَصَلَبُ سَنَةِ ١٢١ هـ . [٢] يُرِيدُ أَبَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ . [٣] تَمَّ عَلَى الْأَمْرِ : اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ . [٤] مَوْضِعٌ بِجَرْبِ الْكُوفَةِ .

وأذهبوا عزنا، والله ما كانت لهم عندنا تِرةٌ<sup>(١)</sup> يطلبونها، وما كان ذلك كله إلا فيهم، وبسبب خروجهم عليهم، فنفقونا من البلاد، فصيرنا مرة بالطائف . ومرة بالشَّام، ومرة بالشَّرة<sup>(٢)</sup>، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان، ودمغ بحكم أهل الباطل، وأظهر حقنا، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه، فقر الحق مقررته، وأظهر منارته، وأعز أنصاره، وقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها، وحكمه العادل لنا، وثبوا علينا ظالما وحسدا منهم لنا، وبقيا لما فضلنا الله به عليهم، وأكرمنا به من خلافته، وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم :

جَهْلًا عَلَى وَجْهِنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخُلُتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ  
فإني والله يا أهل خراسان ما أتيتُ من هذا الأمر ما أتيتُ بجهالة، بلغني عنهم بمض السَّقمِ والتمرُّمِ<sup>(٣)</sup>، وقد دسَّست لهم رجالا، فقلت : قم يا فلان، قم يا فلان، نخذ معك من المال كذا، وحذوتُ لهم مثالا يعملون عليه، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة، فدسَّسوا إليهم تلك الأموال، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب، ولا صغير ولا كبير، إلا بايعهم بيعة استحلَّت بها دماءهم وأموالهم، وحلَّت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي، وطلبهم الفتنة، والتماسهم الخروجَ على، فلا يرون أنى أتيت ذلك على غير يقين» ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية

[١] نأر . [٢] موضع بين دمشق والمدينة (الكرك الآل) .

[٣] الأصل فيه : تمرته : تمرته وتزج ما عليه من اللحم .

« وَحِيلَ يَنْتَهُمَ وَيَنْ مَاشَتْهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قِي  
شَكَّ مُرِيبٌ . » ( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٧ ، مروج الذهب ٢ : ٢٤١ )

٢٦ - خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن  
ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، شَنَّ<sup>(١)</sup> المنصور عليه درعه ، وتقلَّد  
سيفه ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

مَالِي أَكْفَكِفُ عَنْ سَعْدِي وَتَشْتُمُنِي ؟ وَلَوْ شِئْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنْتُوا  
جَهَنَّمَ عَلَيْنَا وَجَبْنَا عَنْ عَدُوْمٍ لَبِئْسَتْ اَلْخَلَاتِفُ اَلْجَهْلُ وَالْجُبْنُ  
أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَجَزُوا عَمَّا قَنَاهُ ، فَاعَصَدُوا اَلْكَافِي ، وَمَا شَكُرُوا اَلنُّعْمَ ، فَلِذَا  
حَاولُوا أَشْرَبَ دَرْقًا عَلَى غَمَصٍ ، وَأَيَّتُ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَصِلُ ذَا  
رَحِمٍ حَاولَ قَطِيعَتِهَا ، وَلَئِنْ لَمْ يَرْضَ اَلْمَغْوِلُ يَطْلُبَنَّ مَا لَمْ يَوْجِدْ عِنْدِي ، فَلْيَبْقِ ذُو  
نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَمُتَ ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ . » ( مواسم الأدب ٢ : ١١٩ )

٢٧ - خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني<sup>(٢)</sup> ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ - لَا تَخْرُجُوا مِنْ أَنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ اَلْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسِرُّوا  
غَشَّ الْأَعْمَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنَكْرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِيهِ ، وَفَلَتَات  
لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتُ وَجْهِهِ ، وَأَبْدَاهَا اَللَّهُ لِأَمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَاءِ حَقِّهِ ، إِنَّا

[١] شَنَّ عليه درعه : صلبها . [٢] قتل أبو مسلم سنة ١٣٧ هـ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله  
لحرب مه جسد الله بن علي - وكان قد خرج عليه بالشام كما سيأتي - فلما غر أبو مسلم ، وغنم جميع  
ما كان في حربه عبد الله ، وانزعم عبد الله إلى البصرة ، أرسل المنصور بنى خيمته للحفاظ على ما في  
المسكر من الأموال ، فنضب أبو مسلم ، وقال : آمين على العباد ، خائن في الأموال ! وشتم المنصور ، وعزم  
على الخلاف ، وأن يوجه إلى خراسان ، فجعل المنصور يطلبه به حتى استقدمه إليه وقتله

لَنْ نَبْخَسَكُمْ حَقَّوَكُمْ ، وَلَنْ نَبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَارَعَنَا عُرْوَةً  
هَذَا الْقَمِيصَ أَجْزَرَنَا حَيًّا هَذَا الْغَمْدُ ، وَإِنْ أَبَامَسْلَمَ بَايَعَنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى  
أَنَّهُ مِنْ نَكْتِ بِنَا فَقَدْ أَبَاحَ دَمَهُ ، ثُمَّ نَكْتِ بِنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنفُسِنَا حُكْمَهُ  
عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَمْنَعْنَا رِيعَاةَ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ .

( تاريخ الطبرى ٩ : ٣١٣ ، وجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٨ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَنْفَرُوا أَطْرَافَ النِّعْمَةِ بِقَلَّةِ الشُّكْرِ ، فَتَحُلَّ بِكُمْ النِّقْمَةُ ،  
وَلَا تَسْتُرُوا غِشَّ الْأَعْتَةِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَرُ مُنْكَرًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَاتَاتِ لِسَانِهِ ،  
وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَطَوَالِعِ نَظَرِهِ ، وَإِنَّا لَنَجْهَلُ حَقَّوَكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقَّنَا ، وَلَنَنْسَى  
الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَّرْتُمْ فَضْلَنَا ، وَمَنْ نَارَعَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوْطَانًا أَمْ رَأْسِهِ  
حَبَبٌ<sup>(١)</sup> هَذَا الْغَمْدُ ، وَالسَّلَامُ » . ( مواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٩ - قوله وقد قوطع فى خطبته

وخطب يوم جمعة ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ ، وَأَسْتَمِينَهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ :  
أَذْكُرُكَ مِنْ ذَكَّرْتَنِي بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعْنَا سَمِعْنَا  
لِمَنْ فَهَمَ عَنْ اللَّهِ ، وَذَكَرَ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَأَنْ تَأْخُذَنِي  
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَائِلُ ، فَوَاللَّهِ

ما أردت بها وجه الله ، ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال ، فعُوبَ فصبّر  
وأهون بها ، وإليك لو همت<sup>(١)</sup> ! فاهتبلها<sup>(٢)</sup> إذ غفرت ، وإياك وإياكم معشر  
الناس أختها ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ، فردوا الأمر إلى  
أهله ، ثورِدوه موارِدَه ، وتُصدِرْوه مصادِرَه » ثم عاد في خطبته ، فكأنه  
يقروها من كفه ، فقال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .....

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والقد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٣٦ ،  
والكمال لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٦٢ )

### ٣٠ . المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه ، منهم عيسى بن موسى  
والعباس بن محمد وغيرهما ، فتذاكروا خلفاء بني أمية ، والسبب الذي به سلبوا  
عزهم ، فقال المنصور :

« كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ جَبَّارًا لَا يُبَالِي بِمَا صَنَعَ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ لَحْمَانًا مَجْنُونًا ، وَكَانَ  
سُلَيْمَانُ هِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَيْنُ الْوَحْيِ ، وَكَانَ هِشَامُ رَجُلَ  
الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَزَلْ بَنُو أُمِيَّةٍ ضَابِطِينَ لِمَا تُهْدِي لَهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ ، يَحُوطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ  
وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَحْرُسُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ ، مَعَ تَسْتِثْمِهِمْ مَعَائِلَ الْأُمُورِ ،  
وَرَفْضِهِمْ أَذَانِيهَا ، حَتَّى أَقْضَى أَمْرُهُمْ إِلَى أَحْدَاثٍ مُتَرَفِّفِينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَغَنِمُوا<sup>(٣)</sup>  
النِّعْمَةَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا الْعَافِيَةَ ، وَأَسَاءُوا الرِّيَايَةَ ، فَابْتَدَأَتِ النِّقْمَةُ مِنْهُمْ ، بِاسْتِدْرَاجِ  
اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، آمِنِينَ مَكْرَهُ ، مُطَّرِحِينَ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ ، مُسْتَخْفَيْنَ بِحَقِّ الرِّيَاسَةِ ،  
ضَمِيقِينَ عَنِ رُسُومِ السِّيَاسَةِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ الذُّلَّةَ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ .  
( شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢١٥ )

[١] أى لو همت بمقابلك . [٢] اختبأها . [٣] غطت النعمة : بطرها وحفظها .



### ٣١ - المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صَقْر قريش ، مَنْ هو ؟ قالوا :  
 أمير المؤمنين ، الذي راضَ <sup>(١)</sup> المَلِكَ ، وسَكَنَ الزلازل ، وحَسَمَ الأدواء ، وأباد  
 الأعداء ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، قالوا : فعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك  
 ابن رَوان ، قال : ولا هذا ، قالوا : فن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن  
 معاوية <sup>(٢)</sup> ، الذي عَبَرَ البحر ، وقطع الفقر ، ودخل بلدًا أعجميًا مُفْرَدًا ، فحَصَّرَ  
 الأمصار ، وَجَنَّدَ الأجناد ، ودَوَّنَ الدواوين ، وأقام مُلكًا بعد انقطاعه ، بحسن  
 تديره ، وشدة شكيمة ، إن معاوية نهض بِمَرْكَبٍ سَمَلَهُ عَلَيْهِ عُمرُ وعثمان ،  
 وذَلَّلَا لَهُ صَعْبَهُ ، وعبد الملك يَبِينَعَةً تَقْدُمُ لَهُ عَقْدُهَا ، وأمير المؤمنين بِطَلَبٍ غيرهِ  
 واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مُؤَيَّدٌ برأيه ، مستصحب لعزمه .  
 ( المقد الفريد ٢ : ٣٠٢ )

### وصايا المنصور لابنه المهدي

#### ٣٢ - وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يَا بُنَيَّ لَا تُبْرِمَ أُمْرًا حَتَّى تَفَكَّرَ فِيهِ ، فَإِنْ  
 فِكْرُهُ الْعَاقِلُ مَرَّاتِهِ ، تُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، واعلم أَنَّ الخليفة لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا  
 التَّقْوَى ، والسُّلْطَانُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، والرعية لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ ، وَأَوَّلَى  
 النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَتَقْصُ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُوَ دُونَهُ .  
 ( نهاية الأرب ٦ : ٤١ ، والمقد الفريد ١ : ١٤ )

[١] ذَلَّ . [٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المروفي بالداخل

مؤسس دولة بني أمية بالأندلس وسيات . . .

### ٣٣ - وصية أخرى له

ووصاه فقال له : «إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك  
بخصال وأقده ما أظنك تفعل واحدة منها - وكان له سَقَط فيه دَفَاتر علمه ، وعليه  
قُل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ، يَصُرَّ مفتاحه في كُمِّ قيصِه - فقال  
للمهدي : انظر هذا السقط فاحتفظ به ، فإن فيه علم آباءك ما كان وما هو كائن  
إلى يوم القيامة ، فإن أحزنك أمره فانظر في الدِّقَر الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ،  
وإلا فالثاني والثالث حتى بلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ، فإنك  
واجدٌ فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة فإنك أن تستبدل بها ،  
فإنها يترك وعزك ، قد جمعتُ لك فيها من الأموال ، ما إن كُبر عليك الخراج  
عشرينين ، كان عندك كفاية لأرزاق الجنود والنفقات ، وعطاء الذرية ، ومصلحة  
النور ، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً ، وما أظنك  
تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك ، أن تظهر كرامتهم وتقدمهم ، وتكثر الإحسان  
إليهم ، وتمنمهم أمرهم ، وتوطئ الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عزك عزم ،  
وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مَوَالِك فأحسن إليهم ، وقربهم ،  
واستكثر منهم ، فإنهم مادتُك لشدة إنزلت بك ، وما أظنك تفعل ،  
وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في  
دولتك ، وديارهم دُونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، أن تُحسن إليهم ،  
وتتجاوز عن مُسيئتهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في  
أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لا تُتم  
بناءها ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تستعين برجل من بني سلم ، وأظنك

ستفعل ، وإياك أن تُدخل النساء في مشورتك في أمرك ، وأظنك ستفعل .  
(تأريج الطبري ١ : ٣١١)

### ٣٤ - وصية أخرى له

ووصى المهدي أيضاً ، فقال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين  
بعدي ، يجعل لك فيما كرتك وحزتك مخرجاً ، ويرزقك السلامة وحسن  
العاقبة من حيث لا تحتسب ، احفظ يا بني محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته ،  
يحفظ الله عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام ، فإنه حوب <sup>(١)</sup> عند الله عظيم ،  
وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلال ، فإن فيه ثوابك في الآجل ، وصلاحك  
في العاجل ، وأقم الحدود ، ولا تعتد فيها فتبور <sup>(٢)</sup> ، فإن الله لو علم أن شيئاً  
أصلح لدينه ، وأزجر عن معاصيه من الحدود ، لأمر به في كتابه ، وأعلم أنه من  
شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى  
في الأرض فساداً ، مع ما دخر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إِنَّمَا  
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ  
يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ،  
ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان  
يا بني حبّل الله المتين ، وعزّزته الوثقى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وحطّه ، وحصّنه  
وذّب عنه ، وأوقع بالملحدين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه  
بالعقاب لهم ، والمثلّات <sup>(٣)</sup> بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في مُحْكَمِ الْقُرْآن ،  
واحكم بالعدل ولا تُشْطِطْ ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأجمع في

الدواء ، وَعَفَّ عن النَّقْمِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عملك  
بصلة الرَّحِمِ وِبَرِّ القَرَابَةِ ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ <sup>(١)</sup>  
النفور ، وَاضْبَطَ الأطراف ، وَأَمَّنَ السُّبُلَ ، وَخَصَّ الوَاسِطَةَ <sup>(٢)</sup> ، وَوَسَّعَ المَعِاشَ ،  
وَسَكَّنَ العامة ، وَأَدْخَلَ المرافق عليهم ، وَأَصْرَفَ المَكْرَاهَ عنهم ، وَأَعَدَّ الأموال  
وَاخْرَزْنَهَا ، وإياك والتبذيرَ ، فَإِنَّ النِّوَابِغَ غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ،  
وهي من شَيْمِ الزَّمان ، وَأَعَدَّ الرجال والكِرَاعَ <sup>(٣)</sup> والجند ما استطعت ، وإياك  
وتأخيرَ عمل اليوم إلى غد ، فتتدارك عليك الأمور وتُضَيِّع ، جِدْ في إحكام الأمور  
النازلات لأوقاتها أَوْلاً فَأَوْلاً ، وَاجْتَهِدْ وَشَمِّرْ فيها ، وَأَعِدِّ رجالاً بالليل لمعرفة  
ما يكون بالنهار ، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل ، وَابْشِرِ الأمور بنفسك  
وَلَا تَضْجِرْ ، وَلَا تَكْسَلْ ، وَلَا تَفْشَلْ ، وَاسْتَعْمِلْ حَسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ ، وَأَمْسِئْ  
الظَّنَّ بِعَمَالِكَ وَكُتَّابِكَ ، وَخُذْ نَفْسَكَ بِالتَّيْقِظِ ، وَتَفَقَّدْ مَنْ يَبِيتُ عَلَى بَابِكَ ،  
وَسَهِّلْ إِذْنَكَ لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ فِي أَمْرِ التُّزَاعِ إِلَيْكَ ، وَوَكِّلْ بِهِمْ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ ،  
وَنَفْسًا غَيْرَ لَاهِيَةٍ ، وَلَا تَحْتَمِمْ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَتِمَّ مِنْذُ وَلِيَ الخِلافةَ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ  
غَمُضٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُسْتَيْقِظٌ ، هَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ .

(تاريخ الطبري ٩ : ٣٢٠)

### ٣٥ - خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب  
بالنفس الزكية <sup>(١)</sup> على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
ثم قال :

[١] أى املاًها بالمدافعة . [٢] للتوسطة . [٣] الكراع : اسم يجمع الخيل .  
[٤] كان بنو هاشم - الطالبيون والعباسيون - قد اجتمعوا أخريات العصر الأموي ، وتذاكروا ما لهم

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بناءه القبة الخضراء ، التي بناها معاندة لله في ملكه ، وتصنيده الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأنصار المؤاسين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وعملوا بنير كتابك ، وغيرُوا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، فأخصهم عدداً ، وأقتلهم بدداً <sup>(١)</sup> ، ولا تبق على الأرض منهم أحداً » . ( ذيل الامال ص ١٢١ )

### ٣٦ - وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه محمد (أو إبراهيم)

وصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمداً النفس الزكية (أو إبراهيم) ، فقال :

« أَيُّ بُنَى ، إِنِّي مُؤَدِّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ ، فَأَدِّ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي الْإِسْتِمَاعِ مِنِّي ،

وما هم عليه من الاضطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني أمية من الاضطراب ، وانفقوا على أن يدعوا الناس إليهم سرا ، ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نبايه ، فانفقوا على مبايعة النفس الزكية ، وكان من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما ، وشاء القدر أن يظفر العباسيون بالخلافة ، فولها السناح ثم المنصور ، ولم يكن المنصور م منذ نبوا عرشها سوى طالب النفس الزكية ليقطعه ، وأغراء بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إليه ، وكانوا يتقدمون فيه الفضل والشرف والرياسة ، فطلبه المنصور هو وأخاه إبراهيم من أبيهما عبد الله بن الحسن ، فقال : لا علم لي بهما - وكانا قد تقييا خوفا منه - فلما أطل عليه ، قال : كم تطول ؟ والله لو كانا تحت قدمي ، لما رفضنا عنها ، سبحان الله ! آتيك بولدي لتقتلها ! فقبض عليه ، وعلى أهله من بني الحسن وحبيهم في سجن الكوفة حتى ماتوا فيه كما تقدم ، ولم يزل النفس الزكية متفرجا منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفا منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده وقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبته أعيان المدينة ، ثم غلب عليها ، وعزل عنها أميرها ، وربط عليها طاملا وقاضيا ، فوجه المنصور لقتاله جيشا بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت الغلبة لسكر المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ . [١] متبدين : متفرقين .

أى بنى كُفّ الأذى ، وارْقُضْ التَّبْذَا<sup>(١)</sup> ، واستعِنْ عَلَى الْكَلَامِ بطول الْفِكْرِ ،  
 فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى الْكَلَامِ ، فَإِنَّ للَقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ فِيهَا  
 الْغَلْطُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ ، واحذرْ مَشُورَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا ، كما  
 تحذرْ مَشُورَةَ الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ غَاشًّا ، لِأَنَّهُ يُزِيدُكَ بِمَشُورَتِهِ ، وَعَلِمَ يَا بَنَى أَنَّ رَأْيَكَ  
 إِذَا احْتَجَبَ إِلَيْهِ وَجَدْتَهُ نَافِعًا ، وَوَجَدْتَ هَوَاكَ يَقْطَعَنَّ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ ،  
 فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ هَوَاكَ ، وَلَا تَفْعَلْ فِعْلًا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ عَاقِبَتَهُ لَا تُزِيدُكَ ، وَأَنْ  
 نَتِيجَتُهُ لَا تَجْنِي عَلَيْكَ » . ( زمر الآداب ١ : ٩٢ ، والبيان ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨ )

### ٣٧ - قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل المنصور ابنه محمدًا - وكان عبد الله فى السَّجَن - بَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ  
 مع الرِّيع حَاجِبُهُ ، فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ :  
 رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَدْ كُنْتُ مِنْ « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا  
 يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ،  
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ عَنِ الذِّلِّ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سَوَاءُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

ثم التفت إلى الرِّيع ، فقال له : « قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن  
 نعيمك مثلها ، والموعِدُ اللَّهُ تَعَالَى » قال الرِّيع : فَا رَأَيْتُ الْمَنْصُورَ قَطُّ  
 أَكْثَرَ انْكَسَارًا مِنْهُ حِينَ أَبْلَغْتَهُ الرِّسَالَةَ . ( زمر الآداب ١ : ٩٥ )

### ٣٨ - امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله ، اعترضته امرأة معها صبيّان ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، اَيْتَمَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضَرَّعَهُمَا <sup>(١)</sup> خَوْفُكَ ، فَنَاشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصَرَّ لِهَما خَدَّكَ ، فَيُنْأَى عَنْهُمَا رِفْدُكَ ، أَوْ لَتَعْطِفَكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النِّسْبِ ، وَأَوَاصِرُ <sup>(٢)</sup> الرَّحِمِ » .

فالتفت إلى الربيع ، فقال : أَرَدْتُ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَبَ اللَّهُ أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ . (زمر الآداب : ١ : ٩٦)

### ٣٩ - جعفر الصادق والمنصور

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْمَنْصُورِ وَنَصَرِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا ظَفِرَ الْمَنْصُورُ أَحْضَرَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ <sup>(٣)</sup> بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرَ ، فَقَالَ لَهُ : قَدَرَأَيْتَ إِطْبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدَرَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَمُورٍ <sup>(٤)</sup> عِيُونِهِمْ ، وَيَجْمُرُ <sup>(٥)</sup> نَحْلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلِمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفَ قَدَّرَ فَفَعَرَ ، فَاقْتَدِ بِأَيِّهِمْ شِئْتَ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الَّذِينَ يَمْفُونَ وَيَصْفَحُونَ » ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : « إِنْ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحِلْمَ ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ مَهْمَمْتُ ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتُ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قَدَرْتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ » . (زمر الآداب : ١ : ٩٦)

\* \*

وروى صاحب المقد قال :

[١] أذلها . [٢] أواصر جمع أسرة ، والآصرة : جبل صفيير يشد به أسفل الجباء ( وهي أيضاً الرحم والقرابة ) . [٣] هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام وتوفي سنة ١٤٨ . [٤] في الأصل « بنور » وأراء محرفاً ، وقد أصلحته « يمور » يقال : يمور البئر أي طمها ، وسد عيونها التي ينبع منها الماء . [٥] جمر النخل : قطع جماره .

لما حج المنصور مرة بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : « على جعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ، فطُل به ، ثم أُلح عليه ، فغضر ، فلما كُشِفَ السترينه وبينه ، ومثل بين يديه ، همس جعفر بشفتيه ، ثم تقرب وسلم ، فقال : « لاسلم الله عليك يا عدو الله ، تعمل على النوازل في ملكي ؟ قتلني الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر ، وإن يوسف ظلم فقفر ، وأنت على إرث منهم ، وأحق من تأسي بهم » ، فنكس أبو جعفر رأسه ملياً ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إلی أبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة <sup>(١)</sup> ، السليم الناحية ، القليل الغائلة » ، ثم صاحهُ يمينه ، وطاقهُ بيمينه ، وأجلسهُ معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله ، ثم قال : يا ربيع ، عجل لأبي عبد الله كسوته وجأزته وإذنه . ( الغد الريد : ١ : ١٤٥ )

٤٠ - صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله <sup>(٢)</sup> ، وصار إلى المنصور ، أتر الربيع بخلع سواده ، والوقوف به على رؤس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عرّختم ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي ، وقديم نعمتي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شق العصا ، ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من

[١] القرية : الشبكا . [٢] هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخو النفس الزكية ، وقد خرج على المنصور بالبصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتال النفس الزكية فقاته وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ .



فعله ، أليم العقاب ، وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجليل لديه ، ورَبَّ<sup>(١)</sup> نِعْمَاته السابقة عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمله من الخير الماثل والآجل ، عند المغفور عمن ظلم ، والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مُسِيئَهُمْ لِحُسْنِهِمْ ، وفادِرَهُمْ لَوْفِهِمْ .

( البيان والبيان ٣ : ١٨٥ )

#### ٤١ — استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي<sup>(٢)</sup> من الشام ، قَدِمَ على المنصور وقد منهم ، فقام عِدَّةٌ منهم ، فتكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن النِفَارِيُّ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وقد مباهاة ، وإنما نحن وقد تَوَّبة ، وإنا ابْتُلِينَا بِفِتْنَةٍ اسْتَخَفَّتْ كَرِيمَنَا ، واستَفْزَتْ حَلِيمَنَا ، ونحن بما قَدَّمْنَا مُعْتَرِفُونَ ، وبما سَلَفَ مِنَّا مُعْتَذِرُونَ ، فَإِنْ تُعَاقِبْنَا فَمَا أَجْرُنَا ، وَإِنْ تُعْفَ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ عَلَيْنَا ، فاصْفَحْ عَنَّا إِذْ مَلَكَتَ ، وَامْنُنْ إِذْ قَدَرْتَ ، وَأَحْسِنْ إِذْ ظَفِرْتَ ، فطالما أحسنتَ إلى من أساء مِنَّا » ، فقال المنصور : قد فعلت ، ثم قال للحَرَبِيِّ : هذا خطيبهم ، وأمر برد ضياعه عليه بِالْعُوطَةِ<sup>(٣)</sup> .

( المقد الفريد ١ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبري ٩ : ٣٠٧ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

[١] رب الشيء : جمعه وزاده ، ورب الشيء : ربه حتى أدرك .

[٢] هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشأم ، وقال : إن السفاح قال لي إن ظهرت على مروان الجعدي — وكان السفاح أرسله لقتال مروان بالشأم — فأنت ولي العهد بعدي ، وشهد له جماعة بذلك . فأرسل للمنصور أبا مسلم الخراساني لمحاربته فهزمه ، وهرب عبد الله إلى البصرة ، ونزل على أخيه سليمان بن علي ، فشفع فيه سليمان إلى المنصور فأمنه ، فلما جاء إليه بجسسه ومات في جسسه ، وقيل إنه بنى له بيتاً ، وجعل في أساسه ملحاً ، ثم أجرى الماء فيه ، فمقط البيت عليه فأت .

[٣] كورة دمشق .

## ٤٢ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن خُزَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلالهم <sup>(١)</sup>  
مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أعطيت فشكرت ، وابتليت  
فصبرت ، وقدرت فعفوت » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدلٌ ، والتجاوز فضل ، والمتفضل  
قد جاوز حدَّ المنصف ، فنحن نُعِذُّ أمير المؤمنين بالله أن يَرْضَى لنفسه بأوكس <sup>(٢)</sup>  
النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .

وقال آخر : « من انتقم فقد شقَّ غيظَ نفسه ، وأخذ أقصى حقه ، وإذا  
انتقمتَ فقد انتقصتَ <sup>(٣)</sup> ، وإذا عفوت تطولت <sup>(٤)</sup> ، ومن أخذ حقه ، وشقَّ  
غيظَه ، لم يجب شكره ، ولم يذكر في العالمين فضله ، وكظمَ النغيظَ حلم ، وألجمَ  
صبر ، والتشقى طَرَف من العجز <sup>(٥)</sup> ، ومن رَضِيَ ألا يكون بين حاله وبين حال  
الظالم إلا ستر رقيق ، وحجاب ضعيف ، لم يجزم في تفضيل الحلم ، وفي الاستيناق  
من ترك دواعي الظلم ، ولم تر أهل النهى ، والمنسوين إلى الحجاج والثقي ، مدحوا  
الحكام بشدة العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصنيع ، وبكثرة الاعتقار ، وشدة  
التخاف ، وبعدهُ فالمعاقب مستعد <sup>(٦)</sup> لعداوة أولياء المذنب ، والمانع مستدع  
لشكرهم ، آمِن من مكافأته <sup>(٧)</sup> أيام قُذرتهم ، ولأن مُبْتَنَى عليك باتساع الصدر ،  
خير من أن يُبْتَنَى عليك بضيق الصدر <sup>(٨)</sup> ، على أن إقالتك عثرة عباد الله ،

[١] في الأصل « إجلالهم » وهو تحريف ، والصواب « إجلالهم » أى في قتلهم وهياجهم من الجلبة  
بالتحريك وهى الصياح . [٢] من الوكس كوعد : وهو النقصان .

[٣] أى انتقم حَقك بخروجك عليك ، غنى لك الانتقام منا لأخذ حَقك .

[٤] تطول عليه : امتدَّ وتعمد . [٥] وفى زهر الآداب : « من الجزع » .

[٦] وفى زهر الآداب : « مستودع » . [٧] مجازاتهم .

[٨] وفى زهر الآداب : « خير من أن توصف بهيه » .

مُوجِبٌ لِإِقَالَتِكَ عِثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وَعَفْوِكَ عَنْهُمْ مَوْصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ، وَعِقَابُكَ لَهُمْ مَوْصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

### ٤٣ - أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قُتَيْبَةَ : دعا المنصور بالربيع <sup>(١)</sup> ، فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ ، فَقَدْ سَكْتُ حَتَّى نَطَقْتُ ، وَخَفَفْتُ حَتَّى ثَقُلْتُ ، وَقُلْتُ حَتَّى أَكْثَرْتُ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَرْهَبُ بُخْلَكَ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ عُمْرَكَ ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَغْتَنِمُ مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنِ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، وَلَوْ جَازَأَنِّي بِشِكْرِكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمُنَاصَحَةِ لَمَّا سَبَقَنِي لَدَيْكَ أَحَدٌ » قَالَ : صَدَقْتَ ، عَلِمِي بِهَذَا مِنْكَ أَحْلَكَ هَذَا الْحُلَّ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ « الْفَضْلُ » <sup>(٢)</sup> وَتُوَثِّرَهُ وَتَجِبَهُ ، قَالَ : يَارَبِيعُ ، إِنْ أَلْحَبَّ لَيْسَ بَعَالٍ يُوْهَبُ ، وَلَا رَتْبَةٌ تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تَوَكَّدَهُ الْأَسْبَابُ ، قَالَ : فَاجْعَلِي لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ ، بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ مُثْمَوْتِي ، لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي ، قَالَ : فَكَيْفَ سَأَلْتُ لَكَ الْحَبَّةَ يَارَبِيعُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسَوِّرُ بِهَا عِنْدَكَ عِيُوبَهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ ، قَالَ : صَدَقْتَ .

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، وزر المنصور ، وكان مهيأً فصيحاً كافياً حلزماً فظناً ، ولم يزل وزيراً للمنصور إلى أن مات للمنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة للمهدي ، ثم سعى به أعداؤه إلى الهادي ، فقتله سنة ١٧٠ هـ . [٢] هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وزر للرشيد بعد البرامكة ، ولابنه الأمين كما سيأتي .

#### ٤٤ — مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن عُبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطّدت له الأمور ، وهى تصير إليه ، وأنت عنه مستول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عِظْنِي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأمرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذى فى يدك ، لو بقى فى يد غيرك ، لم يصل إليك ، فأحذر ليلةً تَخْضُ عن يوم لا ليلة بعده » ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو نعمت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صحبك عشرين سنة ، لم يرَ لك عليه أن يتصحك يوماً واحداً ، وما عمل وراء بابك بشئ من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي فى يدك ، فتعال وأصحابك فاكفنى ، قال عمرو : « أدعنا بعدلك ، نَسْخُ أنفسنا بَعُونَكَ ، يابك ألف مظلمة ، أرؤد منها شيئاً نعلم أنك صادق » . (مروج الذهب ٢ : ٢٤٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ٣٣٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١٤٨)

#### ٤٥ — مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهورَ البنى والفساد فى الأرض ، وما يَحُولُ بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحيةً من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البنى والفساد فى الأرض ؟ وما الذى يَحُولُ بين الحق

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني <sup>(١)</sup> ، قال : يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي ، أنبأتك بالأمر من أصولها ، وإلا احتجرت منك ، واقتصرت على نفسي ، ففيها لي شاغل <sup>(٢)</sup> ، فقال : أنت آمن على نفسك فقل ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البني والفساد لأنت ، قال : ويحك ، وكيف يدخلني الطمع ، والصفراء والبيضاء <sup>(٣)</sup> في قبضتي ، والحلو والحامض عندي ؟ قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبوأاً من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجن نفسك فيها عنهم ، وبعث عمالك في جباية الأموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكرع ، وأمرت بالآ يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ، نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا للملهوف ، ولا الجائع العاري ، ولا الضعيف الفقير ، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيته ، وأمرت ألا يحجبوا عنك ، تجني الأموال وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله ، فما بالنا لانحونه وقد سجن لنا نفسه ؟ فأنتمروا بالآ يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل ، فيخالف أمرهم إلا قصبوه <sup>(٤)</sup> عندك وتقوه ، حتى تسقط منزلته ، ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهاجهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ، ليقفوا بها على ظلم رعيته ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من

[١] أوجعني وآلني . [٢] الصفراء والبيضاء : الدناير والدرام .

[٣] طابره وشمويه ، وفي العقد الفريد ٢ « خوتوه » .

رعيك ، لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلت بلاد الله بالطمع بغيرها وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك ، وجدك قد تهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جاءك ذلك الرجل ، فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن المتظلم منه لهم حرمة ، فأجابهم خوفاً منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويمتثل عليه ، فإذا أجهد وأخرج وظهرت ، صرخ بين يديك ، فضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تنكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكها بسمعه ، فبكي يوماً بكاء شديداً ، فحمله جساؤه على الصبر ، فقال : أما إنى لست أبكي للبيئة النازلة بي ، ولكنى أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ، ولا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ ذهب سمى ، فإن بصرى لم يذهب ، نادوا في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره ، وينظر هل يرى مظلوماً ؟ فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله ، غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه ، لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ؟ فإن كنت إنما تجمع المال لوليك ، فقد أراك الله عبيراً في الطفل ، يسقط من بطن أمه ، وماله على الأرض مال ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تمويهه ، فما يزال لله يلطف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه ، ولست بالذى تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما شاء ، وإن قلت إنما أجمع المال لتعديد

السلطان ، فقد أراك الله عِبراً في بني أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكرأع ، حتى أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلت إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة ، لا تُذكر إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك ، وعَمِلَتْه جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحتَه <sup>(١)</sup> يدك ، ومشت إليه رجلاك ، هل يُغْنِي عنك ما شححت عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعهُ من يدك ، ودعاك إلى الحساب ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أخلق ، ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفْزَعُونَ إليهم في دينهم ، ويرضون بهم ، فاجمع لهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك بسدّوك ، قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني ، قال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ التي ، والصدقات مما حل وطاب ، واقسمه بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُسعدوك على صلاح الأمة ، وجاء المؤذنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطلب الرجل فلم يوجد .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٢٣ ، والمقد الفريد ١ : ٣٠٤ )

## ٤٦ — مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي <sup>(٢)</sup> : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما الذي بطأ بك عني ؟

[١] اكتسبته . [٢] هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه . ولد ببغداد سنة ٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٧ هـ ببغداد ، والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بطن من بني

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذي تريد مني ؟ فقال : الاقتباس منك ، قلت : أنظر ما تقول ، فإن « مَكْحُولًا <sup>(١)</sup> » حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بلغه عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سيقت إليه ، فإن قبلها من الله بشكر ، وإلا كانت حُجَّةً من الله عليه ، ليزداد إثماً ، ويزداد الله عليه غَضَبًا ، وإن بلغه شيء من الحق فرضى ، فله الرضا ، وإن سخط فله السخط ، ومن كرهه فقد كره الله ، لأن الله هو الحق المين » فلا تجهلن ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعي : فسل على الربيع السيف ، وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فاتهره المنصو وقال : أمسك ، ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به ، والله سائر لك عن صغيرها وكبيرها ، وقبيلها وتغييرها <sup>(٢)</sup> ، ولقد حدثني عروة بن رُويم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن راجع يبيت فاشأ لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة » فحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظرًا ، ولما استطاع من عوراتهم سائرًا ، وبالقسط فيما بينهم قائمًا ، لا يتخوف محسنتهم منه رهقًا <sup>(٣)</sup> ، ولا مسيئتهم عذوانا ، فقد كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ، ويردع عنه المنافقين ، فأتاه جبريل فقال : « يا محمد ، ماهذه الجريدة بيدك !

---

الكلاع من اللبن ، وقيل : بطن من مهران ، وقيل الأوزاع : قرية بدمشق ، ولم يكن عبد الرحمن منهم ، وإنما نزل فيهم ، فنسب إليهم ، وهو من سبي اليمن .

[١] هو مكحول بن عبد الله الشامي ، مسلم الأوزاعي ، وكان من سبي كابل ، ووقع إلى سعيد بن العاص ، فوجهه لامرأة من هذيل فأعتقه ، قال الزمري : اللهاء أربعة : سعيد بن السيب بالمدينة ، والشعي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام ، ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا ، وصح أنس ابن مالك وغيره ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفي سنة ١١٨ هـ .

[٢] التليل : السحابة التي في شق النواة ، والقبير : الغرة التي في ظهر النواة . [٣] ظلام



أَفَذِ قَهَا لَا تَمَلُّ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فَكَيْفَ مِنْ سَفَكِ دِمَائِهِمْ ، وَشَقَقِ أَبْشَارِهِمْ ، وَأَنْهَبِ <sup>(١)</sup> أَمْوَالَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِحَدَثٍ خَدَشَهُ أَعْرَابِيَا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : « يَا مُحَمَّد ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونِ أَمْتِكَ » وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شَرِبَةَ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ ، وَلَا ثَمَرَةَ مِنْ ثَمَارِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَابُ <sup>(٢)</sup> قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ قُدَّةُ <sup>(٣)</sup> خَيْرُهُ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها » إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقُطُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ عُلِّقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا دَامَ ، فَكَيْفَ مِنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا <sup>(٤)</sup> مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ لَا جَنَّةَ <sup>(٥)</sup> ، فَكَيْفَ بِنِ يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلْقَةً مِنْ سِلَاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ ، فَكَيْفَ مِنْ سُلْكٍ <sup>(٦)</sup> فِيهَا ، وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ ؟ وَقَدْ قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ : « لَا يَقُومُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ <sup>(٧)</sup> الْعُقْدَةِ ، بَعِيدُ الْفِرَّةِ <sup>(٨)</sup> لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يُخْنِثُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ <sup>(٩)</sup> ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تُؤْمَرُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ أَرْبَعَةٌ : أَمِيرُ يَطْلِفُ <sup>(١٠)</sup> نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَصَلَاتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ صَلَاةٍ ، وَيَدُّ اللَّهِ بِالرَّحْمَةِ عَلَى رَأْسِهِ تُرْفَرُ ، وَأَمِيرُ رَتَعٍ وَرَتَعَ عُمَّالُهُ ، فَذَاكَ يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِ ، وَأَمِيرُ

[١] جَلَّاهُنَّهَا بِنَارٍ عَلَيْهِ . [٢] الْقَابُ : مَا بَيْنَ التَّقْبِضِ وَالسَّيَةِ ( وَسِيَةِ الْقَوْسِ كَمَدَةِ : مَا عَطَفَ مِنْ طَرَفِهَا ) . [٣] رِيضُ السَّهْمِ . [٤] الذَّنُوبُ : الْخُلُوءُ . [٥] جَلَّاهُنَّ آجِنًا أَيْ مُتَغَيِّرًا الْعَطَمُ وَاللُّونُ . [٦] قَيْدُ . [٧] حَصَفَ الرَّجُلُ كَكَرْمٍ : اسْتَعْتَكَمَ عَقْلُهُ فَهُوَ حَصِيفٌ ، وَأَحْصَفَ الْحَيْلُ : أَحْكَمَ فِتْلَهُ . [٨] الْفُرَّةُ . [٩] أَحَقُّ : حَقْدٌ حَقْدًا لَا يَنْحَلُّ ، وَأَحَقُّ الصَّلْبُ : لَزَقَ بِالْبَاطِنِ ، وَالْجِرَّةُ مَا يَفِضُّ بِهِ الْبَعِيرُ فَإِنَّ كَلَّةً ثَانِيَةً ، وَلِلرَّادِ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ الْمَقْدَمَ وَالْمُخْتَلِقَ . [١٠] يَكْفُ .

يُظْلِفُ نَفْسَهُ، وَيَرْتَعُ عَمَّالَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، وَأَمِيرٌ يَرْتَعُ وَيُظْلِفُ  
عَمَّالَهُ، فَذَلِكَ شَرُّ الْأَكْيَاسِ .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم ، عُرض على السموات  
والأرض والجبال ، قَائِبِينَ أَنْ يَحْمِلُنَّهُ ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي  
تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا يُمَكِّدُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » أَنَّ  
الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمَ ، وَالْكَبِيرَةَ الضَّحْكَ ، وَقَالَ : فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْكَلَامِ وَمَا حَمَلَتْهُ الْأَيْدِي ؟  
فَأَعْيذك بِاللَّهِ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّ قَرَابَتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُ مَعَ  
الْمُخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ ،  
وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، اسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ ، إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،  
وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةً ، فَقَالَ : « أَيْ  
عَمٍّ ، نَفْسُ تَحْمِيلِهَا ، خَيْرُكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا » نَظَرًا لِعَمِّهِ ، وَشَفَقَةً  
عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَّ فَيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَقْمًا ، وَلَا عَنْهُ  
دَفْعًا ، هَذِهِ نَفْسِي حَتَّى إِنْ قَبِلْتَهَا فَلَنَفْسِكَ حَمَلَتْ ، وَإِنْ رَدَدْتَهَا فَنَفْسِكَ  
بَحَسَتْ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ ، قَالَ : بَلَى ، قَبَلْهَا وَنَشْكُرْ عَلَيْهَا ،  
وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ . ( القند الفريد ١ : ٣٠٠ ، وصيون الأخبار م ٢ : ٣٣٨ )

#### ٤٧ - نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للنصور

وَدَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مُهْرَبِنْ هُبَيْرَةَ<sup>(١)</sup> عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّصُورِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ : تَوَسَّعَ تَوْشَعًا قُرْشِيًّا ، وَلَا تَضِيقْ ضَيْقًا حِجَازِيًّا .

[١] وَلِي قَلْبَرِينَ لَوْلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَجَمَعَ لَهُ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَلَايَةَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، وَكَانَ  
آخِرَ مَنْ جَمَعَ لَهُ الْمُرَاتِنَ مِنَ الْوَلَاةِ ، وَلَمَّا اسْتَظْهَرَتْ عَلَيْهِ جِيوشُ خُرَاسَانَ ، وَهَزَمَتْ عَسْكَرَهُ لَحِقَ بِمَدِينَةِ

ويروى أنه دخل يوماً ، فقال له المنصور حدثنا ، فقال : « يا أمير المؤمنين : إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عذْلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد محضت<sup>(١)</sup> لك النصيحة » ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأثأره<sup>(٢)</sup> المنصور بصره ، ثم قال : لا يَمِرُّ مُلْكٌ يكون فيه مثلُ هذا ! . ( تهذيب الكامل ١ : ٢٨ )

#### ٤٨ — معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن<sup>(٣)</sup> بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسن ، فقارب في خطوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنُّك يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك تلجُد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبَقِيَّة ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأئِ الدولتين أحبُّ إليك ، هذه أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زادَ بركَ على برهم كانت دولتك أحبَّ إليّ .

( البيان والنبين ٣ : ٢٢٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٠٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦١ )

واسط ، فتحصن بها ، ولما بويح السفاح بالخلافة وجه أخاه أبا جعفر المنصور لقتله ، خفّره بواسط شهوراً ، ثم أمنه وانتزع البلد صلحاً ، ثم قتله .

[١] أخلصت . [٢] أثأره البصر : أثبته إياه ، وحدّد إليه النظر .

[٣] كان جواداً شجاعاً جليل الطاء كثير المعروف ، وكان في أيام بني أمية منتقلاً في الولايات ، منقطاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير المراقين ، فلما انتقلت البهولة إلى بني العباس ، وحاصر المنصور يزيد بمدينة واسط كما قدمنا ، أبلى يومئذ من مع يزيد بلاء حسناً ، فلما قتل يزيد خلف معن من أبي جعفر المنصور ، فاستقر عنه مدة ، ولم يزل مستتراً حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل خراسان ثاروا على المنصور ، وجرّت مقلّة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية — وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة — وكان معن متوارداً بالقرب منهم ، فخرج متنكراً متخفياً ، وتقدم إلى القوم ، وقاتل قدام المنصور قتالاً أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقة ، فلما أفرج عن المنصور ، قال له : من أنت ويحك ؟ فقال : أنا طليتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فأمنه المنصور وأكرمه ، وصار من خواصه ، وولى سجستان لم أواخر أمره ، فلما كانت سنة ١٥١ اندس قوم من الخوارج بين صنّاع كانوا يسلمون في داره بمدينة بَست ، فقتلوه وهو يحتجم ، وتبعهم ابن أخيه يزيد بن يزيد بن زائدة ، فقتلهم بأسرم .

## ٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على مَعْن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ فقال : « أيها الأمير ، ما غابَ عن العين مَنْ يذكُرُه القلبُ ، وما زال شوقى إلى الأمير شديداً ، وهو دونَ ما يجبُ له ، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره ، ولكن جَفْوَة الحُجَاب ، وَقَلَّةُ بَشَرِ الْعِلْمَانِ ، تمنانى من الإكثار » ، فأمر بتسهيل حجابهِ ، وأجزل صلته . ( زهر الآداب ٢ : ١٦١ )

## ٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

ودخل أعرابى على المنصور فكلّمه ، فأعجب بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُبْقِيكَ اللهُ ، وَيَرْيِدُ فى سلطانك ، فقال : سل حاجتك ، فليس فى كل وقت تَوَاصَرُ بِذَلِكَ ، قال : « ولمْ يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أَسْتَقْصِرُ عمرك ، ولا أخافُ بُخْلَكَ ، ولا أَعْتَمُ مالك ، وإن سَوَّأَكَ لشرف ، وإن عطاءكَ لَزَيْنٌ ، وما بامرئٍ بِذَلِكَ وجهه إليك تقصُّ ولا شَيْنٌ » . فأحسن جائزته وأكرمه . ( الصواعق من ٤٠ ، المقدّم الفريد ١ : ١٣٩ )

## ٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهنئه

وروى القلقشندى قال : تعرّضت أعرابية للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السّفّاح ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، اختسب الصبر ، وقَدِّم الشكر ، فقد أجزل الله لك الثواب ، فى الحالين ، وأعظم عليك المنّة فى الحاديتين ، سَلَبَكَ خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ، فسَلِّم فيما سَلَبَكَ ، واشكُر فيما مَنَحَكَ ، وتجاوزَ الله عن أمير المؤمنين ، وخارَ لك فيما مَلَكَكَ من أمى الدنيا والدين ،

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأةُ المنصور عن أبي العباس مُقدمته من مكة ، قالت : « أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجلُّ من مصيبتك ، ولا عِوض أعظم من خلافتك » . ( صبح الاعشى ٩ : ٢٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٥ )

## ٥٢ — خطبة محمد بن سليمان <sup>(١)</sup> يوم الجمعة

( وكان لا ينيّرها )

الحمد لله ، أحمدُه وأستعينُه وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، من يعتصم بالله ورسوله ، فقد اعتصم بالعرْوة الوثقى ، وسعد في الأولى والآخرة ، ومن يفتص الله ورَسُولَهُ فَقَدْ صَلَّ صَلًّا لَا بَعْدَ ، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يُطِيعُ وَيُطِيعُ رَسُولَهُ ، وَيَتَّبِعَ رِضْوَانَهُ ، وَيَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ لَهُ وَبِهِ ، أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْكِمَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَرْضَى لَكُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا تَحَاتُّ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَتَدَاعَوْا إِلَيْهِ ، وَتَوَاصَوْا بِهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٦٥ )

## ٥٣ — وصية مسلم بن قتيبة

وقال مُسلم بن قُتَيْبَةَ <sup>(٢)</sup> : « لَا تَطْلُبَنَّ حَاجَتَكَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ : لَا تَطْلُبْهَا

[١] هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور وتوفي سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

[٢] استفارده المنصور في قتل أبي مسلم ، فقال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فقال : حسبك يا بن قتيبة ، لقد أودعتها أدنا واعية ( وفیات الأعيان ١ : ٢٨٢ ) .

إلى الكَذَاب ، فإنه يُقَرِّبُهَا وهي بعيدة ، ويبعدها وهي قريبة ؛ ولا تطلبها إلى الأحمق ، فإنه يريد أن ينفَعَكَ ، وهو يضرُّكَ ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأْكَلَةٌ ، فإنه يحمل حاجتك وقلة حاجته . (الأمل ٢ : ١٩٠)

## ٥٤ - خطبة المهدي ( توفى سنة ١٦٩ هـ )

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمده على آلائه <sup>(١)</sup> ، وأمجده لبلائه <sup>(٢)</sup> ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المُجْتَبَى <sup>(٣)</sup> ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطُمُوس <sup>(٤)</sup> العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، غتلفة أُمِّيَّة ، أهل عداوة وتضاغن ، وفرقة وتباين ، قد استهوئهم شياطينهم ، وغلب عليهم قرناؤهم <sup>(٥)</sup> ، فاستشعروا الرَّذَى ، وسلكوا العمَى ، يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتَنَّةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتَنَّةٍ » ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحسكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاى إلى ما يقرب من رحمته ، وينجى من سخطه ، ويُثَال به مالهديه ، من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم المذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توفقون بين يدي الجبار ، وتمرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَكَلَّمُ

[١] نعمه ، والمفرد إلى كحل وشمس ، وألوكشمس ، وأل كسما وإلى كرنا .

[٢] البلاء : يكون منعة ، ويكون محنة . [٣] المختار . [٤] الدروس والاعاء .

[٥] القرن : المصاحب ، والشيطان : للقرون بالإنسان لا بخلقه .

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ  
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ أُنثَىٰ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ؛ يَوْمَ لَا يُخْزِي نَفْسٌ  
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةُ وَلَا تُنْصَرُونَ ؛  
يَوْمَ لَا يُخْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
حَقٌّ ، فَلَا تَغْرُبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَفْرُتْكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ » ، فإن الدنيا  
دار غرور ، وبلاء وشرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ، قد أفنت  
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وهي عائدة عليكم وعلى مَنْ بعدكم ، من رَكَنَ إليها صَرَغته ،  
ومن وَثِقَ بها خاتته ، ومن أَمَلَهَا <sup>(١)</sup> كَذَبَتْهُ ، ومن رجاها خَدَلَتْهُ ، عَزَّهَا ذُلُّ  
وغناها فقر ، والسعيد من تركها ، والشقي فيها من آثرها ، وَالْمَغْبُوتُونَ فِيهَا مِنْ بَاعَ  
حِظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، والتوبة مقبولة ، والرحمة مبسوطة ،  
وبادروا بالأعمال الزكية <sup>(٢)</sup> ، في هذه الأيام الاخالية ، قبل أن يُؤْخَذَ بِالكَظَمِ <sup>(٣)</sup> ،  
وتندموا فلا تنالون الندم ، في يوم حسرة وتأسف ، وكآبة وتلهف ، يوم ليس  
كألايام ، وموقف صَنَّتْكَ الْمَقَامَ ، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ،  
يقول الله تبارك وتعالى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ  
تُرْجَحُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أَلْهَاكُمْ  
التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إلى آخر السورة - أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله  
به ، وأنها لكم عما نهاكم عنه ، وأرضى لكم طاعة الله ، وأستغفر الله لى ولكم .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٦)

[١] إله أملا وأمله بالتخفيف والتشديد . [٢] زكا يزكو : نما وصلاح .

[٣] الكظم : الخلق أو الهوى ، أو مخرج للنفس ، أى قبل الموت .

## مشاورة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

روى ابن عبدربه قال :

« هذا ما تراجَعَ فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحامكت عليهم العمال وأَعْنَقَتْ ، فحلتهم الدالَّةُ وما تقدَّم لهم من المكائنة ، على أن نكثوا بيمينهم ، وتقضوا مَوَاقِفَهُمْ ، وطرَدوا العمال ، والتَّوَّأوا بما عليهم من الخراج ، وَحَمَلَ المهدي ما يحب من مصلحتهم ، ويكره من عَتَّتِهِمْ ، على أن أقال عتريتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دالَّتَهُمْ ، تطوَّلاً بالفضل ، واتساعاً بالعفو ، وأخذاً بالحجة ، ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذحَّله الله أعباء الخِلافة ، وقلَّده أمور الرعية ، رفيقاً بِمَدَارِ سُلْطَانِهِ ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدِّلة في رعيته ، نسكُن إلى كَنَفِهِ ، وتأنَّس بعفوه ، وتثقَّ بحلمه ، فإذا وقعت الأفضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هَوَازَةٌ ، ولا إغضاء ، ولا مداهنة ، أثرة للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم ، فدعا أهلَ خراسان الاغترارُ بحلمه ، والثقة بعفوه ، أن كَثُرُوا الخراج ، وطرَدوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خَلَطُوا احتجاجاً باعتذار ، وَخُصُومَةً بِإِقْرَار ، وتنصلاً باغتلال ، فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خِلاَئِهِ ، وبعث إلى قمر من لَحْمَتِهِ <sup>(١)</sup> ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصَحهم للرعية ، ثم أمر الموالى <sup>(٢)</sup> بالابتداء ، وقال للبساس <sup>(٣)</sup> بن محمد : أي عمِّ تمقَّب قولنا ، وكن حَكَمًا بيننا ، وأرسل إلى

[١] اللحية : القرابة . [٢] جمع مولى ، وهو هنا القريب كابن العم ونحوه .

[٣] هو البساس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو النصور .



ولديه موسى وهرون ، فأحضرهما الأمر ، وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالاتهم في كتاب .

## ٥٥ - مقال سلام صاحب المظالم

فقال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن في كل أمر غايةً ، ولكل قوم صناعةً ، استفرغت رأيهم ، واستفرقت أشرانهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، ولهذه الأمور التي جعلتنا فيها غايةً ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وفُرسان الهزاهن<sup>(١)</sup> ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سبجاً لها<sup>(٢)</sup> ، وقيأنتهم ظلالها ، وعصتهم شدائدُها ، وقرمتهم<sup>(٣)</sup> نواجذُها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائرَ تؤيدُ أمرَك ، وتجارِبَ توافقُ نظرك ، وأحاديثَ تقوى قلبك ، فأما نحن معاشِرَ عمالك ، وأصحابِ دواوينك ، فحسنُ بنا ، وكثيرُ منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من إمضاء عدلك ، وإنفاذ حُكمك ، وإظهار حقك » .

فأجابه المهدي : « إن في كل قوم حكمةً ، ولكل زمان مياسةً ، وفي كل حال تدبير ، يُبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدبير سلطاننا » .

قال نعم : أيها المهدي : أنت متسيع الرأي ، وثيق العقدة ، قويُّ المنة<sup>(٤)</sup> ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، تحضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ،

---

[١] الهزيمة والهزائم : تحريك البلايا والحروب الناس . [٢] جمع سجل كشس ، وهو الدلو الغليظة مملوءة . [٣] قرم الطعام : أكله ، والنواجذ : أقصى الأرضين . [٤] القوة .

مُكَّانَ بِالظَّفَرِ ، مَهْدِيَّ إِلَى الْخَيْرِ ، إِنْ هَمَّتَ فِي عَزْمِكَ مَوَاقِعَ الظَّنِّ ، وَإِنْ  
اجْتَمَعَتْ صَدَعٌ فَمَلَّكَ مَلْتَبِسَ الشَّكِّ ، فَاعْزِمِ يَهْدِ اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ  
يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ ، فَإِنْ جَنُودُكَ جَمَّةٌ ، وَخَزَائِنُكَ عَامِرَةٌ ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ،  
وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : « الْمَشَاوِرَةُ وَالْمُنَاطَرَةُ بِأَبَا رَحْمَةٍ ، وَمِفْتَاحُ بَرَكَاتٍ ، لَا يَهْلِكُ  
عَلَيْهِمَا رَأْيٌ ، وَلَا يَنْفِيْلُ »<sup>(١)</sup> مَعَهُمَا حَزْمٌ ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ ،  
فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ .

## ٥٦ — مَقَالُ الرَّيِّعِ بْنِ يُونُسَ<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ الرَّيِّعُ :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنْ تَصَارَيْفَ وَجْهِهِ الرَّأْيُ كَثِيرَةٌ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بَعْضُ  
مَعَارِضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ، وَلَكِنْ خَرَّاسَانُ أَرْضِ بَعِيدَةِ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةِ الشُّقَّةِ<sup>(٣)</sup> ،  
مُتَفَارِقَةِ السَّبِيلِ ، فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ ، وَثُبْرَمِ التَّقْدِيرِ ، وَلُبَابِ الصَّوَابِ ،  
رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ ، وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعَنٌ ، وَلَا دُونُهُ  
مَمْلُوقٌ لِحُصُومَةٍ عَائِبٍ ، ثُمَّ خَبَّتِ الْبُرْدُ<sup>(٤)</sup> بِهِ ، وَانْطَوَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِ ، كَانَ  
بِالْحَرَمِيِّ أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ، فَمَا أَيْسَرُ أَنْ  
تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرِّسْلَ ، وَتَرِدَّ عَلَيْكَ الْكُتُبُ ، بِمَحْقَاتِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ ،  
وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتُحْدِثَ رَأْيًا غَيْرَهُ ، وَتَبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَقَدْ اقْتَرَحْتَ  
الْحَلْقَ ، وَتَحَلَّلْتَ الْمُقَدَّ ، وَاسْتَرْخَيْتَ الْحِقَابَ<sup>(٥)</sup> ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، ثُمَّ لَعَلِمَ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ

[١] قَالَ رَأْيُهُ وَهَيْلٌ : أَخْطَأَ وَضَعَفَ . [٢] وَزَرَ لِأَبِي حَفَرٍ لِلنَّصُورِ وَقَطْعَ الْهَادِي سَنَةَ ١٧٠ هـ

[٣] الْبَعْدُ وَالْفَرَجُ الْبَعِيدُ . [٤] جَمْعُ بَرْدٍ : وَهُوَ الرِّسْلُ ، وَخَبَّتْ : أَسْرَعَتْ .

[٥] الْحِقَابُ : مَا تَعْدُوهُ الْمَرْءُ فِي وَسْعِهَا .

كصدر الأولى ، ولكن الرأي أيها المهدي وفقك الله ، أن تصرف إجابة النظر ،  
وتقلب الفكر فيما جمعنا له ، واستشترتنا فيه من التدبير لحرهم ، والحيل في  
أمرهم ، إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس  
موصوفاً بهوى في سواك ، ولا متهماً في أثره عليك ، ولا ظنيماً<sup>(١)</sup> على دخلة<sup>(٢)</sup>  
مكروهة ، ولا منسوباً إلى بدعة عذورة ، فيقذح في ملكك ، ويريض<sup>(٣)</sup>  
الأمر لغيرك ، ثم تُسند إليه أمورهم ، وتقوض إليه حربهم ، وتأمره في عهدك  
ووصيتك إياه ، بلزوم أملك ما لزمه الحزم ، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأي ،  
عند استحالة الأمور ، واشتداد الأحوال التي يُنقض أمرُ الغائب عنها ، ويثبت  
رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ، فوائب أمرهم من قريب ، وسقط عنه  
ما يأتي من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأخذ النظر  
إن شاء الله .

## ٥٧ - مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي ، إن ولي الأمور ، وسائس الحروب ، ربما نحى جنوده ،  
وفرق أمواله في غير ماضيق أمرٍ حزبه<sup>(١)</sup> ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعد  
عند الحاجة إليها ، وبعد التفرقة لها ، عديماً منها ، فاقداً لها ، لا يثق بقوة ، ولا  
يصول بمدة ، ولا يفرغ إلى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله ، أن تُعفي  
خزائنك من الاتفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة

[١] متها . [٢] دخلة الرجل مثله ، ودخيلته : نيته ومذهبه .

[٣] في كتب اللغة : راضه وروحه : ذلّه ، وأراض الأرض جعلها يائساً . [٤] اشتدّ عليه .

الأخطار، وتغريّر القتال ، ولا تُسرِعْ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجري من رعتك غيرهم ، ولكن اغزم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيده ، وصارعهم باللين ، وخاتلم<sup>(١)</sup> بالرفق ، وأبرق<sup>(٢)</sup> لهم بالقول ، وأرعد نحومهم بالفعل ، وابتث البعوث ، وجند الجنود ، وكتب الكتاب ، واعقد الأوليّة ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك مؤجّه إليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم ، وأسوهم أثراً فيهم ، ثم ادسّ الرسل ، وابتث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبسنا على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوي الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبه ، فإن مرّام الظفر بالنيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة<sup>(٣)</sup> بالكتب ، والمكايده بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوى الموزع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين الذي يستميل القلوب ، ويسترقّ العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المؤاناه<sup>(٤)</sup> ، أنفذ من القتال بطبات السيوف ، وأسنة الرماح . كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايده ، أحكم عملا ، وأطف منظرًا ، وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والإتلاف للأموال ، والتغريّر والخطار<sup>(٥)</sup> ، ولتيم المهدى أنه إن وجّه لقتالهم رجال لم يسر لقتالهم إلا بجنود كشيقة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم

[١] خلاصهم . [٢] رعد وبرق ، وأرعد وأبرق : تهدد وتوعد .

[٣] تأمبه الحرب والمعاودة : أظها . [٤] اللواقعة . [٥] الخطارة .

على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غَشَّشَة ، إن ائتمنهم استنفدوا ماله ، وإن استنصَحهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : « هذا رأى قد أسفر نُوره ، وأبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجمَّد حقه في القلوب ، ولكن فوق كلِّ ذى علم عليم » . ثم نظر إلى ابنه عليّ ، فقال : ما تقول ؟

## ٥٨ — مقال علي بن المهدي

قال علي بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَحْتَلَعُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصَبُوا من دونك أحداً ، يَقْدَحُ في تمييز ملكك ، وَيُريِضُ الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أبسرَ ، والشأن أصغر ، والحال أدلّ ، لأن الله مع حقه الذي لا يَحْذُلُه ، وعند مواعده الذي لا يُخْلِفُه ، ولكنهم قوم من رعيّتك ، وطائفة من شيعتِكَ ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونفّستَ عنهم قبل أن يتلاخَمَ منهم حال ، ويحدث من عندهم فتق ، أطمعتَ أمر الرب ، وأطفأتَ نائرة الحرب ، ووفّرتَ خزائن المال ، وطرختَ تفريرَ القتال ، وحمَلَ الناسُ حمْلَ ذلك على طبيعة جودك ، وسجيّة حلمك ، وإسجاح<sup>(١)</sup> خليقتك ، ومعدّلة نظرك ، فأمنتَ أن تُنسَبَ إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَة ، وإن منعهم ما طلبوا ، ولم تُجِبهم إلى ما سألوا ، اعتدلتَ بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميّذان الخطّاب ، فما أربُّ المهدي أن يعمد إلى طائفة من رعيّته ،

مقرّين بمملكته ، مُذعنين بطاعته ، لا يُخْرِجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُبرّثونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلق نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يحازيهم السوء في حدّ المقارعة ، وميضار المخاطرة ، أيريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلمرى لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإتفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضمايف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها ، فحصلت إليه ، ووُضعت بخرائطها <sup>(١)</sup> بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسب ، وبه يُعرف ، من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجعل قُرّة عينه ، ونهّمة <sup>(٢)</sup> نفسه فيه ، فإن قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد ، في أهل الخراج الذين شكّوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاتنا ؛ فأما الجنود الذين نقضوا موافيق اليهود ، وأنطقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم ، وعِظة لسوام ، فيعلم المهدي أنه لو أتی بهم مغلولين في الحديد ، مُقرّنين <sup>(٣)</sup> في الأصفاذ <sup>(٤)</sup> ، ثم اتسع لحقن دماثم عفوه ، ولا قالة عثرتهم صفّحه ، واستبقام لما م فيه من حربه ، أولن يلازهم من عدوه ، كما كان بدعا من رأيه ، ولا مستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوا ، وأشدّها وقما ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتماظله <sup>(٥)</sup> عفوا ، ولا يتكاهده <sup>(٦)</sup> صفحا ، وإن عظم الذنب ، وجل الخطب ، فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يحل عقدة النفيظ ، بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم ، وصنيعة عيالاتهم ، برّا بهم ، وتوسعا لهم ، فإنهم إخوان دولته ،

[١] جمع خريطة وهي وطاء من آدم وغيره يترج على مافيه . [٢] التوبة : الحاجة وبلوغ العبادة في الشيء . [٣] مقيدين . [٤] الأصفاذ : القيود : جمع صفد كسب . [٥] تماظله الأمر : عظم عليه . [٦] تكاهده الأمر : شقّ عليه .

وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحُجَّتْهم يقول ، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مسَاخِطه ، وتمرّضوا له من معاصيه ، وانطوا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو ثقل من حاله لهم ، أو تنفير من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازيين ، أصاب أحدهما خبلٌ عارض ، ولهُوَ حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رقةً له ، ولطفاً به ، واحتياجاً لمدّاوة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفاً عليه ، وبراً به ، ومَرَحمةً له .

فقال المهدي : أما على فقد نوى سَمَتَ اللَّيَالِ<sup>(١)</sup> ، وَفَضَّ القلوب في أهل خراسان ، ولكل نَبِيٍّ مُسْتَقَرٍّ ، فقال : ماترى يا أبا محمد يعني موسى ابنه (المهادي) .

### ٥٩ — مقال موسى بن المهدي

فقال موسى :

« أيها المهدي : لَا تَسْكُنْ إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خَلَلِ فمهم ، الحانٌ من القوم ينادى بِمَضْمَرَةٍ شر ، وخَفِيَّةٍ حَقْدٍ ، قد جعلوا المآذير عليها سِتْرًا ، واتخذوا العِلَل من دونها حجابًا ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالناخير ، والأُمُور بالتطويل ، فيكسروا حِيلَ المهدي فيهم ، ويُفَنِّوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مآذيتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ، والمهدي من قولهم في حالِ غِرَّةٍ ، وَلِبَاسِ أَمْنَةٍ ، قد قَتَرَ لها ، وَأَنَسَ بها ، وسكن إليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وَبَرَدَتْ عليه جلودهم من المناصبَة بالقتال ، والإضرار للقراع ، عن داعية ضلال ، أو شيطان

فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الولاة ، وغيب سكون الأمور ، فليشد المهدي وقته الله أزره<sup>(١)</sup> لهم ، ويكتب كتابه نجوم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم ، إلا كانت ذرية إلى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم ، وسببا لفساد من يحضرته من الجنود ، ومن يباه من الوفود الذين إن أقرم ، وتلك المادة ، وأجرام على ذلك الأرب ، لم يبرح في فتق حادث ، وخلاف حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الذرية ، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة ، والمثوبة الشديدة ، والرأي للمهدي وقته الله أن لا يقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحرج<sup>(٢)</sup> بهم القتل ، ويخدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الدل ، فإن فعل المهدي بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم ، واحتمال المهدي في مئونة غزوتهم هذه ، تضع عنه غزوات كثيرة ، وفتقات عظيمة .

فقال المهدي : « قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل » .

٦٠ — مقال العباس بن محمد

فقال العباس بن محمد :

« أيها المهدي : أما الموالى فأخذوا بفروع الرأي ، وسلكوا جنبات الصواب ، وتمعدوا أمورا قصّر بنظرهم عنها ، أنه لم تأت تجاربهم عليها ، وأما الفضل فأشار بالاموال أن لا تُنفق ، والجنود ألا تُفرق ، وبأن لا يُنطى القوم ما طلبوا ، ولا



يُنْذِلْ لَهُمْ مَاسَأُلُوا ، وَجَاءَ بِأَمْرِ يَنْ ذَلِكَ اسْتَصْفَارًا لَأَمْرِهِمْ ، وَاسْتِهَانَةً بِحَرْبِهِمْ ،  
وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صَغَارُهَا .

وَأَمَّا عَلَى ، فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَإِفْرَاطِ الرَّفْقِ ، وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمِطَ أَمْرَهُ ،  
وَسَقَّهِ حَقَّهُ ، اللَّيْنُ بِحَتَا ، وَالْخَيْرُ مُخَضًّا ، لَمْ يَخْلُطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعَطَّفِ الْقُلُوبَ عَنْ لَيْنِهِ ،  
وَلَا بَشَرٍ يَحْنِسُهُمْ إِلَى خَيْرِهِ ، فَقَدْ مَلَكَهُمُ الْخَلْعَ لَمَذْرِهِمْ ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ  
لِثَنِّي أَعْنَاقَهُمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّهُمْ وَلَا شِدَّةٍ ،  
فَتَزَوُّةٌ <sup>(١)</sup> فِي رءُوسِهِمْ ، يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَيَسْتَصْرِخُونَ بِهَا  
رَأْيَ الْمَهْدَى فِيهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ ، وَيَسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ بِاللَّيْنِ الْمُخَضِّ ،  
وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ ، فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ ، وَالرَّأْيُ فِيهِمْ ، وَمَا قَدْ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ  
مِنْ مِثْلِهِمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمَ ، وَالْمَلَكَ  
الْكَبِيرَ ، مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا تُذَكِّرُهُ الْفِكْرُ ، وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ، ثُمَّ دَعَا  
النَّاسَ إِلَيْهَا ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى  
الْجَنَّةِ ، لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا .

وَأَمَّا مُوسَى ، فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصَبُوا بِشِدَّةٍ لَالَيْنَ فِيهَا ، وَأَنْ يُرْمَوْا بِشَرٍّ لِاخْتِارِ  
مَعَهُ ، وَإِذَا أَضْمَرَ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ ، وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ ، الْخَوْفَ مَفْرَدًا ، وَالشَّرَّ  
مَجْرَّدًا ، لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ ، وَلَا لَيْنٌ يَثْنِيهِمْ ، اشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَانْتَقَطَتْ  
الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدٍ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ الْحَمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَالْأَنَفَةُ مِنَ الذَّلَّةِ ،  
وَالْإِمْتَاعُ مِنَ الْقَهْرِ ، فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ ، وَالِاسْتِبْسَالِ فِي  
الْقِتَالِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكَرْهِ ، وَيُذْنَعُوا بِالْقَهْرِ عَلَى

بِفَضْةٍ لازمة ، وعداوة باقية ، ثورث النفاق ، وتُعقِبُ الشقاق ، فإذا أمكستهم فرصة ، أو ثابت<sup>(١)</sup> لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشد مما كان .

وقال في قول أبي الفضل : أيها المهدي ، أكنى دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بأن قد أجمع رأيي ، وحرّم نظره على الإرشاد بيعثة الجيوش إليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم ماسألوهم الحق ، وإلجائهم إلى ماسألوهم من العدل . قال المهدي : ذلك رأى .

## ٦١ - مقال هرون بن المهدي

قال هرون :

« خلطت الكشدة أيها المهدي باللين ، فصارت الشدة أمرًا فِطامٍ لما تكرر ، وعاد اللين أهدى قائد إلى ما تحب ، ولكن أرى غير ذلك » .  
قال المهدي : « لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤتمن بما قال ، وظنين بما أدعى ، حتى يأتي بيينة حادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت » قال هرون : « أيها المهدي ، إن الحرب خدعة<sup>(٢)</sup> ، والأعاجم قوم مكررة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطن مائسرون على ظاهر مائعينون ، وربما اقترقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محبوبة تُبطن ، واستمر بمدخولة لا تعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدّم يده ، وموضع ميسمه<sup>(٣)</sup> لا يتعجل الدواء ، حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأي للمهدي « وفقه الله » أن يقر<sup>(٤)</sup> باطن أمرهم قرّ

[١] رجعت . [٢] خدعة بكون الدال وتثنية الحاء ، ويضم الحاء وتضع الدال ، أى تنفضي بمجموعة .

[٣] ليس : المكواة . [٤] فر الباب : كشف عن أسرتها ليصرف سنها .

المُسِنَّة ، وَيَخْضُ ظَاهِرُ حَالِهِمْ نَحْضَ السَّقَاءِ ، بِمُتَابَعَةِ الْكُتُبِ ، وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ ، وَمَوَالَاةِ الْعِيُونِ ، حَتَّى تُهْتَكَ حُجُبُ عِيُونِهِمْ ، وَتُكْشَفَ أَعْطِيَةُ أُمُورِهِمْ ، فَإِنْ انْفَرَجَتْ الْحَالُ وَأُفْضَتْ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ ، أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ ، وَانْقَادَ الرِّجَالُ إِلَيْهِ ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بِدِينٍ يَتَقَدُّونَهُ ، وَإِيمٍ يَسْتَحِلُّونَهُ ، عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا ، وَرِمَاهُمْ بِعَقُوبَةٍ لَا عَفْوََ مَعَهَا ، وَإِنْ انْفَرَجَتْ الْعِيُونُ ، وَاهْتَصَرَّتِ السُّتُورُ ، وَرُفِعَتِ الْحُجُبُ ، وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيمةٌ <sup>(١)</sup> ، وَالْأُمُورُ بِهِمْ مُعْتَدِلَةٌ ، فِي أَرْزَاقٍ يُطْلَبُونَ ، وَأَعْمَالٍ يُنْكَرُونَهَا ، وَظُلَامَاتٍ يَدْعُونَهَا ، وَحَقُوقٍ يَسْأَلُونَهَا ، بِمِائَةٍ سَابَقَتْهُمْ ، وَدَالَّةٍ مَنَاصِحَتْهُمْ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدَى - وَقَعَهُ اللَّهُ - أَنْ يَتَسَعَ لَهُمْ بِمَا طَلَبُوا ، وَيَتَجَافَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا ، وَيَشْعَبَ <sup>(٢)</sup> مِنْ أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا ، وَيَرْثُقَ مِنْ قَتْعِهِمْ مَا قَطَعُوا ، وَيُولَّى عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْبَا ، وَيَدَاوِي بِذَلِكَ مَرْضَى قُلُوبِهِمْ ، وَفَسَادِ أُمُورِهِمْ ، فَإِنَّمَا الْمَهْدَى وَأَمْتُهُ ، وَسَوَادُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّيبِ الرَّفِيقِ ، وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ ، وَالرَّاعِي الْمَجْرَبِ الَّذِي يَحْتَالُ لِمَرَايِضِ غَنَمِهِ ، وَضَوَالِ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا ، وَيُرَدِّ الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسٍ جَمَاعَتِهَا ، ثُمَّ إِنْ خَرَّاسَانُ بِخَاصَّةِ الَّذِينَ لَهُمْ دَالَّةٌ مُخْمُولَةٌ ، وَمِائَةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ ، لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ ، وَسَيُوفُ دَعْوَتِهِ ، وَأَنْصَارُ حَقِّهِ ، وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدَى الْاضْطِعَانُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا الْمُواخَذَةُ لَهُمْ ، وَلَا التَّوَعُّرُ <sup>(٣)</sup> بِهِمْ ، وَلَا الْمَكَاافَةُ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لِأَنَّ مِبَادِرَةَ حَسَنِ الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى ، وَمَحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَنْيَلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ ،

[١] مَرِغ الْوَادِي كَكْرَم مَرَاة : أَخْصَبَ بِكَثْرَةِ الْكَلَاءِ فَهُوَ مَرِغ .

[٢] شَعَبَ . [٣] تَوَعَّرَ الرَّجُلُ : تَشَادَّ .

أحزمُ في الرأي ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وَقَعَ الحيا<sup>(١)</sup> » ، حتى خرج خروج القَدَح من الماء ، وانسلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعُوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثني بعده هرون ، ولكن مَن لَأَعْنَةُ الخيل وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، إن أمن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدَّالَّةُ ؟ » .

٦٢ — مقال صالح بن علي<sup>(٢)</sup>

قال صالح :

« لسنا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِرَاسَةٍ رأيك ، وبمضَ لَحَظَاتٍ نظرك ، وليس ينفَضُ عنك من ينوات العرب ، ورجالاتِ المعجم ، ذودين فاضل ، ورأى كامل ، وتدبير قوي ، تقلده حربك ، وتستودِعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون الثَّقيفة<sup>(٣)</sup> ، مبارك العزيمة ، تحبُّور التجارب ، محمود المواقب ، مصصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد تُوليه أمرُك ، وتُسند إليه ثَمْرُك ، إلا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد » .

قال المهدي : « إني لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه ، وحسن معوته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهِم » .

٦٣ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها المهدي قومٌ ذوو عِزَّةٍ وَمَنَمَةٍ ، وشياطينُ خَدَعَةٍ ،

[١] للطر . [٢] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس . [٣] النفس والطبيعة .

زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأتفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة ،  
والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذلمهم ، لأنهم بين  
ميفة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون إلا بشدة ،  
ولا يفظمون إلا بالمر ، وإن ولي المهدي عليهم وضيعا لم تنقذ له العظماء ، وإن  
ولي أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء ، وإن آخر المهدي أمرهم ، ودافع حربهم ،  
حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بني عمه أو بني أبيه ناصحا ، يتفق عليه  
أمرهم ، وثقة تجتمع له أملاؤهم <sup>(١)</sup> ، بلا أتفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا  
مصيبة تنفرهم ، تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من  
الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جد ،  
ولا يستصلحه وإن جهد ، إلا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدي وقته  
الله فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم <sup>(٢)</sup> ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ، ولا  
عذل <sup>(٣)</sup> في ذلك بهما ، أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ،  
وصخرة لا ترزعزع ، وبهمة <sup>(٤)</sup> لا تثنى ، وبازل <sup>(٥)</sup> لا يفزعه صوت الجملجل ،  
نقى العرض ، نزيه النفس ، جليل الخطر <sup>(٦)</sup> ، اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما  
نحو الآخرة بهيمته ، وجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً ، والغرض الأدنى لقدمه  
موطئاً ، فليس يقبل عملا ، ولا يتعدى أملا ، وهو رأس مواليك ، وأنصح  
بني أبيك ، رجل قد غدنى بلطف كرامتك ، وتبتت في ظل دولتك ، ونشأ على

[١] جمع ملاكيب وهو الجماعة . [٢] الصفة : الحجر الصلب الضخم . [٣] المدل : النظر .

[٤] البهمة : الصخرة ، والشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى . [٥] البازل : الجمل في السنة  
التاسعة ، والرجل الكامل في تجربته . [٦] القدر .

قوائم أدبك ، فإن قلّدتَه أمرهم ، وعلّنته ثقلهم ، وأسندت إليه ثقلهم ، كان قفلاً فتحه أمرك ، وباباً أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً ، وإذا أحكم المنصفه ، وملاك المعدلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الندي بين صدورهم ، وأسكن لك في السؤيداء ، داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع ، متمائلة في حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريب إلا تقوه ، ولا يلزمهم حق إلا أدّوه ، وهذا أحدهما ، والآخر عود من غيظتك <sup>(١)</sup> ، ونبتة من أرومتك ، قتي السن ، كهل الحلم ، راجع العقل ، محمود الصرامة ، مأمون الخلاف ، يجرّد فيهم سيفه ، ويسطّ عليهم خيره ، بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان ، أيها المهدي ، فسلطه أعزك الله عليهم ، ووجهه بالجيش إليهم ، ولا تمنعك ضراعة <sup>(٢)</sup> سنّه ، وحدائمه مؤلّده ، فإن الحلم والثقة مع الحدّاة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصم به ، من مكارم الأخلاق ، وعامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كـفـراخ عتاق الطير ، المـخـكـمة لأخذ الصيد بلا تـذـريـب ، والمعرفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم ، والعزم والحزم ، والجود والتؤدّة ، والرفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مستحكم لكم ، متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائر ثابتة .

٦٤ — مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

[١] البيضة : الأجمة ومجبع العجر في مفيض ماء . [٢] للراد حمالة .

« أَفْنَاءُ <sup>(١)</sup> أَهْلٍ يَبْتَغِي أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَأَهْلُ خِرَاسَانَ فِي حَالٍ عَزِيزٍ عَلَى مَا أُوصِفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ ، وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ ، وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا بِمَعْرِفَةِ السِّيَاسَةِ لِلْجِيُوشِ ، وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مَهُولَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَفْتَمِزُونَهَا مِنْهُ ، وَيَحْتَقِرُونَهَا فِيهِ ، وَيَحْتَرِثُونَ بِهَا عَلَيْهِ ، فِي التَّهْوِيزِ بِهِ ، وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ ، وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، قَبْلَ مَا حِينَ الْاِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ ، وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْآخَرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجِيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَحْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالتَّجَدُّدَ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ <sup>(٢)</sup> وَالْهَيْبَةِ ، انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ ، وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ ، وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينَ اخْتِبَارِهِمْ ، وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَرَبْعًا وَقَعَ الْبَوَارُ قَبْلَ الْاِخْتِبَارِ ، وَبَابُ الْمَهْدِيِّ - وَقَعَهُ اللَّهُ - رَجُلٌ مَهِيْبٌ ، نَبِيٌّ ، حَنِيكٌ ، <sup>(٣)</sup> صَبِيٌّ ، لَهُ نَسَبٌ زَاكٍ ، وَصَوْتُ حَالٍ ، قَدْ قَادَ الْجِيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ ، وَتَأَلَّفَ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِالْمَقَّةِ ، وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ الثَّقَّةِ ، فَلَوْ لَآهَ الْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ ، لَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ » . قَالَ الْمَهْدِيُّ : « جَانِبْتَ قَصْدَ الرِّمِيَّةِ ، وَأَيَّيْتُ إِلَّا عَصَبِيَّةً ، إِذْ رَأَيْتُ الْحَدَثَ مِنْ أَهْلِ يَبْتَنَّا ، كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ ؟ » . قَالُوا : « لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ <sup>(٤)</sup> ، وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَدْنَى فَضْلِهِ ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجِبَ عَنْ خَلْقِهِ ، وَسَرَّ دُونَ عِبَادِهِ ، عِلْمٌ مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَمَعْرِفَةٌ مَا تَجْرَى

[١] جَمْعُ فِتْنَةٍ كَيْفِيَّةٍ وَأَيَّامٍ . [٢] الصَّوْتُ وَالصَّاتُ وَالصَّيْتُ : الذِّكْرُ الْحَسَنُ . [٣] عَمَلَتْ . [٤] هُوَ نَسِيجَ وَحْدِهِ : لَا لَفْظٍ لَهُ مُفْرَدٌ بِمَحْصَلِ عَمُودَةٍ لَا يَمُرُّ فِيهَا غَيْرُهُ ، كَمَا أَنَّ التَّوْبَ التَّائِبِينَ لَا يَنْتَسِجُ عَلَى مَوَالِهِ غَيْرُهُ ، أَيْ لَا يَمُرُّ بِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي السَّيِّئِ .

عليه المقادير من حوادث الأمور ، ورَيبُ النون <sup>(١)</sup> المُخْتَرِمَةُ لِحَوَالِي القرون ؛  
ومواضى الملوك ، فِكْرٍ هُنَا شُسُوعُهُ <sup>(٢)</sup> عَنْ حِجَلَةِ الملك ، ودار السلطان ، ومقرّ  
الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والخرائن ، ومستقرّ الجنود ، وَمَعْدِنُ الجُود ،  
وَجَمْعُ الأموال ، التي جعلها الله قُطْبًا لِمَذَارِ الملك ، ومَصِيدَةً لِقُلُوبِ الناس ، وَمَتَابَةً  
لِإِخْوَانِ الطمع ، وثَوَارِقِ الفتن ، ودَوَاعِي البِدْع ، وقُرْصَانِ الضلال ، وأبناء الموت ،  
وقلنا إن وَجْهَ المهدي ولى عَهْدِهِ ، فحدث في جيوشه وجنوده ، ما قد حدث بمجنود  
الرسول من قبله ، لم يستطع المهدي أن يُعَقِّبَهُمْ بغيره ، إلا أن ينهَضَ إليهم بنفسه ،  
وهذا خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وهول شديد ، إن تَنَقَّسَتِ الأيام بِمقامه ، واستدارت الحال  
بإمامه ، حتى يقع عِوَضُ لا يُسْتَقْنَى عنه ، أو يَحْدُثُ أمرٌ لا بُدَّ منه ، صار ما بعده  
مما هو أعظم هَوَلاً ، وأجل خَطَرًا ، له تَبَعًا ، وبه متصلاً .

## ٦٥ - مقال المهدي

قال المهدي :

« الخَطْبُ أيسرُ مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تصفون الأمرَ عليه ، نحن  
أهل البيت نَجْرِي من أسباب القضايا ، ومَوَاقِعِ الأمور ، على سَابِقٍ من العلم ،  
ومَحْتَمٍ من الأمر ، قد أنبأت به الكتبُ ، وَتَبَيَّنَتْ عليه الرسلُ ، وقد تناهى  
ذلك بآجمه إلينا ، وَتَكَامَلَ بِحَدِّ آفِرِهِ <sup>(٣)</sup> عِنْدَنَا ، فيه نَدْبَرُ ، وعلى الله توكل ،  
إنه لا بُدَّ لَوِيَّ عَهْدِي ، وولِيَّ عَهْدٍ عَقْبِي بَعْدِي ، أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ البعوثُ ،  
ويتوجه نحوها بالجنود ؛ أما الأولُ فإنه يُقَدِّمُ إليهم رسله ، ويُعْمَلُ فِيهِمْ حِيَلَهُ ،

[١] النون اللينة ( مؤن ) والمخرمة : الهلكة ، والحوالي جمع خالية وهي اللابنية .

[٢] شمع كنع شمساً وشعوماً : بعد فهو شلّس وشع .

[٣] جمع حنود كمنصور أو حنفا كعمرطاس وهو الجلاب .



ثم يخرج نَشِيطًا إليهم ، حَقِيقًا عليهم ، يريد أن لا يدعَ أحدًا من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطأه بحرُّ القتل ، وألبسه قناع القهر ، وقلده طوق الذل ، ولا أحدًا من الذين عملوا في قصِّ جَنَاحِ الفتنه ، وإخماد نار البدعة ، ونُصرة وِلاَةِ الحق ، إلا أجرى عليهم دِيَمَ فضله ، وجداولَ نهله ، فإذا خرج مُزْمِعًا به ، مُجْمِعًا عليه ، لم يَسِرْ إلا قليلًا حتى يأتيه أن قد عملت حيله ، وكذّحت كتبه ، ونفّذت مكائده ، فهذأت نافرةً القلوب ، ووقعت طائرةً الآهواء ، واجتمع عليه المختفون بالرضا ، فيميل نظرًا لهم ، وبرًا بهم ، وتعطفًا عليهم ، إلى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيتَ الله الحرام ، وسلب تجارهم رزقَ الله الحلال ؛ وأما الآخر فإنه يوجه إليهم ، ثم تعتد له الحُجَّةَ عليهم بإعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ، فإذا سمحت الفِرَقُ بقراباتها له ، وجَنَحَ أهل النواحي بأعتاقهم نحوه ، فأصنعت إليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصَدَ لأول ناحية بَحَثَ<sup>(١)</sup> بطاعتها ، وألقت بأزمئتها ، فألبسها جَنَاحَ نعمته ، وأزّلها ظِلَّ كرامته ، وخصّها بمُعْظِمِ حَبائمه<sup>(٢)</sup> ، ثم عمّ الجماعة بِالْمَعْدِلَةِ ، وتمطّف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فِرقة قاصية ، إلا دخلت عليها بركته ، ووصلت إليها منفعتُه ، فأغنى فقيرها ، وجَبَرَ كسيرها ، ورفع وضيعها ، وزاد رقيقها ، ما خلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتسميهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وثبُطِي عن إجابته ، وتتناقل عن حقه ، فتكون آخر مَنْ يَبْعَثُ ، وأَبْطَأ مَنْ يَوْجُهْ ، فيصطلي عليها مَوْجِدَةٌ ، ويتنفى لها عِلَّةٌ ، لا يلبث يَجِدُ<sup>(٣)</sup> بحقٍ يلزمهم ، وأمرٌ يجب عليهم ، فتستلحمهم

[١] يجمع بالحق بخوما : أقربه وخضع له . [٢] عطائه . [٣] ينضب .

الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحرقهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ، ويضيقهم التبع ، حتى يخرب البلاد ، ويؤتم الأولاد ، وناحية لا يسقط لهم أمانا ، ولا يقبل لهم عهدا ، ولا يجعل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرج جلباب الفتنة ، وربض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادم ، ويطلب هزأهم ، في أجاج البحار ، وقلل الجبال ، وحمل<sup>(١)</sup> الأودية ، ويطون الأرض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أيتام ، وهذا أمر لانعرف له في كتبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا ؛ وأما موسى ولي عهدي ، فهذا أوان توجّهه إلى خراسان ، وحلوله بمجرّجان ، وما قضى الله له من الشخوص إليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبّة ، وله بإذن الله عاقبة من المقام بحيث يُعمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ، ويتضاءب<sup>(٢)</sup> مشرق نوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فن يصحبه من الوزراء ، ويختار له من الناس ؟ » .

## ٦٦ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها المهدي : إن وليّ عهدك أصبح لأمتك ، وأهل ملتك ، علما قد تنفت نحوه أعناقها ، ومدّت سمته أبصارها . وقد كان لقرب داره منك ، ومحلّ جواره لك ، غطل<sup>(٣)</sup> الحال ، غفل الأمر ، واسع المذر . فأما إذا انفرد بنفسه . وخلا بنظره . وصار إلى تديره . فإن من شأن العامة أن تتفقد مخارج رأيه .

[١] الجبل : بطن السيل . [٢] يضرب .

[٣] غطل ( كفرح ) من المال والأدب خلا فهو غطل كغفل وعقل .

وَنُصْنِصِتْ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ ، وَنَسْأَلُ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ ، فِي بَرِّهِ وَبَرَحَتِهِ .  
وإِسْطَاطِهِ <sup>(١)</sup> وَمَعْدَلَتِهِ ، وَتَدْيِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ ، وَوُزَرَاءِهِ وَأَصْحَابِهِ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سَبَقَ  
إِلَيْهِمْ أَغْلِبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْلَكَ الْأُمُورِ بِهِمْ ، وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ ، وَأَشْدَّهَا  
اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ ، وَعُطْفًا لَأَهْوَائِهِمْ . فَلَا يَفْتَنَّا الْمَهْدَى - وَفَقَّهُ اللَّهِ - نَظَرًا لَهُ فِيمَا يَقْوَى  
تَحْمَدُ مَمْلَكَتِهِ ، وَيَسُدُّ أَرْكَانَ وَلايَتِهِ ، وَيَسْتَجْمَعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرِ هُوَ أَزِينُ لِحَالِهِ .  
وَأَظْهَرُ لِحَالِهِ ، وَأَفْضَلُ مَغَبَّةً لَأَمْرِهِ ، وَأَجَلُ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ ، وَأَحْمَدُ حَالًا  
فِي نَفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ . وَأَبْلَغُ فِي  
اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، مِنْ مَرَحَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ . وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَمْرِهِ .  
وَحُبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنَّهُ يَخْتَارُ الْمَهْدَى - وَفَقَّهُ اللَّهِ - مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بِلَدَةٍ .  
وَفَقْهَاءُ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ، وَتَأْنَسُ الرِّعْيَةُ بِهِمْ  
إِذَا وُصِفُوا . ثُمَّ تَسَهَّلَ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ ، وَفُتِحَ بَابُ الْمَعْرُوفِ . كَمَا قَدْ  
كَانَ فُتِحَ لَهُ ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ .

قَالَ الْمَهْدَى : صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ . ثُمَّ بَمَثَ فِي ابْنِهِ مُوسَى ، فَقَالَ :

### ٦٧ - مَقَالُ الْمَهْدَى

« أَيُّ مَبْنَى . إِيَّاكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسَمْتَ وَجْهَ الْعَامَةِ نُصْبًا ، وَلَمَثَى أَعْطَافِ  
الرِّعْيَةِ غَايَةً ، فَحَسَبْتُكَ شَامِلَةً . وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةً ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ  
وِطَاعَتِهِ . فَاحْتَمِلْ مُخْطَطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمَا بِخِلَافِهِمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ . كَأَفِيكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ  
عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَتَرَةً مِنْ رِسلِهِ .

وبقايها من صفوة خلقه ، وخبايا لنصرة حقه ، يحدد حبل الإسلام بدعواهم ، ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، ويتخذ لأوليائه دينه أنصاراً ، وعلى إقامة عدله أعواناً . يسدون الخلل ، ويقيمون الليل ، ويدفعون عن الأرض الفساد ، وأن أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظام بمناصحتهم . ونُدافع ريب الزمان بعرائمهم ، ونزاحم ركن الدهر بيسائرهم ، ومحمداً الأرض إذا أرجف كنفها ، وخوف الأعداء إذا برزت صفحتها ، وحُصُون الرعية إذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات ، أخذت نيران الفتن ، وقسمت دواعي البدع . وأذلت رقاب الجبارين ، ولم ينفكوا كذلك ماجروا مع ربح دولتنا ، وأقاموا في ظل دعوتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التي أعز الله بها ذلتهم ، ورفع بها ضعتهم ، وجعلهم بها أرباباً في أقطار الأرض ، وملوكاً على رقاب العالمين ، بعد لباس الذل ، وقناع الخوف ، وإطباق البلاء ، ومخالفة الأُمى ، وجهد البأس والضر . فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وأثرهم في حدائق نعمتك ، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، ومائة سابقتهم ، وحرمة مناصحتهم ، بالإحسان إليهم ، والتوسعة عليهم ، والإجابة لمحسنهم ، والإقالة لسيئهم .

أي بني ، ثم عليك العامة . فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالإينصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتوثق به في عين رعيتك ، وأجعل عمال المذر وولاء الحبيب مقدمة بين يدي عملك ، ونصفه منك لرعيتك ، وذلك أن تأمر قاضي كل بلد ، وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لأنفسهم رجلاً توليه أمرهم ، وتحمل العدل حاكماً بينه وبينهم ، فإن أحسنهم حدث ، وإن أساء عقيدت.

هؤلاء عمال المذر، وولاء الحجاج، فلا يسقطن عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع من انعقاد السنة المرجفين، وكبت قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا، وبِعْمَرًا حَبْلَكَ متعلقًا، رجلا: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح، والآخرة دين غير منموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العرب، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آدابًا نافعة، وآثارًا باقية، من محاسنك وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك، فستشيريه في حربك، وتدخله في أمرك، فرجل أصبته كذلك، فهو يأوي إلى محلتى، ويرعى في خضرة جناني، ولاندع أن تحتار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار، أقوامًا يكونون جيرانك ومُتَمَارِك، وأهل مشاورتك فيما تُورد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدر، فسر على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلًا يَهْدِي إلى الصواب قلبك، وهاديًا يُنطق بالخير لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد (١).

(العقد الفريد ١ : ٥٧)

[١] ملاحظة: أقول: وهذا يتناقض ما ورد في التاريخ: إذ للروافد أن الهادي توفي في الحرم سنة ١٦٩ وأعقبه الهادي، الذي توفي في ربيع الأول سنة ١٧٠، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى بعد وفاة الهادي والهادي، مع أنه ذكر في سياق خبرها أن الهادي أمر محمد بن الليث بحفظ مراجعهم، وإثبات مقالهم في كتاب، أى أنها كتبت في المجلس الذي حدثت فيه المشاورة. والوارد في التاريخ أيضا أن الهادي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبري ج ١ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة، وبقيت محفوظة لدى كاتبها، حتى نشرت للناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها للجمهور، على أننا نشكك فيها من وجهة أخرى، وذلك لما نراه عليها من مسحة الكتابة الفنية المنسقة .

## ٦٨ — ابن عتبة يعزى المهدي ويهنته

لما تَوَفَّى المنصور دخل ابن عُبَيْة<sup>(١)</sup> مع الخطباء على المهديّ، فسَلَّمَ فقال :  
« أَجَرَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ ، وَبَارَكَ اللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا  
خَلْفَهُ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَهُ ، فَمَا مَصِيبَةُ أَعْظَمَ مِنْ فَقْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا عُقْبَى  
أَفْضَلُ مِنْ وِرَاثَةِ مَقَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاقْبَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ اللهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَةِ ،  
وَأَحْسِبْ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلَ الرِّزْيَةِ » . ( البيان والنبين ٢ : ١٠٣ ، والقدر العريد ٢ : ٣٥ )

## ٦٩ — يعقوب بن داود يستعطف المهدي

لما سَخِطَ المهدي على وزيره يعقوب بن داود<sup>(٢)</sup> أحضره ، فقال : يَا يَعْقُوبُ ، قَالَ:  
لَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَلْبِيَةَ مَكْرُوبٍ لَوْ جِدْتُكَ ، شَرِقِي بِفُصْنِكَ ، قَالَ : « أَلَمْ أَرْفَعْ  
قَدْرَكَ وَأَنْتَ خَامِلٌ ، وَأَسِيرُ ذَكَرَكَ وَأَنْتَ هَامِلٌ ، وَأَلْبَسْتُكَ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى  
وَنِعْمَى مَا لَمْ أَجِدْ عِنْدَكَ طَاقَةَ لِحْمَلِهِ ، وَلَا قِيَامًا بِشُكْرِهِ ؟ فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللهُ تَعَالَى  
أَظْهَرَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ ، وَرَدَّ كَيْدَكَ إِلَيْكَ ! » .

قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُ هَذَا بَتِّيقِنَ وَعِلْمَ فَإِنِّي مُعْتَرِفٌ ، وَإِنْ  
كَانَ بِسَعَايَةِ الْبَاغِينَ ، وَنِعْمَ الْمَعَانِدِينَ ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِأَكْثَرِهَا ، وَأَنَا طَائِفٌ  
بِكُرْمِكَ ، وَعِمِيمُ شَرْفِكَ » .

[١] وفي القدر العريد « أبو الصياح المحدث » .

[٢] وكان للمهدي قد فوض إليه الأمور كلها ، وسلم إليه العواوين ، وقدمه على جميع الناس ، ثم سخط عليه . وسبب ذلك أنه دفع إليه رجلا من العلويين ، وقال له : أحب أن تكلمني أمره ، فلما صار العلوي في يده ، قال له : يا يعقوب تلقى الله بدى ، وأنا ابن علي بن أبي طالب ، وابن فاطمة رضي الله عنها ، وليس لي إليك ذنب ؟ فرق له ، وخلق سيده ، ونعى الجبر إلى المهدي ، فأرسل في طلب العلوي حتى ظهر به ، واستدعى يعقوب ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله منه أمير المؤمنين ، قال : مات ؟ قال : نعم ، فاستحلته ، وخلف له ، فأخرج إليه العلوي ، فلم يجر جوابا ، فأمر بحبسه في بئر مظلمة ، وما زال محبوسا حتى طفا عنه الرشيد وتوفي سنة ١٨٦ هـ . [٣] أي أظن عليك .

فَقَالَ : لَوْلَا الْحِنْثُ<sup>(١)</sup> فِي دَمِكَ لَأَبْلَسْتُكَ قَيْصًا لَا تَشُدُّ عَلَيْهِ أَزْرَارًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ ، فَتَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ : « الْوَفَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ ، وَالْمُودَّةُ رَحِمَ ، وَمَا عَلَى الْعَفْوِ نَدَمٌ ، وَأَنْتَ بِالْعَفْوِ جَدِيرٌ ، وَبِالْحَاسَنِ خَلِيقٌ » ، فَأَقَامَ فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُ الرَّشِيدُ . ( زمر الآداب ٣ : ٢٠٧ )

## ٧٠ - رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي

وَقَدَّمَ عَلَى الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، فَقَالَ : « أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ نَأْيُنَا عَنْ الْعَرَبِ ، وَشَغَلَتْنَا الْحُرُوبُ عَنْ الْخُطْبِ ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ طَاعَتَنَا ، وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتُنَا ، فَيَكْتَفِي مِنَّا بِالْيَسِيرِ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ ، دُونَ التَّفْسِيرِ » ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : أَنْتَ أَخْطَبُ مِنْ سَمِعْتَهُ . ( الصناعتين ص ٤٠ )

## ٧١ - مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دَخَلَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : تَكَلِّمْ ، فَقَالَ :

« إِنَّهُ لِمَا سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّجَ عَلَيَّ غَيْرُنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ، قُنَّا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَظْهَرُ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكَثْمَانِ ، وَلَا سِيَّامَا حِينَ اتَّسَمَتْ بِمِسْمِ التَّوَاضُعِ ، وَوَعَدَتْ اللَّهُ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِثَارَ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهِ ، فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّحْيِصِ ، لِيَتِمَّ مُؤَدِّيْنَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَقَابِلُنَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ ، أَوْ يَزِيدَنَا تَحْيِصُ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السُّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَيُحْمَلُنَا حِلْيَةُ

[١] فِي الْأَصْلِ « الْمَسْبُ » وَارَى أَنَّهَا مَعْرُوفَةٌ مِنْ « الْحِنْثِ » وَهُوَ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ وَالْإِثْمُ .

الكذابين ، فقد كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « من حَبَّبَ الله عنه العِلْمَ ، عَذَّبَهُ على الجهل ، وأشدَّ منه عذاباً مَنْ أُقْبِلَ إليه العلم وأدْبَرَ عنه ، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يَعْمَلْ به ، فقد رَغِبَ عن هدية الله وقصَّرها ، فاقْبَلْ ما أهدى الله إليك من السننَا ، قبولَ تحقيق وعمل ، لا قبولَ مُنْعَةٍ ورياء ، فإنه لا يَمْدَمُك منا إعلامٌ لِمَا تَجْهَلُ ، أو مُوَاطَاةٌ على ما تَعْلَمُ ، أو تذكير لك من غفلةٍ ، فقد وَطَّنَ الله عزَّ وجلَّ نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها ، تعزيةً عما فات ، وتحصيناً من التماذى ، ودلالة على المخرج ، فقال : « وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » فَأَطْلَعَ الله على قلبك ، بما ينورُ الله به القلوبَ ، من إثارة الحق ، ومنايذة الأهواء فإنك إن لم تفعل ذلك ، يُرْ أَتْرُكْ وَأَتْرُكُ الله عليك فيه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

( العقد الفريد ١ : ٣٠٣ ، وعبود الأخبار ٢ : ص ٣٣٣ ، والبيان والبيان ٢ : ١٨١ )

## ٧٢ — عظة شبيب بن شيبه للمهدى

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ <sup>(١)</sup> للمهدى : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْأَقْسَامَ فِي الدُّنْيَا ، جَمَلَ لَكَ أَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْآخِرَةِ ، إِلَّا مِثْلَ مَا رَضِيَ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، فَأَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَمَلِكُمْ نَزَلَتْ ، وَمِنْكُمْ أُخِذَتْ ، وَإِلَيْكُمْ تُرْجَى » . ( العقد الفريد ١ : ٣٠٧ )

## ٧٣ — خطبته في تعزية المهدي بابتته

لَمَّا مَاتَ الْبَائِقُوقَةُ بِنْتُ الْمُهْدَى ، جَزَعَ عَلَيْهَا جَزَعًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، فَجَلَسَ لِلنَّاسِ يَمْعُزُونَهُ ، وَأَمَرَ أَلَّا يُحْجَبَ عَنْهُ أَحَدٌ ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّعَاذِي ،

[١] هو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو بن الأهم للشمري التميمي وهو ابن عم خالد بن صفوان .



وَأَجْتَهِدُوا فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفِي النَّاسِ مَنْ يَنْتَقِدُ هَذَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، فَاجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا تَعْزِيَةً أَوْجَزَ ، وَلَا أَبْلَغَ ، مِنْ تَعْزِيَةِ شُبَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ :

« أَعْطَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا رُزِّتَ أَجْرًا ، وَأَعَقَبَكَ صَبْرًا ، وَلَا أَجْهَدَ اللَّهُ بِلَاءَكَ بِنِقْمَةٍ ، وَلَا تَزِعُ مِنْكَ نِعْمَةً ، ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرُ لَكَ مِنْهَا ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ خَيْرُ لَهَا مِنْكَ ، وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لِاسْبِيلٍ إِلَى رَدِّهِ <sup>(١)</sup> » .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢١ )

#### ٧٤ — خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قِيلَ لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ إِنْ شُبَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ يَسْتَعْمَلُ الْكَلَامَ وَيَسْتَعِدُّ لَهُ ، فَلَوْ أَمَرْتَهُ أَنْ يَصْعَدَ الْمَنْبَرَ فَجَاءَهُ لِرَجُوتٍ أَنْ يَفْتَضَّحَ ، فَأَمَرَ رَسُولًا فَاخُذْ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمْ يَفَارِقْهُ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَّ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَلَا إِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْبَاهًا أَرْبَعَةً : الْأَسَدَ الْخَادِرَ <sup>(٢)</sup> ، وَالْبَحْرَ الزَّاخِرَ ، وَالْقَمَرَ الْبَاهِرَ ، وَالرِّبْعَ النَّاضِرَ ؛ فَأَمَّا الْأَسَدُ الْخَادِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ صَوْلَتُهُ وَمَضَاهُ ؛ وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّاخِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ جُودُهُ وَعَطَاهُ ؛ وَأَمَّا الْقَمَرُ الْبَاهِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورُهُ وَضِيَاءُهُ ؛ وَأَمَّا الرِّبْعُ النَّاضِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ مُحْسَنُهُ وَبِهَاءُهُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :  
وَمَوْقِفٍ مِثْلَ حَدِّ السِّيفِ قَتُّهُ بِهِ      أَتَحِيَّ النَّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ <sup>(٣)</sup>  
فَبِأَزَلِّقْتُ ، وَمَا أَلْقَيْتُ كَاذِبَةً      إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أُمْتَالِهِ زَلِقُوا

( العقد الفريد ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٣٨ ، زهر الآداب ٣ : ٢٠٩ )

[١] رَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ أَنَّ شَيْبَةَ هَزَى بِهَذَا الْفَعْلَ الْمَنْصُورَ عَلَى أَخِيهِ أَبِي الْيَاسِ (العقد الفريد ٢ : ٣٥٠).

[٢] الْخَادِرُ : أَجَةُ الْأَسَدِ وَمِنْهُ يُقَالُ أَسَدٌ خَادِرٌ ، وَأَخْدَرَ الْأَسَدَ لَزِمَ الْأَجَةَ . وَأَخْدَرَ الْعَرِينِ الْأَسَدَ :

سَتَرَهُ فَهُوَ مَخْدَرٌ بِكَرِّ الْعَالِ وَتَحَمُّهَا . [٣] النمار : ما تحب حمايته .

## ٧٥ - كلمات لشبيب بن شبية

وقال شبيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على المروءة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في الثروة ، وصلة في المجلس » .

وقال للمهدى يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ، ما أراك في أيك » . ( البيان والنبين ١ : ١٩٠ )

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قاتل : كيف رأيت الناس ؟ قال : « رأيت الداخل راجعاً ، والخارج راضياً » .

( البيان والنبين ١ : ١٩٠ ، وزهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

## ٧٦ - خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبري قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى الهادي ، أخرج هزيمة بن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأقدمه للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد ابن برمك - وكان محبوباً - وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد في تلك الليلة <sup>(١)</sup> ، فحضر يحيى ، وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداة تلك الليلة وحضر القواد ، قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله بمنته ولطفه ، من عليكم معاشراً أهل بيت نبيه ، بيت الخلافة ،

[١] وكان الهادي يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويخلع أخاه هرون . وسعى إلى الهادي يحيى ابن خالد ، وقيل له إنه ليس عليك من هرون خلاف ، وإنما يقصد يحيى بن خالد ، فأغضب ذلك موسى الهادي على يحيى وأمر بحبه .

وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانِ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نِعْمِهِ  
الَّتِي لَا تُحْصَى بِالْعَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَأَيَّادِهِ الثَّامَةِ ، أَنْ جَمَعَ الْفَتْحُ ،  
وَأَعْلَى أَمْرِكُمْ ، وَشَدَّ عَضْدَكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوَكُمْ ، وَأَظْهَرَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، وَكَتَمَ أَوَّلَى  
بِهَا وَأَهْلَهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُتِمَ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ الْمُرْتَضَى ،  
وَالَّذَابِينَ بِسَيْفِهِ الْمُنْتَضَى ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِكُمْ اسْتَنْقَذَ  
مِنْ أَيْدِي الظُّلْمَةِ أُمَّةَ الْجَوْرِ ، وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدَّمَ الْحَرَامَ ،  
وَالْأَكْلِينَ النَّيِّءَ ، وَالْمُسْتَائِرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ،  
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغْيَرُوا فَيَغْيَرَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ اسْتَأْثَرَ بِخَلِيفَتِهِ مُوسَى الْهَادِي  
الْإِمَامَ ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ وَشِيدًا مَرْضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رَءُوفًا رَحِيمًا ،  
مِنْ مُحْسِنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسِيئِكُمْ بِالْغَفْوِ عَطُوفًا ، وَهُوَ أَمْتَعُ اللَّهِ بِالنِّعْمَةِ ، وَحَفِظَ  
لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ،  
يَعِدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ الرَّأْفَةَ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةَ لَكُمْ ، وَقَدَّمَ أَعْطِيَاتِكُمْ فِيكُمْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ،  
وَيَبْتَذِلُ لَكُمْ مِنَ الْجَائِزَةِ ، مِمَّا آفَأَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي يَوْتِ الْمَالِ مَا يَنْوِبُ عَنْ  
رِزْقِ كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، غَيْرَ مُقَاضٍ لَكُمْ بِذَلِكَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَعْطِيَاتِكُمْ ،  
وَحَامِلًا بَاقِيَ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرِيمِكُمْ ، وَمَا لَعَلَّهُ أَنْ يَخْدُثَ فِي النُّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ  
مِنْ الْعَصَاةِ الْمَارِقِينَ ، إِلَى يَوْتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَعُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِهَاتِهَا <sup>(١)</sup>  
وَكَثُرَتْهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدُّوا شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ  
الزَّيْدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ  
عَلَيْكُمْ ، أَيُّدُهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النِّعْمَاءِ ،

لعلكم ترحمون ، وأعطوا صَفَقَةَ إيمانكم ، وقوموا إلى بيعتكم ، حاطكم الله وناء عليكم ، وأصلح بكم وعلى أيديكم ، وتولاكم ولاية عِباده الصالحين .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٤٨ )

## ٧٧ - خطبة هرون الرشيد (توفي سنة ١٩٣ هـ)

« الحمد لله حمدَه على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصرُه على أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، وتوكل عليه ، مفوضين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بمثه على قِترَةٍ من الرسل ، ودُرُوسٍ <sup>(١)</sup> من العلم ، وإدبارٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرة ، بشيراً بالنعيم المقيم ، ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله ، فأدّى عن الله وعده ووعدِهِ ، حتى أتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفيرَ السيئات ، وتضييفَ الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاةً من النار ، وأحذركم يوماً تشخص <sup>(٢)</sup> فيه الأبصار ، وتعلن فيه الأسرار ، يوم البعث ، ويوم التنازع <sup>(٣)</sup> ، ويوم التلاق ، ويوم التناد ، يوم لا يُستعْتَب من سيئة ، ولا يُزَاد من حسنة ، يوم الآزفة <sup>(٤)</sup> .

إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِعِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ .

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ <sup>(٥)</sup> وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَأَتَقُوا يَوْمَما تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

[١] دروس : اعاء . [٢] شخص بمره كنع : فتح عليه ، وجعل لا يظفر .

[٣] يوم القيامة ، ومعنى ذلك لأن أهل الجنة اثنين في أهل النار بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا .

[٤] القيامة ، من أرف كفرح : دعا وقرب . [٥] بملاقتها الطر إلى الحرم .

عباد الله : إنكم لم تُخلَقُوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدًى ، حصَّنوا إيمانكم بالأمانة ،  
 ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا  
 زكاة له » . إنكم سَفَرٌ<sup>(١)</sup> مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار  
 بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ،  
 فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهذا له النبيين .  
 قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ  
 يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
 ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرَّت وأزْدَت<sup>(٢)</sup> ، وأوبَقَتْ كثيراً ، حتى  
 أكَذَّبْتَهُمْ منابهاً ، فتناوشوا<sup>(٣)</sup> التوبة من مكان بعيد ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا  
 يَشْتَهُونَ ، فأخبركم ربكم عن المثلثات فيهم ، وصرَّف الآيات ، وضرب الأمثال ،  
 فرغَّب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائمهم بالقرون الخوالى جيلًا فجيلاً ،  
 وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن  
 بين أظهركم ، لا تدفنون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ،  
 وانقطعت بهم الأسباب ، فاستمَّتْهُمْ إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والمقاب ،  
 « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ، إن أحسن  
 الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ  
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ

[١] جاعة المسافرين . [٢] أهلك وكذا أوبقت . [٣] تناولوا .

هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . آمُرُكُمْ بِمَا أُمِرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَاسْتَغْفِرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ . (العقيد الفريد ٢ : ١٤٧)

## ٧٨ — وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

ووصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال :  
« يَا أَهْمَرُ<sup>(١)</sup> ، إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةً نَفْسِهِ ، وَنَمْرَةً قَلْبِهِ ، فَصِيْرٌ يَدُكُ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةٌ ، وَطَاعَتُهُ لَكَ وَاجِبَةٌ ، فَكُنْ لَهُ بِحِثٍّ وَصَعَكٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَقْرَنُ الْقُرْآنَ ، وَعَرَفَهُ الْأَخْبَارَ ، وَرَوَّاهُ الْأَشْعَارَ ، وَعَلَّمَهُ السَّنَنَ ، وَبَصَّرَهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدَائِهِ ، وَامْنَعَهُ مِنَ الضُّحْكِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَائِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَرَفَعْ عَجَائِلِ الْقَوَادِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ ، وَلَا تَمَرَّنْ بِكَ مَدَاعَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فَائِدَةً تُفِيدُهُ إِيَّاهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْزِنَهُ ، فَتُمِيتَ ذِهْنَهُ ، وَلَا تُتَمَعِّنَ فِي مَسَاحَتِهِ ، فَيَسْتَحِلَّ الْفِرَاقَ وَيَأْلَفَهُ ، وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَايَنَةِ ، فَإِنَّ أَبَاهَا فَعْلِيكَ بِالشَّدَةِ وَالْعِلَظَةِ » . (مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٢)

## ٧٩ — خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي ( قتل سنة ١٨٧ هـ )

وهاجت المصيبة بالشَّامَ بين أهلها في عهد الرشيد ( سنة ١٨٠ هـ ) وتفاقم أمرها ، فَاغْتَمَّ لِنَدَاكُ الرَّشِيدِ ، وَعَقَدَ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى عَلَى الشَّامِ ، وَقَالَ لَهُ : إِمَّا أَنْ نَخْرُجَ أَنْتَ أَوْ أَخْرَجَ أَنَا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : بَلْ أَفِيكَ بِنَفْسِي ، فَشَخَّصَ فِي جِلَّةِ الْقَوَادِ الْكُرَاعَ وَالسَّلَاحَ ، فَأَتَاهُمْ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، وَقَتَلَ زَوَاقِلَهُمْ<sup>(٢)</sup> وَالتَّلَصُّصَةَ مِنْهُمْ ، لَمْ يَدْعُ بِهَا رَحْمًا وَلَا فَرَسًا ، فَعَادُوا إِلَى الْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ، وَأَطَاعُوا تِلْكَ النَّائِرَةَ .

[١] هو علي بن المبارك الأحمري صاحب الكافي ، وكان يؤدب الأمين ، وكان مشهوراً بالنحو واتساع لفظه ، ومات سنة ٢٠٦ هـ ، أو سنة ٢٠٧ هـ . انظر ترجمته في «نزهة الألباء في طبقات الأدباء» ص ١٢٥ .  
[٢] الزواويل : المصوص .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه، فقبَّل يديه ورجليه، ثم مَثَلَ بين يديه، فقال :  
 « الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي آتَسَ وَحَشَتِي ، وأجاب دعوتي ، وَرَحِمَ  
 تَضَرُّعِي ، وَأَنَسَأَ <sup>(١)</sup> في أَجَلِي ، حتى أَرَانِي وَجْهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرَمَنِي بِقُرْبِهِ ، وَأَمَتَّنِي  
 عَلَى تَقْبِيلِ يَدِهِ ، وَرَدَّنِي إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِن كُنْتُ لَأَذْكُرُ غَيْبَتِي عَنْهُ ،  
 وَتَخَرُّجِي وَالْمَقَادِيرَ الَّتِي أَزَعَجَتْنِي ، فَأَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بِعَاصِي لِحَقَّتِي ، وَخَطَايَا أَحَاطَتْ  
 بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - لَخِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ  
 عَقْلِي ، إِشْفَاقًا عَلَى قُرْبِكَ ، وَأَسَفًا عَلَى فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَعْجَلَ بِي عَنْ إِذْنِكَ  
 الْإِشْتِيَاقُ إِلَى رُؤْيَيْكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي فِي حَالِ الْغَيْبَةِ ، وَأَمْتَعَنِي بِالْعَافِيَةِ ،  
 وَعَرَفَنِي بِالْإِجَابَةِ ، وَمَسَكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْمَعْصِيَةِ ، فَلَمْ  
 أَشْخَصْ إِلَّا عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدَمْ إِلَّا عَنْ إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ ، وَلَمْ يَخْتَرِمْنِي أَجَلُ  
 دُونِكَ ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَلَا أَعْظَمَ مِنَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ - لَقَدْ عَايَنْتُ مَا لَوْ  
 تُعْرَضُ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا ، لَاخْتَرْتُ عَلَيْهَا قُرْبَكَ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهَا عَوَضًا مِنْ  
 الْمَقَامِ مَعَكَ .

ثم قال له بِعَقِبِ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ :

« إِنَّ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يُثْلِكُ <sup>(٢)</sup> فِي خِلَافَتِكَ ، بِتَدْرِ مَا يَعْلَمُ مِنْ  
 نِيَّتِكَ ، وَيُرِيكَ فِي رِعْيَتِكَ ، غَايَةَ أُمْنِيَّتِكَ ، فَيُصْلِحُ لَكَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيُجْمَعُ  
 أَلْفَتَهُمْ ، وَيَلْمُ شَعَثَهُمْ ، حِفْظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هَذَا لِلتَّمَسُّكِ  
 بِطَاعَتِكَ ، وَالِاعْتِمَاسِ بِحُبْلِ مَرْضَاتِكَ ، وَاللَّهُ الْمُحْمَدُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ مُسْتَحَقُّهُ ،  
 وَفَارَقْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ كَوْرِ الشَّامِ وَهُمْ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ عَلَى

ما قَرِطَ من معصيتهم لك ، متمسكون بحبلك ، نازلون على حُكْمِكَ ، طالبون لِعَفْوِكَ ، واثقون بحُكْمِكَ ، مؤثّلون فضلك ، آمِنون بادرَتِكَ ، حالمهم في اثتلافهم كالحلم كَانَتْ في اختلافهم ، وحالمهم في ألفتهم كالحلم كَانَتْ في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم ، وتغمّده <sup>(١)</sup> لهم ، سابقٌ لِعَذْرَتِهِمْ ، وصلةُ أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدّمٌ عنده لمسألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين لئن كُنْتُ قد شَخَّصْتُ عنهم ، وقد أخذ الله شِرَارهم ، وأطفأ نارهم ، ونفَى مُرَافَهم <sup>(٢)</sup> ، وَأَصْلَحَ دَهْمَهم <sup>(٣)</sup> ، وأولاني الجليلَ فيهم ، ورزقني الاتصارَ منهم ، فاذلك كله : إلاً يبركتك وَيُمْنَكَ وَرِيحَكَ <sup>(٤)</sup> ، ودوامَ دَوْلَتِكَ السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك ، والله يا أمير المؤمنين ما تقدمتُ إليهم إلا بوصيتك ، وما علمتهم إلا بأمرِكَ ، ولا سِرْتُ فيهم إلا على حَدٍّ ما مثَّلته لى وَرَئِيتَهُ ، ووقفتى عليه ، ووالله ما اتقادوا إلا لِذَعْوَتِكَ ، وَتَوَحُّدِ <sup>(٥)</sup> الله بالصنع لك ، وتخوفهم من سَطَوَتِكَ ، وما كَانَ الذى كَانَ منى ، وإن كُنْتُ قد بذلتُ جُهدى ، وَبَلَفْتُ مجهودى ، قاضيا بعضَ حَقِّكَ علىَّ ، بل ما ازدادت نِعْمَتُكَ علىَّ عِظَمًا ، إِلَّا أَزْدَدْتُ عن شُكْرِكَ عِجْزًا وَضَمَفًا ، وما خَلَقَ الله أَحَدًا من رَعِيَتِكَ ، أَبْعَدَ من أَنْ يُطِيعَ نَفْسَهُ فى قِضَاءِ حَقِّكَ منى ، وما ذلك إِلَّا أَنْ أَكُونَ بِأَذْلًا مُهْجَتى فى طَاعَتِكَ ، وكلٌّ ما يقرب إلى موافَقَتِكَ ، ولكنى أعْرِفُ من أَيْدِيكَ عِنْدَى مَا لَا أعْرِفُ مِثْلَهَا عندَ غَيْرى ، فكيف بِشُكْرِى ! وقد أَصْبَحْتُ وَاحِدًا أَهْلَ دَهْرِى ، فيما صَنَعْتَهُ فى وِئْبى ؟ أَمْ كَيْفَ بِشُكْرِى ! وإنما أَقْوَى على شُكْرِكَ يا كَرَامَكَ

[١] تغمده الله برحمته : غمره بها . [٢] جمع مارق : وهو الخارج المائد .

[٣] الدهماء : جماعة الناس . [٤] قوتك .

[٥] توحده الله تعالى بعيبته : عصمه ولم يكله إلى غيره .



إياي ؟ ، وكيف بشكري ! ولو جعل الله شكري في إحصاء ما أوليتني ، لم يأتِ على ذلك عدِّي ؟ وكيف بشكري ! وأنت كهفي دون كل كهف لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت لا ترضي لي ما أَرْضاه لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت تجدد من نعمتك عندي ما يستغرق كل ما سَكف عندك لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تُسِيني ما تقدم من إحسانك إلي ، بما تُجَدِّده لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تقدمني بطولك على جميع أكفائي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت وليي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت المكرم لي ؟ وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاق له - إذ كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شِقْصٍ<sup>(١)</sup> من عُشر عَشيره - أن يولِّي مكافأتك عني ، بما هو أوسع له وأقدر عليه ، وأن يَقْضِي عَنِّي حَقَّكَ ، وجليل مِتِّكَ ، فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٦٦ )

## ٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشد

روى صاحب العقد قال :

« كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى<sup>(٢)</sup> - وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَعْلَبَةَ - أَرْضَعَتْ الرُّشِيدَ مَعَ جَعْفَرٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ رُبِّي فِي حَبْرُهَا ، وَغَذَّى بِرِسْلَمِهَا<sup>(٣)</sup> ، لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ عَنْ مَهْدِهِ ، فَكَانَ الرُّشِيدُ يَشَاوِرُهَا مُظْهِراً لِإِكْرَامِهَا ، وَالتَّبَرُّكِ بِرَأْيِهَا ، وَكَانَ آتِي وَهُوَ فِي كِفَائِهَا أَنْ لَا يَحْجُبُهَا ، وَلَا اسْتَشْفَعَتْهُ لِأَحَدٍ إِلَّا

[١] الشقص : السهم والنصيب ، والعشر : جزء من عشرة كالمشار والعشر .

[٢] كان البرامكة قد استأثروا بشئون الدولة وأموالها ، وغلبوا الرشيد على سلطانه ، ولم يكن له مهم تصرف في ملكه ، ولم يبق له من الخلافة إلا رسمها وصورتها - وحديثهم في ذلك طويل ، ليس هاهنا موضعه - فزعم على نكبتهم ، حتى انتهز فرصة رجوعه معهم من الحج سنة ١٨٧ ، فقتل جعفرًا ليلاً في طريقه ، وقبض على يحيى وابنه الفضل وبقية البرامكة ، وحبسهم في سجن الزنادقة إلى أن ماتوا فيه . واستنصق أموالهم وضياعهم . [٣] الرسل : اللبن .

شفعها ، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فكنت ، ومُبتهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجعت ، واحتجب الرشيد بعد قدومه <sup>(١)</sup> ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومثت <sup>(٢)</sup> بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لثامها ، محتفية <sup>(٣)</sup> في مشيها ، حتى صارت بياب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : طُر <sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال : أدخلها يا عبد الملك ، فرب كبد غدتها ، وكربة فرجتها ، وعوزة سترتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية ، قام محتفياً حتى تلقاها بين حمد المجلس ، وأكب على تقبيل رأسها ، ومواضع نذيتها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أبعذو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويخردك <sup>(٥)</sup> بنا البهتان ، وقد ريتك في حجرى ، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ، قالت : طر ك يبحى ، وأبوك بعد إليك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيخته ، وإشفاقه عليه ، وتمرضه للحنف في شأن موسى أخيه <sup>(٦)</sup> ، قال لها : يا أم الرشيد ، أمر

[١] أى من الحج . [٢] توسلت . [٣] احتجى : مضى حلقياً .

[٤] الطائر : الماطلة على ولد غيرها ، للرضعة له ، و الناس وغيرهم ، لذكر ولأثني .

[٥] يفضبك . [٦] قدمنا أن المهدي كان قد اعترم خلق أخيه الرشيد من ولاية العهد ، واستخلاف ابنه جعفر ، وقد سعى إلى المهدي يحيى بن خالد ، وأنه يفسد عليه أخاه الرشيد ، يحبه وهم بقتله ، ويروى أنه قال للمهدي فى خلق الرشيد لما كمل فيه : يا أمير المؤمنين ، إنك إن حلت الناس على نكت الأعيال ، هانت عليهم أعاتهم ، وإن تركتهم على رمة أخيك ، ثم بايت لجفر من بعده كان

سَبَقُ ، وقضاء حُمٍّ <sup>(١)</sup> ، وغضب من الله نَقَذَ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يَحْجُو الله ما يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ <sup>(٢)</sup> » قال : صدقتِ فهذا مما لم يَحْجُو الله ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

« وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيممة لا تنفع <sup>(٣)</sup> »

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيي بتيممة يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول <sup>(٤)</sup> :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل : « وَالكَافِرِينَ الْفَيْضَ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فأطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذب إليه بوجه آخر الدهر ثقبيل

فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتي يمينك فانظر أي كف تبدل <sup>(٥)</sup>

ذلك أركد ليعته « فقال : صدقت ونصحت ، ول في هذا تدبير ، ولما أمر بحبه رفع إليه يحي رقة . إن عندي نصيحة ، فدعها به ، قال : يا أمير المؤمنين ، أخلني ، فأخلاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرايت إن كان الأمر — أسأل الله ألا ينله ، وأن يقدمنا قبله — أنظن أن الناس يسلون الخلالة لجفر ، وهو لم يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وجهم وغزوم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ، أفتأمن أن يسموا إليها أمك ، وجلبهم مثل فلان وفلان ، ويطع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أباك ؟ فقال له : نهيتي يا يحيي « وقال له : لو أن هذا الأمر لم يقد لأخيك ؟ أما كان ينبغي أن تقدمه له ؟ فكيف بأن تحله عنه ، وقد غده الهدى له ؟ ولكن أرى أن تتر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله ، فإذا بلغ جفر وبلغ الله به ، أثبت بالرشيد فلع نفسه ، وكان أول من يبايعه ويطيعه صفقة يده ، قيل قبل المهادي قوله ورأيه وأمر بإطلاقه . [١] حمّ : قدر . [٢] أم الكتاب : أصله ، أو اللوح المحفوظ .

[٣] التام جمع تيممة : وهي الوعدة التي تعلق على الصبي دنماً للعين أو الارض والبيت لأب ، ذؤيب الهذلي .

[٤] هو الأخطل . [٥] هذا البيت والذي قبله من قصيدة لمن بن أوس اللزني مطلقاً :

لمرك ما أدرى ، ولاني لأوجل على أينا تصدو النية أول ؟ .

قال هرون : رضيت ، قالت : فهبّهُ لى يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُوجِده <sup>(١)</sup> الله لِفَقْدِهِ » فأكبّ هرون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : « لله الأئمة من قبلُ ومن بعدُ » قالت يا أمير المؤمنين : « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، واذكر يا أمير المؤمنين أليتك <sup>(٢)</sup> ما استشفعتُ إلا شفعتى . قال : واذكرى يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنباً ، فلما رآته صرّح بمنعها ، ولاذ <sup>(٣)</sup> عن مطلبها ، أخرجت حقاً من زمرّدة <sup>(٤)</sup> خضراء ، فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ فضتحت عنه قفلاً من ذهب ، فأخرجت منه خفضته <sup>(٥)</sup> وذوائبه وثناياه ، قد غمست جميع ذلك فى المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صارمى من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ، ليحيى عبدك ، فأخذ هرون ذلك فليّته ، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً ، وبكى أهل المجلس ، ومرّ البشير إلى يحيى ، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه ، فلما أفاق رى جميع ذلك فى الحق ، وقال لها : لحسن ما حفظت الوديعة ، قالت : وأهل الكفاة أنت يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » قالت : والله يقول : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » ، ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لى به ألا تحببى ولا تمتتنى <sup>(٦)</sup> ؟ قال : أحب يا أم الرشيد

[١] أى يحزنه . [٢] الآية : القسم . [٣] أى لم يجبه . [٤] الرمرد والزمرد بالذال والذال . [٥] خفض الجارية كضرب خفضاً ، وهو كالخناق للسلام ، وقيل : خفض الصبي خنته ، فاستعمل فى الرجل ، والأعراف أن الخفض للراء والخناق للصبي ، يقال للجارية خفضت ، ولغلام خفن . [٦] امتنّه : أبتذله .

أَنْ نَشْتَرِيهِ حَكْمَةً فِيهِ . قَالَتْ : أَنْصَفْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ فَعَلْتَ غَيْرَ مُسْتَقِيلَةٍ لَكَ ، وَلَا رَاجِعَةٍ عَنْكَ . قَالَ : بَكْم ؟ قَالَتْ : بِرِضَاكَ عَمَّنْ لَمْ يُسَخِّطْكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الرِّشِيدِ أَمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ ، وَهَبْتُكَ ، وَجَمَلْتُكَ فِي حَلٍّ مِنْهُ ، وَقَامْتَ عَنْهُ ، وَبَقِيَ مَبْهُوتًا مَا يُحِيرُ <sup>(١)</sup> لَفْظَةً .

( القصد للفريد ٣ : ٢٣ )

### ٨١ — خطبة يزيد بن مزيد الشيباني

لَمَّا رَضِيَ الرِّشِيدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ <sup>(٢)</sup> أَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَهَّلَ لِي سَبِيلَ الْكَرَامَةِ بِلِقَائِكَ ، وَرَدَّ عَلَيَّ النِّعْمَةَ بِوَجْهِ الرِّضَا مِنْكَ ، وَكَشَفَ عَنِّي ضَيَابَةَ الْكَرْبِ بِإِفْضَالِكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِ سُخْطِكَ جَزَاءَ الْحَسَنِينَ الْمَرَاقِينَ ، وَفِي حَالِ رِضَاكَ جَزَاءَ النَّمْعِينَ الْمُتَطَوِّلِينَ ، فَقَدْ جَمَعْتَ اللَّهُ — وَلَهُ الْحَمْدُ — تَبَيَّنَتْ <sup>(٣)</sup> تَحَرُّجًا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَتَمَنَّى تَطَوُّلًا بِالنِّعَمِ ، وَتَسْتَبِقِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ الصَّنَائِعِ <sup>(٤)</sup> تَفْضُلًا بِالْعَفْوِ . »

( القصد للفريد ١ : ١٤١ ، وتاريخ الطبري ١٠ : ١١٧ وزهر الآداب ٢ : ٢٨٧ )

[١] يحمر : يرد . [٢] وذلك أن الوليد بن طريف الشاري خرج في عهد الرشيد بالجزيرة ، واشتدت شوكتهم ، وكثر تبعه سنة ١٧٩ ، فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ، لجميل نخالته وتماكره ، وكانت البرامكة منخرعة عن يزيد ، فأغروا به الرشيد ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم (لأنه شيباني مثله) ، ولأنشوكه البريديسية وهو بواعده ، وينظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب منضبط ، يقول فيه : « لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب ، وأمر المؤمنين يقسم بالله لأن آخرت مناجرة الوليد ، ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين » ثم حمل يزيد على الوليد فقتله وبس برأسه إلى الرشيد ، فلما صرف يزيد بالظفر ، حجب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : « وحق أمير المؤمنين لأصيفن » وأشتون على فرسي أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل ، فلما رآه الرشيد ضحك وسر ، وأقبل يصيح مرحبا بالأعرابي ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه وثقه وصنعه . (راجع أخباره في الأغاني ١١ : ٨ ، وابن خلكان ٢ : ٢٨٣ ، والطبري ١٠ : ٦٥) .

[٣] وفي رواية الطبري « تنيب » . [٤] وفي الطبري : « وتغفو عن السيء » .

## ٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح<sup>(١)</sup> (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ  
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » يا أهل الشام ، إن الله وصف إخوانكم في الدين ،  
وأشباهكم في الأجسام ، فحذرهم نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقال : « وَإِذَا  
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ ،  
يَتَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ الْمَدُّوا فَأَخَذَرُكُمْ ، فَأَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْيُ يُؤَفِّكُوكُمْ ؟ »  
فقاتلكم الله أني تُصْرَفُونَ ؟ جُثَّتْ مَائِلَةٌ ، وقلوب طائفة ، تشبثون<sup>(٢)</sup> الفتن ،  
وتولون الذُبُرَ ، إلا عن حَرَمِ الله ، فإنه دَرَيْتُكُمْ<sup>(٣)</sup> ، وحرَمَ رسوله ، فإنه مَغْزَاكُمْ ،  
أَمْ أَوْحَرُمَةُ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ لَتَنْفِرُنَّ خِفَافًا وَثِقَالًا ، أَوْ لَأَوْسِعَنَّكُمْ إِرْغَامًا وَنِكَالًا .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٦)

## ٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الخاحب : إن أمير المؤمنين  
قد أصيب الليلة بآبن له ، وولد له آخر ، فلما دخل عليه قال : « سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَكَ ، وَلَا سَاءَكَ فِيمَا سَرَّكَ ، وجعل هذه بهذه ، مَثُوبَةٌ عَلَى  
الصَّبْرِ ، وَجَزَاءٌ عَلَى الشُّكْرِ . » (العقد الفريد ٢ : ٢٥)

## ٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَبَ<sup>(١)</sup> لَهُ ابْنُهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » وَكَاتِبُهُ « قُتَيْبَةُ » فَسَمِيَا بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ .  
وقالا له : إنه يطلب الخلافة ، ويطمع فيها ، فأخذه وجبسه عند الفضل بن الربيع  
وذكروا أنه أدخل على الرشيد حين سَخِطَ عليه ، فقال له الرشيد : أَكُفِّرُ

[١] هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولي الرشيد بلاد الجزيرة والشام وغيرها

[٢] تشبثون . [٣] الدرة : الحقة يطرطن والى عليها . [٤] طلاه .

بالنعمه ، وَجُحوداً لِّجَلِيلِ الْمِنَّةِ وَالتَّكْرِيمَةِ ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لقد بُؤْتُ<sup>(١)</sup> إذن بالندم ، وتمرّضتُ لاستحلال النِّقَمِ ، وما ذاك إلا بنى حاسدٍ ، نافَسَنِي فيك مودة القِرابَةِ ، وتقديمِ الْوَلَايَةِ ، إناك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أُمّتِهِ ، وأمينه على عِثَرَتِهِ ، لك عليها فرضُ الطّاعَةِ وأداءُ النّصيحةِ ، ولها عليك المدلُّ في حُكْمِها ، والتّثبتُ في حَادِثِها ، والعُفْرانُ لذُنُوبِها » ، فقال له الرّشيدُ : « أَتَضَعُ لِي من لسانك ، وترفعُ لِي من جَنانِكَ ؟ هذا كَأَثْبُكُ قامةً ، يُخْبِرُ بِغَلْكَ ، وفسادِ نيتِكَ ، فاستمعْ كلامه » ، فقال عبد الملك : « أعطاك ما ليس في عَقْدِهِ<sup>(٢)</sup> ، ولعله لا يقدر أن يَعْضَمَنِي<sup>(٣)</sup> ولا يَبْهَتَنِي بما لم يَعْرِفْهُ مِنِّي » ، وَأَحْضِرَ قامةً ، فقال له الرّشيدُ : تكلم غيرِ هائبٍ ولا خائفٍ ، قال : « أقولُ إنّه عازمٌ على النّدرِ بك والخِلافِ عليك » ، فقال عبد الملك : أهو كذلك يا قامة ؟ قال قامة : نعم ، لقد أردتُ خَتْلَ<sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : « كيف لا يكذبُ على من خلق ، وهو يَبْهَتَنِي في وجهي » ؟ فقال له الرّشيدُ : « وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بِمُتَوَكِّ ، وفسادِ نيتِكَ ، ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك بِحُجَّةٍ لم أجد أعدلَ من هذين لك ، فَمِمَّ تدفعهما عنك ؟ » ، فقال عبد الملك : « هو مأمورٌ ، أو عاقٌّ بعبورٍ ، فإن كَانَ مأموراً : فَعَدُورٌ ، وإن كَانَ عاقّاً : ففاجرٌ كفورٌ ، أخبر الله عزَّ وجلَّ بمداوته ، وحذّر منه بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ، فهض الرّشيد وهو يقول : « أَمَا أُنْزِكُ فَقَدْ وَضَحَ ، ولكني لا أَعْجَلُ حتى أعلم الذي يُرْضِي الله فيك ، فإنّه الحُكْمُ بيني

[١] رجعت . [٢] أى ما يستقدمه . [٣] عضه كعض : كذب وتمّ ، وعضه فلانا : بهته وقال

فيه ما لم يكن . [٤] خطه : خدمه .

وِينتِكَ » ، فقال عبد الملك : « رَضِيتُ بِاللَّهِ حَكَمًا ، وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَاكِمًا  
فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يُؤْتِرُ كِتَابَ اللَّهِ عَلَى هَوَاهُ ، وَأَمَرَ اللَّهُ عَلَى رِضَاهُ » .

\* \*

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَلَسَ مَجْلِسًا آخَرَ ، فَسَلَّمَ لَمَّا دَخَلَ ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ  
عَبْدُ الْمَلِكِ : لَيْسَ هَذَا يَوْمًا أَحْتِجُّ فِيهِ ، وَلَا أَجَادِبُ مَنَازِعًا وَخَصْمًا . قَالَ : وَلَمْ ؟  
قَالَ : لِأَنَّ أَوَّلَهُ جَرَى عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ ، فَأَنَا أَخَافُ آخِرَهُ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ :  
لَمْ تُرِدْ عَلَى السَّلَامِ ، أَنْصِفْ نَصْفَةَ الْعَوَامِّ ، قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ اقْتِدَاءً بِالسُّنَّةِ ،  
وإِثَارًا لِلْعَدْلِ ، وَاسْتِعْمَالًا لِلتَّحِيَّةِ ، ثُمَّ التَفْتُ نَحْوَ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ :  
وَهُوَ يَخَاطَبُ بِكَلَامِهِ عَبْدَ الْمَلِكِ :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ  
ثُمَّ قَالَ : « أَمَا وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى شَوْبِ بَوْبِهَا <sup>(١)</sup> قَدْ جَمَعَ ، وَعَارِضِهَا <sup>(٢)</sup> قَدْ لَمَعَ ،  
وَكَأَنِّي بِالْوَعِيدِ قَدْ أَوْزَى نَارًا تَسْطَعُ ، فَأَقْلَعُ عَنْ بَرَاجِمِ <sup>(٣)</sup> بِلَا مَعَاصِمِ ، وَرَدَّ وَسِي  
بِلَا غَلَاصِمِ <sup>(٤)</sup> فَهَلَا مَهْلًا ، فَبِي وَاللَّهِ مَهْلٌ لَكُمْ أَوْ غَرٌّ ، وَصَفَا لَكُمْ الْكَدِرُ ،  
وَأَلْقَتْ إِلَيْكُمْ الْأُمُورُ أَثْنَاءَ <sup>(٥)</sup> أَزِمَتِهَا ، فَتَذَارِ لَكُمْ نَذَارٍ قَبْلَ حُلُولِ دَاهِيَةِ خَبُوطِ  
بَالِيدٍ ، لَبُوطِ <sup>(٦)</sup> بِالرَّجُلِ » . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : « اتَّقِ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا وَلَاكَ ،  
وَفِي رَعِيَّتِهِ الَّتِي اسْتَرْعَاكَ ، وَلَا تَجْمَلَ الْكُفْرَ مَكَانَ الشُّكْرِ ، وَلَا الْعِقَابَ مَوْضِعَ

[١] الْفُؤُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ ، وَهَجْعٌ : سَالٌ وَاصِبٌ .

[٢] الْمَارِضُ : السَّحَابُ لِلْمَرَضِ فِي الْأَفْنَى ، وَالضَّيْبُ لِلْفِتْنَةِ الْمَشْهُومَةِ مِنْ سِيَاقِ الْحَدِيثِ .

[٣] جَمْعُ بَرَجَةٍ كَقَفْصَةٍ : وَهِيَ مَقَاصِلُ الْأَصَابِعِ ، أَوْ ظُهُرُ الْقَصَبِ مِنَ الْأَصَابِعِ ، وَالْمَعَاصِمُ جَمْعُ مَعَصِمٍ  
كَبِيرٍ وَهُوَ مَوْضِعُ الْمَوَارِ أَوْ الْيَدِ . [٤] جَمْعُ عَلَصِمَةٍ بِالْفَتْحِ وَهِيَ رَأْسُ الْمَقْفُومِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْبَاقِي فِي

الْحَقْنِ . [٥] أَثْنَاءَ الْفِيءِ وَثَنَانِيهِ طَاقَاتُهُ ، وَاحِدُهُمَا تَيْ كَمَلٍ وَثَنَةٌ يَجْتَمِعُ الْيَمُّ وَكُرْمَا .

[٦] لَبُطٌ بِهَ الْأَرْضُ ضَرْبٌ ، وَلَبُطُ الْبَحْرِ كَضَرْبٍ : يَلْبُطُ يَدُهُ وَهُوَ يَدِيرُ .



الثواب ، فقد نَحَلْتُ لك النصيحةَ ، وَحَضْتُ <sup>(١)</sup> لك الطاعة ، وَشَدَدْتُ أَوَاحِي <sup>(٢)</sup> مملكتك بأقل من رُكْنِي يَلَمُّ <sup>(٣)</sup> ، وَتَرَكْتُ عِدْوَكِ مُشْتَغِلًا <sup>(٤)</sup> ، فَاللهُ اللهُ فِي ذِي رَحِمِكَ أَنْ تَقْطَعَهُ - بعد أن بَلَغَتْهُ <sup>(٥)</sup> - بِظَنِّ أَفْصَحِ الْكِتَابِ لِي بِمَعْصِيهِ <sup>(٦)</sup> ، أَوْ يَبْنِي بَاغَ يَنْهَسَ <sup>(٧)</sup> اللَّحْمَ ، وَيَالِغُ <sup>(٨)</sup> الدَّمَ ، فَقَدْ والله سَهَّلْتَ لك الْوَعُورَ ، وَذَلَّلْتَ لك الْأُمُورَ ، وَجَمَعْتَ عَلَى طَاعَتِكَ الْقُلُوبَ فِي الصَّدُورِ ، فَمَنْ مِنْ لَيْلٍ تِمَامٍ <sup>(٩)</sup> فِيكَ كَأَبْدُثُهُ ، وَمَقَامِ صَيِّقٍ لَكَ قُتْمُهُ ، كُنْتَ فِيهِ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي جَعْفَرِ ابْنِ كَلَابِ :

وَمَقَامِ صَيِّقٍ فَرَجَّتْهُ يَبْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلْ  
لَوْ يَقُومُ الْفَيْلُ أَوْ فَيَّالَهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلَ <sup>(١٠)</sup>

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : « أَمَا وَالله لَوْلَا الْإِبْقَاءُ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ لَضَرَبْتَ عُنُقَكَ » .

وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْمَلِكِ مَحْبُوسًا حَتَّى تُوُفِيَ الرَّشِيدُ ، فَأُطْلِقَهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ وَعَقَدَ لَهُ

عَلَى الشَّامِ <sup>(١١)</sup> . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والقصد الفريد ١ : ١٤٣ ،  
والكمال لابن الأثير ٦ : ٧٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٣ )

[١] أُلْخِصَتْ . [٢] جَمْعُ أَخِيَّةٍ وَتَشَدُّدٌ : عُرْوَةٌ تُرْبِطُ إِلَى وَتَدُّ مَدْقُوقٍ وَتَشَدُّ فِيهَا الْعَابَةُ ، وَأُخِيتَ لِلْعَابَةِ تَأَخِيَّةٌ : صَنَعْتَ لَهَا أَخِيَّةً وَرَبَطْتَهَا بِهَا . [٣] يَلْمُ أَوْ اللَّيْمُ أَوْ يَرْمُ : مِيقَاتُ الْيَمِينِ : جِيلٌ عَلَى مِرْحَلَتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ . [٤] وَفِي رِوَايَةِ الْقَدِّ : « وَتَرَكْتُ عِدْوَكِ سَبِيلًا تَتَلَوَّرُهُ الْأَعْدَامُ » . [٥] بَلَّتْ فَلَانًا : لَزِمَتْهُ . [٦] الْعَضَةُ بِسُكُونِ الضَّادِ وَفَتْحِهَا : الْكَذِبُ وَالنَّمِيَّةُ . [٧] نَهَسَ الْبَحْمُ كَنَعَ وَسَمِعَ : أَخَذَهُ بِمَقْدَمِ أَسْنَانِهِ وَنَغَضَهُ . [٨] وَلِغِ الْكَلْبِ فِي الْإِنَاءِ وَمِنْهُ وَهْ يَلِغُ كَيْبٌ وَيَالِغُ : عَرَبٌ مَا فِيهِ بِأَطْرَافِ لِسَانِهِ ، أَوْ أَدْخَلَ لِسَانَهُ فِيهِ لِحْرَكَةٍ . [٩] لَيْلُ الْقَتَامِ أَطْوَلُ لَيَالِي الشِّتَاءِ . [١٠] زَحَلَ مِنْ مَقَامِهِ : زَالَ كَتَرَحُولٍ . [١١] وَقَدْ جُعِلَ لِلْأَمِينِ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ : لَنْ يُقْتَلَ وَهُوَ حَيٌّ ، لَا يُعْطَى لِلْأُمُومِ طَاعَةٌ أَبَدًا ، فَاتَّ قَبْلَ قَتْلِ الْأَمِينِ ، فَدُفِنَ فِي دَارٍ مِنْ دُورِ الْإِمَارَةِ ، فَلَمَّا خَرَجَ الْأُمُومُ يَرِيدُ الرُّومَ أُرْسِلَ إِلَى ابْنِ لَهُ : حَوْلَ أَبَاكَ نَهْنِ دَارِي ، فَنَبِشْتَ عِظَامَهُ وَحَوَّلْتَ .

٨٥ - قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله به قال :  
 « والله إن الملك لشيء ما نَوَيْتُهُ ، ولا تَمَنَيْتُهُ ، ولا نَصَبْتُ لَهُ ولا أَرَدْتُهُ ،  
 ولو أَرَدْتُهُ لكَانَ إِلَيَّ أَسْرَعُ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْحَدُورِ » ، ومن النار إلى يَتَسَّ الْعَرْفَجِ <sup>(١)</sup> ،  
 وإني لما خُذْتُ بِمَا لَمْ أَجْنِ ، ومُسْتَوِلٌ عَمَّا لَا أَعْرِفُ ، ولكنه حين رَأَى لِلْمَلِكِ قَيْنَا <sup>(٢)</sup> ،  
 وللخِلافة خَطِيرَا <sup>(٣)</sup> ، ورَأَى لِي يَدَا تَنَالُهَا إِذَا مُدَّتْ ، وتَبْلُغُهَا إِذَا بُسِطَتْ ، ونَفْسًا  
 تَكْمُلُ لِحِصَالِهَا ، وتَسْتَحِقُّهَا بِفِعَالِهَا ، وإن كُنْتُ لَمْ أَخْتَرْ تِلْكَ الْخِصَالَ ، ولم  
 أَصْطَفِ تِلْكَ الْفِعَالَ ، ولم أَرْتَشَّ لَهَا فِي السَّرِّ ، ولا أَثَرْتُ إِلَيْهَا فِي الْجَهْرِ ، ورَأَاهَا  
 تَحِيُّنًا إِلَى حَيْنِ الْوَالِدَةِ الْوَالِهَةِ ، وَتَمِيلُ إِلَى مَيْلِ الْمَلُوكِ <sup>(٤)</sup> ، وخاف أن تَرْغَبَ إِلَيَّ  
 خَيْرَ مَرْغَبٍ ، وَتَنْزِعَ إِلَى أَخْصَبِ مَنَزِعٍ ، فَاقْبَنِي عِقَابَ مَنْ سَبَّهِ فِي طَلِبِهَا ،  
 وَجَهَّدَ فِي التَّمَسُّكِ بِهَا ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا حَبَسَنِي عَلَى أُنَى أَصْلَحَ لَهَا وَتَصْلُحَ لِي ، وَالْيَقِي  
 بِهَا وَتَلِيْقَ بِي ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِذَنْبٍ جَنَيْتُهُ فَاتُوبَ مِنْهُ ، ولا تَطَاوَلْتُ لَهُ فَأَحْطُ  
 قَسَى عَنْهُ ، وإن زَعَمَ أَنَّهُ لَا صَرْفَ لِعِقَابِهِ ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ ، إِلَّا بَأْنِ أَخْرِجَ  
 لَهُ مِنْ جِدِّ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحَزْمِ ، فَكَمَا لَا يَسْتَطِيعُ الْمِضْيَاعُ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا ، كَذَلِكَ  
 لَا يَسْتَطِيعُ الْعَاقِلُ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ أَقَابَنِي عَلَى عِلْمِي وَحِلْمِي ، أَمْ  
 عَاقِبَنِي نَسْبِي وَسِنِّي ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ عَاقِبَنِي عَلَى جَمَالِي ، أَمْ عَاقِبَنِي عَلَى حُبِّهِ النَّاسِ لِي ،  
 وَلَوْ أَرَدْتَهَا لَأَتَمَّجَتْنِي عَنْ التَّفَكِيرِ ، وَشَغَلَتْنِي عَنْ التَّدْيِيرِ ، وَلَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْخَطْبِ

( القد الفريد : ١ : ١٤٣ )

إلا اليسير .

[١] المكان النحدر . [٢] شجر . [٣] جديرا . [٤] عظيم الدر .

[٥] العاجرة اللطافة على الرجال .

## ٨٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنه قتال :

« أَيْ بَنِي أَهْلِي ، فَإِنْ مِنْ حَلَمٍ سَادَ ، وَمِنْ تَفَهَّمٍ أَزْدَادَ ، وَأَتَى أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِنْ لَقَاءَ هُمْ عِمَارَةً لِلْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَحْ بِكَ مَطِيَّةَ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْتَبَكَ <sup>(١)</sup> ، وَالصَّاحِبُ الْمُنَاسِبُ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعِصِمُ الْقَلْبَ ، الْمِزَاجُ يُوْرِثُ الضَّغْنَانِ ، وَحَسَنُ التَّدْيِيرِ مَعَ الْكَفَافِ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ ، وَالْاِقْتِصَادُ يُثَمِّرُ <sup>(٢)</sup> الْقَلِيلَ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ <sup>(٣)</sup> الْكَثِيرَ ، وَنِعْمَ الْحِطُّ الْقِنَاعَةُ ، وَشَرُّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ ، وَمَا كُلُّ عَوَازَةٍ تُصَابُ ، وَرَبَّمَا أَبْصَرَ الْعَمِيَّ رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأَ الْبَصِيرَ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعِفَّةُ مَعَ الْحِرْفَةِ <sup>(٤)</sup> خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ ، أَرْفُقْ فِي الطَّلَبِ ، وَأَجْمَلْ فِي الْمَكْسَبِ ، فَإِنَّ رَبَّ طَلَبٍ ، قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ <sup>(٥)</sup> ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ <sup>(٦)</sup> ، وَلَا كُلُّ مُلِحٍّ بِمُجْتَاجٍ ، وَالْمَغْبُونُ مِنْ غَيْرِنِ نَصِيْبُهُ مِنَ اللَّهِ ، عَاتِبٌ مِنْ رَجَوْتِ عُتْبَاهِ ، وَفَاكِهٌ مِنْ أَمْنَتِ بِلَوَاهِ ، لَا تَكُنْ مِضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَلَا مَشَاهِدًا إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ ، كَانَ أَنْعَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرُنَ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظُلْمِكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَعَى فِي مُضْرَتِهِ وَتَفْعُكَ ، وَعَوْدُ نَفْسِكَ السَّلَاحَ ، وَتُخَيَّرُ لَهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ ، فَإِنْ الْخَيْرُ عَادَةُ ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ ، وَالصُّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّعَلُّلُ آيَةُ الْبَخْلِ ، وَمَنِ الْفِقْهُ كِتْمَانُ السِّرِّ ، وَلِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ ، وَطَوْلُ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ ، وَالْقِنَاعَةُ رَاحَةُ الْأَبْدَانِ ، وَالشَّرَفُ الثَّقْوَى ، وَالْبَلَاجَةُ مَعْرِفَةُ رَتَقِ الْكَلَامِ وَفَتْقُهُ ، بِالْعَقْلِ تُسْتَخْرَجُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِلْمِ

[١] أَعْتَبَهُ : أَعْطَاهُ الْعَمِيَّ أَيْ الرِّضَا . [٢] يَبْنِي وَيَكْثُرُ . [٣] يَهْطُكُ .

[٤] الْحَرَمَانُ . [٥] حَرَبُهُ حَرَابًا كَقُلُوبِهِ : سَلَبَ مَالَهُ . [٦] أَمْجَحُ : صُلِدَ فَانْجَحَ .

يستخرج غَوْرَ العقل ، ومن شَمَّرَ في الأمور ، ركب البحور ، شر القول ما تَقَصَّ  
بمضه مضاً ، وَمَنْ سَعَى بالخميلة حَذَرَه البعيد ، وَمَقَّتَه القريب . من أطال النظر  
بإرادة تامة أدرك الغاية ، ومن تَوَانَى في نفسه ضاع ، من أسرف في الأمور  
انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، واللَّجَاجَةُ تورث الضياع للأمر ، غِيبُ  
الأدب أحمد من ابتدائه ، مُبَادِرَةُ الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يُقْصِبُ  
النبي ، لَا تُحَدِّثُ من لَا يُقْبَلُ بوجهه عليك ، وَلَا تُنْصِتُ لمن لَا يَنْبَغِي <sup>(١)</sup> بحديثه  
إليك ، البلادة للرجل هُجْنَةٌ ، قَلَّ مَالِكٌ إِلَّا اسْتَأْثَرَ ، وَقَلَّ عَاجِزٌ إِلَّا تَأَخَّرَ ،  
الإحجام عن الأمور يُورث العجز ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الخط ، سوء  
الطَّعْمَةُ <sup>(٢)</sup> يَفْسِدُ العِرْضَ ، وَيُخْلِقُ الوجه ، وَيَمَحِّقُ الدين ، الهيبة قرين الحرمان ،  
والجسارة قرين الظفر ، وَفِيكَ من أنصفك ، وأخوك من عائبك ، وشريكك  
من وفَى لك ، وَصَفِيكَ من آثَرَكَ ، أَعْدَى الأَعْدَاءِ العقوقُ ، اتِّبَاعُ الشهوة  
يُورث الندامة ، وَفَوْتُ الفُرْصَةِ يورث الحسرة ، جميع أركان الأدب التَّائِي لِلرَّفِيقِ ،  
أَكْرَمَ نفسك عن كل دنية ، وإن ساقطك إلى الرغائب ، فإنك لَا تجد به  
تبذُلَ من دينك ونفسك عَوْصًا ، لَا تَسَاعِدُ <sup>(٣)</sup> النساءَ فَيَمْلِكَنَّكَ ، واستبق من  
نفسك بقية ، فإنهم أن يرين أنك ذو اقتدار ، خيرٌ من أن يطلعن منك على  
انكسار ، لَا تَمْلِكِ المرأةُ الشفاعةَ لغيرها ، فتميل من شفعت لها عليك معها ، أم  
بني ، إني قد اخترت لك الوصية ، ومحضتك النصيحة ، وأديت الحق إلى الله و  
تأديتك ، فَلَا تُنْفِلَنَّ الأخذَ بأحسنها ، والعملَ بها ، والله موفِّقك .

( البيان والبيان ٣ : ٢٣٢ )

[١] نهي الحديث ونهاه بالتعديد : رضى . [٢] "طعمة : وجه ، للكسب . [٣] لها " لاهاه

## ٨٧ - وصية أخرى له

عن يزيد بن عقال قال :

وَصَّى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سَرِيَّة ، ونحن ببلاد الروم فقال له :  
« أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالضاربِ الكيس ، الذي إن وجد ربحاً  
تَجَرَّ ، وإلاَّ احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوزَ السلامة ، وكن  
من احتيالك على عدوك ، أشدَّ خوفاً من احتيالِ عدوك عليك <sup>(١)</sup> » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٤ )

## ٨٨ - كلمات حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبح - المعروف بابن السماك <sup>(٢)</sup> - :

« خيرُ الإخوان أقلُّهم مصانعةً في النصيحة ، وخيرُ الأعمال أحلاها عاقبةً ،  
وخيرُ الشاء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرفُ السلطان ما لم يخالطه البَطْرُ ،  
وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخيرُ الإخوان من لم يخاصم ، وخيرُ  
الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يُختَبَرُ ذلك الرجال عند الفاقة والحاجة » .

( زهر الآداب ٢ : ٢٠٥ )

## ٨٩ - ابن السماك والرشيد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشيد ، وقال له الفضل  
ابن الربيع : يا أمير المؤمنين قد أحضرتُ ابن السماك كما أمرتني ، قال : أدخله ،

[١] أوردت هذه الوصية في الجزء الثاني من ١٨٥ مزمرة إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب  
المقد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبري - ج ٨ : ٣٧ - إذ يقول : « وفي سنة ٨٤ كانت غزوة عبد الله بن  
عبد الملك بن مروان الروم ، ففتح فيها المصبة - كسيفه - » وعزاها الجاحظ إلى عبد الملك بن صالح كما ترى  
في هذه الرواية . [٢] كان زاهداً عابداً حسن الكلام صاحب مواضع ، وهو كوفي قدم ببغداد زمن  
الرشيد ، فمكث بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ .

فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قال : يا أمير المؤمنين : اتق الله وحده لا شريك له ، واعلم أنك واقفٌ غدًا بين يدي الله ربك ، ثم مصروفٌ إلى إحدى منزلتين ، لا ثالثَ لهما : جنة أو نار ، فبكى هرون حتى اخضلت<sup>(١)</sup> لحيتَه ، فأقبل الفضل على ابن السماك ، فقال : سبحان الله ! وهل يتخالجُ أحدًا مثكُ في أن أمير المؤمنين مصروفٌ إلى الجنة إن شاء الله ؟ لقيامه بحق الله ، وعَدْلِهِ في عبادِه ، وفضله ، فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله ، ولم يلتفت إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا - يعني الفضل بن الربيع - ليس والله مَعك ولا عندك في ذلك اليوم ، فاتق الله وانظر لنفسك ، فبكى هرون حتى أشفقنا عليه ، وأغم الفضل بن الربيع ، فلم ينطق بحرف حتى خرجنا .

قال : ودخل ابن السماك على الرشيد يومًا ، فينا هو عنده إذ استسقى ماء ، فَأَتَى بِقُلَّةٍ من ماء ، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها ، قال له ابن السماك : على رسلك<sup>(٢)</sup> يا أمير المؤمنين ، بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنِمَتَ هذه الشرْبةَ ، بكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب ههناك الله ، فلما شربها ، قال له : أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنِمَتَ خروجها من بدنك ، بماذا كنت تشتريها ، قال : بجميع ملكي ، قال ابن السماك : إن مُلْكا قيمته شرْبةُ ماءٍ لَجَدِيرٌ أَلَّا يُنَافَسَ فيه ، فبكى هرون ، فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف ، فانصرف .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٩)

## الفتنة بين الأمين والمأمون

### وفد الأمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد<sup>(١)</sup> ، كتب إليه كتاباً يستقدمه ، ويحبب أن يكون بِقُرْبِهِ - وكان المأمون على خراسان - ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى ، وإلى عيسى بن جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نَهْيَك ، وإلى صالح صاحب المُصَلَّى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون ، وألَّا يَدْعُوا وجهاً من اللين والرَّقِيق إلا بلغوه ، وسهّلوا الأمر عليه ، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فتوجهوا بكتاباه ، فلما وصلوا إلى المأمون أذن لهم ، فدفعوا إليه الكتاب ، ثم تكلم العباس بن موسى :

### ٩٠ - خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الأمير : إن أخاك قد تحمّل من الخلافة ثِقَلًا عَظِيمًا ، ومن النظر في أمور الناس عِثْنًا جَلِيلًا ، وقد صَدَقَتْ نَبْتُهُ في الخير ، فأعوزَه الوزراء والأعوانُ وَالْكَفَاءَةُ على الْعَدَلِ ، وقليلٌ ما يَأْنَسُ بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ، وقد فَرَعَ إليك في أموره ، وأملَكَ للمُوازرة والمُكَافَأَةِ<sup>(٢)</sup> ،

---

[١] ذكروا أن الفضل بن الربيع وزير الأمين ، كان قد خاف المأمون ، لما فعله عند موت الرشيد بطوس من إحضار جميع ما كان في عسكره إلى الأمين ، بعد أن كان الرشيد قد أشهد به للمأمون ، وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوما وهو حي لم يبق عليه ، فحسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا عزمه - واتفق مع الفضل جماعة على ذلك ، فال الأمين إلى أقوالهم ، ثم إنه استشار عقلاء أصحابه ، فنهوه عن ذلك وحفروه طابقة البغي ونكت اليهود ، وقالوا له : لا تجرئ الفؤاد على الكبت للأيمان وعلى الحلج فيخلعوك ، فلم يلتفت إليهم ، ومال إلى رأى الفضل بن الربيع ، وشرع في خدع المأمون باستدعائه إلى بغداد ، فلم ينضمح وكتب يستد . [٢] المهادنة .

ولسنا نستبطك في ربه ، اتهاماً لنصرك له ، ولا نخصك على طاعة ، تخوفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانه ، فأجِبْ أيها الأمير دعوة أخيك ، وآثر طاعته ، وأعنه على ما استعانك عليه في أمره ، فإن في ذلك قضاء الحق ، وصلة الرحم ، وصلاح الدولة ، وعز الخلافة ، عزم الله للأمير على الرشيد في أموره ، وجمل له الخيرة والصلاح في عواقب رأيه .

### ٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال :

« إن الإكثار على الأمير - الله ، الله - في القول خرق ، والانتصار في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ، وقد غاب الأمير - أكرمه الله - عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قرب من شهيد غيره من أهل بيته ، ولا يجد عنده غنى ، ولا يجد منه خلفاً ، ولا عوضاً ، والأمير أولى من بر أخاه ، وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أَرْضَى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبه ، فإن القدوم عليه فضلٌ وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وكف<sup>(١)</sup> في الدين ، وضرر ومكروه على المسلمين . »

### ٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وتكلم محمد بن عيسى بن نهيك ، فقال :

« أيها الأمير إنا لا تريدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحد نيتك بالأساطير والخُطَب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين ، وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بمحضته ،

[١] الكف : الليل والجور والغيب والإثم .



وَتَنَاوَلَك فَرَعًا إِلَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّقْوِيَةِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَإِنْ تُجِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، فَنِعْمَةُ عَظِيمَةٍ يَتَلَفَّى بِهَا رَعِيَّتِكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، وَإِنْ تَقَعُدَ يُعْنِ اللَّهُ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَلَنْ يَضُمَهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ بِكَ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَى  
طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ .

### ٩٣ - خطبة صالح صاحب المصلي

وتكلم صالح صاحب المصلي ، فقال :  
« أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ الْخِلَافَةَ ثَقِيلَةٌ ، وَالْأَعْوَانُ قَلِيلٌ ، وَمَنْ يَكِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ،  
وَيَنْطَوِي عَلَى غَشَّهَا ، وَالْمَعَانِدَةُ لِأَوْلِيَائِهَا ، مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ كَثِيرٌ ،  
وَأَنْتَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقِيقِهِ ، وَصَلَاحُ الْأُمُورِ وَفَسَادُهَا رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ ،  
إِذْ أَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِهِ ، وَالْمُشَارِكُ فِي سُلْطَانِهِ وَوِلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَنَاوَلَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
بِكِتَابِهِ ، وَوَقَّعَ بِمَعَاوَنَتِكَ عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي إِجَابَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى  
الْقُدُومِ عَلَيْهِ صَلَاحٌ عَظِيمٌ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْسُ وَسْكَوْنُ لِأَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ ، وَفَقَّ  
اللَّهُ الْأَمِيرَ فِي أُمُورِهِ ، وَقَضَى لَهُ بِالَّذِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ » .

### ٩٤ - خطبة المأمون

فحمد الله المأمون ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« قَدْ عَرَفْتُمُونِي مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - مَا لَا أَنْكِرُهُ ،  
وَدَعَوْتُمُونِي مِنَ الْمَوَازَرَةِ وَالْمَعُونَةِ إِلَى مَا أَوْثَرَهُ وَلَا أَدْفَعُهُ ، وَأَنَا لَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
مَقْدَمٌ ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى مَاسَرِّهِ وَوَاقْفُهُ حَرِيصٌ ، وَفِي الزُّوْيَةِ تَبْيَانُ الرَّأْيِ ، وَفِي  
إِعْمَالِ الرَّأْيِ نَصْحُ الْعِزِّ وَالْإِجْتِهَادِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ لَا أَتَأَخَّرُ

عنه تَبْطُلًا ومَدَافعةً ، ولا أَتَقَدِّمُ عليه اعتسافًا وَحِجَلَةً ، وأنا في ثَمَرٍ <sup>(١)</sup> من ثَمَرِ  
المسلمين ، كَلِيبُ عَدُوِّهِ ، شَدِيدُ شَوْكَتِهِ ، وإن أَهْمَلْتُ أمره لم آمَنْ دخول الضرر  
والمكروه على الجنود والرعية ، وإن أَقَتْتُ عليه لم آمَنْ فَوَتْ ما أَحَبَّ من معونة  
أمير المؤمنين وموازرتة وإيثار طاعته ، فانصِرْفُوا حتَّى أَنْظُرَ في أَمْرِي ، ويَصِحَّ  
الرأى فيما أَعَزَّمُ عليه من مَسِيرِي إن شاء الله .

ثم بعث معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أن يُعْفِيَهُ من الشخوص إليه ،  
وأن يُعْرِئَهُ على عمله ، إذ يرى أن ذلك أعظم غَداء على المسلمين .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٦)

#### ٩٥ - وصية السيدة زبيدة لعل بن عيسى بن ماهان

وَتَمَّى الشريرين الأخوين ، واستطار شرره ، وبعث الأمين جيشاً كشيفاً  
بقيادة علي بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون ، وأعد المأمون للقائه جيشاً بقيادة  
طاهر بن الحسين ، فلما أراد عليّ الشخوص إلى خراسان ، ركب إلى باب السيدة  
زُبَيْدَةَ <sup>(٢)</sup> والدة الأمين فودَّعها ، فقالت له :

« يا عليّ ، إن أمير المؤمنين ، وإن كَانَ ولدي ، إليه تناهت شفقتي ، وعليه  
تَكَامَل حِذْرِي ، فَإِنِّي على عبد الله مُنْطَفِة مُشْفِقَةٌ لما يَحْدُثُ عليه من مكروه  
وأذى ، وإنما ابني مَلِكٌ نَافَسَ أخاه في سلطانه ، وَغَارَاهُ <sup>(٣)</sup> على ما في يده ، والكريم  
يؤكل لحمه ، وَيُؤَيِّمُهُ غيره ، فأَعْرِفْ لعبد الله حقَّ والده وأخوته ، ولا تَجْبَنَّهُ <sup>(٤)</sup>  
بالكلام ، فَإِنَّكَ لست نظيره ، ولا تَقْتَسِرُهُ <sup>(٥)</sup> اقتسارَ العبيد ، ولا تُرْهِئُهُ <sup>(٦)</sup>

[١] الثمر : موضع الحفاة من فروج البدان . [٢] هي السيدة زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن النصور .

[٣] في الأصل : « غاره » وأولاء محرفا عن « غاراه » ، فأرجه مغارة وغراء : لاجته .

[٤] جبهه كنهه : لقبه بما يكره . [٥] قسره واقسره : قهره .

[٦] أرهته : أضغه ، وفي القصرى : « ولا تؤمنه » وأرهته : أضغه أيها ، والنل : القيد .

بقيد ولا غلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تمنع عليه في السير ، ولا تساور في المسير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقلّ على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شمتك فاحتمل منه ، وإن سَفِه عليك فلا تراءه » .

ثم دفعت إليه قيلاً من فضّة ، وقالت : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد ، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٩ ، والفهرى ص ١٩٥ )

## ٩٦ - وصية الأمين لابن ماهان

وخرج على بن عيسى بن ماهان من بغداد ( في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ ) وخرج معه الأمين يشيمه ، وأقبل يوصيه ، فقال :

« أَمْنَعُ جُنْدَكَ مِنَ الْعَبَثِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالغَارَةِ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى ، وَقَطْعِ الشَّجَرِ ، وَاتِّهَاكِ النِّسَاءِ ، وَلَوْ الرَّيَّ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ <sup>(١)</sup> ، وَاضْمُمْ إِلَيْهِ جَنْدًا كَثِيفًا ، وَزَمْرَهُ لِيَدْفَعْ إِلَى جَنْدِهِ أَرْزَاقَهُمْ مِمَّا يَحْيَى مِنْ خَرَايجِهَا ، وَلَوْ كُلَّ كُورَةٍ تَرَحَّلَ عَنْهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْ جَنْدِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَوُجُوهُهَا فَأُظْهِرْ إِكْرَامَهُ ، وَأَحْسِنْ جَائِزَتَهُ ، وَلَا تَمَاقِبْ أَخًا بِأَخِيهِ ، وَضَعْ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ رِيعَ الْخُرَاجِ ، وَلَا تَأْمَنْ أَحَدًا دِمَاكَ بِسَهْمٍ ، أَوْ طَعْنٍ فِي أَصْحَابِكَ بِرِمَحٍ ، وَلَا تَأْذَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَقَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَشْخَصْتَهُ ، فَلْيَكُنْ مَعَ أَثْوَقِ أَصْحَابِكَ عِنْدَكَ ، فَإِنْ غَرَّهُ الشَّيْطَانُ فَنَاصَبَكَ ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ تَأْسِرَهُ أَسْرًا ، وَإِنْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى بَعْضِ كُورِ خُرَاسَانَ ، فَتَوَلَّ إِلَيْهِ الْمَسِيرَ بِنَفْسِكَ ، أَفْهَمْتَ كُلَّ أَوْصِيَاكَ بِهِ ؟ » .

[١] هو يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان .

قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : سر على بركة الله وعونه .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٥٠ )

## ٩٧ - استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماهان ، فلما جاز خلوان ، لقيته القوافل من خراسان ، فكان يسألها عن الأخبار ، فيقال له : إن طاهراً مقيماً بالرئى ، يعرض أصحابه ، ويرمى<sup>(١)</sup> آتته ، فيضحك ثم يقول :

« وما طاهر ؟ فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من نارى ، وما مثل طاهر يتولى على الجيوش ، ويلقى الحروب » ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : « والله ما بينكم وبين أن ينقص انقصاص الشجر من الريح العاصف ، إلا أن يلغى عبورنا عقبة<sup>(٢)</sup> همدان ، فإن السخال<sup>(٣)</sup> لا تقوى على نطاح الكباش ، والثعالب لا صبر لها على لقاء الأسد ، فإن يقيم طاهر بموضعه يكن أول معرض لظلمات<sup>(٤)</sup> السيوف وأسنة الرماح » .

وسار حتى صار فى أول بلاد الرئى ، وأتاه صاحب مقدمته وقال : « لو كنت - أبى الله الأمير - أذكت العيون ، وبشت الطلائع ، وارتدت موصماً<sup>(٥)</sup> تمسكير فيه ، وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به ، كان ذلك أبلغ فى الرأى ، وأنس للجند » .

قال : « لا ، ليس مثل طاهر يستعد له بالمكايد والتحفظ ، إن حال طاهر تقول إلى أحد أمرين ، إما أن يتحصن بالرئى ، فينته<sup>(٦)</sup> أهلها ، فيكفونامثوته ،

[١] يصلح . [٢] الذبة : مرق صب من الحبال . [٣] السخال جمع سحلة بالفتح : وهو ولد الغم ذكر أو أنثى . [٤] الظلمات جمع ظلة ومعنى السيف . [٥] بيته كنه : أخذه بفتنه قال تعالى :

« بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ » ، وفى مروج الذهب : « فيب به » .

أَوْ يُخْلِيَهَا وَيُذْبِر رَاجِعًا لَوْ قَرُبَتْ خِيُولُنَا وَعَسَا كَرْنَا مِنْهُ .

وَأَنَّهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : « اجْمَعْ مَتَفَرِّقِ الْعَسْكَرَ ، وَاحْذَرْ عَلَى جَنْدِكَ الْبِيَاتَ ، وَلَا تَسْرَحِ الْخَيْلَ إِلَّا وَمَعَهَا كَنْفٌ <sup>(١)</sup> مِنَ الْقَوْمِ ، فَإِنَّ الْعَسَاكِرَ لَا تُسَاسُ بِالْتَوَانِي ، وَالْحُرُوبُ لَا تَدْبَرُ بِالْإِغْتِرَارِ ، وَالثَّقَةُ أَنْ تَحْتَرِزَ ، وَلَا تَقْلَ : الْمُحَارِبُ لِي طَاهِرٌ ، فَالْشَّرَارَةُ الْخَفِيَّةُ رُبَّمَا صَارَتْ ضِرَامًا <sup>(٢)</sup> ، وَالثُّلُمَةُ مِنَ السَّيْلِ رُبَّمَا اغْتَرَبَتْ بِهَا وَثُمُونٌ ، فَصَارَتْ بِحَرًّا عَظِيمًا ، وَقَدْ قَرُبَتْ عَسَا كَرْنَا مِنْ طَاهِرٍ ، فَلَوْ كَانَ رَأْيُهُ الْمَرْبَ لَمْ يَتَأَخَّرْ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .

قَالَ : اسْكُتْ ، فَإِنَّ طَاهِرًا لَيْسَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَى ، وَإِنَّمَا يَتَحَفَظُ الرِّجَالُ إِذَا لَقِيَتْ أَقْرَانُهُمْ ، وَتُسْتَعَدُّ إِذَا كَانَ الْمُنَاوِي <sup>(٣)</sup> لَهَا أَوْ كَفَاءُهَا وَنَظَرَاءُهَا .  
( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٩ )

## ٩٨ - حَزَمَ طَاهِرٌ وَقُوَّةَ عَزْمِهِ

وَعَسَكَرَ طَاهِرٌ عَلَى خَمْسَةِ فَرَسَاتٍ مِنَ الرِّجَالِ ، وَأَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، فَقَالَ : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ جَنْدَكَ قَدْ هَابُوا هَذَا الْجَيْشَ ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفًا وَرَعْبًا مِنْهُ <sup>(٤)</sup> ، فَلَوْ أَقْبَتَ بِمَكَانِكَ ، وَدَافَعْتَ الْقِتَالَ إِلَى أَنْ يَشَامَهُمْ <sup>(٥)</sup> أَصْحَابُكَ ، وَيَأْتَسُوا بِهِمْ ، وَيَمْرِفُوا وَجْهَ الْمَأْخِذِ فِي قِتَالِهِمْ » ، فَقَالَ :

« لَا ، إِنِّي لَا أُوْنِي مِنْ قَلَّةِ تَجَرِبَةٍ وَحَزَمٍ ، إِنَّ أَصْحَابِي قَلِيلٌ ، وَالْقَوْمُ عَظِيمٌ سَوَادُهُمْ ، كَثِيرٌ عَدْدُهُمْ ، فَإِنْ دَافَعْتُ الْقِتَالَ ، وَأَخَّرْتُ الْمُنَاجَزَةَ ، لَمْ أَمْنُ أَنْ يَطْلُعُوا عَلَى قِلَّتِنَا وَعَوْرَتِنَا ، وَأَنْ يَسْتَمِيلُوا مَنْ مَعِيَ بَرِغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ ، فَيَنْفِرَ عَنِّي

[١] الكنف : الجماعة . [٢] الضرام : اشتعال النار في الحلفاء وغيرها ، ودقائق الخطب الذي يسرع اشتعال النار فيه . [٣] للمادي .

[٤] وكانت عدة عسكر ابن ماعان خسين ألفا ، وذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكرا كان أكثر وجلا ، وأفره كراتا ، وأظهر سلاحا ، وأتم عدة ، وأكل مائة من عسكره ، وروى أن طاهرا كان في أقل من أربعة آلاف . [٥] شاموا وتشاموا : شام أحدهما الآخر ، والمعنى اقتربا .

أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحِفاظ والصبر ، ولكن ألف الرجال بالرجال ،  
والجُم<sup>(١)</sup> الخيل بالخيال ، وأتعمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صَبْرَ مُحْتَسِبٍ للخير ،  
حريصٍ على الفوز بفضل الشهادة ، فإن يَرْزُقَ الله الظفر والفلج<sup>(٢)</sup> ، فذلك  
الذي نريد ونرجو ، وإن تكن الأخرى فلست أول من قاتل قَتْلًا ، وماعد الله  
أجزل وأفضل . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٠١ )

## ٩٩ . طاهر يشد عزيمة جنده

وكتب طاهر بن الحسين كتابه ، وَكَرَّ دَسَ كَرَادِيْسَهُ<sup>(٣)</sup> ، وسوَّى صفوفه ،  
وجعل يمرّ بقائد قائد ، وجماعة جماعة ، فيقول :

« يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر ، إنكم لستم كهؤلاء الذين تَرَوْنَ من  
أهل النَّكْثِ والندَر ، إن هؤلاء ضَيَعُوا مَا حَفِظْتُمْ ، وصَرُّوا مَا عَظَّمْتُمْ ، ونكثوا  
الأيمان التي رَعَيْتُمْ ، وإنما يطلبون الباطل ، ويقاتلون على الندر والجهل ، أصحاب  
سَلْبٍ وَهَبٍ ، فلو قد غَضَضْتُمْ الْأَبْصَارَ ، وَأَثْبَتُمْ الْأَقْدَامَ ، قد أُنْجِزَ اللهُ وَعْدَهُ ،  
وفتح عليكم أبواب عِزِّهِ ونصره ، فَجَالِدُوا طَوَاغِيْتَ<sup>(٤)</sup> الْفِتْنَةِ ، وَيَمَاسِيبِ النَّارِ  
عن دينكم ، ودافعوا بحكمكم باطلهم ، فإنما هي ساعة واحدة ، حتى يحكم الله بينكم  
وهو خير الحاكمين » .

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش ابن ماهان وَقُتِلَ<sup>(٥)</sup> .

[١] أي أَرَزَنَ الخيل بالخيال ، من قولهم : ألحَّتِ الحربُ فَالتَحَمَتْ ، واللحم ضم الميم وفتح الحاء : اللصق  
بالقوم ، ولحم العلى بالثى : ألصقه به . [٢] الموز والظفر . [٣] الكراديس جمع كردوسة  
بالضم ، وهي القطعة الخلبة من الخيل ، وكردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة .

[٤] الطواغيت جمع طاغوت : وهو الشيطان وكل رأس ضلال ، والياسيب جمع يسوب : وهو الرئيس  
الكبير . [٥] روى أن نبي على بن عيسى ورد إلى الأمين وهو على الشط يصيد السمك ، فقال للذي  
أخبره : والله دعني ، فإن كوثرا قد اسطاد سمكتين ، وأنا ما اصطدت شيئاً بهذا . وكان كوثر خُلِما  
خصيا له وكان يحبه .

ووجه الأمين بعد ذلك لحرب طاهر جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة ،  
فهزم وقتل أيضاً . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٢ )

## ١٠٠ — وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

ونذب أسد بن يزيد بن يزيد لقتال طاهر

وبعث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد  
ابن يزيد ، قال : فأتيته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده  
رُقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :  
« ينام نوم الظربان »<sup>(١)</sup> ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته قرجه ،  
لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد ألهاه كأسه ،  
وشغله قدحُه ، فهو يجرى في لهوه ، والأيام تُسرع<sup>(٢)</sup> في هلاكه ، قد شمر  
عبدُ الله له عن ساقه ، وفوق له أصيب<sup>(٣)</sup> أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحنف  
النافذ ، والموت القاصد<sup>(٤)</sup> ، قد عي له المنايا على مُتون الخيل ، وناط<sup>(٥)</sup> له البلاء  
في أسنة الرماح ، وشفار السيوف .

ثم استرجع وتمثل بأبيات للبعيث<sup>(٦)</sup> ، ثم التفت إلى فقال :  
« يا أبا الحارث ، إنا وإياك لنجرى إلى غاية ، إن قصّرنا عنها دُئِماً ، وإن  
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوى قويننا ، وإن

[١] الطربان : دوية فوق جرو الكلب مثنة الريح كثيرة الفس ، يضرب بها المثل فيقال : « أفسى من  
ظربان » . [٢] في الأصل « تفرع » وأراه محرفاً . [٣] أصيب : أفل من صاب السهم يصيب  
صبياً : أي أصاب ، وسهم صيوب كصبور . [٤] انقاصد أي الكاسر ، من القصد بالفتح : وهو  
الكسر بأي وجه كان ، أو بالصف ، كالنقص ، يقال قصد الحجة وقصدها : كسرهما وفصلها فنقصت .  
[٥] خلق . [٦] هو خدش بن بشر الهاشمي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى جريراً .

ضَعُفُ ضَعْفُنَا ، إِنَّ هَذَا قَدْ أَتَى يَدَهُ إِقَاءُ الْأَمَةِ الْوَكْفَاءُ <sup>(١)</sup> ، يَشَاوِرُ النِّسَاءَ ،  
وَيَعْتَمِدُ عَلَى الرُّوْيَا ، وَقَدْ أَمَكَّنَ أَهْلَ الْأَهْوِ وَالْخُسَارَةِ مِنْ سَمْعِهِ ، فَهَمْ يَمْدُونَهُ  
الظُّفَرَ ، وَيَمْنُونَهُ عُقْبَ <sup>(٢)</sup> الْأَيَّامِ ، وَالْهَلَاكُ أَسْرِعُ إِلَيْهِ مِنَ السَّبِيلِ إِلَى قِيَعَانِ <sup>(٣)</sup>  
الرَّمْلِ ، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ تَهْلِكَ بِهَلَاكِه ، وَنَعْطَبُ بِعَطْبِهِ .

وَأَنْتَ فَارِسُ الْعَرَبِ وَابْنُ فَارِسِهَا ، وَقَدْ فَرَّعَ إِلَيْكَ فِي لِقَاءِ هَذَا الرَّجُلِ  
(طَاهِر) ، وَأَطْمَعُهُ فِيمَا قَبْلَكَ أَمْرَانِ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَصِدْقُ طَاعَتِكَ ، وَفَضْلُ  
نَصِيحَتِكَ ؛ وَالثَّانِي يُمْنُ تَقْيِيمَتِكَ <sup>(٤)</sup> ، وَشِدَّةُ بَأْسِكَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِإِزَاحَةِ عِلَّتِكَ ،  
وَبَسْطِ يَدِكَ فِيمَا أَحْبَبْتَ ، غَيْرَ أَنَّ الْاِقْتِصَادَ رَأْسَ النِّصِيحَةِ ، وَمِفْتَاحَ الْيُمْنِ  
وَالْبَرَكَهَ ، فَأَنْجِزْ حَوَائِجَكَ ، وَعَجِّلِ الْمُبَادَرَةَ إِلَى عَدُوِّكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّكَ  
اللَّهُ شَرَفَ الْفَتْحِ ، وَيَلْمَ بِكَ شَعَثَ هَذِهِ الْخِلَافَةِ وَالِدَوْلَةِ .

فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ طَلَبَ مَطَالِبَ لَمْ تَرُقْ فِي عَيْنِ الْأَمِينِ  
فَمَنْضِبٍ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ . (تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٠ : ١٠٨ ، وَزَهْرُ الْأَدَبِ ٢ : ١٠٨)

### ١٠١ - وَصِيَّةُ الْأَمِينِ لِأَحْمَدَ بْنِ مَزِيدَ

ثُمَّ نَدَبَ عَمَّهُ أَحْمَدَ بْنَ مَزِيدَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الشَّخْصُ دَخْلَ عَلَى الْأَمِينِ ، فَقَالَ :  
أَوْصِنِي أَكْرَمَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :

« أَوْصِيكَ بِخِصَالِ عِدَّةٍ ، إِيَّاكَ وَالْبَغْيَ فَإِنَّهُ عِقَالُ <sup>(٥)</sup> النِّصْرِ ، وَلَا تَقْدَمْ  
رِجْلًا إِلَّا بِاسْتِخَارَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ سَيْفًا إِلَّا بَعْدَ إِعْذَارٍ ، وَمَهْمَا قَدَّرْتَ عَلَيْهِ بِاللَّيْنِ ،

[١] وَصَفَ مِنَ الْوَكْفِ بِالْتَحْرِيكِ : وَهُوَ الْإِيْثْمُ وَالْيَبِ وَالْقَسْ ، وَكَفَّ كَفْرَحَ إِذَا أَيْثَمَ ، وَفِي رِوَايَةٍ  
الطَّبَرِيِّ « الْوَكْفَاءُ » بِاللَّيْنِ ، وَفِي الْمَقَامِ . [٢] الْقَبْ كَقَفْلٍ وَعَقَى : الْبَاقِيَةُ .  
[٣] الْقِيَعَانُ جَمْعُ قَاعٍ : وَهُوَ أَرْضٌ مَطْمَنَةٌ سَهْلَةٌ قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْهَا الْجِبَالُ وَالْأَكَامُ .  
[٤] الْقِيَّةُ : الْقِيَّةُ وَالطَّيِّبَةُ . [٥] الْعِقَالُ فِي الْأَوَّلِ : الْحُلُّ الَّذِي تَتَّبِعُهُ الْعِبَادَةُ .



فلا تَعْمَدْهُ إِلَى الْخَرْقِ وَالشَّرِّهِ ، وَأَحْسِنِ صَحَابَةَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْجُنْدِ ، وَطَالَغْنِي بِأَخْبَارِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَلَا تَخَاطِرِ بِنَفْسِكَ طَلَبَ الزُّلْفَةِ <sup>(١)</sup> عِنْدِي ، وَلَا تَسْتَفْهَمَا فِيمَا تَخَوْفُ رَجُوعَهُ عَلَيَّ ، وَكُنْ لِعَبْدِ اللَّهِ أَخًا مَصَافِيًا ، وَقَرِينًا بَرًّا ، وَأَحْسِنِ مَجَامَعَتَهُ ، وَصَحْبَتَهُ وَمَعَاشَرَتَهُ ، وَلَا تَخْذُلْهُ إِنْ اسْتَنْصَرَكَ ، وَلَا تَبْطِئْ عَنْهُ إِذَا اسْتَصْرَخَكَ ، وَلْتَكُنْ أَيْدِيكَ <sup>(٢)</sup> وَاحِدَةً ، وَكَلِمَتُكَ مُتَّفِقَةً .

وتوجه أحمد بن مرزید فی عشرين ألفاً من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قَحْطَبَةَ فِي عشرين ألفاً من الأبناء ، حتى نزلا خاتين - قريبا من خلوان - ولم يزل طاهر بحتال في وقوع الاختلاف والشغب بينهم ، حتى اختلفوا ، وانتقض أمرهم ، وقاتل بعضهم بعضاً ، فأخلوا خاتين ورجعوا عنها ، دون أن يلقوا طاهراً .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٠٩ )

## ١٠٢ - مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر الأمين تحلية سبيله ، ويوجب بذلك على نفسه طاعته ونصيحته ، فلما قوى طاهر ، واستعلى أمره ، وهزم من هزم من قواد الأمين وجيوشه ، دخل عبد الملك على الأمين ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إني أرى الناس قد طمعوا فيك ، وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلت سماحتك ، فإن تمت على أمرك أفسدتهم وأبطرتهم ، وإن كففت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضببتهم ، وليس ثلك الجنود بالإمساك ، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإتيان والسرف ، ومع هذا فإن جندك قد رعبت بهم الهزائم ونهكتهم ، وأضعفتهم الحرب والوقائع ، وامتلأت

[١] الزلفة والزلى : الفرية . [٢] أي أنت وعبد الله بن حميد بن حذيفة .

قلوبهم هيبة لعدوم ، ونُكولا<sup>(١)</sup> عن لقاءهم ومناهضتهم ، فإن سيرتهم إلى طاهر ، غلبَ بقليل من معه كثيرهم ، وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم ، وأهل الشام قوم قد ضرّستهم<sup>(٢)</sup> الحروب ، وأدّجهم الشدائد ، وجلّتهم منقاداً إلى ، مسابغ إلى طاعتي ، فإن وجهي أمير المؤمنين اتخدت له منهم جنداً يعظم نكايتهم في عدوه ، ويؤيد الله بهم أولياءه وأهل طاعته .

فقال الأمين : « فإني مؤليك أمرهم ، ومقويك بما سألت من مال وعدّة ، فمَجِّلْ الشخصَ إلى ما هناك ، فاعمل عملاً يظهر أثره ، ويُحمد بركته ، برأيك ونظرك فيه إن شاء الله » ، فولاه الشام والجزيرة .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والكمال لابن الأثير ٦ : ١٠٤ )

### ١٠٣ - الشغب في جيش عبد الملك بن صالح

وسار عبد الملك بن صالح ، فلما قدّم الرقّة<sup>(٣)</sup> ، كتب إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة ، فلم يبق أحد ممن يُرجى ، ويذكر بأسه وغناؤه إلا وعدّه ، وبسط له في أمّله وأمنيته ، فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ، فكان لا يدخل عليه أحد إلا أجازه ، وخلع عليه وحمله ، فأتاه أهل الشام ، والزّواويل والأعراب من كل فج ، واجتمعوا عنده حتى كثروا ، بيّدت أنه شبت نار الفتنة بين جند أهل خراسان وبين الزّواويل<sup>(٤)</sup> ، وأفضى الأمر إلى تلاحمهم واقتتالهم ، ثم قام رجل من أهل خص ، فقال :

[١] جينا وخوفا . [٢] جريتهم وأحكمتهم .

[٣] بلد على الرّات . [٤] وسببها أن بعض جند أهل خراسان نظر إلى دابة كانت قد أخذت منه في إحدى الرّفات تحت بعض الزّواويل ، فطلقها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اختلعا ، واجتمعت جماعة من الزّواويل والجنود فلاجروا ، وأحان كل فريق منهم صاحبه ، ثم اتسع لطاق الفتنة فانشتت وحدة الجيش .

« يا أهل حمص ، الهَرَبُ أهونُ من المَطَب ، والموت أهون من الذل ، إنكم بُعِثتم عن بلادكم ، وخرجتم من أقاليمكم ، ترجون الكثرة بعد القلة ، والعزة بعد الذلة ، ألا وفي الشرو فقمتم ، وإلى حومة الموت أُنْخِتم ، إن المنايا في شوارب المسوِّدة <sup>(١)</sup> وفلا نيسهم ، النفير النفير <sup>(٢)</sup> قبل أن ينقطع السبيل ، وينزل الأمرُ الجليل ، ويفوت المطلب ، ويمسر المذهب ، ويمعد العمل ، ويقرب الأجل .  
وقام رجل من كلب ، فقال :

« يا معشر كلب ، إنها الراية السوداء ، والله ما ولَّت ولا عدَلت ، ولا ذلَّ نصرها ، ولا ضعف وليها ، وإنكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان في رقابكم ، وآثار أسنتهم في صدوركم ، اعزِّلوا الشر قبل أن يعظم ، وتخطوهُ قبل أن يضطرم ، شامكم ، داركم داركم ، الموت الفِلَسْطِينِي خير من العيش الجَزَرِي ، ألا وإني راجع فن أَراد الانصراف فلينصرف معي » .

ثم سار وسار معه عامة أهل الشام ، وأقبلت الزواويل حتى أضرَموا ما كان مُجمِع من الأعلاف بالنار ، ( وكان ذلك سنة ١٩٦ هـ ) .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٢ )

١٠٤ - خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

يدعو إلى خلع الأمين

ومات عبد الملك بن صالح بالرقّة ، وكان معه الحسين بن علي بن عيسى ابن ماهان ، فأقفل الجند من الجزيرة إلى بغداد ، فتلقاه أهلها بالتكرمة والتعظيم ، وضربوا له القباب ، واستقبله القواد والرؤساء والأشراف ، ثم اجتمع إليه الناس فقام فيهم فقال :

[١] كانت الجنود الخراسانية التي تقابل الأمويين في سبيل نشر الدعوة العباسية يحملون الرايات السود فسوا من أجل ذلك المسوِّدة . [٢] نهر إلى الأمر كضرب نفيرا : أسرع إليه .

« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تُجَاوَزُ بالبطر ، ونعمه لا تستصحب بالتجبر والتكبر ، وإن محمدًا يريد أن يُوتَعَ<sup>(١)</sup> أديانكم ، وينكث بعتنكم ، ويفرق جمعكم ، وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواويل بالأمس ، وبالله إن طالت به مدة ، وراجعه من أمره قوة ، ليرجعن وبالله ذلك عليكم ، وليعرفن ضرره ومكره وهه في دولتكم ودعوتكم ، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضّموا عزّه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصرٌ إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قُتِل ، وما عند الله لأحد هَوَادَةٌ ، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده ، والخنث بأيمانه .

وخلع الحسين بن علي محمدًا الأمين وحبسه<sup>(٢)</sup> ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .  
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٣)

### ١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى  
فلما أصبح الناس من الفد ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :  
« أيها الناس ، والله ما أدرى ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبرنا سنًا ، ولا أكرمنا حسَبًا ، ولا أعظمنا منزلةً ، وإن فينا من لا يَرْضَى بالديّة ، ولا يُقَاد بالخادعة ، وإنّي أولُكم ، نقض عهدّه ، وأظهر التغيّر عليه ، والإنكار لفعله ، فمن كان رأيُه رأيي ، فليعتزل معي . »  
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

[١] أوتع دته بالآثم : أسده ، وأرته الله : أهلكه .

[٢] وكان حبس الحسين محمدًا الأمين في قصر أبي جهر يومين .

## ١٠٦ - إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحرّبيّ، فقال : « يا معشر الحرّية ، هذا يومٌ له ما بعده ، إنكم قد نمتُم وطال نومكم ، وتأخرتم فقدم عليكم غيرُكم ، وقد ذهب أوقامُ بذِكر خلع محمد وأسرّه ، فاذهبوا بذِكر فكّه وإطلاقه » .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكِفاية على فرس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال :

« أيها الناس ، هل تمتدّون على محمد بقطع منه لأرزاقكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم ، أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزّل أحداً من قوّادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك ، قال : فما بالكم خذلتُموه ، وأعتمت عدوّه على اضطهاده وأسرّه ؟ أما والله ما قتل قومٌ خليفَتهم قطّ ، إلا سلّط الله عليهم السيّف القاتل ، والحُتف الجارِف ، انهضوا إلى خليفَتكم وادفعوا عنه ، وقاتلوا من أراد خلعهُ والفتك به » .

فنهضوا معه وقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالاً شديداً ، وأكثروا في أصحابه الجراح ، وأسروا الحسين ، ودخل أسد الحرّبي على محمد فكسّر قيوده ، وأقمده في مجلس الخلافة .

وأثنى الأمين بالحسين بن عليّ ، فلامه على خلافه وقال له : ألم أقدم أباك على الناس ، وأولّو أعنة الخيل ، وأملأ يده من الأموال ، وأشرف أقدارك في أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من القواد ؟ قال : بلى ، قال : فما الذي استحققتُ به منك أن تخلع طاعتي ، وتؤاّب الناس عليّ ، وتندبهم إلى قتالي ؟

قال : الثقة بنفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحه وتفضله ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، وولأك الطلب بئارك ، ومن قُتل من أهل بيتك ، ثم دعا له بجِلعة ، فخلعها عليه ، وحمله على راكب ، وأمره بالمسير إلى خُلوان ، وخرج الحسين ، فهرب في قَر من خدمه ومواليه ، فنادى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . ( تاريخ الطبري : ١٠ : ١٦٤ )

### ١٠٧ — خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى <sup>(١)</sup> وإلى مكة والمدينة — وكان خطيباً فصيحاً جَهِير الصوت — يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤتَى الملك من يشاء ، وَيُزْع الملك من يشاء ، وَيُعز من يشاء ، وَيُذَل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

[١] هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان الأمين حين أصغت الخلافة إليه يت به والياً على مكة والمدينة ، فأقام والياً عليها حتى دخلت سنة ١٩٦ ، فكتب الأمين إلى داود بن عيسى يأمره بجمع عبد الله المأمون ، والبيعة لابنه موسى ، وبعث إلى الكتائب الذين كان الرشيد كتبها وعلفها في الكعبة ، فأخذها ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والفرشين والفقهاء ، ومن كان عهد على ماو الكتائب من اليهود — وكان داود أحدهم — فقال داود : قد علمت ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد واليثاق ، عند بيت الله الحرام ، حين باينا لابنيه لتكونن مع المظلوم منها على الظالم ، ومع المبني عليه على الباغي ، ومع المنذور به على الفادر ، فقد رأينا وواهم أن عمداً ( الأمين ) قد بدأ بالظلم والبغي والمدر على أخوه عبد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن ، وخلصها ، وباع لابنه الطفل رضيع صغير لم يطم ، واستخرج الفطير من الكعبة عاصياً ، غرقها بالار ، وقد رأيت خله ، وأن أباح لعبد الله المأمون بالخلافة ، إذ كان مظلوماً ميبأ عليه ، فقال له أهل مكة : رأينا تبع لرايك ، ونمى خالوه معك ، فجح الناس ، وخطبهم هذه الخطبة .

أما بعد ، يا أهل مكة ، فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأشيرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يَفِدُ وَقَدْ أَثَرَهُ <sup>(١)</sup> ، وإلى قبلكم يَأْتُمُ المسلمون ، وقد عَلِمْتُمْ ما أخذ عليكم الرشيد هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق ، لَتَنْصُرُنَّ المظلومَ مِنْهُمَا على الظالم ، والمبني عليه على الباغي ، والمغدور به على الغادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد ابن هرون قد بدأ بالظلم والبنى والغدر ، وخالف الشروط التي أعطاهما من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حَلَّ لَنَا وَلَكُمْ خَلْفُهُ من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبغي عليه ، المغدور به ، ألا وإني أشهدكم أنني قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما خلعت قَلَنْسُوْتِي هذه من رأسي - وخلع قَلَنْسُوْتِه عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودِ حَبْرَةٍ <sup>(٢)</sup> مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فَلَبِسَهَا - ثم قال : قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفكم ، ففسد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعة لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٠ )

## ١٠٨ .. خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسللون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من القواد والجند ، فأشرف عليهم وقال :

[١] أى لتأدية فريضة الحج . [٢] برود حبرة : ضرب من البرود البمانية ، يقالو : برود حبرة مثل عنبه على الوصف والإضافة ، وبرود حبرة ، وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً ، وإنما هو وثقى كقولاك : ثوب قرمز ، والقرمز : صبغه .

« الحمد لله الذي يرفع ويضع ، ويعطي ويمنع ، ويقبض وينسط ، وإليه المصير ، أحمده على نوائب الزمان ، وخذلان الأعوان ، وتشدت الرجال ، وذهاب الأموال ، وخلول النوائب ، وتوفد المصائب ، حمداً يذكركم به أبجل الجزاء ، ويرفدني » أحسن القزاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد لنفسه ، وشهدت له ملائكتُهُ ، وأن محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسامحين صلى الله عليه وسلم ، آمين رب العالمين .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السبق إلى الهدى ، فقد علمتم غفلي كانت أيام الفضل بن الربيع وزيراً على ومشير ، فاذت<sup>(١)</sup> به الأبياء بما لزمني به من الندامة في الخاصة والعامة ، إلى أن نبهتموني فانتهيت ، واستعتموني في جميع ما كرهتم من نفسي وفيكم ، فبذلت لكم ما حواه ملكي ، ونالته مقدرتي ، مما جمعه وورثته عن آبائي ، فقودت<sup>(٢)</sup> من لم يحز ، واستكفيت من لم يكف ، واجتهدت - علم الله - في طلب رضاكم بكل ما قدرت عليه ، واجتهدتم - علم الله - في مساءتي في كل ما قدرتم عليه ، من ذلك توجيحي إليكم على ابن عيسى شيخكم وكبيركم ، وأهل الرأفة بكم ، والتحنن عليكم ، فكان منكم ما يطول ذكره ، ففقرت الذنب ، وأحسنتم واحتملت ، وعزيت نفسي عند معرفتي بشنوذ الظفر ، وحرصى على مقامكم مسلحة<sup>(٣)</sup> بجلوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم ، ومن على يدي أياه<sup>(٤)</sup> كان نغركم ، وبه تمت طاعتكم : عبد الله بن حميد ابن قحطبة ، فصرتم من التائب عليه إلى ما لا طاقة له به ، ولا صبر عليه ، يقودكم

[١] رفده وأرفده : أعطاه . [٢] طاولته وأهلته . [٣] أى اتخذته قائداً .

[٤] السلحة : القوم ذوو سلاح . [٥] سجد عبد الله بن حميد بن قحطبة ، وهو قطبة ابن شبيب الطائي ، أحد الحداة الباسية والفراد الذين قاتلوا الميوش الأموية - انظر الجزء الثاني



رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً إلى عالمين ، وعلى سيدكم متوثبين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين عليّ ، فخلعتموني وشتمتموني ، واتهبتموني وجبستموني وقيدتموني ، وأشياء منعتوني من ذكرها ، حقدت قلوبكم ، وتلكي<sup>(١)</sup> طاعتكم أكبر وأكبر ، فالحمد لله حمداً من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٠٠)

### ١٠٩ - استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع<sup>(٢)</sup> لما ظفر به : « يا فضل ، أكان من حقّ عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أيك وعندك أن تلبّني<sup>(٣)</sup> وتسنّني وتخرّض على دمي ؟ أتحبّ أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عذري يُحقّدك إذا كان واضحاً جليلاً ، فكيف إذا حَقَّتْ<sup>(٤)</sup> العيوب ، وقبّحت الذنوب ، فلا يضيقُ عني من عفوك ما وسعَ غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر<sup>(٥)</sup> فيك :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ      مِنْ الْعُفُوفِ يَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا  
وَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى      إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَنْشَأْ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا

(زهر الأدب ٢ : ١٦٣)

[١] مهمل عن نلكو . [٢] توفي سنة ٢٠٨ . [٣] ثلثه كفر به : لاهوت وطاه .

[٤] مكنا في الأصل ، وربما كان « أخفته » لقوله قبل : « إذا كان واضحاً » .

[٥] هو الحسن بن رجا بن أبي الضحاك .

## ١١٠ - خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين بغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بنى هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُسْذِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرَ غَلْبَتُنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِينَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلَافَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَادًا لِلدِّينِ ، وَقِيَامًا لِعِبَادِهِ ، وَصَبَطَ الْأَطْرَافَ ، وَسَدَّ الْأَنْفُورَ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةِ ، وَجَمْعِ الْفِتَنِ ، وَإِقَاذِ الْحُكَمِ ، وَنَشْرِ الْعَذْلِ ، وَإِحْيَاءِ السُّنَّةِ ، بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتِ ، وَالتَّلَذُّ بِمُوقِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْمُخْلِدُ إِلَى الدُّنْيَا مُسْتَحْسَنٌ لِدَاعِي غُرُورِهَا ، مُتَحَلِّبٌ دِرَّةً <sup>(١)</sup> نِمْتَهَا ، أَلْفٌ لَزَهْرَةٍ رَوَضَتِهَا ، كَلِفٌ بِرَوْنَقٍ بَهْجَتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وَفَا، مَوْعِدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ بَنَى عَلَيْهِ ، وَمَا أَحْلَ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَنَقْمَتِهِ ، لَمَّا نَكَبَ <sup>(٢)</sup> عَنْ عِمَدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَمِصَّتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيَّرَهُ نَاهِيَهُ ، وَعَظَّمَتْهُ مُؤَدَّبَتُهُ ، فَتَمَسَّكُوا بِدَقَائِقِ عَصْمٍ <sup>(٣)</sup> الطَّاعَةِ ، وَاسْتَلْكَوْا مَنَاحِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ ، وَاحْذَرُوا مَصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَمِصَّةِ ، الَّذِينَ قَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَّعُوا شَعْبَ الْأَلْفَةِ ، فَأَعْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٦ ، والقند الفريد ٢ : ١٥٥ )

[١] الدرّة : اللّين . [٢] عدل .

[٣] جمع عصام ككتاب ، وعصام القرية : وباطنها وسيرها التي تحمل به .

## خطب المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ)

١١١ - خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرو حين ورد عليه نعي الرشيد ، فقال :  
 « إن ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل  
 فائدة جليلة ، وتجارة مربحة ، فالموت حوضٌ مورود ، وكأسٌ مشروب ، وقد  
 أتى على خليفتم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،  
 فما كان إلا بعداً دعي فأجاب ، وأمر فأطاع ، وقد سدد أمير المؤمنين ثلثه ، وقام  
 مقامه ، وفي أعناقكم من المهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ،  
 واغتنبوا بالنعماء والوفاء في خليفتم الباقي ، ياهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل  
 طالب ، وأمس واعظ ، واليوم مغتَم ، وغدٌ متظر » .

١١٢ - خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد  
 المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :  
 « أيها الناس : إني جعلتُ لله على نفسي ، إن أسترطاني أموركم أن أطيعه  
 فيكم ، ولا أسفك دماً عَمداً لا تحيله حدوده ، وتسفك فرائضه ، ولا آخذ لأحد  
 مالاً ، ولا أثاثاً ، ولا نخلة <sup>(١)</sup> تحزُم عليّ ، ولا أحكمم بهوأي ، في غضبي ولا  
 رضاي ، إلا ما كان في الله وله ، جعلتُ كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ،

إِنِّي أُنِي رَغْبَةً فِي زِيَادَتِهِ إِيَّايَ فِي نِعْمَتِي ، وَرَهْبَةً مِنْ مَسْأَلَتِهِ إِيَّايَ عَنْ حَقِّهِ وَخَلْقِهِ ، فَإِنْ غَيَّرْتُ أَوْ بَدَلْتُ كُنْتُ لِلْغَيْرِ مُسْتَاهِلًا ، وَلِلنَّكَالِ مُعَرَّضًا ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَسْخَطِهِ ، وَأَرْغِبُ إِلَيْهِ فِي الْمُمُونَةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ يَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ » .

### ١١٣ - خُطْبَتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُسْتَخْلَصُ الْحَمْدِ لِنَفْسِهِ ، وَمُسْتَوْجِبُهُ عَلَى خَلْقِهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُدُودِهِ ، وَالْعَمَلِ لِمَا عِنْدَهُ ، وَالتَّنَجُّزِ لَوَعْدِهِ ، وَالْخَوْفِ لَوْعِيدِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ إِلَّا مَنْ اتَّقَاهُ وَرَجَاهُ ، وَعَمِلَ لَهُ وَأَرْضَاهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا مَا بَقِيَ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بَكُمْ ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَمَ بَكُمْ ، وَكُونُوا قَوْمًا صَوِيحَ بِهِمْ فَانْتَبِهُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرَكْكُمْ سُدًى ، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، وَإِنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ ، لَجْدِيرَةٍ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ ، وَإِنْ غَايَةً يَحْدُوهُ <sup>(١)</sup> الْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لِحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأَوْثَةِ ، وَإِنْ قَادِمًا يَحُلُّ بِالْفُورِ أَوْ بِالشَّقْوَةِ لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْمُدَّةِ ، فَاتَّقِ عَبْدُ رَبِّهِ ، وَنَصَحْ نَفْسَهُ ، وَقَدِّمْ تَوْبَتَهُ ، وَغَلِبْ شَهْوَتَهُ ، فَإِنْ أَجَلُهُ مُسْتَوْرٌ عَنْهُ ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ ، يَزِينُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا ، وَيُمَيِّنِيهِ التَّوْبَةَ لِيَسُوِّفَهَا ، حَتَّى تَهْجُمَ عَلَيْهِ

مَنْبُتُهُ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا ، فَيَالِهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ ، أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حِجَّةً ، أَوْ تَوْذِيهِ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا مِنْ لَمْ تَبْطُرْهُ نِعْمَةً ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ عَنْ طَاعَتِهِ غَفْلَةً ، وَلَا تَحُلَّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَرْعَةً . إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، وَيَدُهُ الْخَيْرِ ، وَإِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ » .

( عيون الأخبار م ٧ : ص ٢٥٣ ، والمقد الفريد ٧ : ١٤٨ )

### ١١٤ - خطبته يوم الاضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشریفه ، وعظم حرُمته ، ووفَّق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وفدَّى فيه من الذَّبْحِ نبيه ، وجعله خاتَمَ الأيامِ المعلومات من العَشْرِ ، ومتقدم الأيامِ المعدودات من النَّفَرِ<sup>(١)</sup> ، يومٌ حَرَامٌ ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يومُ الحجِّ الأكبر ، يومٌ دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَادِّعْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَنْتَلِي عَلَيْكُمْ فَأَجْنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ<sup>(٢)</sup> » . ففقرُّوا إلى الله في

[١] يوم النَّفَرِ : اليوم الذي ينفر فيه الناس من منى ، وهو بعد يوم القَرِّ ( ويوم القَرِّ بالنحر : اليوم الذي بعد يوم النحر ، لأنَّ الناس يَمْرُون في منازلهم ) .

[٢] رجلا : أى مشاة ، جمع راجل كقائم وقيام ، وعلى كل ضامر : أى وركباً على كل مناسم ، أى بغير مهزول ، يأتين : أى الضواصر ، صفة لضامر حملا على اللغى ، من كل فج عميق : أى طريق بعيد ، ليضهدوا منافع لهم : دينية ودنيوية ، في أيام معلومات : هى عشر ذى الحجة ، وقيل : أيام النحر ، من

هذا اليوم بذبحكم ، وعظموا شأئر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة  
التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ  
يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »<sup>(١)</sup> ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية  
بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ ، وارتفع جَزَاهُ  
الْعَمَلَيْنِ<sup>(٢)</sup> ، وطالت مدة الفريقين ، اللهُ اللهُ ، فوالله إنه الجِدُّ لَا اللَّعِبَ ، وإنه  
الحقُّ لَا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث ، والميزان والحساب والقصاص  
والصراط ، ثم العقاب والثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد  
خاب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار .

(هيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٤ ، والبغد العربي ٢ : ١٤٨)

## ١١٥ — خطبته يوم الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم عيد وَسُنَّةٌ ، وابتهاال ورغبة ،  
يومٌ خَتَمَ اللهُ به صيامَ شهر رمضان ، وافتتح به حَجَّ بيتِهِ الْحَرَامِ ، فجعله خاتمة  
الشهر ، وأوَّلَ أيامِ شهور الحج ، وجعله مُعَقَّبًا لمفروض صومكم ، وَمُسْتَفْلً قِيَامكم ،  
أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ،  
واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يقال : « لَا كِبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ  
إِصْرَارٍ » ، ثم التكبير والتحميد ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، والوصية  
بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا الله عبادَ الله ، وبادروا الأمرَ الذي أَعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ،  
وَلَمْ يَحْتَضِرْ<sup>(٣)</sup> الشكَّ فِيهِ أَحَدٌ مِنْكُمْ ، وهو الموت المكتوبُ عَلَيْكُمْ ، فإنه لَا تُسْتَقَالُ بعده  
عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ قبله تَوْبَةٌ ، واعلموا أنه لَا شَيْءَ قبله إِلَّا دُونُهُ ، وَلَا شَيْءَ بعده

يومية الأذنام : الإبل والبقر والغنم التي تنحر لضحايا ، ثم ليقتضوا نفهم : أى يزيلوا أوساخهم وشتمهم  
من نحو قس الأظفار ، وحلق المانة ، وغير ذلك . [١] أى يرفع إليه منكم السبل الصالح .  
[٢] أى عمل الخير وعمل الخير . [٣] يحضر .

إِلَافُوقَهُ ، وَلَا يُمِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَغَلَوِهِ <sup>(١)</sup> وَكَرْبِهِ ، وَلَا يَمِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَطَلْتُهُ ، وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوَلِ مَطْلَمِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ أَفْهَمُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَكَوْنُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مِنْهُمَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهَلَّ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ ، وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضِعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْحَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُبَلِّغُ <sup>(٢)</sup> فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرَطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوَضَعَ الْكِتَابُ قَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا » ، وَقَالَ : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ <sup>(٣)</sup> لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَاحِاسِينَ » ، وَلَسْتُ أَنُهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُكُمْ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يَنْهَى عَنْهَا ، وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَيْتُهُ أَعْيُنَكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ذِمَّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا ، وَنَهَى اللَّهُ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَقْرَأُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَلَا يَفْرَأُكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُورُ » ، وَقَالَ : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. الْآيَةُ » ، فَاتَفَعَّلُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا ،

[١] البز : مَا يَجِبُ لِلرِّبِّ عِنْدَ حَشْرَةِ الْوُتِّ مِنْ رَعْدَةٍ وَاضْطِرَابٍ . [٢] يَبْلِي .

[٣] الْقِسْطُ : الْعَدْلُ ، مَصْدَرٌ وَصَفٌ بِالْعِبَالَةِ أَوْ ذَوَاتِ الْقِسْطِ .

واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فخذروا مصارعها ، وجانبوا خدائِعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

(عيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٥ ، والنفد الثريد ٢ : ١٤٨)

## ١١٦ — خطبة ابن طباطبا العلوى

وخطب محمد <sup>(١)</sup> بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حين انتهب قائد جيوشه أبو السرايا السريّ ابن منصور قصر العباس بن موسى بن عيسى ، فقال :

« أما بعد : فإنه لا يزال يَتَلَفَنِي أن القاتل منكم يقول : إن بنى العباس فينا لنا ، نخوض في دماءهم ، وَتَرْتَع في أموالهم ، وَيَقْبَلُ قولنا فيهم ، وَتُصَدِّق دعوانا عليهم ، حُكْم بلا عِلْم ، وَعَزَم بلا رَوِيَّة ! نَعْبَأُ لمن يُطْلِق بذلك لسانه ، ويحدّث به نفسه ! أ بكتاب الله تعالى حَكَم ، أم لِسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم أَتَبِع ؟ أفي مِثْلِي <sup>(٢)</sup> معه طِمَع ، أم بَسْطَ يَدِي له بالجود أَمَل ؟ هيهات ! فازدو الحق بما نَوَى ، وأخطأ ذو الباطل بما تَمَنَّى ، حَقُّ كل ذى حقٍّ في يده ، وكل

[١] خرج بالكوفة لعمر خلون من جادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والصل بالكتاب والسنّة ، وكان القيم بأمره في تدبير الحرب ، وقيادة جيوشه أبا السرايا السريّ بن منصور وكان سبب خروجه صرف اللأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البداه التي افتتحتها ، وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل ، فلما فعل ذلك تحدث الناس بالبراق أن الفضل بن سهل قد غلب على اللأمون ، وأنه قد أنزله فصرّاً حجه فيه من أهل بيته ، ووجوه قواحه من الحامصة والطامة ، وأنه يرمي الأمور على هواه ، ويسبّد بالرأى دونه ، فغضب لذلك بالبراق من كل بها من بني هاشم ، ووجوه الناس ، وأغوا من غلبة الفضل على اللأمون ، واجتمعوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتى في الأمصار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل زهير بن السبب في عشرة آلاف قواقم فهزموه واستباحوا عسكره ، فلما كان من غد اليوم الذى كانت فيه الوقعة (وذلك يوم الخميس ليلة خلت من رجب سنة ١٩٩) مات ابن طباطبا فجأة ، فذكر أن أبا السرايا سمع ، وذلك أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير منه أبا السرايا ، وحظره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فلم أبو السرايا أنه لا أسر له معه نفسه . - [٢] في الأصل : « أى مثلى » وهو تحريف ، والصواب ما ذكرته .



مُدَّعٍ عَلَى حِجَّتِهِ ، وَيَلُومُنَا لِمَنْ اغْتَضَبَ حَقًّا ، وَادْعَى بِاطْلَا ، أَفْلَحَ مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ ، وَخَافَ مِنْ أَرْغَمَ الْحَقُّ أَتَقَهُ ، الْمَدْلُ أَوْلَى بِالْأَثَرَةِ وَإِنْ رَغِمَ الْجَاهِلُونَ ، حَقُّ لِمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَحْتَنِبَ الْمُنْكَرَ ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْمَدْلِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَرَارَةِ الْحَقِّ ، كُلُّ نَفْسٍ تَسْمُو إِلَى هِمَّتِهَا ، وَنِعْمَ الصَّاحِبُ الْقَنَاعَةِ .

أيها الناس ، إن أكرم العبادة الوَرَعَ ، وأفضل الزاد التقوى ، واعمَلُوا فِي دُنْيَاكُمْ ، وَتَرَوْدُوا لِآخِرَتِكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْعَصْبِيَّةَ وَهَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَمْحَقَانِ الدِّينَ ، وَيُورِثَانِ النِّفَاقَ ، وَلَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَتَحْسُنِ الْمَقَالَةَ فِيكُمْ . الْحَقُّ أَوْلَى ، وَالسَّبِيلُ مِنْهُجٌ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ <sup>(١)</sup> ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ ، وَلِكُلِّ فِي الْحَقِّ سَعَةٌ ، مِنْ حَارِبِنَا حَارِبُنَاهُ ، وَمَنْ سَالَمَنَا سَالَمْنَاهُ ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ لِنَا نَفْسَهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ : وَرَجُلٌ قَالَ فِينَا يَتَنَاوَلُ مِنْ أَعْرَاضِنَا : لَقُلْتُ ، وَكَفَى ، حَسْبُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ » .

(مواضع الأدب ٢ : ١١٣)

## ١١٧ - استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون

لما ظفر المأمون بعنه إبراهيم بن المهدي <sup>(٢)</sup> أمر بإدخاله عليه ، فحجى إبراهيم بحجبل <sup>(٣)</sup> في قيوده ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ، ولا حفظك ، ولا رعاك ، ولا كلالاً <sup>(٤)</sup>

[١] أُلْج : أى واضح بين ، والمنهج : الطريق الواضح ، والباطل للجلج : أى يتردّد فيه صاحبه ، فلا يصيب مخرجا . [٢] كان المأمون قد عهد بالخلافة لعمى الرضا بن موسى الكاظم ، فلما سمع العباسيون ببغداد ( وكان المأمون بمرور حاضرة خراسان ) ما فعله المأمون من قتل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، أنكروا منه ذلك ، وخلصوه من الخلافة ، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي سنة ٢٩١ هـ ، ولما علم المأمون بذلك جد في السير إلى بغداد ، وهرب عمه إبراهيم وتوارى . [٣] حجبل اللقيد كضرب ونصر : رفع رجله ، وترث في مثنيه على رجله . [٤] كلاله : حرسه .

يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : على رِسْلِكَ <sup>(١)</sup> يا أمير المؤمنين ، ولِي <sup>(٢)</sup> النَّارُ مُحْكَمٌ  
في القصاص ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، ومن مَدَّ له الاعتذار في الأمل ، هَجَمَتْ  
به الأَنَاءَةُ على الذِّلْف <sup>(٣)</sup> وقد أصبح ذنبِي فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق  
كل <sup>(٤)</sup> عفو ، فَإِنْ تَعَايَبَ فَبِحَقِّكَ ، وَإِنْ تَعَفَّ فَبِفَضْلِكَ » ، ثم قال :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ  
تَخَذَ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ  
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَمَالِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فَأُطْرُقَ الْمَأْمُونُ مَلِيًّا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : إِنِّي شَاوَرْتُ أَبَا إِسْحَقَ <sup>(٥)</sup> وَالْمُبَاسَّ  
فِي قَتْلِكَ فَأَشَارَا عَلَيَّ بِهِ ، قَالَ : فَمَا قُلْتَ لَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهَا :  
بَدَأْنَا لَهُ بِالْحَسَانِ ، وَنَحْنُ نَسْتَأْمِرُهُ فِيهِ ، فَإِنْ غَيَّرَ فَاللهُ يَنْبِئُ مَا بِهِ ، قَالَ : أَمَّا أَنْ يَكُونَا  
قَدْ نَصَحْنَاكَ فِي عِظَمِ قَدْرِ الْمَلِكِ ، وَمَا جَرَّتْ عَلَيْهِ عَادَةُ السِّيَاسَةِ فَقَدْ فَعَلْنَا ، وَلَكِنْ  
أَبَيْتُ أَنْ تَسْتَجَابَ النَّصْرُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عَوَّدَكَ اللهُ ، ثُمَّ اسْتَعْبَرُ بِأَكْيَا ، فَقَالَ لَهُ  
الْمَأْمُونُ : مَا يُكِيكَ ؟ قَالَ : جَذَلًا ، إِذْ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي الْإِنْعَامِ ،  
ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ جُرْمِي يَبْلُغُ سَفْكَ دَمِي ، فَلَمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَتَفَضُّلُهُ يُبَلِّغُنِي عَفْوَهُ ، وَلِي بَعْدَهَا شَفَاعَةُ الْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ، وَحُرْمَةُ الْأَبِ  
بَعْدَ الْأَبِ ، قَالَ الْمَأْمُونُ : « الْقُدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِظَةُ <sup>(٦)</sup> ، وَالنَّدَمُ تَوْبَةٌ ، وَعَفْوُ  
اللهِ بَيْنَهُمَا ، وَهُوَ أَكْبَرُ مَا يَحَاوُلُ ، يَا إِبْرَاهِيمَ : لَقَدْ حَبَّبْتَ إِلَى الْعَفْوِ ، حَتَّى خِفْتُ

[١] اللهل والتؤدة . [٢] صاحبه . [٣] وفي رواية : « ومن تناول الاعتذار بما مَدَّ له من  
أسباب الرئاء ، أمن حادية الضرر » . [٤] وفي رواية : « وقد أصبحت فوق كل ذنب ، كما  
أصبح كل ذنب مني فوقك » ، وفي أخرى : « وقد جعلك الله فوق كل ذنب ، كما جعل كل ذنب فوقك » .  
[٥] أبو إسحق هو للثتم أخو المأمون ، والمُبَاس هو ابن المأمون .  
[٦] الحفيظة : الضبط ، وفي رواية الأُفَاقِي أن هذه الجملة من قول إبراهيم بن الهادي .

أَنْ لَا أُوجَرَ عَلَيْهِ ، أَمَا لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا لَنَا فِي الْعَفْوِ مِنَ اللَّذَّةِ ، لَتَقَرَّبُوا إِلَيْنَا بِالْجَنَائِيَّاتِ ، لَا تَثْرِيْبٌ<sup>(١)</sup> عَلَيْكَ ، يَنْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسَبِكَ مَا يَبْلُغُ الصَّفْحَ عَنْ زَلَّتِكَ ، لَبَلَّغْتُكَ مَا أَمَلْتُ حَسَنُ تَوْضُلِكَ ، وَلَطِيفُ تَنْصُلِكَ » ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ مَالِهِ وَضِيَاعِهِ ، فَقَالَ :

رَدَدْتُ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ      وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي  
فَأَبْتُ مِنْكَ - وَمَا كَأَفْأَتْهَا - يَدِي      هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفَرٍ وَمِنْ عَدَمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَقَامَ عَلَيْكَ بَنِي فَاحِجٍ عِنْدَكَ لِي      مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ  
فَلَوْ بَدَلْتُ دَمِي أَبْنَى رِضَاكَ بِهِ      وَالْمَالُ ، حَتَّى أَسْأَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي  
مَا كَانَ ذَلِكَ سِوَى عَاوِيَةَ رَجَعَتْ      إِلَيْكَ ، لَوْ لَمْ تَهْبِئْهَا كُنْتُ لَمْ تُلَمْ  
(الأغاني ٩ : ٥٧ ، والقصد الفريد ١ : ١٤٢ ، والأمالى ١ : ٢٠٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٩١)

### ١١٨ - إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، في مجلس الحكم ، في عَقَارٍ بِنَاحِيَةِ السَّوَادِ<sup>(٣)</sup> ، فَرَزَى عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup> ابْنُ الْمَهْدِيِّ ، وَأَغْلَظَ لَهُ بَيْنَ يَدَيِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادَ ، فَأَحْفَظْهُ<sup>(٥)</sup> ذَلِكَ ، فَقَالَ : « يَا إِبْرَاهِيمَ إِذَا نَازَعْتَ أَحَدًا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ ، فَلَا أَعْلَمَنَّ أَنَّكَ رَفَعْتَ عَلَيْهِ صَوْتًا ، وَلَا أَشَرْتَ إِلَيْهِ يَدًا ، وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ أَمَّا<sup>(٦)</sup> ، وَطَرِيقُكَ نَهْجًا<sup>(٧)</sup> ، وَرِيحُكَ سَاكِنَةً ، وَكَلَامُكَ مُعْتَدِلًا ، وَوَفٌّ بِمَجَالِسِ الْحُكُومَةِ حَقُوقَهَا ، مِنْ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالاسْتِكَانَةِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْوَاجِبِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَشْبَهُ بِكَ ، وَأَشْكَلُ لِمَذْهَبِكَ فِي

[١] لَا لَوْ . [٢] الْيَدُ : النِّعْمَةُ .

[٣] سَوَادُ الْعِرَاقِ ، وَالْمَقَارُ : كُلُّ مَكَانٍ ثَابِتٍ لَهُ أَصْلُ كَالْفَارِ وَالنَّخْلِ ، وَالْمَجْعُ عَقَارَاتُ .

[٤] عَابَهُ . [٥] أَغْضَبَهُ . [٦] الْأَمْرُ : الْقَصْدُ الْوَسْطُ . [٧] وَاجْهًا .

تَحَدِّثُكَ<sup>(١)</sup>، وَعَظِيمُ خَطَرِكَ<sup>(٢)</sup>، وَلَا تَسْجَلْ، قَرُبُ مَجَلَّةِ تَهَبُ رَيْنَا<sup>(٣)</sup>، وَاللَّهِ يَمْنَعُكَ مِنَ الزَّلَالِ، وَخَطَلُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ، إِنْ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ<sup>(٤)</sup>.

قال إبراهيم: «أصلحك الله أمرت بسداد، وحضضت على رشاد، ولست بمأيد إلى ما ينيل<sup>(٥)</sup> مروءتي عندك، ويُسقطني من عينك، ويُخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار، فهأنذا معتذر إليك من هذه البادرة، اعتذار مُقَرَّبٍ بذنبه، باخِعٍ بِجُرْمِهِ<sup>(٦)</sup>، فَإِنَّ الْغَضَبَ لَا يَزَالُ يَسْتَفْزِئُ بِمَوَادِّهِ، فَيَرْدِّي مِثْلَكَ بِحِلْمِهِ، وتلك عادة الله عندنا منك، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وقد وهبت حق من هذا المقار لبختيشوع، فليت ذلك اليوم يعُولُ<sup>(٧)</sup> بأرضي<sup>(٨)</sup> الجناية، ولم يَلَفْ مَالُ أَفَادِ مَوْعِظَةٍ، وبالله التوفيق».

(القد الفرید ١ : ٧٧ ، وزمر الآداب ١ : ٢٢٢)

## ١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس: «لا تحسبني أغفلت إجلابك مع ابن المهدي، وتأيدك رأيه، وإيقادك لناره، قال: «يا أمير المؤمنين، ولرسبي أمت من أرحامهم، وقد قال لهم كما قال يوسف لآخوته: «لَا تَتْرِبَ<sup>(١)</sup> عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»، وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه المنّة، ومُتَمَتِّلٌ<sup>(٢)</sup> لِحِلَالِ الْغَفْرِ وَالْفَضْلِ».

قال: هيئات! تلك أجرام جاهلية، عفا عنها الإسلام، وجُرْمُكَ جرم في إسلامك، وفي دار خلافتك. قال: «يا أمير المؤمنين فوالله لتُسَلِّمَ<sup>(٣)</sup> أحق بإقالة

[١] أصلك . [٢] قَدَرُكَ . [٣] إِيْطَاء . [٤] يَمِينٌ وَيَقِينٌ . [٥] مَقَرٌ .

[٦] يَزِيدٌ وَيَرْجَحُ . [٧] الْأَرْضُ : الدِّينُ .

[٨] لَا لَوْمَ . [٩] امْتَلَ طَرِيقَهُ : تَبِعَهَا فَلَمْ يَسُوْغَهَا .

الفترة، وغفران الزلة من الكافر، هذا كتاب الله يبنى وينك، يقول الله تعالى :  
 « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
 لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْمَافِينَ عَنِ  
 النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فهي للناس يا أمير المؤمنين سنة دخل فيها  
 المسلم والكافر، والشريف والمشروف » قال : صدقت ، اجلس ، ورئت بك  
 زنادى ، ولا برحت أرى من أهلك أمثالك .

( المقد الفريد ١ : ١٤٢ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٣ )

١٢٠ - أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يا أمير  
 المؤمنين ، بارك الله لك في مقدمتك ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعتك ،  
 تقدمت من قبلك ، وأثبتت من بعدك <sup>(١)</sup> ، وآيست أن يعان مثلك ، أما فيما  
 مضى فلا نمره ، وأما فيما بقي فلا ترجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونثنى  
 عليك ، خصب لنا جنابك ، وعذب ثوابك ، وحسنت نظرتك ، وكرمت  
 مقدرتك ، جبرت الفقير ، وفككت الأسير ، فإنك يا أمير المؤمنين كما  
 قال الأول :

مازلت في البذل والتوال وإطلاق لسان يجرمه غلق <sup>(٢)</sup>

حتى تمنى البراء أنهم عندك أسرى في القيد والخلق <sup>(٣)</sup>

( المقد الفريد ١ : ١٣٧ )

[١] إذ أنه يجهد أن يلحق بك فلا يستطيع . [٢] الباني : الأسير ، والفق : أهله مع غلق  
 الزمن إذا استحققه المرتين ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المعروط . [٣] البراء ككرام جمع برى .

## ١٢١ - أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وقدم وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : « يا أمير المؤمنين ، يدُك أحقُّ يدٍ بتقيل ، لعلُّها في الكارم ، وبُعدها من المآثم ، وأنت يوسفُ الغفر في قلة التريب ، مَنْ أرادك بسوء جعله الله حصيدَ سيفك ، وطريدَ خوفك ، وذليلَ دولتك » ، فقال يا عمرو : نعم الخطيب خطيبهم ، اقضِ حوائجهم . ( مروج الذهب ٢ : ٢١٩ )

## ١٢٢ - محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وغُصْن من أغصان دَوْحِكَ <sup>(١)</sup> ، أتاؤن في الكلام ؟ قال : نعم ، قال : « أَسْتَمْنَحِ اللهَ حِياطَةَ ديننا ودينانا ، ورعايةَ أَدْنانا وأَقْصانا ببقائِكَ ، ونسأله أن يَرِيدَ في عَمرك من أعمارنا ، وفي أَثَرِكَ من آثَارنا ، وَيَقِيكَ الأذى بأصمَاعنا وأَبْصارنا ، هذا مَقَامُ العائذِ بِفَضْلِكَ ، الهارب إلى كَنَفِكَ وَظِلِّكَ ، الفقير إلى رَحْمَتِكَ وعدلك » ، ثم تكلم في حاجته ، فقضاها . ( القد الفريد ١ : ١٤٦ )

## ١٢٣ - الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل <sup>(٢)</sup> يوماً للمأمون : « الحمد لله يا أمير المؤمنين على جَزِيل ما آتَاكَ ، وَسَيِّ ما أعطَاكَ ، إِذ قَسَمَ لك الخِلافةَ ، ووهب لك معها الحُجَّةَ ، وَمَكَّنَكَ بالسلطان ، وَحَلَّاهُ لك بالعدل ،

[١] البوحة : الشجرة الطيبة .

[٢] وزير للمأمون بعد أخيه الفضل بن سهل ، وتزوج للمأمون ابنته بوران ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

وَأَيْتُكَ بِالظَّفَرِ ، وَشَفَعَهُ لَكَ بِالْفَوْ ، وَأَوْجِبَ لَكَ السَّعَادَةَ ، وَقَرَنَهَا بِالسِّيَادَةِ ، فَن  
فُسِّحَ <sup>(١)</sup> لَهُ فِي مِثْلِ عَطِيَّةِ اللَّهِ لَكَ ؟ أَمْ مَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ زِينَةِ الْمَوَاهِبِ  
مَا أَلْبَسَكَ ؟ أَمْ مِنْ تَرَادُفَتِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ تَرَادُفُهَا عَلَيْكَ ؟ أَمْ هَلْ حَاوَلَهَا  
أَحَدٌ وَارْتَبَطَهَا بِعِثْلِ مَحَاوَلَتِكَ ؟ أَمْ أَى حَاجَةٍ بَقِيَتْ لِرِعِيَّتِكَ لَمْ يَجِدُوهَا عِنْدَكَ ؟  
أَمْ أَى قِيَمٍ لِلإِسْلَامِ انْتَهَى إِلَى عَنَائِكَ وَدَرَجَتِكَ ؟ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى ، مَا أَعْظَمَ  
مَا خَصَّ الْقَرْنَ الَّذِي أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَسَبْحَانَ اللَّهِ ! أَى نِعْمَةٍ طَبَّقَتْ <sup>(٢)</sup> الْأَرْضُ  
بِكَ إِنْ أَذَى شُكْرُهَا إِلَى بَارِئِهَا وَالْمَنْعَمِ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا ؟ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاءَ  
فِي فَلَكِهَا ضِيَاءً يَسْتَنِيرُ بِهَا جَمِيعَ الْخَلَائِقِ ، فَكُلُّ جَوْهَرِ زَهَا حُسْنُهُ وَنُورِهِ ، فَهَلْ  
لَبَسَتْهُ زِينَتُهُ إِلَّا بِمَا اتَّصَلُ بِهِ مِنْ نُورِكَ ؟ وَكَذَلِكَ كُلُّ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاكَ ، سَعِدَ  
بَأَفْعَالِهِ فِي دَوْلَتِكَ ، وَحَسُنَتْ صَنَائِعُهُ عِنْدَ رِعِيَّتِكَ ، فَإِنَّمَا نَالَهَا بِمَا أَيْدَتْهُ مِنْ  
رَأْيِكَ وَتَدْيِيرِكَ ، وَأَسْعَدَتْهُ مِنْ حُسْنِكَ وَتَقْوِيَتِكَ » . ( زهر الآداب ٣ : ٢٠٠ )

## ١٢٤ — يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ يمدح المأمون

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ <sup>(٣)</sup> : صِفْ لِي حَالِي عِنْدَ النَّاسِ ، فَقَالَ :  
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ انْقَادَتْ لَكَ الْأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا ، وَمَلَكَتْكَ الْأُمَةُ فَضُولَ  
أَعْتَبَتِهَا ، بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ ، وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ ، وَالْعِيَاذِ بِكَ ، بِعَذْلِكَ فِيهِمْ ،  
وَمِنْكَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى لَقَدْ أُنْسِيَتْهُمْ سَكَلُكَ ، وَآيَسَتْهُمْ مِنْ خُلُقِكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي جَمَعَنَا بِكَ بَعْدَ التَّقَاعِطِ ، وَرَفَعَنَا فِي دَوْلَتِكَ بَعْدَ التَّوَاضُعِ » .

[١] أى وسع . [٢] ملأت وامت ، والاستفهام للتعظيم .

[٣] من ولد أكثم بن صيفي التميمي ، وكان فقيهاً عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام ، وقد غلب على المأمون ،  
حتى لم يقبضه أحد عنده من الناس جبياً ، وقلده قضاء القضاء ، وتدير أهل مملكته ، فكانت الوزراء  
لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم ، وتولى سنة ٢٤٦ هـ ، وعمره ٨٣ سنة .

فقال : يا يحيى ، أتحبباً أم ارتجلاً ؟ قال : قلت : وهل يمتنع فيك وصف ، أو  
يعذر على مادحك قول ، أو يُقَحَّم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟  
( الصناعتين ص ٤٠ )

## ١٢٥ - أحد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فعنَّفه المأمون ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ ذالتي ، وَلَبَسَ ثوبَ حُرْمَتِي ، وَنَمَتْ  
بِمِثْلِ قِرَابَتِي ، غَفِرَ له فوقَ زِلَّتِي » فأعجب المأمونَ كلامُه وصفح عنه .  
( الأملال ٢ : ١٣٦ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩ )

## ١٢٦ - رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من عامل له فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، ما تَرَك لي فِضَّةً إِلَّا فُضَّها ، ولا ذَهَباً إِلَّا ذَهَبَ به ،  
ولا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَا <sup>(١)</sup> ، ولا ضِيعةً إِلَّا أَضَاعَهَا ، ولا عِلْقاً <sup>(٢)</sup> إِلَّا عَلَقَهُ ، ولا عَرَضاً  
إِلَّا عَرَضَ له ، ولا ماشيةً إِلَّا أَمْنَشَهَا <sup>(٣)</sup> ، ولا جليلاً إِلَّا أَجْلَاه ، ولا دقيقاً  
إِلَّا دَقَّه » ، فمَجِب من فصاحته وقضى حاجته . ( زمر الآداب ٢ : ١٣٧ )

## ١٢٧ - عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن سلم : كانت عليّ نوبةٌ أنوبها في حَرَسِ المأمون ،  
فكنت في نوبتي ليلةً ، فخرج متفقداً من حضر ، ففرقه ولم يمررني ، فقال :  
من أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك

[١] المراد احتازها ، والأصل فيه غله : أي وضع و علقه أو يده النعل ( بالضم ) وهو اليد .  
[٢] العلق : الئيس من كل شيء ، وعلق به كفرح أحبه ، أو هو « علقه » مشدداً مبنياً  
للمجهول ، علق امرأة : أي أحبا . [٣] أمشيت مائة الفرج : أخذ جيبه .



الله ، فقال : أنت تَكَلُّوْنَا منذ الليلة ؟ قلت : الله يكلؤك قبلى ، وَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فقال المأمون :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقُ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَعَكَ بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ  
( زهر الآداب ٢ : ١٣٧ )

## ١٣٨ - الحسن بن رجاء والمأمون

ودخل المأمون بمض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قَلَمٌ ، فقال :  
مَنْ أَنْتَ يَا غَلام ؟ فقال :

« أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، النَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ ، الْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، الْمُؤَمِّلُ  
لِخِدْمَتِكَ ، خَادِمُكَ وَابْنُ خَادِمِكَ : الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ » ، فقال : أَحْسَنْتَ يَا غَلامُ ،  
وَبِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيعَةِ تَقَاضَلْتَ الْعُقُولُ ، وَأَمْرٌ بِرَفْعِ رُتَبَتِهِ .

( زهر الآداب ٢ : ١٧٣ )

## ١٣٩ - سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مُسْلِمٍ بن قُتَيْبَةَ لِمَ أَمُون :

« لَوْلَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ  
قَصْدِهِ إِلَى بَحْدِيثِهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَى بَطْرِفِهِ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الرَّفْعَةِ ،  
وَأَرْفَعُ مَا تُوجِبُهُ الْحُرْمَةُ » .

فقال : « يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ عِنْدَهُ مِنْ  
حُسْنِ الْإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثَتْ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا حُدِّثَتْ ، مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ

مضى ، ولا يظن أنه يحدُّ عند أحدٍ من بقي ، فإنك لتستقصى حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتُخبر بما كنتُ أغفلته منه . ( زمر الآداب : ١ : ١٧٢ )

### ١٣٠ - أبو زهمان يعظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : « كنت والياً بأرمينية ، ففبر<sup>(١)</sup> أبو زهمان العلاني على بابي أياماً ، فلما وصل إلى مثل بين يدي قائماً بين السَّاطِئِينَ<sup>(٢)</sup> وقال : « والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفَّ التراب يُقيم من أود<sup>(٣)</sup> أصلاهم ، لجعلوه مُسَكَّةً<sup>(٤)</sup> لازماً فيهم ، إشاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبعيد الوثبة ، بطي . العطفة ، إنه والله ما يثني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك ، ولأن أكون مقلاً مقرباً ، أحب إلي من أن أكون مكثراً مبغداً ، والله ما نسأل عملاً لا نضبطه ، ولا مالاً إلا نحن أكثر منه ، وهذا الأمر الذي صار إليك في يديك ، كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً غيري ، وإن شراً فشر ، فتجيب إلى عباد الله بحسن البشر ، ولين الجانب ، فإن حُبَّ عباد الله موصول بحُبِّ الله ، وبنضهم موصول ببنض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورقبائه على من اعوجَّ عن سبيله . » ( البيان والبيان : ٢ : ١٠٥ )

### ١٣١ - وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولّاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما<sup>(٥)</sup> سنة ٢٠٦ هـ .  
« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فمليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزاياه سُخْطُهُ وحفظ رعيته ، والزَّم ما ألبسك الله من

[١] مكث . [٢] السَّاطِئان من الناس : الجانبان ، يقال : معنى بين السَّاطِئان .

[٣] اعوجاج . [٤] للسكة : ما يمسك الأبدان من الفناء والشراب ، أو ما يبلغ به منها .

[٥] أبيتنا هذا الكتاب هنا لأنه في عداد الرصايا .

العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ،  
والعمل في ذلك كله بما يمصك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم  
عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من  
عباده ، وأزمتك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب<sup>(١)</sup> عنهم ،  
والدفع عن حريمهم وَيُخْضِتْهُمْ<sup>(٢)</sup> ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم<sup>(٣)</sup> ،  
وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ،  
وموقفك عليه ، ومساالك عنه ، ومُثَبِّك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك  
فِكْرَكَ وعقلك وبصرَكَ ورؤيتَكَ ، ولا يَذْهَبْكَ<sup>(٤)</sup> عنه ذاهل ، ولا يَشْغَلَكَ<sup>(٥)</sup>  
عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ،  
وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما اقترض الله  
عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سُنَنِها ، في  
إسباغ<sup>(٦)</sup> الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتّل<sup>(٧)</sup> في قراءتك ، وتمكن  
في ركوعك وسجودك وتشهدك ، وتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها  
جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف  
وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، والمثابرة على خلافة ، واقفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا  
ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة<sup>(٨)</sup> الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه

[١] الدفع . [٢] البيضة : حوزة كل شيء .

[٣] وفي مقدمة ابن خلدون : لسرهم ، والسرب : النفس . [٤] ذهبت عن الشيء . ( كفتح ) غفلت  
وقد يمدى بنفسه . فيقال ذهاته ، والأكثر أن يمدى بالهزة ، فيقال : أذهلت فلان عن الشيء .

[٥] شغله من باب فتح وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة . [٦] أسبغ الوضوء : وفي كل عضو حقه .  
[٧] تَهَلَّلْ ولا تعجل . [٨] استخار الله : طلب منه الخيرة .

من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، واثام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تَمَلْ عن العدل فيما أحييت أو كرهت ، لِقَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ بَعِيدٍ ، وَآثِرِ الْفَقْرَ وَأَهْلَهُ ، وَالْدِينَ وَحَمَلَتَهُ ، وَكِتَابَ اللَّهِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ ، فَإِنْ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ الْمَرْءَ الْفَقْرَ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَالطَّلَبَ لَهُ ، وَالْحَثَّ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالْقَائِدُ لَهُ ، وَالْأَمْرُ بِهِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُؤَبِّقَاتِ كُلِّهَا ، وَبِهَا مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَزَادُ الْعِبَادُ مَعْرِفَةً بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِجْلَالًا لَهُ ، وَدَرَكًَا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَا فِي الْمَعَادِ ، مَعَ مَا فِي ظَهْوَرِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْقِيرِ لِأَمْرِكَ ، وَالْهَيْبَةِ لِسُلْطَانِكَ ، وَالْأَنَسَةِ بِكَ ، وَالثَّقَةِ بِعَدْلِكَ ، وَعَلَيْكَ بِالْاِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَيْنَ قَعًا ، وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا ، وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنَ الْقَصْدِ ، وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرِّشْدِ ، وَالرِّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْفِيقِ ، وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ ، وَقَوَامُ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْهَادِيَةِ بِالْاِقْتِصَادِ ، فَأَثَرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا ، وَلَا تَقْصُرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْأَجْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَمَعَالِمِ الرِّشْدِ ، فَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْتَارِ مِنَ الْبَرِّ وَالسَّمِيِّ لَهُ ، إِذَا كَانَ يُطَلَّبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَمَرْضَاتُهُ ، وَمِرَافِقَةُ أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ وَيَحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَإِنَّكَ لَنْ تَحُوطَ<sup>(١)</sup> نَفْسَكَ وَمَنْ يَلِيكَ ، وَلَا تَسْتَصْلِحَ أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مَنْهُ ، فَأَتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ ، وَتَزِدَ مَقْدَرَتَكَ ، وَتَصْلِحَ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ ، وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَقِمَ لَكَ رِعْيَتُكَ ، وَالتَّمَسَّ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، تَسْتَدِمَّ بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ، وَلَا تَتَهَمَّنْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تَوَلَّيَهُ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ ،

فإن إيقاع النهم بالبؤآء، والظنون السيئة بهم مأثم، واجمل من شأنك حسن الظن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظن بهم، وارفضه فيهم، يُمينك ذلك على اصطناعهم<sup>(١)</sup> ورياضتهم، ولا يحدنَّ عدو الله الشيطانُ في أمرِكَ مَفْخَرًا، فإنه إنما يكتفى بالقليل من وَهْنِكَ<sup>(٢)</sup>، فَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ الزَّمَنِ فِي سُوءِ الظَّنِّ مَا يَنْفُصُكَ لَدَاذَةِ عَيْشِكَ، واعلم أنك تجدُ مُحْسِنِ الظَّنِّ قُوَّةَ وَرَاحَةٍ، وَتُكْفَى بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كَفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ، وَتَدْعُوهُ النَّاسُ إِلَى مَحَبَّتِكَ، وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا لَكَ، وَلَا يَنْعُكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَالرَّافَةُ بِرَعِيَّتِكَ، أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمَسْأَلَةَ وَالبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ، وَالمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ، وَالحَيَاطَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالنَّظَرَ فِيمَا يُثْمِنُهَا وَيُصْلِحُهَا، بَلْ لَتَكُنِ الْمُبَاشَرَةُ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ، وَالحَيَاطَةُ لِلرَّعِيَّةِ، وَالنَّظَرُ فِي حَوَائِجِهِمْ وَحَمْلُ مَثُونَاتِهِمْ، آثَرَ عِنْدَكَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ أَقْوَمُ لِلدِّينِ، وَأَحْيَا لِلسَّنةِ، وَأَخْلَصُ نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا، وَتَفَرَّدَ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَفَرَّدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْتَوَلٌ عَمَّا صَنَعَ، وَعَجَزَى بِمَا أَحْسَنَ، وَمَأْخُوذٌ بِمَا أَسَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا، وَرَفَعَ مِنْ اتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ، فَاسْلُكْ بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى، وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوه، وَلَا تَعَطَّلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَآوُنْ بِهِ، وَلَا تُؤَخِّرْ عِقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي تَقْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ لَمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حَسَنَ ظَنِّكَ، وَاعْزِمِ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ، وَجَانِبِ الشُّبْهِ وَالْبِدْعَاتِ، يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ، وَتَقِمَ لَكَ مَرْءُوتُكَ، وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِّ بِهِ، وَإِذَا وَعَدْتَ

[١] اصطانتك لنفسى: اختارتك لحامسة أمر استكنفك إياه .

[٢] الوهن يكون الهاء مفتحة: الضعف .

الخير فَأَنْجِزْهُ ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وَأَغْمِضْ عن عيب كل ذى عيب من  
 رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وَأَبْغِضْ أَهْلَهُ ، وَأَقْصِ  
 أَهْلَ النِّمَةِ ، فإن أول فساد أترك فى عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب  
 والجُرْأَةِ على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ، لأن  
 النِّمَةَ لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها أمر ،  
 وأحبَّ أهل الصدق والصلاح ، وأعزَّ الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل  
 الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره ، واتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ،  
 واجتنب سوء الأهواء والجُور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك  
 لرعيتك ، وأنعم بالمدل فى سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنهى بك  
 إلى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوفاق والحلم ، وإياك  
 والحدة والطيشَ والفرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مُسَلِّطُ أَفْعَل  
 ما أشاء ، فإن ذلك سريع بك إلى تقصص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده  
 لاشريك له ، وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله ،  
 يُعْطِيهِ من يشاء ، وينزعهُ ممن يشاء ، ولن تجد تميُّزَ النعمة وحلولَ النعمة إلى  
 أحد ، أسرع منه إلى حَمَلَةِ النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوطِ لهم فى الدولة ،  
 إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك  
 شرَّه نفسك ، ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدَّخر وتكثير البرِّ والتقوى والمعدلة ،  
 واستصلاح الرعية وحمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم والحفظ لدمائهم <sup>(١)</sup> والإغاثة  
 للمهوضم ، واعلم أن الأموال إذا كثرت وذُخِرَتْ فى الخزائن لا تُثْمِرُ ، وإذا

[١] الدعاء : جماعة الناس « وى القنمة : والحفظ لدمائهم » .

كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حَقُوقِهِمْ ، وَكَفِّ الثُّنُوءِ عَنْهُمْ ، نَمَتْ وَرَبَّتْ  
وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَّةُ ، وَتَزَيَّنَتْ بِهِ الْوَلَاةُ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقَدَ فِيهِ الْعِزُّ  
وَالْمَنْعَةُ ، فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَفَّرْ  
مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حَقُوقَهُمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ،  
وَتَعَهَّدْ مَا يُفْضِلُحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ،  
وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ ، وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ ، وَجَمْعِ أَمْوَالِ  
رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا شَمِلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ  
لِطَاعَتِهِمْ ، وَأَطْيَبَ نَفْسًا لِكُلِّ مَا أُرِدْتَ ، فَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيْمَا حَدَدْتَ لَكَ فِي  
هَذَا الْبَابِ ، وَتَعَطَّطْ حِسْبَتِكَ فِيهِ ، فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَتَّفَقَ فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ،  
وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ شُكْرَهُمْ وَأَثْنَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا  
هَوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يُوْجِبُ التَّفْرِيطَ ، وَالتَّفْرِيطَ  
يُورِثُ الْبُورَ ، وَلِيَكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ وَفِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ الثَّوَابَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ  
أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمِ بِالشُّكْرِ ، وَعَلَيْهِ  
فَاعْتَمِدْ ، يَزِدُّكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، وَسِيرَةِ  
الْمُحْسِنِينَ ، وَقَفَّيَ الْحَقَّ فِيْمَا حَمَلَ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَلَا  
تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَمَالَنَّ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْجَمَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كُفُورًا ، وَلَا  
تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا ، وَلَا تَصْدَقَنَّ نَمَامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالِنَنَّ فَاسِقًا ، وَلَا  
تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا  
تَجْبِيَنَّ <sup>(١)</sup> بَاطِلًا ، وَلَا تَلَا حَظَنَ مُضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهَوْنَ غَفْرًا ،

ولا تُظهِرَنَّ غضباً ، ولا تأتين بَذَخاً <sup>(١)</sup> ، ولا تمشين مَرَحاً ، ولا تركبن مَقْعاً <sup>(٢)</sup> ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للنمام عيناً ، ولا تُقْبِضَنَّ عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثرن مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب ، وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك أهل الدقة <sup>(٣)</sup> والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشُّعْ ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك ، بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشُّعْ ، واعلم أنه أول ماعصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَإِنْسَانٌ عَمَلٌ مُّطْمَئِنِّقٌ » ، فسهل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعده لنفسك خُلُقاً ، وارض به عملاً ومذهباً ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبتهم ، وأدر عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاقبتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانسراحاً ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمةً في عدله ، وحِيطته <sup>(٤)</sup> وإنصافه ، وعنايته وشفقته ، وبره

[١] البذخ : الكبر . [٢] وفي المقدمة : « ولا تركبن سفياً » .

[٣] وفي المقدمة : « أمل الآفة » . [٤] في القلعة : « ومطية » .



وتوسعته ، فزایل مكررة أحد البابين باستشعار تكلمة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاًحاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى يمتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، يأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل فى القضاء ، واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النطَف<sup>(١)</sup> ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل المجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسَم ، ولتسكن ريحك ، وقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، وأسَدِدْ<sup>(٢)</sup> فى منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من رعينك محابةً ولا محاماةً<sup>(٣)</sup> ولا لوم لائم ، وتثبت وتأن ورأف ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف<sup>(٤)</sup> بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تُسرعن إلى سفك دم ( فإن الدماء من الله بمكان عظيم ) انتها كما لها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوم كتباً<sup>(٥)</sup> وغيظاً ، ولأهل الكفر من مُعاديهم ذلاً وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والنسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غنى لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال

[١] النطف : البيب والشر والفساد . [٢] سدّ يصدّ كغرب : صار سديداً .

[٣] فى المقصدة : « ولا محاماة » . [٤] من باب كرم وقطع وطرب .

[٥] كبت : صرعه وأخزاه ، وردّ العدو بغيظه وأذله .

له ، ولا تَكَلَّفَنَّ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ ، واجمل الناس كلهم عَلَى مَرُّ الْحَقِّ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْمَعُ لِأَقْبَتِهِمْ ، وَأَتَزِمُ لِرِضَا الْعَامَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بَوْلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَتِكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيَمَهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أُعْطَوْكَ مِنْ عَفْوٍ وَمَقْدَرَتِهِمْ ، وَتَنْفِقُهُ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدَعِهِمْ ، فَاسْتَعْمَلْ عَلَيْهِمْ فِي كَوْنِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالتَّوَدِيرِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالْعِلْمَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَفَافَ ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقْلُدُ وَأَسْنِدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْفَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَتَّ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصِيحَةَ مِنْ رَعِيَتِكَ ، وَأُعْنَيْتَ عَلَى الصَّلَاحِ ، فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِيْلَدِكَ ، وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ بِنَاجِيَتِكَ ، وَظَهَرَ الْخُصْبُ فِي كَوْنِكَ ، فَكَثُرَ خَرَاجُكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْمَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَنتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ ، مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَنتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَقُوَّةٍ وَآلَةٍ وَعُدَّةٍ ، فَنَافَسَ فِي هَذَا وَلَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تَحْمَدُ مَنِيَّةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْمَلْ فِي كُلِّ كَوْرَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ حَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ، وَرَجَوْتَ فِيهِ حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصِيحِ وَالصُّنْعِ فَأَمُضِهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَارْجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَّاهُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ وَاعْجَبِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ

أهلكه وتقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وبإشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثرت استخارة ربك في جميع أمورك ، وافترغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لعدك ، وأكثرت مباشرة بنفسك ، فإن لعد أموراً وحوادث تُلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تُعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتل مئونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا خلتهم <sup>(١)</sup> مساً ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك ، والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكّل بأمثاله أهل الصلاح من رعيك ، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يُصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتامهم وأراملهم ، واجمل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداء بأمير المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم والصلة لهم ، ليُصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأضرّاء من بيت المال ، وقَدِّم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية <sup>(٢)</sup> على غيرهم ، وانصب لِرَضَى المسلمين دُوراً تُؤويهم ، وقوِّمًا يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسقفهم بشهواتهم ، ما لم يؤدّ ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس

إِذَا أُعْطُوا حَقُّهُمْ وَأَفْضَلَ أَمَانَتِهِمْ ، لَمْ يُزَيِّهِمْ ذَلِكَ ، وَلَمْ تُطَبِّبْ أَنْفُسَهُمْ دُونَ  
 رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَى زُلَّاتِهِمْ ، طَمَعًا فِي نَيْلِ الزِّيَادَةِ وَفَضْلِ الرَّفْقِ مِنْهُمْ ، وَرَبَّمَا  
 بَرِمَ <sup>(١)</sup> الْمُتَصَفِّحُ لَأُمُورِ النَّاسِ ، لِكُتُوبَةِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ ، وَتَشْغُلِ فِكْرِهِ وَذَهْنِهِ مِنْهَا  
 مَا يَنَالُهُ بِهِ مُؤَنَةٌ وَمَشَقَّةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ يَرْغَبُ فِي الْمَدْلِ ، وَيَعْرِفُ عَاسِنَ أُمُورِهِ  
 فِي الْعَاجِلِ ، وَفَضْلَ ثَوَابِ الْآجِلِ ، كَالَّذِي يَسْتَقْبِلُ مَا يَقْرُبُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَيَلْتَمِسُ  
 رَحْمَتَهُ بِهِ ، وَأَكْثَرَ الْإِذْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ ، وَأَبْرَزَ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَسَكَنَ لَهُمْ  
 أَحْرَاسَكَ ، وَاخْفِضَ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ بَشْرَكَ ، وَلَبَّنَ لَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ  
 وَالْمُنْطَقِ ، وَاعْطَفَ عَلَيْهِمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ ، وَإِذَا أُعْطِيَتْ فَأَعْطُ بِسَاحَةِ وَطِيبِ  
 نَفْسٍ ، وَالتَّمَسَّ الصَّنِيعَةَ وَالْأَجْرَ غَيْرَ مَكْذُورٍ وَلَا مَتَّانٍ ، فَإِنَّ الْمَطْيَةَ عَلَى ذَلِكَ تَجَارَةٌ  
 مَرْبُوحَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكَ مِنْ  
 أَهْلِ السُّلْطَانِ وَالرِّيَاسَةِ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ ، ثُمَّ اعْتَصِمْ فِي أَحْوَالِكَ  
 كُلِّهَا بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَالْوَقُوفِ عِنْدَ حُبَّتِهِ ، وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَّتِهِ ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ  
 وَكِتَابِهِ ، وَاجْتَنِبْ مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ وَدَعَا إِلَى سُخْطِ اللَّهِ ، وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ  
 عُمَلُكَ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَمَا يَنْفَقُونَ مِنْهَا ، وَلَا تَجْمَعُ حَرَامًا ، وَلَا تُتَفَقِّحْ إِسْرَافًا ،  
 وَأَكْثَرَ مَجَالَسَةِ الْمَلَاءِ وَمَشَاوَرَتِهِمْ وَغَالِطَتِهِمْ ، وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعَ السَّنَنِ  
 وَإِقَامَتِهَا ، وَإِثَارَ مَكَارِمِ الْأُمُورِ وَمَمَالِيهَا ، وَلِيَكُنْ أَكْرَمَ دُخْلَانِكَ وَخَاصَتِكَ  
 عَلَيْكَ ، مَنْ إِذَا رَأَى عِيَا فَيْكَ لَمْ يَمْنَعْهُ هَيْبَتُكَ مِنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرٍّ ،  
 وَإِعْلَامِكَ مَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ ، فَإِنَّ أَوْلَئِكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَائِكَ ، وَمُظَاهَرِيكَ لَكَ .  
 وَانْظُرْ عُمَلُكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكِتَابِكَ ، فَوْقَتْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

وقتاً يدخل عليك فيه ، بكتبه ومؤامره وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر  
كُوزك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمك وبصرك وفهمك  
وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق  
فأمضيه ، واستخِر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه  
والمسأله عنه، ولا تمنّ على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من  
أحدهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف  
إلا على ذلك ، وتفهم كتابي إليك ، وأكثِر النظر فيه والعمل به ، واستمن بالله  
على جميع أمورك واستخِرْه ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك  
وأفضل رعيتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة  
والملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يُصلح عونك وتوفيقك ورُشدك  
وَكَلَاءَتِكَ ، وأن يُنزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ،  
حتى يحملك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسنام ذكراً وأمرأ ، وأن  
يَهْلِكَ عدوك ومن ناوأكَ وبتّى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز  
الشیطان عنك وَوَسْوَيسَه ، حتى يستملی أمرُك بالعزّ والقوّة والتوفيق ، إنه  
قريب مجيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تنازعه الناس  
وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، فقال :  
ما بقی أبو الطیب ( یعنی طاهراً ) شیئاً من أمر الدین والدنیا والتدبیر والرأی  
والسیاسة ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البیضة ، وطاعة الخلفاء ، وتقویم

الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع  
العمال في نواحي الأعمال .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٢٢٩ )

### ١٣٢ - خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس ، وقد تيسر لقتال الخوارج <sup>(١)</sup> فقال :  
« إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذائبون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ،  
الداعون إلى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاه أمره ، الذين جعلهم  
رعاة الدين ، ونظام <sup>(٢)</sup> المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ،  
وأهل معصيته ، الذين أشيروا <sup>(٣)</sup> وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومروا  
من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنْ تَنْصُرُوا  
اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » ، فليكن الصبر مَقِيلَكُمُ الَّذِي إِلَيْهِ تَلْجَأُونَ <sup>(٤)</sup> ،  
وَعُدَّتْكُمْ الَّتِي بِهَا تَسْتَظْهِرُونَ ، فإنه الوزر المنيع ، الذي دلَّكم الله عليه ، والجنة <sup>(٥)</sup>  
الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَأَخْفَتُوا أَصْوَاتَكُمْ فِي مَصَافِّكُمْ ،  
وَأَمْضُوا قُدُماً عَلَى بَصَائِرِكُمْ ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به كما أمركم الله ،

[١] الوارد في كتاب « الفرق بين الفرق » أن المأمون بنت طاهر بن الحسين لقتال حمزة بن أكرح  
- هكذا فيه - وفي الملل والنحل حمزة بن أدركم بالبدل - وهو زعيم فرقة الخزمية إحدى فرق الخوارج  
المجاهدة ، وقد عاث في سحستان وخراسان ومكران وقوهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة ،  
وكان ظهوره في أيام هرون الرشيد سنة ١٧٩ هـ ، وفقى الناس في نطقه إلى أن مضى صدر من أيام خلافة  
المأمون ، فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إليه كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته ، فإزداد إلاضواً ،  
فبعث لقتاله طاهر بن الحسين ، فمات بينه وبين حمزة حروب قتل فيها من الرقيق مقدار ثلاثين ألفاً ،  
أكثرهم من أتباع حمزة ، وانزعم حمزة إلى كرمان ، ثم استدعى المأمون طاهراً من خراسان ، قطع فيها  
حمزة ، وأقبل بجيشه من كرمان ، فخرج إليه عبد الرحمن التياجوري في عشرين ألفاً فهزموه ، وقتلوا  
الأثوف بن أصحابه ، واغلت منهم حمزة جريحاً ، ومات في مزيخته - انظر ص ٧٩ - .

[٢] النظام : السك ينظم فيه ، وملاك الأمر . [٣] بطروا .

[٤] اللبأ والمصم ، وكذا الوزر . [٥] كل ما بقي .

فإنه يقول: « إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَبْتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »  
أيدكم الله بزم الصبر، ووَليكم بالحياة والنصر. (العقد الفريد ٢: ١٥٥)

١٣٣ - العباس بن المأمون والمعتصم (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)

قال العباس بن المأمون: لما أَفْضَتِ الخِلافةُ إلى المعتصم دخلت، فقال:  
هذا مجلس كنت أكرم الناس لجلوسى فيه، فقلت: « يا أمير المؤمنين، أنت  
تمفرو عما يقيمتنه، فكيف تماقِبُ على ما توهمته؟ »، فقال: لو أردت عقابك،  
لتركت عتابك. (زمر الآداب ٣: ٩١)

١٣٤ - استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كَانَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ قَدْ خَرَجَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ  
مِنَ الْأَعْرَابِ، فَمَظُمَ أَمْرَهُ، وَبَعُدَ ذِكْرَهُ، فَكَتَبَ الْمَعْتَصِمُ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ  
فِي النَّهْوِ إِلَى إِلَيْهِ، فَبَدَّدَ جَمْعَهُ، فَظَفَّرَ بِهِ، فَعَمِلَهُ مُوْتَقًا إِلَى الْمَعْتَصِمِ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ  
أَبِي دُوَادٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عَيْنَ الْمَوْتِ، فَسَاهَاةً، وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ  
أَنْ يَفْعَلَ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ، فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرَّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَعْتَصِمِ، فِي  
يَوْمِ الْمَوَكِبِ، حِينَ يَجْلِسُ لِلْعَامَةِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، دَعَا بِالنَّطْعِ<sup>(١)</sup>  
وَالسِّيفِ فَأَخْضَرَا، فَجَلَّ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا، وَجَعَلَ  
الْمَعْتَصِمُ يَصْعَدُ النَّظَرَ فِيهِ وَيَصُوبُهُ، وَكَانَ جَسِيًا وَسِيمًا<sup>(٢)</sup>، وَرَأَى أَنْ يَسْتَنْطِقَهُ  
لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَائِهِ وَلِسَانُهُ مِنْ مَنَظَرِهِ، فَقَالَ: يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عِذْرٌ فَأْتِ بِهِ،  
أَوْ حُجَّةٌ فَأَدِلْ بِهَا، فَقَالَ: أَمَّا إِذَا قَدْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأِنِّي أَقُولُ:

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ،

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، جَبَرَ بِكَ صَدْعَ الدِّينِ ، وَلَمْ يَكْ بِكَ شَعَثَ  
المسلمين ، وأوضح بك سُبُلَ الْحَقِّ ، وَأَخَذَ بِكَ شِهَابَ الْبَاطِلِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ الْفَصِيحَةَ ، وَتُعْمِي الْأَفْقِدَةَ الصَّحِيحَةَ ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ  
الْجَرِيرَةُ ، وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وَمَاءُ الظَّنِّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ  
اتِّقَاتُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبُهُمَا مِنِّي ، وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيَّ ، أَوْ لَاهِيَا بَامْتِنَانِكَ ،  
وَأَشْبَهُمَا بِخُلَاقِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

|                                                      |                                                                  |
|------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------|
| أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمَّا | يَلْحَظُنِي مِنْ حَيْثَا أَتَلَفْتُ                              |
| وَأَكْبَرُ ضُرِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي         | وَأَيُّ أَمْرٍ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ ؟                   |
| وَمَنْ ذَا الَّذِي يُذِلُّ بِمُذَرِّ وَحُجَّةٍ       | وَسَبْفُ الْمَنَآيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ ؟ <sup>(١)</sup> |
| يَمِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَعْلَبٍ مَوْقِفُ       | يُسَمِّلُ عَلَى السِّيفِ فِيهِ وَأَسْكُتُ                        |
| وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي           | لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتُ                       |
| وَلَكِنْ خَلَقَ صَيِّئَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ          | وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَصْرَةِ تَنْفَتَّتُ                        |
| كَأَنِّي أَرَامُ حِينَ أَنْتَ إِلَيْهِمْ             | وَقَدْ تَحَمَّشُوا تِلْكَ الْوُجُوهَ وَصَوْتُوا <sup>(٢)</sup>   |
| فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِنَيْطَلَةٍ        | أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتَّ مَوْتُوا <sup>(٣)</sup>   |
| فَكَمْ قَاتِلٍ لَا يَتَعَدَّى اللَّهُ رُوحَهُ        | وَأَخَرُ جَذَلَانٍ يُسَرُّ وَيَشْمَتُ                            |

فَتَبَسَّمَ الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ : « كَادَ وَاللَّهِ يَا تَعِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ الْعَذْلَ » <sup>(٤)</sup> ، أَذْهَبَ

[١] مسلول . [٢] خَشَوْجِهَ كَنَعَرُ وَضَرْبَ خَدَشِهِ وَلَطَمَهُ وَضَرَبَهُ . [٣] كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ .  
[٤] الْمَنْدَلُ كَشَمْسٍ وَسَبَّ : الْيَوْمُ ، وَهُوَ مِثْلُ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ضَبَّةً بَنَ أَدْنَى طَائِفَةٍ ، وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ  
يَقَالُ لِأَحَدِهِمَا سَعْدُ ، وَلِلْآخَرِ سَعِيدُ ، فَتَرْتِ ابْنُ لَضَبَةٍ تَحْتَ اللَّيْلِ ، فَوَجَّهَ ابْنَهُ فِي طَلِبِهَا خُفْرًا ، فَوَجَدَهَا  
سَعْدُ فَرَدَّهَا ، وَفَضَى سَعِيدُ فِي طَلِبِهَا ، فَفَقِيَ الْحَرْثُ بَنَ كَبَّ ، وَكَانَ عَلَى النَّعَامِ بَرْدَانُ ، فَسَأَلَ الْحَرْثُ لِإِخَاهَا  
فَأَنَّى عَلَيْهِ قَتْلُهُ وَأَخَذَ بَرْدِي ، فَكَانَ ضَبَّةً إِذَا أَسَى فَرَأَى تَحْتَ اللَّيْلِ سَوَادًا . قَالَ : أَسْعَدُ أَمْ سَعِيدُ ؟  
فَكُنْتُ ضَبَّةً بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُنْتُ ، ثُمَّ إِذَا حَجَّ نَوَالِي عَصَا ، فَتَقَى بِهَا الْحَرْثُ بَنَ كَبَّ ، وَرَأَى عَلَيْهِ



فقد غفرت لك الصبوة<sup>(١)</sup> ، وَوَهَبْتُكَ للصَّبِيَّةِ ، ثم أمر بفك ثيوده وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات . (العقد الفريد ١ : ١٤٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩)

### ١٣٥ — بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما ولى المهدي بالله<sup>(٢)</sup> بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حرُمته ، فقال : « أعزَّ الله الوزير ، أنا خادمك ، المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوى القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المُرْتَمِّن بشكر نعمتك » . (زهر الآداب ٣ : ١٩٧)

### ١٣٦ — أحمد بن أبي دواد والواثق (المتوفى سنة ٢٣٣ هـ)

دخل أحمد بن أبي دواد<sup>(٣)</sup> على الواثق فقال : ما زال اليوم قومٌ في ثلبك وتقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، والله ولى جزائه ، وعقابُ أمير المؤمنين من ورأه ، وما ذاك يا أمير المؤمنين من أنت ناصرُه ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

بردى ابنه سعيد فرفهما ، فقال له : هل أنت مخبري ما هذان البردان الاذان عليك ؟ دل بلى : فليت قلما ، وهما عليه فسألته لإيماهما ، فأبى على قتلته ، وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : سيفك هذا ؟ قال نعم ، فقال : فأعطنيه أنظر إليه فأبى أنظره صارما ، فأعطاه الحرت سيفه ، فلما أخذه من يده مزه وقال : الحديث ذو شجون ، ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له يا ضبة : أفى الصبر اغرام ؟ فقال : سبق السيف العدل . [١] جهالة الفتوة . [٢] تولى الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

[٣] هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، ونصره الاعتراف ، كان مقرباً من المأمون أثيراً عنده ، ولما ولى المعتصم الخلافة جعله قاضى القضاة ، وعزل يحيى بن أكرم وخسب به أحمد ، حتى كان لا يفضل فلا باطن ولا ظاهراً إلا برأيه ، ولما مات للمعتصم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ، ثم فلعج في أول خلافة للتوكل ، فقتل ولده محمداً القضاة مكانه ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . [٤] أى مظهره ، وفي قراءة « كبره » بضم الكاف .

وَمَسَعَى إِلَى أَمِيْبٍ عَزَّةَ مَعَشَرٍ جَعَلَ الْإِلَهُ خُدُودَهُنَ نِعَامَهَا

(رعر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، والقدر الرد ١ : ١٤١)

### ١٣٧ - ابن أبي دواد والوائق أيضاً

وقال الوائق وما لاس أبي دُواد نضجراً بكثرة حوائجه : قد أحليتُ يوتِ  
الأموالِ بطلِ تلكِ اللآئدين بك ، والمتوسلين إليك ، فقال :

« ما أمر المؤمنين ، تأخُّ شكرها متصله بك ، وذاتُها موصوله لك ، ومالي  
من ذلك إلا عِشْقُ اتصال الألسن بحلود المدح » ، فقال « والله لا منعناك  
ما يريد في عشقتك ، ويقوى في همتك فينا ولنا » ، وأمر فأخرج له خمسة وثلاثين  
ألف درهم . ( رعر الآداب ٢ : ٣١٠ )

### ١٣٨ - ابن أبي دواد وابن الزيات

وكان بين القاضي أحمد بن أبي دُواد وبن الوزير محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(١)</sup>  
منافسه وشجاء ، حتى منع الوزير شخصاً كان يصحب القاضي ، ويختص بقضاء  
حوائجه ، من التردد إله ، فبلغ ذلك القاضي ، فجاء إلى الوزير فقال له :  
« والله ما أحييتك مكثراً بك من قلة ، ولا متمزراً بك من ذله ، ولكن  
أمر المؤمنين رتبك مرتبه أو حَبَّتْ لِمَا لَكَ . فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا  
عنك فلك<sup>(٢)</sup> » ( وديان الأعيان ١ : ٢٥ )

[١] ورد باسمهم ، ولوائق من بعده ، ثم دكه للتوكل كما سيأتي .

[٢] وكان الوائق قد أمر ألا يرى أحد من الناس ابن الزيات ، إلا قام له ، فكان ابن أبي داود إذا  
راه قام واستأذنه في التمسك به .

## ١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دواد

وكان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن أبي دواد ، فلما تُكسب ابن الزيات <sup>(١)</sup> ، مُجل الجاحظ مقبلاً من البصرة ، وفي عنقه سلسلة ، وعليه قميص تَمَلُّ <sup>(٢)</sup> ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له : « والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة . كفوراً للصنيعة ، مَعْدِناً للساوئ ، وما فتنتي باستصلاحك ، ولكن الأيام لا تُصْلِحُ منك ، لفساد طَوَيْتِكَ ، ورداءة ذَخِيلَتِكَ ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .

فقال الجاحظ : « خَفَضَ عليك - أيذك الله - فوائده لأن يكون لك الأمر على ، خيرٌ من أن يكون لي عليك ، ولأن أُمي ، وَتُحْسِنَ ، أحسنُ في الأخذِ بغيره عليك ، من أن أحسن وتسي . وَلَآنَ تَفُوتُ عني في حال قدرتك ، أَجَلُ بك من الانتقام مني » .

فقال أحمد : والله ما علمتُك إلا كثيرَ ترويق الكلام ، خللٌ عنه التلُّ والقيد ، وأحسن إليه ، وصَدَّرَهُ في المجلس .

( زمر الآداب ٢ : ١٠٦ ، والية والأمل ص ٣٩ )

[١] كان في حس التزكل من ابن الزيات شيء كثير ، وذلك أنه لما مات الواثق (وهو أخو المتوكل) . أشار ابن الزيات بحولية ولد الواثق ، وأشار ابن أبي داود بنولية المتوكل ، وظام في ذلك وقد صدق محمده بيده وألهمه الردة ، وقتله حين عييه . وكان للمتوكل في أيام الواثق يدخل على ابن الزيات فيجهره وينطق له في الكلام - يخرجه بذلك إلى الواثق - فقد التزكل ذلك عليه ، طاروا في الخلافة ، أمهله أربعين يوماً حتى يطش إليه ، ثم قبض عليه وسجنه ، وأسس أمواله ، وكان ابن الزيات حين وزارته قد اتخذ تنوراً من حديد ، وأطراف مسابره إلى داخل ، وهي قائمة مثل رموس السلسلة ، يعذب فيه من يشتاقون العذوبة وكان إذا حال أمدحهم أرحى أيها الوزير . قال له : الرحمة خور في الطبيعة ، طما اعتقه للمتوكل أمره ما دخله - التنوير ، ولقيدته بخسة عمر وطلا من الحديد ، فقال : يا أمير المؤمنين أرحمني ، فقال له : الرحمة خور ، القابضة ، وهي في المذاب أربعين يوماً حتى مات سنة ٢٤٣ هـ .

[٢] السبل : الخلق من الثياب .

## ١٤٠ - أبو العيناء وابن أبي دؤاد

وقال أبو العيناء لابن أبي دؤاد : إن قوماً من أهل البصرة قدِموا إلى  
«سُرْمَنْ رَأَى» يَدَا عَلِيٍّ ، فقال : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ، فقلت : إن لهم مكرأً ،  
فقال : «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» ، فقلت : إنهم كثير ، قال :  
«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .

( زهر الآداب ٢ : ٣١٠ ، والعقد الرريد ١ : ١٤١ )

## تم الجزء الثالث

ويليه

ذيل الجمهرة



فهرس

# الجزء الثالث

من جمهرة خطب العرب

## الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

| الخطبة أو الوصية                              | رقم<br>الخطبة | رقم<br>الصفحة |
|-----------------------------------------------|---------------|---------------|
| خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة      | ١             | ١             |
| » داود بن عليّ                                | ٢             | ٣             |
| » داود بن عليّ وقد أرتج على السفاح            | ٣             | ٦             |
| » أخرى له                                     | ٤             | ٧             |
| » » للسفاح بالكوفة                            | ٥             | ٧             |
| » السفاح بالشام حين قتل مروان                 | ٦             | ٨             |
| » عيسى بن عليّ » »                            | ٧             | ٨             |
| » داود بن عليّ بمكة                           | ٨             | ٩             |
| خطبته بالمدينة                                | ٩             | ١٠            |
| خطبة أخرى له                                  | ١٠            | ١٠            |
| خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بني العباس | ١١            | ١١            |
| » وقد أرتج عليه                               | ١٢            | ١٢            |
| خطبة صالح بن عليّ                             | ١٣            | ١٣            |
| » سديف بن ميمون                               | ١٤            | ١٣            |
| » أبي مسلم الخراساني                          | ١٥            | ١٥            |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

|                                                 |    |    |
|-------------------------------------------------|----|----|
| خالد بن صفوان وأحوال السفاح                     | ١٦ | ١٧ |
| » » » ورجل من بني عبد الدار                     | ١٧ | ١٩ |
| » » » يرثي صديقاً له                            | ١٨ | ٢٠ |
| » » » يمدح رجلاً                                | ١٩ | ٢٠ |
| كلمات بليغة لخالد بن صفوان                      | ٢٠ | ٢٠ |
| عمارة بن حمزة والسفاح                           | ٢١ | ٢١ |
| خطب أبي جعفر المنصور                            |    | ٢٢ |
| خطبته بمكة                                      | ٢٢ | ٢٢ |
| » » بعد بناء ببغداد                             | ٢٣ | ٢٢ |
| » ببغداد                                        | ٢٤ | ٢٣ |
| » وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته           | ٢٥ | ٢٣ |
| » حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن | ٢٦ | ٢٦ |
| » وقد قتل أبا مسلم الخراساني                    | ٢٧ | ٢٦ |
| خطبة أخرى                                       | ٢٨ | ٢٧ |
| قوله وقد قوطع في خطبته                          | ٢٩ | ٢٧ |
| المنصور يصف خلفاء بني أمية                      | ٣٠ | ٢٨ |
| » » عبد الرحمن الداخل                           | ٣١ | ٢٩ |
| وصايا المنصور لابنه المهدي                      |    | ٢٩ |
| وصية له                                         | ٣٢ | ٢٩ |
| » أخرى له                                       | ٣٣ | ٣٠ |
| » » »                                           | ٣٤ | ٣١ |
| خطبة النفس الزكية حين خرج على الناس             | ٣٥ | ٣٢ |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

|                                                  |    |    |
|--------------------------------------------------|----|----|
| وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه     | ٣٦ | ٣٣ |
| قوله وقد قتل ابنه محمد                           | ٣٧ | ٣٤ |
| امراة محمد بن عبد الله والمنصور                  | ٣٨ | ٣٤ |
| جعفر الصادق والمنصور                             | ٣٩ | ٣٥ |
| صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب | ٤٠ | ٣٦ |
| استطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور                | ٤١ | ٣٧ |
| » » » المنصور أيضاً                              | ٤٢ | ٣٨ |
| أبو جعفر المنصور والربيع                         | ٤٣ | ٣٩ |
| مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور                | ٤٤ | ٤٠ |
| » رجل من الزهاد » » »                            | ٤٥ | ٤٠ |
| » الأوزاعي بين يدي المنصور                       | ٤٦ | ٤٣ |
| نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة المنصور               | ٤٧ | ٤٦ |
| معن بن زائدة والمنصور                            | ٤٨ | ٤٧ |
| » » » وأحد زواره                                 | ٤٩ | ٤٨ |
| للمنصور وأحد الأعراب                             | ٥٠ | ٤٨ |
| أعرابية تعزى للمنصور وتمنئته                     | ٥١ | ٤٨ |
| خطبة محمد بن سليمان                              | ٥٢ | ٤٩ |
| وصية مسلم بن قتيبة                               | ٥٣ | ٤٩ |
| خطبة المهدي                                      | ٥٤ | ٥٠ |

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان ٥٢

مقال سلام صاحب للظالم ٥٥ ٥٣

» الربيع بن يونس ٥٦ ٥٤

» الفضل بن العباس ٥٧ ٥٥

|                                                           |    |    |
|-----------------------------------------------------------|----|----|
| مقال طيّ بن المهدي                                        | ٥٨ | ٥٧ |
| » موسى بن المهدي                                          | ٥٩ | ٥٩ |
| » العباس بن محمد                                          | ٦٠ | ٦٠ |
| » هرون بن المهدي                                          | ٦١ | ٦٢ |
| » صالح بن طيّ                                             | ٦٢ | ٦٤ |
| » محمد بن الليث                                           | ٦٣ | ٦٤ |
| » معاوية بن عبد الله                                      | ٦٤ | ٦٦ |
| » المهدي                                                  | ٦٥ | ٦٨ |
| » محمد بن الليث                                           | ٦٦ | ٧٠ |
| » المهدي                                                  | ٦٧ | ٧١ |
| ابن عتبة يمزى المهدي ويهنئه                               | ٦٨ | ٧٤ |
| يعقوب بن داود يستطف للمهدي                                | ٦٩ | ٧٤ |
| رجل من أهل خراسان يخطب بمحضرة المهدي                      | ٧٠ | ٧٥ |
| مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي للمهدي                    | ٧١ | ٧٥ |
| عظلة شبيب بن شيبه للمهدي                                  | ٧٢ | ٧٦ |
| خطبته في تمزية المهدي بابنته                              | ٧٣ | ٧٦ |
| خطبة أخرى له في مدح الخليفة                               | ٧٤ | ٧٧ |
| كلمات لشبيب بن شيبه                                       | ٧٥ | ٧٨ |
| خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرشيد الخلافة | ٧٦ | ٧٨ |
| خطبة هرون الرشيد                                          | ٧٧ | ٨٠ |
| وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين                             | ٧٨ | ٨٢ |
| خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي                                | ٧٩ | ٨٢ |
| استطاف أم جعفر بن يحيى الرشيد                             | ٨٠ | ٨٥ |



الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة  
رقم  
الخطبة

|                                         |     |     |
|-----------------------------------------|-----|-----|
| خطبة يزيد بن يزيد الشيباني              | ٨١  | ٨٩  |
| » عبد الملك بن صالح                     | ٨٢  | ٩٠  |
| عبد الملك بن صالح يمزى الرشيد ويهنئه    | ٨٣  | ٩٠  |
| غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح        | ٨٤  | ٩٠  |
| قوله بعد خروجه من السجن                 | ٨٥  | ٩٤  |
| وصية عبد الملك بن صالح لابنه            | ٨٦  | ٩٥  |
| » أخرى له                               | ٨٧  | ٩٧  |
| كلمات حكيمة لابن السماك                 | ٨٨  | ٩٧  |
| ابن السماك ولرشيد                       | ٨٩  | ٩٧  |
| الفتنة بين الأمين والمأمون              |     | ٩٩  |
| وفد الأمين إلى المأمون                  |     |     |
| خطبة العباس بن موسى                     | ٩٠  | ٩٩  |
| » عيسى بن جعفر                          | ٩١  | ١٠٠ |
| » محمد بن عيسى بن نهيك                  | ٩٢  | ١٠٠ |
| » صالح صاحب المصلى                      | ٩٣  | ١٠١ |
| » المأمون                               | ٩٤  | ١٠١ |
| وصية السيدة زبيدة لعلی بن عيسى بن ماهان | ٩٥  | ١٠٢ |
| » الأمين لابن ماهان                     | ٩٦  | ١٠٣ |
| استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين   | ٩٧  | ١٠٤ |
| حزم طاهر وقوة عزمه                      | ٩٨  | ١٠٥ |
| طاهر يشد عزيمته جنده                    | ٩٩  | ١٠٦ |
| وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين         | ١٠٠ | ١٠٧ |
| وصية الأمين لأحمد بن يزيد               | ١٠١ | ١٠٨ |

|     |     |                                                         |
|-----|-----|---------------------------------------------------------|
| ١٠٩ | ١٠٢ | مقال عبد الملك بن صالح للأمين                           |
| ١١٠ | ١٠٣ | الشنب في جيش عبد الملك بن صالح                          |
| ١١١ | ١٠٤ | خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان يدعو إلى خلع الأمين |
| ١١٢ | ١٠٥ | » محمد بن أبي خالد                                      |
| ١١٣ | ١٠٦ | إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة              |
| ١١٤ | ١٠٧ | خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين                   |
| ١١٥ | ١٠٨ | » الأمين وقد تولى الأمر عنه                             |
| ١١٧ | ١٠٩ | استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون                         |
| ١١٨ | ١١٠ | خطبة طاهر بن الحسين ببغداد ضد مقتل الأمين               |
| ١١٩ |     | خطب المأمون                                             |

|     |     |                               |
|-----|-----|-------------------------------|
| ١١٩ | ١١١ | خطبته وقد ورد عليه في الرشيد  |
| ١١٩ | ١١٢ | » وقد سلم الناس عليه بالخلافة |
| ١٢٠ | ١١٣ | » يوم الجمعة                  |
| ١٢١ | ١١٤ | » يوم الأضحي                  |
| ١٢٢ | ١١٥ | » يوم الفطر                   |

|     |     |                                           |
|-----|-----|-------------------------------------------|
| ١٢٤ | ١١٦ | خطبة ابن طباطبا العلوي                    |
| ١٢٥ | ١١٧ | استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون         |
| ١٢٧ | ١١٨ | إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب          |
| ١٢٨ | ١١٩ | استعطاف إسحاق بن المباس للمأمون           |
| ١٢٩ | ١٢٠ | أحد وجوه بغداد يمدح للمأمون حين دخلها     |
| ١٣٠ | ١٢١ | أحد أهل الكوفة يمدح للمأمون               |
| ١٣٠ | ١٢٢ | محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي للمأمون |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة  
رقم  
الخطبة

|     |     |                                                                         |
|-----|-----|-------------------------------------------------------------------------|
| ١٣٠ | ١٢٣ | الحسن بن سهل يمدح للأمون                                                |
| ١٣١ | ١٢٤ | يحيى بن أكثم يمدح للأمون                                                |
| ١٣٢ | ١٢٥ | أحد بنى هاشم والأمون                                                    |
| ١٣٢ | ١٢٦ | رجل يتظلم إلى للأمون                                                    |
| ١٣٢ | ١٢٧ | عمرو بن سعيد والأمون                                                    |
| ١٣٣ | ١٢٨ | الحسن بن رجاء والأمون                                                   |
| ١٣٣ | ١٢٩ | سعيد بن مسلم والأمون                                                    |
| ١٣٤ | ١٣٠ | أوزمان يعظ سعيد بن مسلم                                                 |
| ١٣٤ | ١٣١ | وصية طاهر بن الحسين لابته عبد الله لماولاه الأمون الرقة ومصر وما بينهما |
| ١٤٦ | ١٣٢ | خطبة عبد الله بن طاهر                                                   |
| ١٤٧ | ١٣٣ | العباس بن الأمون والمعتصم                                               |
| ١٤٧ | ١٣٤ | استمطاف تميم بن جميل للمعتصم                                            |
| ١٤٩ | ١٣٥ | بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله                                 |
| ١٤٩ | ١٣٦ | أحمد بن أبي دواد والوائق                                                |
| ١٥٠ | ١٣٧ | ابن أبي دواد والوائق أيضاً                                              |
| ١٥٠ | ١٣٨ | ابن أبي دواد وابن الزيات                                                |
| ١٥١ | ١٣٩ | الجاحظ وابن أبي دواد                                                    |
| ١٥٢ | ١٤٠ | أبو العيناء وابن أبي دواد                                               |

# فهرس أعلام الخطباء

## مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

| ح                                 | ا                                |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| الحارث بن عبد الرحمن ٣٧           | إبراهيم بن للهدى ١٢٥ - ١٢٧       |
| الحسن بن رجاء ١٣٣                 | ابن السماك ٩٧                    |
| الحسن بن سهل ١٣٠                  | ابن طباطبا العلوى ١٢٤            |
| الحسين بن على بن عيسى بن ماهان ١١ | ابن عتبة ٧٤                      |
| خ                                 | ب                                |
| خالد بن صفوان ١٧ - ١٩ - ٢٠        | أبو جعفر للنصور ٢٢ - ٢٣ - ٢٦ -   |
|                                   | ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٦      |
| د                                 | ج                                |
| داود بن على                       | أبوزمان العللى ١٣٤               |
| ٣ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٢       | أبو العباس السفاح ١ - ٧ - ٨      |
| داود بن عيسى ١١٤                  | أبو مسلم الخراسانى ١٥            |
| ر                                 | د                                |
| الربيع بن يونس ٣٩ - ٥٤            | أحمد بن أبى دواد ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢ |
| ز                                 | هـ                               |
| اليدة زيدة ١٠٢                    | إسحاق بن العباس ١٢٨              |
|                                   | أم جعفر بن يحيى ٨٥               |
| س                                 | و                                |
| سديف بن ميمون ١٣                  | الأمين ١٠٣ - ١٠٨ - ١١٥           |
| سميد بن مسلم ١٣٣                  | الأوزاعى ٤٣                      |
| سلام (صاحب للظالم) ٥٣             | ت                                |
| ش                                 | ث                                |
| شبيب بن شيبه ٧٦ - ٧٧ - ٧٨         | تميم بن جميل ١٤٧                 |
|                                   | ج                                |
|                                   | الملاحظ ١٥١                      |
|                                   | جعفر الصادق ٣٥                   |
|                                   | جعفر بن يحيى البرمكى ٨٢          |

الفضل بن العباس ٥٥

- م -

لأأمون ١٠١-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢

محمد بن أبي خالد ١١٢

محمد بن سليمان ٤٩

محمد بن عبد الملك بن صالح ١٣٠

محمد بن عيسى بن نهيك ١٠٠

محمد بن الليث ٦٤-٧٠

مسلم بن قتيبة ٤٩

معاوية بن عبد الله ٦٦

معن بن زائدة ٤٧

المهدي ٥٠-٦٨-٧١

- ن -

النفس الزكية ٣٢

- ه -

المسادي ٥٩

هرون الرشيد ٦٢-٨٠-٨٢

- ي -

يحيى بن أكرم ١٣١

يزيد بن عمر بن هبيرة ٤٦

يزيد بن مزيد الشيباني ٨٩

يعقوب بن داود ٧٤

يوسف بن القاسم بن صبيح ٧٨

تم فهرس أعلام الخطباء

- ص -

صالح (صاحب المصلى) ١٠١

صالح بن عبد الجليل ٧٥

صالح بن علي ١٣-٦٤

- ط -

طاهر بن الحسين

١٠٥-١٠٦-١١٨-١٣٤

- ع -

العباس بن لأأمون ١٤٧

العباس بن محمد ٦٠

العباس بن موسى ٩٩

عبد الله بن الحسن ٣٣-٣٤

عبد الله بن طاهر ١٤٦

عبد الملك بن صالح

٩٠-٩١-٩٤-٩٥-٩٧-١٠٩

عثمان بن خزيم ٣٨

علي بن عيسى بن ماهان ١٠٤

علي بن المهدي ٥٧

عمارة بن حمزة ٢١

عمرو بن سعيد ١٣٢

عمرو بن عبيد ٤٠

عيسى بن جعفر ١٠٠

عيسى بن علي ٨

- ف -

الفضل بن الربيع ١٠٧-١١٧

جدول الخطأ والصواب

| الصواب      | الخطأ    | مدة سطر |     |
|-------------|----------|---------|-----|
| وأرمض       | أرومض    | ٢١      | ٤   |
| لأولي       | لأولي    | ٨       | ١٧  |
| ثقلت        | ثقلت     | ٧       | ٣٩  |
| (تخذف)      | إن       | ١٠      | ٤٣  |
| المنصور     | المنصور  | ٨       | ٤٤  |
| سجالها      | سجالها   | ٩       | ٥٣  |
| الخطب       | الخطب    | ١٠      | ٥٧  |
| ٣٣.         | ٣٠.      | ١٠      | ٦٠  |
| بالمعدلة    | بالمعدلة | ١٤      | ٦٩  |
| حُسنه       | محسنه    | ١٨      | ٧٧  |
| الرشد       | الرشد    | ٥       | ١٠٠ |
| كل ما أوصيك | كل أوصيك | ١٩      | ١٠٣ |

ذِيكَ

جَهْرُ خُطْبِ الْعَرَبِ

فِي عِصْرِ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

ويحوى خمسة أبواب :

- الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة
- » الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها
- » الثالث : في نثر الأعراب
- » الرابع : في خطب النكاح
- » الخامس : في خطب من أرتج عليهم ونوادر طريفة  
لبعض الخطباء .

## فهرس المآخذ

- فتح الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمح الأنفس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب ، :
- لمحي الدين بن على المراكشى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، للسان :
- الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : » الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول - الثانى
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » السابع - الثامن
- مروج الذهب : للمسعودى : الجزء الثانى



- : الصناعتين ، لأبي هلال المسكري
- : بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور
- : سرح العيون : لابن نباتة المصرى
- : سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزى
- : مواسم الأدب للسيد جعفر البيهقي العلوى : الجزء الثانى
- : بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث
- مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح



## الباب الأول

في

### خطب الأندلسيين والمغاربة

١ - خطبة عبد الرحمن الداخل ( المتوفى سنة ١٧١ هـ )

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل<sup>(١)</sup> ، يوم حربه مع يوسف الفهري<sup>(٢)</sup> صاحب الأندلس ، ورأى شدة مُقاساة أصحابه قال :  
« هذا اليوم هو أُنْ ما يُنْفَى عليه ، إِمَّا ذَلَّ الدهر ، وإِمَّا عَزَّ الدهر ،  
فاصبرُوا ساعةً فيما لا تشتهون ، تَرْبَحُوا بها بقيةَ أعماركم فيما تشتهون » .

ولما أُنْحَى أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قُرْطُبة قال :

[١] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالفاصل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالمرق ما أصابها ، وتبع الفلاح من بقي من بني أمية بالقتل والإهلاك ، فرّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، واستطاع بهمه أن يؤسس هناك دولة أورثها حقه حبة من الدهر ، وهي دولة بني أمية في المغرب من سنة ١٢٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت خاصة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الوادي الكبير .  
[٢] يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن حبة بن نافع بن أبي القتيوان ، وأمير معاوية على أفريقيا والمغرب ، وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ غدت له تسع سنين وتسعة أشهر ، ومنه انتقل سلطانها إلى بني أمية .

« لا تستأصلوا شأفة <sup>(١)</sup> أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشدّ عداوةً منهم »  
- يشير إلى استبقائهم ، ليُستعان بهم على أعداء الدين - . (فتح الطيب ٢ : ٧٠)

## ٢ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذعن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استحضر  
الوفود إلى قرطبة ، فأنالوا <sup>(٢)</sup> عليه ، وإلى القعود لهم في قصره عدة أيام ، في  
مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم ، بكلام سرهم ، وطيب نفوسهم .  
وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين <sup>(٣)</sup>  
يستجديه ، فقال له :

« يا بن الخلائف الراشدين ، والسادة الأكرمين ، إليك فرزت ، وبك  
عُذت ، من زمن ظُلم ، ودهرٍ غشوم ، قلل المال ، وكثر العيال ، وشعث <sup>(٤)</sup>  
الحال ، فصيرَ إلى نَدَاك المآل ، وأنت وليّ الحمد والمجد ، والمرجوِّ لِرَفْد <sup>(٥)</sup> » .  
فقال له عبد الرحمن مسرعاً :

« قد سمعنا مقاتلك ، وقصينا حاجتك ، وأمرنا بعونك على دهرك ، على  
كُرهننا لسوء مقامك ، فلا تعودنّ ولا سواك لمثله ، من إراقة ماء وجهك بتصریح  
المسألة ، والإلحاف في الطلبة <sup>(٦)</sup> ، وإذا ألم بك خطبٌ ، أو حزَبك <sup>(٧)</sup> أمرٌ ،  
فارفمه إلينا في رُقعة لا تعدوك ، كيما نستُر عليك خلَّتكَ ، ونكفُ ثِمَات العدو  
عنك ، بعد رفعك لها إلى مالِكِك ومالِكنا - عزَّ وجهه - بإخلاص الدعاء ،  
وصدق النية » .

[١] الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، أو إذا قطعت مات صاحبها ، والأصل ،  
واستأصل الله شأفته : أذهب كما تذهب تلك القرحة ، أو معناه أزاله من أصله .

[٢] أنال : انصب ، أى تناهى وتوافدوا عليه . [٣] بالشام .

[٤] شعث الأمر : فسره وفرقه . [٥] الرشد : العطاء والصلوة .

[٦] الطلبة : الطلب . [٧] أى اشتد عليك ، والحلة : الحاجة .

وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون من حسن منطقته ، وبراعة أدبه ، وكفّ فيما بعدُ ذو الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه .

( فتح الطيب ٢ : ٦٨ )

٣ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سر قسطة ولما فتح عبد الرحمن الداخل سر قسطة<sup>(١)</sup> ، وحصل في يده ثأرها الحسين الأنصاري ، وانهى نصره فيها إلى غاية أملة ، أقبل خواصه يهتفون ، فجري بينهم أحدٌ من لا يؤتبه به من الجند ، فهتأه بصوت عال ، فقال له عبد الرحمن : « وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمٌ أُسْبِغَ عَلَيَّ فِيهِ النِّعْمَةُ مَنْ هُوَ فَوْقِي ، فَأَوْجِبَ عَلَيَّ ذَلِكَ أَنْ أَتِمَّ فِيهِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، لِأَصْلِيَّتِكَ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ مِنْ سُوءِ الشَّكَالِ ، مَنْ تَكُونُ ؟ حَتَّى تُقْبَلَ مِنْتَا رَافِعًا صَوْتَكَ ، غَيْرَ مُتَلَجِّجٍ وَلَا مُتَهَيِّبٍ لِمَكَانِ الْإِمَارَةِ ، وَلَا عَارِفٍ بِقِيَمَتِهَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ تَخَاطَبُ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ ! وَإِنْ جِهَلَك لِيَحْمِلَكَ عَلَى الْعَوْدِ لِمَثَلِهَا ، فَلَا تَجِدْ مِثْلَ هَذَا الشَّافِعِ فِي مِثْلِهَا مِنْ عَقُوبَةٍ . » فقال : « وَلِمَلِ قُتُوحَاتِ الْأَمِيرِ يَقْتَرِنَ اتِّصَالُهَا بِاتِّصَالِ جَهْلِي وَذَنُوبِي ، فَتَشْفَعَنِي لِي مَتَى أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الزَّلَّةِ ، لَا أَعِدُ مِنْهُ إِلَهَ تَعَالَى . »

فتهلل وجه الأمير ، وقال : ليس هذا باعتذار جاهل ، ثم قال : نبهونا على أنفسكم إذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ، ورفع مرتبته وزاد في عطائه . ( فتح الطيب ٢ : ٧٠ )

٤ - تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر

كَانَ الْمُنْذَرُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ<sup>(٢)</sup> سَيِّئُ الْخُلُقِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، كَثِيرُ الْإِسْفَاءِ إِلَى أَقْوَالِ الْوُشَاةِ ، مُفْرِطُ الْفُلُوقِ مِمَّا يَقَالُ فِي جَانِبِهِ ، مَعَاقِبًا عَلَى

[١] مدينة على نهر إبرة . [٢] هو عبد الرحمن الأوسط ( الثاني ) ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٢٨ هـ .

ذلك من يقدر على معاقبته ، مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فأمر ثقة من ثقاته أن يبنى بجبل منقطع عن العمران بناءً يسكن فيه ابنه ، وألّا يدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر المنذر في ذلك المكان ، وبقي وحده ، ونظر إلى ما سلبه من الملك ، ضجّر وقال للثقة : عسى أن يصلني غلمانى وأصحابى آنسُ بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك ، لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد بذلك غيخته وتأديبه ، فكتب إليه يشكو استيحاشه<sup>(١)</sup> بمكانه ، فلما وقف الأمير على رفقته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه استدعاه ، فقال له :

« وصلت رقعتك ، تشكو ما أصابك من توحش الانفراد ، في ذلك الموضع ، وترغب أن تأنس بخوّلِكَ<sup>(٢)</sup> وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكونك في ذلك المكان ، وما فعلت ذلك عقاباً لك ، وإنما رأييناك تكثر الضجّر والتشكى من القال والقال ، فأردنا راحتك بأن نحجّب عنك سماع كلام من يرفع لك وَيَنِمّ ، حتى تستريح منهم » .  
فقال له : « سماع ما كنت أضجّر منه ، أخفّ على من التوحد والتوحش ، والتخلّى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهي » .

فقال له : « فَإِذَا قَدْ عَرَفْتَ وَتَأَدَّبْتَ ، فارجع إلى ما اعتدته ، وَعَوَّلْ على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم ترَ ، وقد قال النبي صلى الله

[١] ونس الكتاب : « إني قد توحشت في هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد ، وعدمت فيه من كنت آنس إليه ، وأصبحت مملوب المز ، فقيد الأمر والنهي ، فإن كان ذلك عقاباً لذنب كبير ارتكبته » وعلمه مولاي ولم أعلمه ، فإني صابر على تأديبه ، ضارع إليه في عفوه وصفحه .

وإت أمير المؤمنين ونظير لك الله لا حار بما فعل النهر »

[٢] الخوّل : مثال الخدم والمخدم وزنا ومعنى .

عليه وسلم : « لو تكاشفتُم ما تدافتم » ، واعلم أنك أقربُ الناسِ إلىَّ ، وأحَبُّهم فيَّ ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكارٍ عليَّ ، وسُخْط لما أفعله في جانبك ، أو جانب غيرك ، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني ، لكن الحمد لله الذي حَفِظَ ما بين القلوب ، بِسَرٍّ بعضها عن بعض ، فيما يحول فيها ، وإنك لنو حِمَّةٍ وَمَطْمَحٍ ، ومن يكن هكذا يَصْبِرُ وَيَنْصِرُ وَيَحْمِلُ ، وَيُثَدِّلُ بالعقاب الثواب ، ويصيرُ الأعداء من قبيل الأصدقاء ، ويصبر من الشخص على ما يسوء ، فقد يَرَى منه بعد ذلك ما يَسُرُّ ، ولقد يخِفُّ علىَّ اليومَ مَنْ قاسيتُ من فعله وقوله ما لو قطعتمهم عضواً عضواً لِمَا ارتكبه مني ، ما شفيتُ منهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لاسيما عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع مَنْ حولي مِمَّنْ يُحْسِنُ وَيُسِيءُ ، فوجدت القلوب متقاربةً بعضها من بعض ، ونظرت إلى السيء يعود محسناً ، والمحسن يعود مسيئاً ، وصرتُ أُنْذِمُ على من سَبَقَ له مني عقاب ، ولا أُنْذِمُ على من سَبَقَ له مني ثواب ؛ فالزَمَ يا بني معالي الأمور ، وإن جَآها في التناضى ، ومن لا يتفاض لا يسلم له صاحب ، ولا يُقَرَّبُ منه جانبٌ ، ولا يَنال ما ترقى إليه همته ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُعيناً حين يحتاج إليه .

فقبل المنذريده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تخلَّق بالخلق الجميل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ، ورُفِعَ قدره . (فتح الطيب ٢ : ٣٢٧)

ه — عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضا

وقال له أبوه يوماً : إن فيك لتيهاً مُفْرِطاً ، فقال له : حَقٌّ لفرج أنت أصله أن يعلو ، فقال له : يا بني ، إن العيون تَمُجُّ التَّيَّاه ، والقلوب تنفِرُ عنه ، فقال :

يا أباي ، لى من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يَحِلَّ<sup>(١)</sup> عن ذلك ، وإني لم أر العيون إلا مُقْبِلَةً عَلَىَّ ، ولا الأسماع إلا مُصْغِيَةً إِلَىَّ ، وإن لهذا السلطان رَوْثَقًا يُرِيْقُهُ التَّبَذُّلُ ، وَغُلُوًّا يَخْفِضُهُ الانْبِساطُ ، ولا يصونه ويشرفه إلا التَّيِّه والانتقاض<sup>(٢)</sup> ، وإن هؤلاء الأندال ، لهم ميزان يَسْبُرُونَ<sup>(٣)</sup> به الرجل منا ، فإن رَأَوْه راجحًا ، عَرَفُوا له قدر رَجَاحَتِهِ ، وإن رَأَوْه ناقصًا عاملوه بنقصه ، وصَيَّرُوا تواضعه صِغْرًا ، وتَخَفُّضَهُ خِسَّةً ، فقال له أبوه : لَهَأَنْتِ ! فابْقِ وما رأيت .  
( فتح الطيب ٢ : ٣٢٩ )

## ٦ - يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه

ومدح بعض الشعراء يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بمال جزيل ، فلما كَانَ مثل ذلك الوقت ، جاءه بمدح آخر ، فقال أحد خُدَّام يعقوب : هذا اللئيم له دَيْنٌ عندنا يَقْتَضِيهِ ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إن كان الله تعالى خلقك محبوبًا على كُرْهِ رَبِّ الصَّنَائِعِ ، فاجِر على ما جُبِلَتْ عليه في نفسك ، ولا تكن كالأجرب يُعْدِي غَيْرَهُ ، وإن هذا رجل قَصَدْنَا قَبْلُ ، فكان منا أَشَرُّ<sup>(١)</sup> به ، وحمله على العودة ، وقد ظن فينا خيرا ، فلا تَحْيَبْ ظَنَّهُ ، والحديث أَبَدًا يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهئية بالعمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يُطِيلَ عمرنا ، حتى يَكْثُرَ تَرَدَّاده ، وَيُذِمَّ نَمَنَّا حتى

[١] في الأصل : « يَجْمَل » ، وأرى صوابه : « يَجْل » .

[٢] جرى في ذلك على سنن أبي مسلم الخراساني ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا تَكْمُوا الناس إلا رمزاً ، ولا تلحظوهم إلا شزراً ، لتملأ صدورهم من هيتكم » - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٩٩ -

[٣] السبر : امتعان غور الجرح . [٤] أشمر : مرج .

نجد ما نَنعم به عليه ، ويحفظ علينا مَرُوءتنا ، حتى يعيننا على التَّجَمُّل معه ، ولا يُثَلِّينا بِمَجْلِسٍ مِثْلِكَ ، يَقْبِضُ أَيْدِيَنَا عَنْ إِسْدَاءِ الْإِيَادِي .

وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبلُ ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان ما دام العمر . ( فتح الطيب ٢ : ٣٣٠ )

٧ - وفاة الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز واعتذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كَانَ الْوَزِيرُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَانِمٍ صَدِيقًا لِلْوَزِيرِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثَابِتًا عَلَى مَوَدَّتِهِ، فَلَمَّا قَضَى اللَّهُ عَلَى هَاشِمٍ بِالْأَسْرِ، أَجْرَى السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ<sup>(١)</sup> ذِكْرَهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ خُدَّامِهِ، وَالْوَلِيدُ حَاضِرٌ، فَنَسَبَهُ إِلَى الطَّيْشِ وَالْمَجَلَّةِ وَالِاسْتِبْدَادِ بِرَأْيِهِ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ اعْتَذَرَ عَنْهُ غَيْرَ الْوَلِيدِ، فَقَالَ :

« أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمِيرَ ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَاشِمٍ التَّخْيِيرُ فِي الْأُمُورِ ، وَلَا الْخُرُوجُ عَنِ الْمَقْدُورِ ، بَلْ قَدْ اسْتَعْمَلَ جَهْدَهُ ، وَاسْتَفْرَغَ نَفْسَهُ ، وَقَضَى حَقَّ الْإِقْدَامِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِلَّاكُ النَّصْرِ يَدُهُ ، نَحْذَلُهُ مِنْ وَثِقَ بِهِ ، وَنَكَلُ عَنْهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمْ يُرْجَحْ قَدَمَتُهُ عَنْ مَوْطِنِ حِفَاظِهِ ، حَتَّى مُلِّكَ مُقْبَلًا غَيْرَ مُذْبِرٍ ، مُثْبَلًا غَيْرَ قَسِيلٍ ، فُجُوزِي خَيْرًا عَنْ نَفْسِهِ وَسُلْطَانِهِ ، فَإِنَّهُ لَا طَرِيقَ لِلْعَلَامِ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَعَلَتِ الْحَرْبُ الْفَشُومَ ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مَا قَصَدَ أَنْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ إِلَّا رِضًا لِلْأَمِيرِ ، وَاجْتِنَابًا لِسُخْطِهِ ، فَإِذَا كَانَ مَا اعْتَمَدَ فِيهِ الرِّضَا جَالِبَ التَّقْصِيرِ ، فَذَلِكَ مَعْدُودٌ فِي سُوءِ الْحِظِّ » .

[١] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ إلى سنة ٢٧٣ هـ ، وكان غزاه لأهل الترك والخلاف ، ورجما أو قتل في بلاد الدوم سنة أشهر أو أكثر بحرق وقيف ، وله في الدوم قصة وادي سليل ، وهي من أهميات الواقع لم يعرف مثلها في الأندلس قبلها .



فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر عن تنفيذ هاشم ، وسمى في تخلصه . ( فتح الطيب ٢ . ٢٣٠ )

## ٨ — خطبة منذر بن سعيد البلوطي <sup>(١)</sup> (المتوفى سنة ٣٥٥ هـ)

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى المؤرخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله <sup>(٢)</sup> ، بلغ من عزّة الملك ، ورفعة السلطان بالأندلس ، أن كانت ملوك الروم والإفرنجة ترّدّلف إليه ، تطلب مهادنته ، وتُهدى إليه أنفس الذخائر ، ومن جملتهم قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية ، فقد رَغِبَ في موادعته ، وبث إليه سنة ٣٣٨ هـ وفداً من قبله بهدية له ، فتأهّب الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً رائماً ، أحبّ أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ، وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهبّأ من توطيد الخلافة في دولته ، وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم صنيعة الفقيه محمد بن عبد البر بالتأهّب لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ، بهّره هولُ المقام ، وأبهةُ الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غشي عليه وسقط

[١] ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حاذقاً فيه ، شديد المارضة حاضر الجواب عتيده ، ثابت الحجة ، ولي بقرطبة قضاء الجماعة — المبر عنه في المشرق بقضاء القضاة — لعبد الرحمن الناصر ، ثم لابنه الحكم المستنصر ، ستة عشر طاماً من سنة ٣٣٩ إلى سنة ٣٥٥ هـ ، لم يحفظ عليه فيها جور في قضية ، ولا قسم بغير سوية ، ولا ميل لهوى .

[٢] هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو أول من تسمى من أمراء بني أمية بالأندلس بأمر المؤمنين عندما التأت أمر الخلافة بالشرق ، وغلب موالى الترك على بني البساس ، وبلغه أن الفتنة قد مولاة مؤسس الظفر سنة ٣١٧ هـ .

إلى الأرض ، فقيل لأبي عليّ القالي - صاحب الأمالي ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق - : قَم فارق هذا الوهمي<sup>(١)</sup> ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكناً متفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطي - وكان ممن حضر في زُمرَةِ الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من مِرقاته ، فوصل افتتاح أبي عليّ لأول خطبته بكلام كَانَ يَسُحُّه سَحّاً ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، فقال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والتَّعَدُّاد لآلائه ، والشكر لِنِعَمائه ، والصلاة والسلام على محمد صَفِيَّهِ وخاتمِ أنبيائه ، فإن لكل حَادِثَةٍ مَقَاماً ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحقِّ إلا الضلال ، وإنِّي قد قُدتُ في مقام كريم ، بين يَدَيِ مَلِكٍ عَظِيمٍ ، فَأُصْنُوا<sup>(٢)</sup> إلى مَشَرِّ اللَّأْلَأِ بِأَسْمَاعِكُمْ ، وَاتَّقِنُوا عَنِّي<sup>(٣)</sup> بِأَقْدَتِكُمْ ، إن من الحقِّ أن يقال لِلْمُحَقِّ صِدْقٌ ، وَلِلْمُبْطِلِ كَذِبٌ ، وإنَّ الْجَلِيلَ تَعَالَى فِي سَمَائِهِ ، وَتَقَدَّسَ فِي صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، أَمْرَ كَلِيمَةِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ ، أَنْ يَذْكُرَ قَوْمُهُ بِأَيَّامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ عِنْدَهُمْ ، وفيه وفي رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَلَاْفِهِ لَكُمْ بِخِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّتِي لَمْتُ شَعَشَعَكُمْ ، وَأَمَنْتُ سِرْبَكُمْ<sup>(٤)</sup> ، وَرَفَعْتُ قُوَّتَكُمْ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكثُرُكُمْ ، وَمُسْتَضْعَفِينَ فَقَوَّاهُمْ ، وَمُسْتَذَلِّينَ فَصَرَّكُم ، وَلَآهَ اللَّهُ رِجَايَتَكُمْ ، وَأَسْنَدُ

[١] الرمي : الشق في الشيء . [٢] التي في كتب اللغة : « أصبى إليه صمه : أماله ، وأصبى

إليه : مالٍ بهمه نحوه » ولول زيادة الباء في « بأسماعكم » من التلاخ لا من الخطيب .

[٣] هكنا في فتح الطيب ، وفي مطبخ الأعرس : « ومنوا حتى بأقْدَتِكُمْ » .

[٤] السرب : النفس .

إليه إمامتكم ، أيام ضَرَبَتُ الفتنَةُ مُرَادِقَهَا على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعَلُ النفاق ، حتى صرتم في مِثْلِ حَدَقَةِ البعير ، من ضيق الحال ، ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء <sup>(١)</sup> ، وانتقلتم يُمْنُ سياسته إلى تمهيد كَنَفِ العافية بعد استيطان البلاء .

أَنْشُدْكُمْ باللهِ معاشِرَ الْمَلَأَ ، أَلَمْ تَكُنِ الدماءُ مسفوكَةً فحقنَهَا ، وَالسُّبُلُ مَحْفُوفَةً فَأَمْتَهَا ، وَالْأَمْوَالُ مَتَهَبَةً فَأَحْرَزَهَا وَحَصَّنَهَا ؟ أَلَمْ تَكُنِ الْبِلَادُ خَرَابًا فَمَعَمَرَهَا ، وَتَغَوَّرَ الْمُسْلِمِينَ مُتَضَمِّمَةً خِفَاهَا وَنَصَرَهَا ؟ فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِخِلَافَتِهِ ، وَتَلَا فِيهِ جَمْعَ كَلِمَتِكُمْ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا بِإِمَامَتِهِ ، حَتَّى أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكُمْ غَيْظَكُمْ ، وَشَقَى صُدُورَكُمْ ، وَصَرِّمَ يَدًا عَلَى عِدْوِكُمْ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بِأُسْكُمْ بَيْنَكُمْ .

فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ ، أَلَمْ تَكُنِ خِلَافَتُهُ قُفْلَ الْفِتْنَةِ بَعْدَ انْطِلَاقِهَا مِنْ عِقَالِهَا ؟ أَلَمْ يَتَلَفَ صَلَاحُ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ بَعْدَ اضْطِرَابِ أَحْوَالِهَا ؟ وَلَمْ يَكِلْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوَادِ وَالْأَجْنَادِ ، حَتَّى بَاشَرَهُ بِالْقُوَّةِ وَالْمُهْجَةِ وَالْأَوْلَادِ ، وَاعْتَزَلَ النَّسْوَانِ ، وَهَجَرَ الْأَوْطَانَ ، وَرَفَضَ الدُّعَا ، وَهِيَ مَحْبُوبَةٌ ، وَتَرَكَ الرُّكُونَ إِلَى الرَّاحَةِ ، وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ ، بِطَوِيَّةٍ صَحِيحَةٍ ، وَعَزِيَّةٍ صَرِيحَةٍ ، وَبَصِيرَةٍ ثَابِتَةٍ ، نَافِذَةٍ ثَاقِبَةٍ ، وَرِيحَ هَابَةٍ غَالِيَةٍ ، وَنُصْرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَاقِعَةٍ وَاجِبَةٍ ، وَسُلْطَانٍ قَاهِرٍ ، وَجِدِّ ظَاهِرٍ ، وَسَيْفٍ مَنْصُورٍ ، تَحْتَ عَدْلِ مَشْهُورٍ ، مُتَحَمِّلًا لِلنَّصَبِ ، مُسْتَقِلًا لِمَا نَالَهُ فِي جَانِبِ اللَّهِ مِنَ التَّعَبِ ، حَتَّى لَانَتْ الْأَحْوَالُ بَعْدَ شِدَّتِهَا ، وَانْكَسَرَتْ شَوْكَةُ الْفِتْنَةِ عِنْدَ حَدِّثِهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا غَارِبٌ إِلَّا جَبَّةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا نَجْمٌ <sup>(٣)</sup> لِأَهْلِهَا قَرْنٌ إِلَّا جَدَّةٌ ،

[١] في الأصل « فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء » والصواب ما ذكرنا :

[٢] الغارب : المكمل ، أو ما بين المنام والنعق ، وجبه : قطعه .

[٣] في الأصل : « نجم » وهو تحريف ، والصواب « نجم » أى ظهر وطلع ، وجده : قطعه .

فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، وِلمَّ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانا ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الغيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصيين والأذنين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فجٍ عميق ، وبلدٍ سحيق <sup>(١)</sup> ، لأخذ حبل <sup>(٢)</sup> بينه وبينكم جملةً وتفصيلاً ، ليَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، وإن يُخْلِفَ اللهُ وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أحوال باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم » وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، وليس في تصديق ما وَعَدَ اللهُ أرتياب ، ولكل نبيٍّ مُسْتَقَرٌّ ، ولكل أجلٍ كتابٌ ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين <sup>(٣)</sup> خلافة أمير المؤمنين - أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآ ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً ، وأكثفهم جمعاً ، وأجلهم صنماً ، لا تُهاجون ولا تُذادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يده من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومَرَّقَ من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

[١] سحيق : بعيد . [٢] أي مهاجرة بينه وبينكم . [٣] هكذا في فتح الطيب ، ومطبع الأتس ، ولعلَّ صوابه : « أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين » .

وقد علمتم أن في التعلق بِمِصْمَتِهَا ، والتمسك بِمُرْوَتِهَا ، حفظَ الأموال ، وَحَقَّنَ الدماء ، وصَلَاحَ الخَاصَّةِ وَالذَّمَّمَاءَ <sup>(١)</sup> ، وَأَن بِدَاوِمٍ <sup>(٢)</sup> الطاعة تُقَامُ الحدود ، وتوفى المهود ، وبها وَصِلَتِ الأرحام ، وَوَضَحَتِ الأحكام ، وبها سَدَّ اللهُ الخلل ، وَأَمَّنَ السبل ، وَوَطَّأَ الأَكْناف ، ورفع الاختلاف ، وبها طاب لكم القرار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين الساعين في شقِّ عصاكم ، وتفریق مَلِكِكُمْ ، الآخذين في مخاذلة دينكم ، وَهَتَكِ حريمكم ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين ، مستغفراً الله النفور الرحيم ، فهو خير الغافرين .

وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جَنَانِهِ ، وبلاغة لسانه ، وَكَانَ الناصر أشدهم تعجباً منه ، فولَّاهُ الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم تُوُفِيَ محمد بن عيسى القاضي ، فولَّاهُ قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقرَّه على الصلاة بالزهراء . ( نفع الطيب ١ : ١٧٢ ، ومطمح الأنس ص ٤٣ )

## ٩ - خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً - وأراد التواضع - فكان من فصول خطبته ، أن قال :

« حتى متى ، وإلى متى ، أعِظْ ولا أَمِطْ ، وَأَزْجُرْ ولا أَزْجِرْ ؟ أدل الطريق

[١] الدعاء : جماعة الناس . [٢] في الأصل : « بقوام » ، وأظنه : « بدوام » .

إلى المستدئين ، وأبقى مقيماً مع الحائرين اكلاً ، إن هذا هو البلاء المبين ! إن  
مى إلا فتنتك تضيئ بها من نساء ، وتهدى من نساء ، أنت ولينا فأغفر لنا  
وأزحمتنا ، وأنت خيرُ التافرين ، اللهم فرغنى لما خلقتنى له ، ولا تشغلنى بما  
تكفلت لى به ، ولا تحزمنى وأنا أسألك ، ولا تعذبى وأنا أستغفرك ،  
يا أرحم الراحمين » . ( نفع الطيب ١ : ٢٢٢ )

١٠ - أحد حساد الرمادى الشاعر والمنصور بن أبى عامر

( المتوفى سنة ٣٩٤ هـ )

وقال المنصور بن أبى عامر المَعافِرِيّ <sup>(١)</sup> يوماً لأبى عمر يوسف الرمادى  
الشاعر : كيف ترى حالك مى ؟ فقال : « فوق قدرى ، ودونَ قدرك » <sup>(٢)</sup> ،  
فأطرق المنصور كالغضبان ، فأنسل الرمادى وخرج وقد نديم على ما بدر منه ،  
وجعل يقول : أخطأتُ ! لا والله ، ما يُفْلِح مع الملوك من ياملهم بالحق ، ما كان  
ضُرّنى لو قلت له : إني بلغتُ السماء ، وتغنطقتُ بالجوزاء ! وأنشد :  
متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلَفِّ حاجةً لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءها  
وكان فى المجلس من يحسده على مكانه من المنصور ، فوجد فرصة فقال :

[١] هو المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك  
المعافرى . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان عطياً فى قومه ، وله فى الفتح أثر ، وكان  
الحكم بن الناصر قد استوزر ابن أبى عامر ، وفوض إليه أموره ، وترقت حاله عنده ، ثم توفى الحكم  
سنة ٣٦٦ هـ ، وولى بعده أبوه هشام ، وكانت سنة تسع سنين ، فحدث ابن أبى عامر نفسه بالطلب عليه  
لمصر سنة ، وتم له ما أمل ، فطلب عليه ، وترجع على سرير الملك ، وأمر أن يجبا جعية الملوك ، وتسمى  
بالحاجب المنصور ، وعمدت الكتب والمحاطبات والأوامر باسمه ، وأمر بالبقاء له على النابر باسمه عقب البقاء  
للخليفة ؛ ولم يبق لهشام من رسوم الخلافة أكثر من البقاء له على النابر ، وكتابة اسمه فى السكة والطرز ،  
وهك للمنصور أعظم ما كان ملكاً سنة ٣٩٤ هـ لسبع وعشرين سنة من ملكه .  
[٢] يريد « ودون ما ينبغي أن يعطيه مثلك لئلى » .

« وَصَلَّ اللَّهُ لِمَوْلَانَا الظَّفَرَ وَالسَّعْدَةَ ، إِنَّ هَذَا الصِّنْفَ صَنَفُ زُورٍ وَهَذَيَانٌ ، لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا يَرْعَوْنَ إِلَّا <sup>(١)</sup> وَلَا ذِمَّةً ، كَلَابٌ مِّنْ غَلَبٍ ، وَأَصْحَابُ مَنٍّ أَخْصَبَ ، وَأَعْدَاءُ مِنْ أَجْدَبَ ، وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ فِيهِمْ : « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » وَالْإِتِّمَادُ مِنْهُمْ أُولَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدَقُ يُسْتَحْسَنُ إِلَّا مِنْهُمْ ؟ » .

\* \*

فرغ المنصور رأسه - وكان مُحَايِي أهل الأدب والشعر - وقد اسودَّ وجهه ، وظهر فيه الغضب المفرط ، ثم قال :

« مَابَالُ أَقْوَامٍ يُشِيرُونَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُسْتَشَارُوا فِيهِ ، وَيَسْتَنُونَ الْأَدَبَ بِالْحُكْمِ فِيمَا لَا يَذَرُونَ ، أَيْرُضَى أَمْ يُسَخِطُ ؟ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُبْتَعِثُ لِلشَّرِّ دُونَ أَنْ يُبْعَثَ ، قَدْ عَلِمْنَا غَرَضَكَ فِي أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءَةِ ، وَحَسَدُكَ لَهُمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مِنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلٌ سَلَّ عَلَيْهِمْ حَسَدُهُ

وَعَرَفْنَا غَرَضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلِسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلُغُ أَحَدًا غَرَضَهُ فِي أَحَدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّغْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرَبْتَ فِي حديد بارد <sup>(٢)</sup> ، وَأَخْطَأْتَ وَجْهَ الصَّوَابِ ، فَزِدْتَ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَغَارًا ، وَإِنِّي مَا أَطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ رَأَيْتُ كَلَامًا يَحِلُّ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَتَمَجَّجْتُ مِنْ تَهْدِيهِ لَهُ

[١] الإِلَّ : العهد .

[٢] مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « تَقَرَّبَ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ » وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ طَمَعُ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

بسرعة ، واستنباطه له على قلة من الإحسان الفامر ، ما لا يستنبطه غيره بالكثير ،  
والله لو حكمتُه في سيوت الأموال ، لرأيتُ أنها لا تَرْجَع ما تكلم به قلبه ذرَّةً ،  
ولما كم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص ، قبل أن يؤخذ معه فيه ، ولا  
تحكموا علينا في أوليائنا ، ولو أبصرتم منا التنفير عليهم ، فإننا لا تنفّر عليهم  
بمضنا لهم ، وانحرافاً عنهم ، بل تأدياً وإنكاراً ، فإننا من نريد إبعاده لم نُظهِر له  
النفير ، بل ننبذُه مرة واحدة ، فإن التنفير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه ، ولو  
كنتُ مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه ، لفرقتُم أيدي سبّا (١) ،  
وَجُونَيْتُ أنا بجانبَ الأجر ، وإني قد أطلعتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا  
عن مرضاتي ، فتجنبوا سُخْطِي بما جئتموه على أنفسكم .



ثم أمر أن يُردَّ الرمادي ، وقال له : أعِدْ عليّ كلامك ، فارتاع ، فقال :  
الأمرُ على خلاف ما قدرتُ ، الثوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن  
لثأنيسه ، وأعاد ما تكلم به .

فقال المنصور : « بلنّا أن النعمان بن المنذر حشاً قَمَ النابذة بالذر ، لكلام  
استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصّر عن ذلك ، ما هو أنوّه وأحسن حادثةً ،  
وكتب له بمالٍ وخَلَعَ وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى المتكلم في شأن  
الرمادي - وقد كان يفوس في الأرض لو وجد ، لشدة ما حلَّ به مما رأى وسمع -

---

[١] من أنزلهم أيضاً : « ذهبوا أيدي سبا ، وخرقوا أيدي سبا ، وأبأى سبا » ، واليد : الطريق  
أي فرقهم لفرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبّا في مذاهب مختلفة . ضرب اللبس ، لأنه لما غرق مكانهم ،  
وذبحت جناتهم ، تبعوا في البلاد - انظر القصة في الجزء الأول صفحة ٣٤٥ - وقد بنوا أيدي سبا ،  
وأبأى سبا على السكون لكونه مركبا تركيب خفة عمر .



وقال : « وَالْعَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الْابْتَعَادُ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَوْلَى مِنَ الْاقْتِرَابِ ، نَعَمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مَفَاخِرٌ ، يَرِيدُ تَحْلِيدَهَا ، وَلَا أَيَادٍ يَرْغَبُ فِي نَشْرِهَا ، فَأَيْنَ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :

عَلَى مُكَثَرِ يَهُم رَزَقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ<sup>(١)</sup>  
وَأَيْنَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمُخْتَصَرِهِ  
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ<sup>(٢)</sup>

أَمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ أَكْرَمُ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ؟ بَلَى ، وَلَكِنْ مُصَنِّبَةُ الشُّعْرَاءِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، أَحْيَتْ غَايِرَ ذِكْرِهِمْ ، وَخَصَّتْهُمْ بِمَفَاخِرِ عَصَرِهِمْ ، وَغَيْرِهِمْ لَمْ تَحْلُدِ الْأَمْدَاحُ<sup>(٣)</sup> مَا تَرَاهُمْ ، فَدَثَّرَ ذِكْرَهُمْ ، وَدَرَسَ نَفَرُهُمْ .  
(شرح الطيب ٢ : ٢٢٦)

١١ — ابْنُ اللَّبَانَةِ الشَّاعِرُ وَعِزُّ الدَّوْلَةِ ابْنُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَمَادِحَ

لَمَّا مَاتَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَادِحَ<sup>(١)</sup> مَلِكُ الْمَرْيَةِ رَكِبَ الْبَحْرَ ابْنُهُ وَوَلَّى عَهْدَهُ الْوَائِقُ عِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَفَارَقَ الْمُلُوكَ كَمَا أَوْصَاهُ وَالِدُهُ الْمُعْتَصِمُ .

[١] البيت لزهير بن أبي سلمي من قصيدة في مدح آل هرم بن سنان .

[٢] البيتان لعلّ بن جيلة الأنباري الملقب بالعمكوك من قصيدة قالها في مدح أبي دلف أنفاس بن عيسى المعبلي — وكان جواباً ممدحاً — وفيها يقول :

كُلٌّ مِنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى خَضِرٍ  
مُسْتَعِيرٍ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ يَكْنُسُهَا يَوْمَ مَقْتَضِرِهِ

وهذا البيتان الأخيران أحفظا عليه المأمون ، فطلبه حتى ظفر به ، فسلّ لسانه من قهقهة ، ويقال : بل هرب ولم يزل متوارياً منه حتى مات ، قال صاحب الأغاني : « وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ » .  
[٣] لم أجد هذا الجمع في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها : « اللدحة بالكسر والمدح والأمدوحة بالضم : مامدح به ، والجمع مدح كذب ومدائح وأمداح » .

[٤] هو أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب المريّة « بلد بالأندلس على الساحل الجنوبي » ، وكان منافساً للمعتد بن عباد صاحب إشبيلية خافوا له ، وقد سعى به لدى أمير الرابطين يوسف بن تاشفين

قال أبو بكر بن اللبانة الشاعر: ما علمت حقيقة جَورِ الدهر، حتى اجتمعت  
بِجَاية<sup>(١)</sup> مع عزِّ الدولة بن المتصم، فإني رأيت منه خيرَ من يُجتمَع به، كأنه  
لم يخلقه الله تعالى إلا للملكِ والرياسة، وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته نِيمَ  
من تحت مُحوِّله، كما يَنِمُّ فِرْنْدُ<sup>(٢)</sup> السيف وَكَرَّمَهُ من تحت الصِّدَأ، مع حفظه  
لفنون الأدب والتواريخ، وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه، ولطافة ذهنه،  
ولقد ذكرته لأحد من صَحْبَتِهِ من الأدباء في ذلك المكان، ووصفته بهذه  
الصفات، فتشوَّق إلى الاجتماع به، وَرَغِبَ إِلَيَّ في أن أَسْتَأْذِنَهُ في ذلك، فلما  
أعلمت عزَّ الدولة قال:

« يا أبا بكر، إنك تعلم أنا اليوم في مُحوِّلٍ وَصِيقٍ، لا يَتَسَعُ لنا معهما، ولا  
يُحْمِلُ بنا الاجتماعُ مع أحد، لا سِوَا مع ذِي أدب ونباهة، يلقانا بين الرحمة،  
ويزورنا بمنَّة التفضل في زيارتنا، ونكايد من ألقاظ توجِّهه، وألحاظ تقجِّمه،  
ما يَجِدُّ لنا هَمًّا قد بَلَى، وَيُخْجِي كدًّا قد فَنِي، ومالنا قدرة على أن نجود عليه  
بما يَرْضَى عن هَمِّنا، فَدَعْنَا كَأَنَّا في قبر، تدرِّع لِسِهام الدهر، بِدِرْع الصبر،  
وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، وامتزجت امتزاج الماء بالخر،  
فكأننا لم نَكشِفْ حالنا لسِوانا، ولا أَظْهَرْنَا ما بنا لغيرنا، فلا نحمل غيرك بحملك. »  
قال ابن اللبانة: فلا والله سمى بلاغة لا تصدُرُ إلا عن سَدَاد، ونفسي أية  
متمكنة من أَعِنَّة البيان، وانصرفت متمثلاً:

---

وأفسد ما بينهما، وكان ابن عباد قد استنصر ابن تاشفين لصد فارة الإسبان، فحبر بحيشه من مراكش  
إلى الأندلس، وأبلى بلاء حسناً في قتالهم حتى دارت عليهم الفاترة في وقعة الزلاقة، ثم مال على ملوك  
الطوائف، فاكسح دولهم، ودانت له الأندلس. [١] بجاية: بلد بالقرب من ساحل بلاد الجزائر.  
[٢] جوهره.

لسانُ الفتى نصفٌ، ونِصفُ فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدمِ  
وكانت ترى من صامتٍ لك مُعجِبٍ زيادته أو نقصه في التكلم<sup>(١)</sup>  
(فتح الطيب ٢ : ٢٢٨)

## ١٢ — دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى

### بحضرة ابن تاشفين

لما تالَّب بنو حشون على القاضي أبى محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة<sup>(٢)</sup>،  
انبرى للدفاع عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخَّار ، فقصده إلى حضرة  
الإمامة « مرَّاكش » ، وقام فى مجلس أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، وقد  
غصَّ بأربابه ، فقال :

« إنه لمقام كريم ، نبدأ فيه بحمد الله على الدنوء منه ، ونصلّى على خيرة أنبيائه ،  
محمد الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحابه نجوم الليل الأبهى<sup>(٣)</sup> ،  
أما بعد ، فإننا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفيّ  
نصيراً وظهيراً ، ونفزع إليك مما دَهِمَّنا<sup>(٤)</sup> فى حِمَاك ، ونبثُ إليك ما لحقنا من  
الضيم ، ونحن تحت ظلِّ علاك ، ويأبى الله أن يذهبهم من احتسى بأمر المسلمين ،  
ويُصابَ بضميرٍ من أدرع بحصنه الحصين ، شكوى قت بها بين يديك ، فى  
حق أمرك الذى عضده<sup>(٥)</sup> مؤيِّده ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتثقده ، وإن  
قاضيك ابن الوحيدى الذى قدّمته فى مالقة للأحكام ، ورضيت ببدله فيمن بها

[١] اليتان زهير بن أبى سلمى من مملقته . [٢] بلد بالأندلس على الساحل الجنوبى .

[٣] الأسود . [٤] دهمه كسمع ومنع : غشبه .

[٥] عضده كضمه : أصاب عضده ، والمراد بمؤيده بنو حشون ، واللى : إن بنى حشون — وكانوا  
أحق بتأييد أمرك وتوطيده — قد أوهنوه وأوهوه بترضعهم لأحكام القاضى ، والطنن فيها : أو معنى  
عضده : نصره ، فالمراد بمؤيده القاضى الوحيدى ، واللى على ذلك ، إن القاضى القائم بأمرك بدأب على  
نصره ، وتثبّت دعائه ، بانتهاجه طريق الحق فى حكمه ، ولو غضب من جراء ذلك فريق من الرعية .

من الخاصة والعوام ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحُسن سيرته ، وَيُرْضَى  
 اللَّهُ تَعَالَى وَيُرْضَى النَّاسُ بِظَاهِرِهِ وَسِرِّيهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا دَرَيْنَا  
 لَهُ مَوْقِفَ خِزْيٍ ، وَلَمْ يَزَلْ جَارِيًا عَلَى مَا يُرْضَى اللَّهُ تَعَالَى وَبِرْضِيكَ وَبِرِضِينَا ،  
 إِلَى أَنْ تَمَرَضْتَ بَنُو حُسُونٍ لِلطَّعْنِ فِي أَحْكَامِهِ ، وَالْهَدْمِ مِنْ أَعْلَامِهِ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا  
 أَنْ اهْتِضَامَ الْمَقْدَمِ ، رَاجِعٌ عَلَى الْمَقْدَمِ ، بَلْ جَمَحُوا فِي لَجَاجِهِمْ ، فَعَمَوْا وَصَمَوْا ،  
 وَقَعَلُوا وَأَمَضُوا مَا بِهِمْ عَمُوا ، وَإِلَى السُّحْبِ يَرْفَعُ الْكَفَّ مِنْ قَدْ جَفَّ عَنْهُ مَسِيلُ  
 عَيْنٍ وَنَهْرٍ .

فَلَا سَمْعَهُ بِبَلَاغَةِ أَعْقَبَتْ نَصْرَهُ وَنَصَرَ صَاحِبَهُ . ( فتح الطب ٢ : ٧٤٠ )

١٣ - موعظة ابن أبي رندة الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

لِلأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ

دَخَلَ ابْنُ أَبِي رَنْدَةَ الطَّرْطُوشِيُّ <sup>(١)</sup> مَرَّةً عَلَى الْأَفْضَلِ <sup>(٢)</sup> بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ

فَوَعَّظَهُ ، وَقَالَ لَهُ :

« إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ ، إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ  
 قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدِكَ ، بِمَثَلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا خَوَّلَكَ مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَأَلُكَ عَنِ النَّقِيرِ وَالْقَمِطِيرِ وَالْفَتِيلِ <sup>(٣)</sup> ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

[١] هُوَ الْقَتِيبَةُ الْمَالِمُ أَبُو بَكْرٍ عَمْدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَمْدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ سَلْمَانَ بْنِ أَيُّوبَ الْفَهْرِيِّ الطَّرْطُوشِي  
 ( بَغِيَّةُ الطَّاهِرِينَ ، وَقَدْ تَفَتَّحَ الطَّاءُ الْأَوَّلَى ، نِسْبَةً إِلَى طَرطُوشَةٍ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ) وَيَعْرِفُ بِابْنِ أَبِي رَنْدَةَ  
 وَكَانَ زَاهِدًا طَائِفًا مَتَوَحِّدًا مَقْتَلًا مِنَ الْقَنِيَا قَوْلًا لَلْعَقِّ ، وَحُلَّ إِلَى الشَّرْقِ ، وَدَخَلَ بَنْدَادَ الْبَصْرَةِ ،  
 وَسَكَنَ الثَّامَةَ مَدَّةً ، وَحُوسَ بِهَا ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ يَكْرَهُهُ ، فَلَمَّا وَلَّى بِمَدَّةِ الثَّامُونَ بْنِ الْبَاطِحِيِّ  
 أَكْرَمَ الطَّرْطُوشِي إِكْرَامًا كَثِيرًا ، وَلَهُ أَلْبُ الشَّيْخِ « سِرَاجُ الْمُلُوكِ » وَتَوَفَّى بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ سَنَةَ ٥٢٠ هـ .  
 [٢] هُوَ الْوَزِيرُ الْأَفْضَلُ بْنُ بَدْرِ الْجَلَالِيِّ أَمِيرِ الْجِيُوشِ لِلشُّبُورِ ، وَكَانَ أَبُوهُ بَدْرُ الْجَلَالِيِّ حَاكِمَ عَكَا ، فَأُرْسِلَ  
 إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْفَاتِمِيُّ الْمُسْتَنْصِرُ بِسَاحَةِ الْقُدُومِ إِلَى مِصْرَ لِإِصْلَاحِ أَسْوَأِهَا لِلْمُضْطَرِّةِ إِذْ ذَاكَ ، فَحَدَّثَهُ إِلَيْهَا ، وَتَوَلَّى  
 شُؤْنَهَا ، وَبَوَالِغَ مَوْجَعِهَا ، وَصَارَتْ لَهُ فِيهَا الْكَلِمَةُ الْبَاقِيَّةُ ، ثُمَّ لَابَنَهُ الْأَفْضَلُ .

[٣] النَّقِيرُ : النَّقْرَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاءِ ، وَالْقَمِطِيرُ : الْفَقْرَةُ الرَّقِيقَةُ الَّتِي بَيْنَ النَّوَاءِ وَالْتَمَرَةِ ، وَالْفَتِيلُ :  
 مَا يَكُونُ فِي شَقِّ الذَّرَاةِ .

عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذاقيرها ، فسخر له الإنس والجِن والشياطين والطير والوحوش والبهائم ، وسخر له الريح تجرى بأمره رُخاء<sup>(١)</sup> حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا قَائِمِينَ<sup>(٢)</sup> أَوْ أُنْسِكُمْ بِقَيْرِ حِسَابٍ » ، فاعذ ذلك نعمة كما عذدتموها ، ولا حسيبها كرامة كما حسيبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل فقال : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنِي<sup>(٣)</sup> أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ، فافتتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم . ( نفع الطيب ١ : ٢٦٢ )

#### ١٤ - خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين

( المتوفى سنة ٥٣٤ هـ )

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت<sup>(٤)</sup> مؤسس دولة الموحدين أصحابه ، قبل موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فلما حضروا بين يديه قام :

---

[١] الرخاء : الريح اللينة . [٢] أى فأعط منه من شئت . [٣] بلاه : اختبره .  
 [٤] هو محمد بن عبد الله بن تومرت من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى بغداد ، وقيل إنه اتى أبا حامد الغزالي ، ثم رجع إلى المغرب ، وامت دعوته في أول الأمر في صورة آمر بالمعروف ، فاه عن المنكر ، فاتبه بعض القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التدريس والفتاء إلى الخير ، وما زال يستميل القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم جعل يذكر المهدي ويشوق إليه ، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه ، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ، ادعى ذلك لنفسه ، وتسمى بالمهدي ، ورفع نسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وادعى إنه من نسل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وصرح بدعوى العصبة لنفسه ، وأنه المهدي المصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استغتر عندم أنه المهدي ، فابيهوا على ذلك ، ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهز جيشاً عظيماً - وكانت مراکش تحت إمرة المرابطين - فقال : اتصدوا هؤلاء المارقين البذائين الذين تسموا بالمرابطين ، فادعوم إلى إمارة المنكر ، وإحياء المعروف ، وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المصوم ، فإن أجاوبكم فهم إخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراکش فقتلهم المرابطون

فحَدَّثَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ  
أَنْشَأَ يَتَرَضَّى عَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَذْكُرُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ  
الْثَّبَاتِ فِي دِينِهِمْ ، وَالْمَزِيَّةِ فِي أَرْحَمِهِمْ ، وَأَنْ أَحَدَهُمْ كَانَ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَنْهُمْ ،  
وَذَكَرَ مِنْ حَدِّ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنَتِهِ بَنِي الْحَرِّ ، وَتَصْمِيمِهِ عَلَى الْحَقِّ ، فِي أَشْيَاءِ  
هَذِهِ الْفُصُولِ ، ثُمَّ قَالَ :

فَانْقَرَضَتْ هَذِهِ الْفِصَالَةُ ، فَضُرَّ اللَّهُ وَجُوهَهَا ، وَشَكَرَ لَهَا سَمْعُهَا ، وَجَزَاها  
خَيْرًا عَنْ أُمَّةٍ نَبِيَّهَا ، وَخَبَطَتِ النَّاسَ فِتْنَةً تَرَكْتَ الْحَلِيمَ حَيْرَانَ ، وَالْعَالَمَ مُتَجَاهِلًا  
مُذَاهِبًا ، فَلَمْ يَنْتَفِعِ الْعُلَمَاءُ بِعِلْمِهِمْ ، بَلْ قَصَدُوا بِهِ الْمُلُوكَ ، وَاجْتَلَبُوا بِهِ الدُّنْيَا ،  
وَأَمَالُوا وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ، فِي أَشْيَاءِ لِهَذَا الْقَوْلِ ، إِلَى هَلْمٍ جَرًّا .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - مَنْ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الطَّائِفَةُ - بِتَأْيِيدِهِ ،  
وَعَصْمِكُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ هَذَا الْمَصْرِ بِحَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ ، وَفَيْضٍ <sup>(١)</sup> لَكُمْ مِنْ <sup>(٢)</sup>  
أَلْفَاكُمْ مَضَلَّالًا لَا يَهْتَدُونَ ، وَغَمًّا لَا تُبْصِرُونَ ، لَا تَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا تُنْكِرُونَ  
مُنْكَرًا ، قَدْ فَشَتْ فِيكُمْ الْبِدْعُ ، وَاسْتَهْوَتْكُمْ الْأَبْطِيلُ ، وَزَيَّنَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ  
أَضَالِيلَ وَتُرَاهَاتٍ <sup>(٣)</sup> ، أَنْزَلَ لِسَانِي عَنِ النُّطْقِ بِهَا ، وَأَرْبَأُ <sup>(٤)</sup> بَلْفَظِي عَنْ

قريباً منها بجيش ضخم أميرم الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فدمروا إلى ما أسرم به ابن تورمت  
فردوا عليهم أسوأ رد ، ثم التفت العشائر ، فانهمز أصحاب ابن تورمت وقتل منهم خلق كثير ، فلما رجع  
القوم إلى ابن تورمت جل بيوت عليهم أسر الخزيعة ، ويقرر في غوسم أن قلام شهيد ، لأنهم ذابون  
من دين الله ، فزاد ذلك بصيرة في أمرهم ، وحرصاً على لقاء عسوم ، وجعلوا يشتنون الغارات على نواحي  
مراكش ويغفلون ويسون ولا يعون على أحد ممن قدروا عليه ، وكثر الداخلون في طاعتهم ، ولم يزل  
أصحابه ظاهرين ، وأحوال الرابطين تختل ، وانحاض دولتهم يترايد ، إلى أن تولى ابن تورمت سنة ٥٣٤ هـ  
بعد أن أسس الأمور ، وأحكم التدبير ، وقام بأمر اللوحدين من بعده عبد المؤمن بن علي . وقد استوفى له  
الأمير موت محلي بن يوسف بن تاشفين ملك الرابطين سنة ٥٣٧ هـ .

[١] أتاح لكم وسبب وهياً . [٢] يعني غم . [٣] جمع ترعة : وهي الباطل .

[٤] ارفع

ذكرها ، فهذا كم الله به بعد الضلالة ، وبَصَّركم بعد العمى ، وجمعكم بعد الفرقة ، وأعزَّكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين <sup>(١)</sup> ، وسيورثكم أرضهم وديارهم ، ذلك بما كَسَبَتْه أيديهم ، وأضرته قلوبهم ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .  
فجدِّدوا لله سبحانه خالص نيَّاتكم ، وأزودوه من الشكر قولاً وفعلًا ما يَرْكِي به سعيكم ، ويتقبَّل أعمالكم ، وينشر أمركم ، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة ، وشَتَات الآراء ، وكونوا يداً واحدةً على عدوكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم ، وكثُر أتباعكم ، وأظهر الله الحقَّ على أيديكم ، وإلَّا تفعلوا سَمِعَكم الذلَّ ، وعَمَّكم الضَّغار <sup>(٢)</sup> ، واحتقرتكم المائة ، فتخطفتكم الخاصةُ ، وعليكم في جميع أموركم بِمِزْجِ الرَّافَةِ بِالْمِلْظَةِ ، واللين بالعُنف ، واعلموا مع هذا أنه لا يصلحُ أمرُ آخر هذه الأمة ، إلا على الذي صلَّح عليه أمر أولها .

وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلَّوْناه <sup>(٣)</sup> في جميع أحواله ، من ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سيرته وعلايته ، فرأيناه في ذلك كله بُدْتاً <sup>(٤)</sup> في دينه ، متبصِّراً في أمره ، وإني لأرجو أن لَا يُخْلَفَ الظن فيه ، وهذا المشار إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لرَبِّه ، فإن بَدَّل أو نكص على عَقْبِهِ ، أو ارتاب في أمره ، ففي الموحِّدين - أعزَّهم الله - بركةٌ وخير كثير ، والأمر أمر الله يقلِّده من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت .

( الملعب ، في تاريخ أخبار المغرب ص ١٠٨ )

## ١٥ - مقال لسان الدين بن الخطيب ( المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ) في الحَضَّ على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب <sup>(١)</sup> في الحَضَّ على الجهاد <sup>(٢)</sup> .  
« أيها الناس - رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى - :

إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دَهَمَ العدوُّ - قَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - سَاحَتَهُمْ ،  
ورام الكفرُ - خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى - استِباحَتَهُمْ ، وَزَحَفَتِ أَحْزَابُ الطُّوَائِغِ  
إِلَيْهِمْ ، وَمَدَّ الصَّلِيبُ ذِرَاعَيْهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَيْدِيكُمْ - بِمِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى - أَقْوَى ، وَأَنْتُمْ  
الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالْتِقْوَى ، وَهُوَ دِينُكُمْ فَانصُرُوهُ ، وَجِوَارُكُمْ الْقَرِيبُ فَلَا  
تُخْفِرُوهُ <sup>(٣)</sup> ، وَسَبِيلُ الرِّشْدِ قَدْ وَضَعَ فَلْتُبْصِرُوهُ ، الْجِهَادُ الْجِهَادُ فَقَدْ تَعَيَّنَ ،  
الْجَارُ الْجَارُ فَقَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ حَقَّهُ وَبَيَّنَّ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أُمَّةِ  
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي  
وَطَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَدْ اسْتَفَاتَ بِكُمْ الدِّينَ فَأَغِيثُوهُ ، قَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللَّهِ

[١] هو لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المشهور بابن الخطيب خاتمة أدباء الأندلس ، ولد بقرطبة سنة ٧١٣ هـ ، وكان أول أمره في عداد كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم اصطفاه وجعله وزيره ، وفوض إليه شئون مملكته ، ولما مات أبو الحجاج ، وخلفه ابنه محمد أخرجه على الوزارة ، ثم وثب إسماعيل أخو السلطان على ملكه ، فاضطر أن يهادنه إلى المغرب مع وزيره لسان الدين ، فلما تحسنت الأحوال طرد محمد إلى ملكه ، وبقي مدة كتب له فيها ابن زمرك أحد تلاميذ لسان الدين ، ثم عاد لسان الدين إلى قرطبة ، وحل مكانه من سلطانه ، فألب ذلك نار الحسد في ابن زمرك وأصابه ، فسوا به إليه حتى أخطوه عليه ، فهرب إلى المغرب - وكان في حوزة بني مرين ، وهم من البربر - حكموا العرب بعد الموحدين من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ - فأكرمه سلطان المغرب عبد القز ، وخطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبشهم إليه إلى أن مات ( عبد العزيز ) ، وتوار أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ، وساعده ملك بني الأحمر بشرط تسليم ابن الخطيب ، وتم له أمره ، وقبض عليه ، وسجن بفاس ، ونظر في كلماته في كتابه « المحبة » وأفتى الفقهاء بقتله ، فدفن عليه من خقه في سجنه سنة ٧٧٦ هـ .

[٢] وكان سلطانه محمد بن أبي الحجاج أسفروا إلى ملوك بني مرين يستجدهم على الإيبان .

[٣] أخرجه : غفر به ونقض عهده .



وحاشاكم أن تتكثروه، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة، أعانكم الله تعالى عند الشدائد، جددوا عوائد الخير، يصل الله تعالى لكم جميل الموائد، صلوا رحم الكلمة<sup>(١)</sup>، واسئروا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب الله بين أيديكم، والسنة الآيات تنادىكم، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم، والله سبحانه يقول فيه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ»، ومما صح عنه قوله: «من أغبرت قدماءه في سبيل الله حرهما الله على النار»، «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»، «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا»، أدر كوا رَمَقَ الدين قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته،جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده:

ماذا يكون جوابكم لنبئكم وطريق هذا العذر غير محمد

إن قال: لم قرأتموه في أمي وتركتموه للعدو المعتدى؟

تالله لو أن العقوبة لم تخف لكفى الحيا من وجه ذاك السيد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد، اللهم بث لنا الحمية في البلاد، اللهم دافع عن الحريم والضعيف والأولاد، اللهم انصرنا على أعدائك، بأحبائك وأوليائك، يا خير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(فتح الطيب ٤ : ٣)

١٦ — ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني

وخاطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني

لما قصدتها عقب ما شرع في جواره ، فقال :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المولى المأمم ، الذي عرف فضله الإسلام ، وأوجبت حقه العلماء الأعلام ، وَخَفَقَتْ بِمِرْ نصره الأعلام ، وتنافست في إقناذ أمره ونبيه السيوف والأقلام ، السلام عليك أيها المولى الذي قَسَمَ زمانه بين حُكْمٍ فَصْلٍ ، وإمضاء نَصْلِ ، وإحراز خَصْل<sup>(١)</sup> ، وعبادة قامت من اليقين على أصل ، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية ، ومُشَبِّع البطون الجائفة ، وكأبى الظهور العارية ، وقادِح زِنَادِ العزائم الوارية ، ومكتب الكتاب الغازية ، في سبيل الله تعالى والسرايا<sup>(٢)</sup> السارية ، السلام عليك يا حُجَّةَ الصبر والتسليم ، ومتلقَى أمر الله تعالى بالخلق المرضي والقلب السليم ، ومفوض الأمر في الشدائد إلى السميع العليم ، ومُعْمِلُ البَنانِ الطاهر في اكتاب الذِكر الحكيم ، كَرَّمَ الله تعالى تَرْبَتَكَ وَقَدَسَهَا ، وطيب رُوحَكَ الزكية وآنسها ، فلقد كنت للدهر جَمَلاً ، وللإسلام مِثْلاً<sup>(٣)</sup> ، وللمستجير مُجِيراً ، وللمظلوم ولياً ونصيراً ، لقد كنت للمحارب صَدْرًا ، وفي المواكب بَذْرًا ، وللمواهب بحرًا ، وعلى المباد والبلاد ظِلًّا ظليلاً وَسْتَرًا ، لقد فَرَعْتَ<sup>(٤)</sup> أعلام عِزِّكَ الثنايا ، وأجزلت همَّتكَ للملوك الأرض الهدايا ، كأنك لم تَعْرِضِ الجنود ، ولم تنشُرِ البُنود<sup>(٥)</sup> ، ولم تبسُطِ العدل

[١] الحصل : العلية في النعال . [٢] السرايا جمع سرية وهي من خسة أغص إلى ثلثة

أو أروماتة . [٣] المثل : النيات التي يقوم بأمر قوم .

[٤] فرعت : علت ، والثنايا : جمع نلية كهدية ، وهي النقة ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه .

[٥] البنود جمع بند كشمس : وهو العلم الكبير .

المحدود ، ولم تُوجد الجود ، ولم تزين الركن السجود ، فتوسدت الثرى ، وأطلت الكرى ، وشربت الكأس التي يشربها الورى ، وأصبحت ضارع <sup>(١)</sup> الخد ، كليل الحد ، سالكاً سنن الأب والجد ، لم تجد بعد انصرام أجلك ، إلا صالح عمك ، ولا صبحت لقبرك ، إلا رايح تجرك <sup>(٢)</sup> ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ، فנסأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويحود بسحاب الرحمة تُرابك ، وينفك بصدق اليقين ، ويحملك من الأئمة المتقين ، ويُعلي درجتك في عليين <sup>(٣)</sup> ، ويحملك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين .

وَلِيَهْنِكَ أَنْ صَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَلِكَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، إِلَى نَيْرِ سَعْدِكَ ، وَبَارَقَ رَعْدُكَ ، وَمُنْجَزَ وَعْدِكَ ، أَرْضَى وَلَدُكَ ، وَرَيْحَانَةَ خَلْدِكَ <sup>(٤)</sup> ، وَشِقَّةَ <sup>(٥)</sup> نَفْسِكَ ، وَالسَّرْحَةَ الْمُبَارَكَةَ مِنْ غَرَسِكَ ، وَنُورَ شَمْسِكَ ، وَمَوْصَلَ عَمَلِكَ الْبَرِّ إِلَى رَمْسِكَ ، فَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ أُنُورُ دَعْوَاتِكَ ، فِي خَلَوَاتِكَ ، وَأَعْقَابِ صَلَوَاتِكَ ، فَكَلِمَتُكَ وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى بَاقِيَةٌ ، وَحَسَنَتُكَ إِلَى عَمَلِ الْقَبُولِ رَاقِيَةٌ ، يَرْعَى بِكَ الْوَسِيلَةَ ، وَيَتِمُّ مَقَاصِدَكَ الْجَمِيلَةَ ، أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِبِرِّكَ رِضَاكَ عَلَى مَا قَلَّدَهُ ، وَعَمَرَ بِتَقْوَاهُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ، وَأَبْعَدَ فِي السَّعْدِ أَمَدَهُ ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ، وَجَمَلَ الْمَلَائِكَةَ أَنْصَارَهُ وَالْأَقْدَارَ عُدَدَهُ . وَإِنِّي أَيُّهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ، الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، لَمَّا اشْتَرَانِي ، وَرَاشَنِي <sup>(٦)</sup> وَبَرَّانِي ، وَتَعَبَّدَنِي بِإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي اسْتِخْلَاصِي خَطَّ بَنَانِهِ ، وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ ، لَمْ أَجِدْ مَكَافَأَةً إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ وَإِلَيْهِ بِرِثَائِكَ ، وَإِغْرَاءَ لِسَانِي بِتَخْلِيدِ عَلَيَّاتِكَ ، وَتَعْفِيرِ

[١] ذليل . [٢] تجر تجراً وتجارة .

[٣] اسم لأعلى الجنة ، أو هو كتاب جامع لأعمال الخير . [٤] الخلد : النفس والقلب ، .

[٥] الشقة : نصف الشيء . إذا شق ، والرحمة : الشجرة الطيبة .

[٦] راض السهم : ألقى عليه الريش ، وراشى المدينى : أطعمه وسفاه وكساه وأصلح حاله .

الْوَجْنة في حَرَمِكَ ، والإشادة بعد الملمات بمجديك وكرمك ، ففتحت الباب في هذا الغرض ، إلى القيام بحقك المفترض ، الذي لولاه لاتصلت النفلة عن أدائه وتمادت ، فاستأثرت الألسن ولا كادت ، متحيزاً بالسبق ، إلى أداء هذا الحق ، بادئاً بزيارة قبرك الذي هو رحلة الغرب ، ما نويته من رحلة الشرق ، وما أعرضت عنه فأقطعه أثر مواقع الاستحسان ، وقد جمع بين الشكر والتنويه والإحسان ، والله سبحانه يجعله عملاً مقبولاً ، ويبلغ فيه من القبول مأمولاً ، ويتعمد من ضاجعته من سلفك الكرام بالنفلة الصيبة ، والتحيات الطيبة ، فمنهم الملوك الكبار ، والخلفاء الأبرار ، والأئمة الأخيار ، الذين كرمت منهم السيّر وحسنت الأخبار ، وسعدت بعزمتهم الجهادية المؤمنون وشقي الكفار ، وصلوات الله تعالى عوداً وبدءاً على الرسول الذي اصطفاه واختاره فهو المصطفى المختار ، وعلى آله وأصحابه الذين هم السادة الأبرار ، وسلم تسليماً . ( فتح الطب : ٤ : ١٣٥ )

## ١٧ - وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده

« الحمد لله الذي لا يروغهُ الحِمَامُ المَرْقُوب ، إذا شِيمَ <sup>(١)</sup> نَجْمُهُ المُنْقُوب ، ولا يَبْتَغِيهِ الأَجَلُ المَكْتُوب ، ولا يَفْجُوهُ الفِرَاقُ المَتُوب ، مثلهم الهدى الذي تطمئن به القلوب ، ومَوْضِعُ السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قسَمِ الوجوب ، لاسيما لأولي المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل في الكتاب المعجز الأسلوب : « أَمَ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ <sup>(٢)</sup> » ، « وَوَصَّى بِهَا

[١] من شام البرق : نظرا له أين يحد ، وأين يطر . [٢] وتعلم الآية الكريمة :

« إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اللَّيْلُ إِذْ قَالَ لَيْسَ لِي بِهِ مَتَاعِدُونَ مِنْ بَنِي قَالُوا نَبُذْ لِمَكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِزْرَاهِمِ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهًا وَاحِدًا وَمَنْ لَهُ مُسْلِمُونَ .

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ<sup>(١)</sup> ، ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ،  
أكرم من زُرْتُ على نُورِهِ جُيُوبُ النُيُوبِ ، وأشرف مَنْ خُلِمَتْ عَلَيْهِ حُلُلُ  
الْمَهَابَةِ وَالْعِصْمَةِ ، فلا تَقْنَحُهُ<sup>(٢)</sup> المِیُونُ ، ولا تَصِغُهُ المِیُوبُ ، والرضا عن آله  
وأصحابه الثابرين على لسان<sup>(٣)</sup> الاستقامة بالهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ،  
والاقتداء الموصِّلِ المرغوب ، والعزِّ والأمن من اللُّغُوبِ<sup>(٤)</sup> ، وبعد : فإنِّي لما  
علاني المَشِيبَ بِقِمَّتِهِ<sup>(٥)</sup> ، وقادني الكِبَرُ بِرُمَّتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وأدَّ كَرَّتُ الشَّبابُ بِعَدِّ  
أُمَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، أَسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ ، وَنَدِمْتُ بَعْدَ الْفِطَامِ عَلَى مَا رَضَعْتُ ، وتأكدَّ  
وجوبُ نصحي لمن لَزِمَنِي رَعْيُهُ ، وتعلَّقَ بَعِيْنِي سَعْيُهُ ، وأُمِلْتُ أَنْ تَعْدَى إِلَى  
ثَمَرَةِ اسْتِقَامَتِهِ وَأَنَا رَهِيْنُ قَوَاتِ ، وَفِي بَرْزَخِ أُمُوتِ ، وَيَأْمَنُ الْعُثُورُ فِي الطَّرِيقِ  
الَّتِي اقْتَضَتْ عِثَارِي ، إِنْ سَلَكَ - وَعَسَى أَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ - عَلَى آثَارِي ، فقلت  
أُخَاطِبُ الثَّلَاثَةَ الْوَلَدَ ، وَثَمَرَاتِ الْخَلْدِ<sup>(٨)</sup> بَعْدَ الضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِمْ ،  
وإيضاح طَرِيقِهِمْ ، وَجَمْعَ تَهْرِيقِهِمْ ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَى مَنْهُمْ بِحَسَنِ الْخَلْفِ ،  
والتَّلَافِي مِنْ قَبْلِ التَّلَفِ ، وَأَنْ يَرْزُقَ خَلْفَهُمُ التَّمَسُّكَ بِهَدْيِ السَّلَفِ ، فَهُوَ وَلِيُّ  
ذَلِكَ ، وَالْمَهَادَى إِلَى خَيْرِ الْمَسَالِكِ : اعلموا هَذَا كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي بَأْنَوَارِهِ تَهْتَدَى

[١] وتَمَامُ آيَةِ الْكَرِيمَةِ : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ ، قَالَ أَأَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَصَّى بِهَا  
إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » .

[٢] تَرْدِيهِ وَتَحْقِيقَهُ ، وَوَصْفَهُ : حَاجَهُ . [٣] الْبَاسُ : الرِّسَالَةُ .

[٤] اللُّغُوبُ : أَشَدُّ الْإِعْيَاءِ . [٥] الْفِتْنَةُ : أَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ .

[٦] الرِّمَّةُ بِالْفَمِّ وَكَسْرُ : قِطْعَةٌ مِنْ حَبْلٍ .

[٧] الْأَمَةُ هُنَا : الْحَيْنُ ، اقْبَسَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ » .

[٨] الْخَلْدُ : الْقَلْبُ وَالنَّفْسُ .

الضلال ، ويرضاه ترفع الأغلال ، وبالتماس قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها الشمال ، أنى مؤدعكم وإن سألني الردى ، ومغارفكم وإن طال المدى ، وما عدا مجا بدا ، فكيف وأدوات السفر تجتمع ، ومنادى الرحيل يُسمع ، ولا أقل للحيب المودع ، من وصية مخنصر ، ومجاله مقتصر ، وذريعة<sup>(١)</sup> تُنفذ في خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة<sup>(٢)</sup> واج مبصر ، تكفل لكم بحسن العواقب من بعدى ، وتوضح لكم من الشفقة والحنو قصدى ، حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدى ، فهى أربكم الذى لا يتغير وقفه ، ولا ينالكم المكروه ما رف عليكم سقفه ، وكأنى بشابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبناشطكم قد كسل ، واستبدل الصاب<sup>(٣)</sup> من المسل ، ونصول<sup>(٤)</sup> الشيب تروّع بأسل ، لابل السام<sup>(٥)</sup> من كل حدب قد نسل ، والمعاد اللحد ولا تسئل ، فبالأمس كتم فراخ حجر<sup>(٦)</sup> ، واليوم أبناء عسكري عجز ، وغداً شيوخ مضىمة وهجر ، والقبور فاغرة<sup>(٧)</sup> ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والأولى تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يُعظ به فى أمر ، وقال : « يدي لا بيد تمرو<sup>(٨)</sup> » ، فاقنوها من وصية ،

[١] الرتبة : خيط يقدى الإصبع للتذكير .

[٢] الصاب : عصاة شجر مر . [٣] الصول جمع فعل : وهو جديدة الرمح والسيف ، والأسل : الزماح . [٤] السام : اللوث ، والمذهب : ما ارتفع من الأرض ، وسئل كفرت : أسرع والمعاد : للرجع . [٥] أى كالفراخ فى حبر أمها وحضنها ، والمجر : الكثير من كل شيء ، وجيش بحر : كثير جدا . [٦] أى فاعة أفواهما للوق .

[٧] هو مثل قاتله الزباء ملكة الجزيرة ، وذلك أنها كانت دعت جذية الأبرش ملك ما على شاطئ اللهات إلى زواجها ، فلما استقر معها قتله تأراً بأبيها - وكان جذية قد قتله - فاحتل مولاه قصير للتأثر منها ، فجدع أنه وأثر آثاراً بطهره ، ثم خرج إلى الزباء ، وأظهر أن عمرو بن عدى - ابن أخت جذية - فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بماله جذية وغره من الزباء ، فلما استرسلت إليه ووهت به ، زين لها

وَمَرَامٍ<sup>(١)</sup> فِي النَّصْحِ قَصِيَّةٍ ، وَخَضُوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا  
 اتَّقَلَوْا ، وَحَسَبِي وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَتْلُوهُمْ أَنَّهُمْ  
 أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَا رَضِيَ الدُّنْيَا مَنَزَلًا ، وَلَا لَطَفَ بَعْنٍ أَصْبَحَ عَنْ فِتْنَةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا ،  
 وَلِتَلْقَنُوا تَلْقَيْنَا ، وَتَعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا ، أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَنْفَرِدَ بَذَنبِي ،  
 وَيَفْتَرِشَ التَّرَابَ جَنبِي ، وَيَسْحَ النِّسْكَابِي ، وَتَهْرُولَ عَنِ الْمَصْلَى رِكَابِي ، أَحْزَنَ  
 مِنِّي عَلَى سَعَادَةِ إِلَيْكُمْ تُجْلَبُ ، أَوْ غَايَةِ كَمَالٍ بِسَبْبِكُمْ تُرْنَادُ وَتُطْلَبُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ  
 فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَوْزَفُ<sup>(٢)</sup> مِنْكُمْ ظِلًّا ، وَلَا أَشْرَفُ مَحَلًّا ، وَلَا أَعْبَطُ نَهْلًا وَعَلَا<sup>(٣)</sup> ،  
 وَأَأْكُلُ مَا يُوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّخُوا<sup>(٤)</sup> إِلَى قَوْلِي الْآذَانَ ، وَتَسْتَلِجُوا صُبْحَ  
 نُصْحِي فَقَدْبَانَ ، وَسَأُعِيدُ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةَ لُقْمَانَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ :  
 « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ أَظْلَمُ  
 عَظِيمٌ » - « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ  
 عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ<sup>(٥)</sup> خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

أَنْ تَبْنِيَهُ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا مِنْ طَرَاثِمِهَا وَثِيَابِهَا وَطَلِيهَا ، وَأَنْهَا سَتَصِيبُ فِي ذَلِكَ أَرْبَابًا عِظَامًا ، فَأَذِنَتْ  
 لَهُ وَقَدِمَ الْعِرَاقَ ، وَأَتَى الْحِيرَةَ مُتَنَكِّرًا ، وَزُوْدَهُ عَمُرُو بِسَنُوفِ الْبَزِّ وَالْأَمْتَةِ ، وَرَجَعَ إِلَى الرِّبَاءِ ، فَاجْتَبَاهَا  
 مَا رَأَتْ وَسَرَّهَا ، وَازْدَادَتْ بِهِ تَقَةً ، وَجَهَزَتْهُ ثَانِيَةً ، فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمُرُو فَجَهَزَهُ وَعَادَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ حَادَ  
 الثَّالِثَةَ وَجَمَعَ ثَقَاتَ مِنْ رِجَالِ عَمُرُو ، وَجَلَّهْمُ فِي الْفَرَارِ عَلَى الْجِبَالِ ، وَسَارَ إِلَى الرِّبَاءِ ، وَدَخَلَتْ الْإِبِلُ الْمَدِينَةَ  
 - وَكَانَ الرِّبَاءُ قَدِ حَفَرَتْ عَمْرًا ، وَانْخَنَتْ نَقْعًا إِلَى حِصْنٍ لَهَا فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهَا ، وَمَاتَ : إِنْ جَاءَ أَمْرُ  
 دَخَلَ النَّفَقَ إِلَى حِصْنِي - وَدَلَّ قَصِيرُ عَمْرًا عَلَى بَابِ النَّفَقِ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ الرِّجَالُ مِنَ الْفَرَارِ صَاحُوا بِأَهْلِ  
 الْمَدِينَةِ وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ ، وَطَامَ عَمُرُو عَلَى بَابِ النَّفَقِ ، وَأَقْبَلَتِ الرِّبَاءُ تَرِيدُ النَّفَقَ ، فَأَصْبَرَتْ عَمْرًا فَمَرَقَتْهُ  
 - بِالْصُّورَةِ الَّتِي صَوَّرَتْ لَهَا - فَصَنَّتْ خَاتَمَهَا وَكَانَ فِيهِ السَّمُّ ، وَقَالَتْ : « يَبْدَى لَا يَدُ عَمُرُو » فَذَهَبَتْ مَتَلَاءَ  
 وَتَقَامَا عَمُرُو بِغُلَّهَا بِالسَّيْفِ وَقَتْلَهَا ، وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا ، وَانْكَفَأَ رَاجِعًا إِلَى الدِّرَاقِ .

[١] مَرَامٍ : جَمْعُ مَرَمٍ ، وَهِيَ : قَصِيَّةٌ .

[٢] وَزَفُ الْظِّلِّ : اتَّسَعَ وَطَالَ وَامْتَدَّ . [٣] التَّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَالْمَلُّ وَالْمَلَلُ : الشَّرْبُ  
 الثَّانِي أَوْ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ تَبَاطًا . [٤] أَصْحَحَ لَهُ : اسْتَمَعَ . [٥] صَعَّرَ خَدَّهُ : أَمَالَ كِبَرًا .

تَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ،  
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَبِيرِ ، وَأَعِيدُ وصيةَ  
خليل الله وإسرائيل، حُكْمٌ <sup>(١)</sup> مَا تَضَمَّنَهُ حُكْمُ تَنْزِيلِهِ : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَلَقَ  
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ،  
وأكمله ووفاه ، وقرره مُصْطَفَاهُ ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أُفْعِلَ فيه اتِّقَادُ ،  
فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مُقَرَّرٌ ، ومستمدٌّ من عقل أو قَلْ محرر ، والعقل  
متقدِّمٌ ، وبناءؤه مع رَفَضِ أخيه متهدِّمٌ ، فالله واحد أحد ، فَرَدَّ صَمَدٌ <sup>(٢)</sup> ،  
ليس له والد ولا ولد ، تنزهه عن الزمان والمكان ، وَسَبَقَ وجوده وجودَ الأَكْوَانِ ،  
خالِقُ الخلق وما يعملون ، الذي لَا يُسْأَلُ عن شيءٍ وهم يُسْأَلُونَ ، الحَيُّ العليم المدبِّرُ  
القدير ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أرسل الرسل رحمةً لتدعو الناس  
إلى النجاة من الشقاء ، وتوجِّهَ الحُجَّةَ في مصيرهم إلى دار البقاء ، مؤيِّدَةً بالمعجزات  
التي لَا تَتَّصِفُ أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على قواثرها دعوى الانتفاء ، ثم  
ختم ديوانهم بنبيِّ مِلَّتِنَا المرعية المهمل ، الشاهدة على الْمَلِكِ ، فتلخَّصت الطاعة ،  
وَتَعَيَّنَتِ الأَمْرَةُ الْمُطَاعَةُ ، ولم يَبْقَ بعده إلا ارتقَابُ الساعة ، ثم إن الله تعالى قَبَضَهُ  
إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وترك دينه يَضُمُّ من الأمة نَشْرًا <sup>(٣)</sup> ، فمن تَبِعَهُ لَحِقَ بِهِ ، ومن تركه  
نُوطٌ <sup>(٤)</sup> عنه في مَنْسِيهِ ، وكانت نجاته على قدر سَبَبِهِ ، رُوي عنه عليه الصلاة  
والسلام أنه قال : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي » ، فَمَضُوا عليهما بالنواجذ <sup>(٥)</sup> .

[١] إسرائيل : محبوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو يدل من وصية .

[٢] الصمد : السيد ، لأنه يصمد أي يقصد في قضاء الحاجج . [٣] النفر : للتفرغ ، ومنه :

« اللَّهُمَّ احْضِرْ لِفَرِي » . [٤] أي أهد عنه وطرد ، يقال طأطأ النار : أي بعت .

[٥] أقصى الأضراس .



فاعملوا يَا بَنِي بَوَصِيَةٍ من ناصح جاهد ، وَمُشْفِقٍ شَفَقَةً والد ، واستشعروا  
حُبَّةَ الذِي توافرت دواعيه ، وَعُودًا مَرَّاسِدَ هَذِيهِ ، فَيَا فَوْزَ وَاعِيهِ ! وَصِلُوا السَّبَبَ  
بِسَبَبِهِ ، وَآمِنُوا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، مُجْمَلًا أَوْ مُفَصَّلًا عَلَى حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا التَّجَلَّةَ  
لِصَحْبِهِ ، الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصَحْبَتِهِ ، واجعلوا محبتكم إِيَّاهُمْ من تَوَابِعِ محبته ،  
واشملوهم بالتوقير ، وَفَضِّلُوا مِنْهُمْ أَوْلَى الْفَضْلِ الشَّهِير ، وَتَبَرَّءُوا مِنْ الْعَصْبِيَّةِ الَّتِي  
لَمْ يَذْكُرْكُمْ إِلَيْهَا دَاعٍ ، وَلَا تَعِ النَّشَاجِرَ يَنْبَغُ أَنْ يَذْكُرَ دَاعٍ ، فهو عنوان السَّدَاد ، وعلامة  
سلامة الاعتقاد ، ثُمَّ اسْحَبُوا فَضْلَ تَعْظِيمِهِمْ عَلَى فَقْهَاءِ الْمِلَّةِ ، وَأَعْتَمُوا الْجِلَّةَ <sup>(١)</sup> ،  
فهم صَقَلَةُ نُصُولِهِمْ ، وفروعُ نَاشِئَةٍ مِنْ أَصُولِهِمْ ، وَوَرَثَتُهُمْ وَوَرِثَةُ رَسُولِهِمْ ،  
واعلموا أَنَّنِي قَطَعْتُ فِي الْبَحْثِ زَمَانِي ، وَجَعَلْتُ النَّظَرَ شَانِي ، مِنْذُ بَرَأْنِي اللَّهُ  
تَعَالَى وَأَنْشَأَنِي ، مَعَ نُبُلٍ <sup>(٢)</sup> يَعْتَرِفُ بِهِ الشَّانِي ، وَإِدْرَاكِ يَسْلَمُهُ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي ،  
فَلَمْ أَجِدْ خَاطِبَ وَرَقٍ ، وَلَا مُصَبِّبَ عَرَقٍ ، وَلَا نَازِعَ خِطَامٍ ، وَلَا مُتَكَلِّفَ فِطَامٍ ،  
وَلَا مُقْتَحِمَ بَحْرِ طَامٍ ، إِلَّا وَغَايَتُهُ الَّتِي يَقْصِدُهَا قَدْ نَضَلْتُهَا الشَّرِيعَةُ وَسَبَقْتُهَا ،  
وَقَرَعْتُ <sup>(٣)</sup> ثَنِيَّتَهَا وَارْتَقَتْهَا ، فَعَلَيْكُمْ بِالزَّامِ جَادَّتْهَا <sup>(٤)</sup> السَّالِبَةُ ، وَمَعَاجِبَةُ  
رَفَقَتْهَا الْكَامِلَةُ ، وَالْإِهْتِدَاءُ بِأَقَارِهَا غَيْرُ الْآفَلَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ، وَهُوَ أَصْدَقُ  
الْقَائِلِينَ : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّ يُقْبَلَ مِنْهُ رَهْوٌ فِي الْآخِرَةِ  
مِنْ الْخَاسِرِينَ » ، وَقَدْ عَلِمْتُ شَرَائِعَهُ ، وَرَاعَى الشُّكُوكَ رَائِعَهُ ، فَلَا تَسْتَنْزِلُكُمْ  
الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ ، وَابْذُلُوا دُونَهُ النُّفُوسَ فَعَلَ الْمُهْتَدِينَ ، فَلَنْ يَنْفَعَ مَتَاعٌ بَعْدَ الْخُلُودِ  
فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ ، وَلَا يَضُرُّ مَقْهُودٌ مَعَ الْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ ،

[١] جمع جليل . [٢] النبل : الذكاء والتجاية ، والثاني : للبعض .

[٣] فرعه : علاه ، والثنية : العبة ، أو الجبل أو الطريقة فيه أو إليه .

[٤] المجادة : الطريق الواضح ، والسالبة مع الطرق : السلوك .

ومتاع الحياة الدنيا أَخْسُ ما وَرِثَ الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بَلَغْتُ فانت  
خير الشاهدين ، فاحذَرُوا المعاطِبَ التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعى  
شَوْهَ الوجوه وَنُضْجَ الجلود ، واستميدوا برضا الله من سُخْطِهِ ، وازبُتُوا بنفوسكم  
عن غَمَطِهِ ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بِرُؤُوسٍ قد خَدَعَ أسلافكم ، ولا تحمدوا  
على جيفة العَرَضِ الزائل ائتلافكم ، واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا<sup>(١)</sup> على  
ما فات وتمذر ، فإنما هي دُجْنَةٌ<sup>(٢)</sup> ينسخها الصباح ، وصَفْقَةُ يَمَاقِيبِ الخسار أو  
الرياح ، ودونكم عقيدة الإيمان فَشُدُّوا بالواجذ عليها ، وَكَفِّفُوا الشبهة أن  
تَذُنُوا إليها ، واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خَرَقٌ لا يَرْفُوه<sup>(٣)</sup> عمل ، وكل  
ما سوى الراعي همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا بكتاب  
الله تعالى حِفْظًا وَتِلَاوَةً ، واجعلوا حمله على حمل التكليف عِلَاوَةً ، وتفكروا في  
آياته ومعانيه ، وامتلأوا بأوامره ونواهيه ، ولا تتألولوه ولا تَتَلَوُّوا فيه ، وأشربوا  
قلوبكم حُبًّا من انزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حُبِّه ، وصونوا شعائره  
الله صونَ المحترم ، واحفظوا القواعد التي يبنى عليها الإسلام حتى لا يَنْفَرَمَ ،  
أَللهُ اللهُ في الصلاة ذريعة التَّجَلُّة ، وخاصة المِلَّة ، وحاقنة الدم ، وَغَنَى المستأجر  
المستخدم ، وأمَّ العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناحية  
عن الفحشاء والمنكر ، إن عَرَضَ الشيطانُ عَرَضَهَا ، ووطأ لانتفس الأثارة سماءها  
وأرضها ، والوسيلة إلى بَلِّ الجوانح يبرؤد الذكر ، وإيصال ثُخْفَةِ الله إلى مَرِيض  
الفكر ، وضامنة حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجار ، والواسمة

[١] ولا تحزنوا . [٢] السجدة : الطلقة .

[٣] رَفَأَ التَّوْبَ كَتَبَ : لَمْ يَخْرُقْهُ ، وَضَمَّ بِهِ إِلَى بَعْرِ .

بِسْمَةِ السَّلاَمَةِ ، وَالشَّاهِدَةِ لِلْعَبْدِ بَرَفِ الْمَلَامَةِ ، وَغَسُولٌ <sup>(١)</sup> الطَّبْعُ إِذَا شَانَهُ طَبَعَ ،  
وَالْخَيْرُ الَّذِي كُلُّ مَسَاوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا النَّفْسَ عَلَى وَظَائِفِهَا ، بَيْنَ بَدْءٍ وَإِعَادَةٍ ،  
فَالْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَلَا تَفْضَلُوا عَلَيْهَا الْأَشْفَالَ الْبَدَنِيَّةَ ، وَتَوَثَّرُوا عَلَى الْعَلِيَّةِ الدُّنْيَا ،  
فَإِنْ أَوْقَاتِهَا الْمَعِينَةُ بِالْإِتْقَانِ تَنْبَسُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْفَلَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُجْتَسُ ،  
وَإِذَا قُورِنَتْ بِالشَّوَاغِلِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَنْيِّرُهُ الْغُدُوُّ  
وَلَا الْأَصِيلُ ، وَالْوِظَائِفُ بَعْدَ أَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ  
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا اقْتَمَوْهَا ، وَأَتَّبِعُوهَا التَّوَالِفَ  
مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالْإِتْقَانِ تَفَاضَلَتْ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ اسْتَحَقَّتِ الْكَمَالُ ، وَلَا  
شُكْرَ مَعَ الْإِهْمَالِ ، وَلَا رِنَجَ مَعَ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ ، وَذَلِكَ آخَرُ بِلَاقَةِ  
الْفَرَضِ ، وَادْعَى إِلَى مُسَاعَدَةِ الْبَعْضِ الْبَعْضَ .

وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ فِي تَحْصِيلِهَا سَبَبُ مُوَصَّلٍ ، وَشَرْطُ لِمَشْرُوطِهِ مُحْصَلٍ ،  
فَاسْتَوْفُوهَا ، وَالْأَعْضَاءُ تَنْظَّفُوهَا ، وَمِيَاهُهَا يَنْيِّرُ أَوْصَافُهَا الْحَمِيدَةُ فَلَا تَصْفُوهَا ،  
وَالْحُجُولَ وَالْفُرُرَ <sup>(٣)</sup> فَأَطِيلُوهَا ، وَالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَلَا تُهْمِلُوهَا ، فَالْبِنَاءُ  
بِأَسَاسِهِ ، وَالسَّيْفُ بِمِرَاسِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْوُضُوفَ مِنْ صَلَاةٍ وَطَهْوَرٍ ، وَذَكَرَ  
مَجْهُورٌ وَغَيْرُ مَجْهُورٍ ، تَسْتَفْرِقُ الْأَوْقَاتَ ، وَتَتَنَازَعُ شَتَّى الْخَوَاطِرِ الْمَفْتَرَقَاتِ ،

[١] الْفَسِيلُ كَمَبُورٍ وَتَوَرُّ : الْمَاءُ يَنْقَسِلُ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « غَاسُولٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالطَّبْعُ :  
الذِّينَ وَالذِّبَ . [٢] أَيْ تَذْهَبُ وَتَضَيِّعُ ، يُقَالُ : انْبَسَّ الرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ « تَبَسَّ »  
وَأَرَادَ عَرَفًا .

[٣] الْمَجُولُ جَمْعُ حَبَلٍ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ : وَهُوَ الْمَلْحَالُ ، وَالرَّادِ بِهَا هَذَا الْأَطْرَافُ ، وَبِاطْنِهَا  
اسْتِغْيَابُ غَسْلِهَا ، وَالْفُرُرُ جَمْعُ غُرَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ الْوَجْهَةُ ، وَالرَّادُ بِهَا طَوِيلُهَا فِي الْوُضُوءِ : غَسْلُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ  
مَعَ الْوَجْهِ ، وَغَسْلُ صَفْحَةِ الْعُنُقِ ، وَجِلَّةٌ لِلْحَيِّ : أَنَّهُ بِأَمْرِ بِلَاغِ الْوُضُوءِ ، وَفِي الْمَدْحِ النَّشْرِ :  
« أُمَّتِي الْفُرُ الْمُحْجَلُونَ » وَالْفُرُ جَمْعُ الْأُخْرَى مِنَ النَّرَّةِ ، وَهِيَ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْمَرْءِ فَوْقَ الْبُرْمِ ،  
يُقَالُ : فَرَسٌ أُخْرٌ وَغَرَاءٌ ، وَالْمَحَلُّ : الْفَرَسُ الَّذِي يَرْتَفِعُ الْبَيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْضِعِ الْقَدَمِ أَيْ بَيَضُ  
مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنَ الْوَجْهِ وَالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، اسْتِمَارَ أَمْرُ الْوُضُوءِ فِي الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنَ الْبَيَاضِ  
الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَبَدْنِهِ وَرِجْلَيْهِ .

فلا يضبطها إلا مَنْ ضَبَطَ نَفْسَهُ بِمِقَالٍ ، واستعاضَ صَدَأَهُ بِصِقَالٍ <sup>(١)</sup> ، وإن تراخى قَهْمَرٌ <sup>(٢)</sup> الباعُ ، وَسَرَقَهُ الطَّبَاعُ ، وَكَانَ لَهَا سَوَاهَا أَضْيَعُ ، فشِئِلَ الضِّيَاعُ . والزكاةُ أختها الحبيبة ، وَلِدَتْهَا الْقَرِيْبَةُ ، مفتاح السعادة بالقرض الزائل ، وشكران المستول على الضدِّ من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعَنَاه <sup>(٣)</sup> ، من غير استحقاق مَلَأَ يده وإخلاء يده أخيه ، وَلَا عِلَّةَ إِلَّا الْقَدَرُ الَّذِي يُخَفِّيه ، وَمَا لَمْ يَنْلَهُ حَظَّ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا خَيْرَ فِيهِ ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عَرَضِهَا وَتِجَارَتِهَا ، واستحيوا من الله تعالى أَنْ تَبْخَلُوا عَلَيْهِ يَمِضُ مَا بَدَّلَ ، وَخَالَفُوا الشَّيْطَانَ كُلَّ عَدَلٍ ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لَا تَمْلِكُونَ ، وَلَا تَدْرُونَ أَيْنَ تَسْلُكُونَ ، فوَهَبَ وَأَقْدَرَ ، وَأُورِدَ بِفَضْلِهِ وَأَصْدَرَ ، لِيَرْتَبَّ بِكَرَمِهِ الْوَسَائِلُ ، أَوْ يَقِيمَ الْحُجَجَ وَالْدَّلَائِلَ ، فابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بِمَالِهِ ، وَاعْتَمُوا رِضَاهُ يَمِضُ نَوَالُهُ . وصيام رمضان عبادة السرِّ المُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، الْمُحَوَّضَةُ <sup>(٤)</sup> لِمَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، مُؤَكَّدَةٌ بِصِيَامِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ ، وَالْقِيَامِ بِرِّ الْقِيَامِ ، وَالِاجْتِهَادِ وَإِثَارِ الشَّهَادِ ، عَلَى الْمِهَادِ ، وَإِنْ وَسِمَ الْاعْتِكَافُ فَهُوَ مِنْ سُنَّتِهِ الْمُرَعِيَّةِ ، وَلَوْاحِقِهِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَبِذَلِكَ تَحْمَسُنُ الْوُجُوهُ ، وَتَحْصُلُ مِنَ الرَّقَّةِ عَلَى مَا تَرْجُوهُ ، وَتَنْزَهَبُ قِسْوَةُ الطَّبَاعِ ، وَيَتَدَفَّى مَيْدَانُ الْوَسَائِلِ الْبَاعِ ، وَالْحُجَجُ مَعَ الْإِسْتِطَاعَةِ الرُّكْنُ الْوَاجِبُ ، وَالْفَرَضُ عَلَى الْعَيْنِ لَا يَحْجُبُهُ الْحَاجِبُ ، وَقَدْ يَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْرَهُ فِيمَا فَرَضَ عَنْ رَبِّهِ وَسُنَّتَهُ ، وَقَالَ : « لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا

[١] صواب العبارة « واستعاضَ بصدئه صقالا » يقال : استبدل الشيء بغيره إذا أخذته مكانه ( ومنه ترى أن الباء داخلة على المزود ) واعتاضه منه واستعاضه ( والباء كمن ) .  
[٢] قهمر وقهمر : رجع القهقرى . [٣] ألبه . [٤] الخالصة .

الجنة» ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكفونا ممن يسمع نقيره ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه عمدة الاسلام وفروصه ، ونقود متهزه وعُرُوضه ، خافطوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يؤاويكم <sup>(١)</sup> ظاهرين ، وتلقوا الله لامبديلين ولا مغيين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتحملكموا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجتلي محاسنها من بعد الانتقاب <sup>(٢)</sup> ، فليكن بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيقة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملائ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النجاة <sup>(٣)</sup> عادة ، والأذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل ، وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنىكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ، واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ترمى لغرضه ، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جراه <sup>(٤)</sup> ، وسهر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ، وتحملوهم متابعة رفعة لا يحط فارغها ولا يستنزل ، واختاروا العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا ينالها

[١] يادبكم ، وظاهرين : فالين . [٢] أى بعد الاختفاء ، من انتقت المرأة لبست الثياب .

[٣] ناله : أعطاه ، والاسم النحلة . [٤] يقال : فعلت ذلك من جراه ومن جرائه بالشديد

ويغفلان ، ومن جريته : أى من أجله ، والهكرى : النوم .

في غيرِه<sup>(١)</sup> المقت ، وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نَجَمَ بِمَنَاجِهَا المَرِيعَة<sup>(٢)</sup> ،  
من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولُها ، ولا يضائق ثمراتِ المعاد حصولُها ،  
فإنها هي آلات لِغَيْرِ ، وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كَانَ قابلاً للزيادة ،  
وَأَتَى فُتْمَهُ ذَا انقياد ، فليخصَّ بتجويد القرآن بتقديعه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة  
صحيحه من سَنَقِيهِ ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المِنَّة ، المَهْدَى  
كنوز الكتاب والسُنَّة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجِلَّة ، والتدرج في  
طرق النظر بصحيح الأدِلَّة ، وهذه هي الناية القصوى في المِلَّة ، ومن قصر  
إدراكه عن هذا المَرْحَى ، وتقاعدَ عن التي هي أسمى ، فَلْيَتَوَّ الحَدِيثَ بمد تجويد  
الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم  
القديمة ، والفنون المهجورة النقيمة ، فأكثرُها لا يُعِيد إلا تشكيكاً ، ورأياً  
ركيكاً ، ولا يثمر في العاجلة إلا ائتمامَ العيون ، وتطويرَ الظنون ، وتطوير  
الاحتقار ، وَرَمَمَةَ الصَّغَارِ ، وخول الأقدار ، والخسَف من بعد الإبدار ، وجاذة  
الشريعة أغرق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن  
رُشْد<sup>(٣)</sup> قاضي المصر ومُفتيه ، وملتَمِسُ الرشد ومُؤَلِّيه ، عادت عليه بالسَّخْطَة

[١] غير الدهر : أحداثه للفتنة ، والضمير فيه يعود على الوقت . [٢] المصيبة .

[٣] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها ، ولد سنة ٥٢٠ هـ  
ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، واصل يوسف بن عبد المؤمن زعيم الموحدين ، وشرح له فلسفة  
أرسطو ، وقد ولاء قضاء إشبيلية ، ثم استدعاه إلى مراكش ، وجعله طبيباً للحامس ، ثم جُله قاضي القضاة  
بقرطبة ، ولما ولي بعده ابنه للنصور باقة عكس مكانة ابن رشد عنده ، فأثار ذلك حسد خصومه ، فكادوا  
له عند السلطان واتهموه أنه يمجّد القرآن ، وينشط الفلسفة وطولم الأوائيل بدلا من علوم الدين ، وينصر  
مذهب الفلاس في القول بالوحيه بضم الكواكب ، فضله للنصور من قضاء قرطبة ، ثم عفا عنه ،  
واستدعاه إلى مراكش ، ولم يطل مقامه بها ، فمات سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات  
الأجنبية ، وعليها عول الأوروبيون في نهضتهم الحديثة .

الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطئوا جامكم <sup>(١)</sup> بجامها ، إلا ما كان من حساب ومِساحة ، وما يعود بِجِدْوَى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور ، وَضَرَمَ <sup>(٢)</sup> مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وَأَمَرُوا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانهَوْا عن المنكر نهيّاً حَرِيّاً بالاعتدال حَقِيقاً ، وَأَغْيَطُوا مَنْ كَانَ مِنْ سِنَةِ الْفُتْلَةِ مُفِيقاً ، واجتنبُوا ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ حَتَّى لَا تَسْلُكُوا مِنْهُ طَرِيقاً ، وَأَطِيعُوا أَمْرَ مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أُمُورِكُمْ أَمراً ، وَلَا تَقْرَبُوا مِنَ الْفِتْنَةِ جَعراً ، وَلَا تُدْخِلُوا فِي الْخِلَافِ زَيْداً وَلَا عَمراً ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَهُوَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْمٌ مَا أَضْرَى <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ الْآبَاءُ أَلْسِنَةُ الْبَنِينَ ، وَأَكْرَمُ مَنْسُوبٍ إِلَى مَذْهَبِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَهُوَ الْعَوْرَةُ الَّتِي لَا تُوَارَى ، وَالسَّوْدَةُ الَّتِي لَا يُرْتَابُ فِي عَارِهَا وَلَا يُتِمَّارَى ، وَأَقْلَ عَقُوبَاتِ الْكَذَابِ ، بَيْنَ يَدَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ ، أَنْ لَا يَقْبَلَ صِدْقُهُ إِذَا صَدَقَ ، وَلَا يَمُوتَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ بِالْحَقِّ نَظَقَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْأَمَانَةِ فَالْحَيَاةُ لَوْمٌ ، وَفِي وَجْهِ الدِّيَانَةِ كُلُومٌ <sup>(٤)</sup> ، وَمِنْ الشَّرِيعَةِ الَّتِي لَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهَا ، أَدَاءُ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَحَافِظُوا عَلَى الْحِشْمَةِ وَالصَّيَانَةِ ، وَلَا تَجْرُوا مَنْ أَقْرَضَكُمْ دِينَ الْخِيَانَةِ ، وَلَا تَوْجِدُوا لِلْعَذْرِ قَبُولاً ، وَلَا تُقَرُّوا عَلَيْهِ طَبْعاً مَجْبُولاً ، وَأَوْفُوا بِالْمَهْدِ إِنْ الْمَهْدُ كَانَ مَسْئُولاً ، وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِكَزْبٍ وَلَا خَزْنٍ ، وَلَا تَذْهَبُوا لِغَيْرِ مَنَاصِحَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَهْلٍ وَلَا حَزْنٍ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ ، وَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تُعِينُوا فِي سَفْكَ الدِّمَاءِ

[١] الجام : إناء من فضة . [٢] جمع ضربة بالتحريك وهي الجمة والنار ، وسجر التور : أجهاد

[٣] ضرى بالثاء : كتب : اعتاده وأولع به ، ويمدى بالهمز والتخفيف ، فيقال : أضربه وضريته :

أي أغربه به . [٤] الكلوم جمع كلم بالفتح وهو الجرح .

ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في  
فُسْحَةٍ ممتدة ، وسُئِلَ اللهُ تعالى غير مُنْسَدَةٍ ، ما لم يَقْبِذْ إلى الله تعالى بأمانه ،  
وَيَمَسَّ الدَّمَّ الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه : الَّذِي هَدَىٰ بِهِ  
سَنَنًا قَوِيمًا ، وَجَلَّىٰ مِنَ الْجَهْلِ والضلال لَيْلًا بَهِيمًا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا  
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ،  
واجتناب الزنا وما تعلق به ، مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ كَرُمَتْ طِبَاعُهُ ، وامتند في سبيل  
السعادة باعُهُ ، لو لم تلتق نور الله الذي لم يهد شعاعُهُ ، فالحلال لم تَضِيقْ عن  
الشهوات أنواعُهُ ، ولا عُدِمَ إقناعُهُ ، ومن غَلَبَتْ غَرَاثُ جَهْلِهِ ، فليُنْظَرْ : هل  
يحب أن يُرْتَنَىٰ بأهله ؟ والله قد أَعَدَّ للزاني عَذَابًا وَيْلًا ، وقال : « وَلَا تَقْرُبُوا  
الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ، والحرام الكبار ، ومفتاح الجرائم  
والجرائر <sup>(١)</sup> ، والله لم يحمله الله في الحياة شرطًا ، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال  
الذي سَوَّغَ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوامٌ لم يرضَوْا لمقولهم بالفساد ،  
ولا لنفوسهم بالمضرة في مَرْضَاةِ الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رَجَسًا محرَّمًا  
على العباد ، وَقَرَّبَهَا بالأنصاب والأزلام في مَبَايِنَةِ السَّدَادِ <sup>(٢)</sup> ، ولا  
تَقْرَبُوا الرِّبَا ، فإنه من مَنَاهِي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ  
مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْزَبٍ مِنْ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مَالَ أَحَدٍ بظِرِّ حَقٍّ يُبَيِّحُهُ ، واترَعوا

[١] الجرائر جمع جريرة : وهي الجريمة .

[٢] يعني إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَاللَّيْسُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ  
رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .



الطَّعْمُ<sup>(١)</sup> عن ذلك حتى تذهب ريحُه ، والتمسوا الحلال يَسْنَى فيه أحدُكم على قَدَمه ، ولا يَكِلْ خِيَارَه إِلَّا لِلثَّقَةِ مِنْ خَدَمِهِ ، ولا تَلَجُّوا إِلَى الْمُتَشَابِهِ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِهِ ، فهو في السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَصْلٌ مُشْرُوطٌ ، وَالْحَافِظُ عَلَيْهِ مَغْبُوطٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَالظُّلْمُ مَمْقُوتٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ، مُجَاهِرِ اللَّهِ تَعَالَى بِصَرِيحِ الْعِصْيَانِ ، « وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كما ورد في الصَّحَاحِ الْحِسانِ ، وَالنِّيمَةُ فسادٌ وَشَتَاتٌ ، لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُتَاتٌ<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ<sup>(٣)</sup> » واطَّرَحُوا الْحَسَدَ ، فَمَا سَادَ حَسُودٌ ، وَإِيَّاكُمْ الْغِيْبَةَ : فَبَابِ الْخَيْرِ مَعَهَا مَسْدُودٌ ، وَالْبَخْلُ ، فَأَرِثُوا الْبَخِيلَ وَهُوَ مَوْدُودٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، فَوَاقِعُ الْخِزْيِ لَا تُسْتَقَالُ عَثَرَاتُهَا ، وَمُظَنِّنَاتُ الْفَضَائِحِ لَا تُؤْمَنُ نَعْمَرَاتُهَا ، وَتَفَقَّدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرِقُّوا عَلَى ذَوِي الزَّمَانَاتِ<sup>(٤)</sup> وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجَرُوا مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُزِيحُكُمْ فِي الْبُضَاعَاتِ ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَاذْكُرُوا الْمَسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمْ الْمَوَائِدَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطُ لِعِيَالِهِ ، وَارْعَوْا حَقُوقَ الْجَارِ ، وَاذْكُرُوا مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَعَاهَدُوا أَوْلَى الْأَرْحَامِ ، وَالْوَشَائِحِ<sup>(٥)</sup> الْبَادِيَةِ الْإِلْتِحَامَ ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الزُّورِ : فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الظُّهْرَ ، وَتُقْسِدُ السَّرَّ وَالْجَهْرَ ، وَالرِّشَاءَ ، فَإِنَّهَا تَحْطُّ الْأَقْدَارَ ، وَتَسْتَدْعِي الْمَذَلَّةَ وَالصُّعْثَارَ ، وَلَا تَسْأَحُوا فِي لُعْبَةِ قَمَرٍ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا تَشَارِكُوا أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي أَمْرِ ، وَصُونُوا الْمَوَاعِيدَ مِنَ الْإِخْلَافِ ، وَالْإِيمَانَ مِنْ حِنْثِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ ، وَحَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِزْدِرَاءِ

[١] الطعم : الفهوة . [٢] التات : ما يمت به أى يتوسل . [٣] القنات : النمام .

[٤] الزمانة : العاهة .

[٥] الوشائج جمع وشيجة : وهى اشتباك الثياب . [٦] قره : قلبه فى لعب القمار .

والاعتساف، ولا تلهجُوا بِالْأَمَالِ الْعِجَافِ<sup>(١)</sup> ولا تَكْلَفُوا بِالْكِهَانَةِ وَالْإِرْجَافِ، واجملوا المرين مَماشٍ ومعاد، وخصوصيةً وابتماد، واعلموا أن الله سبحانه بِالْمِرْصَادِ، وأن الخلق بين زرع وحصاد، وأقلوا بنير الحالة الباقية المهوم، واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم، وقابلوا بالصبر أذية المؤذين، ولا تعارضوا مقالات الظالمين، فأنه لمن بُغِيَ عليه خير الناصرين، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت، ولا نصجبوا للأمراض إذا أغضلت، فكل مُنْقَرِضٍ حقير، وكل مُنْقَضٍ وإن طال قصير، وانتظروا الفرج، وانتشقوا من جناب الله تعالى الأرج<sup>(٢)</sup>، وأوسعوا بالرجاء الجواخ، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لِمَعْبُدٍ إِلَيْهِ جَانِحٍ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء، واجنحوا إليه في التأساء والضراء، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيده به الشارد، وَيَعَذِّبُ الْوَارِدَ، وَأَسْهِمُوا<sup>(٣)</sup> منها للمساكين وأفضلوا عليهم، وعينوا الحظوظ منها لديهم؛ فن الآثاء: «يا عائشة أحسنى جوار نعم الله، فإنها قلما زالت عن قوم فمادت إليهم»، ولا تطفوا في النعم وتقصروا عن شكرها، وتغلبكم<sup>(٤)</sup> الجهالة بسكرها، وتوهموا أن سعيكم جلبها، وجدكم حابها، فأنه خير الرازيين، والعاقبة للمتقين، ولا فِعل إلا لله إذا نُظِرَ بعين اليقين، والله الله لا تنسوا الفضل بينكم، ولا تذهبوا بذهابه زينكم، وليلتزم كل منكم لأخيه، ما يشتد به تواخيه، بما أمكنه من إخلاص وبر، ومراعاة في علانية وسر، وللإنسان مزية لا تُجْهَل، وحق لا يُهْمَل، وأظهروا التعاضد

[١] العجاف جمع عجفاء: وهي اللهرولة . [٢] الأرج : توهج روح الطيب .

[٣] أسهم له : أعطاه سهماً . [٤] في الأصل : « وتغلبكم » ، وأراد محرفاً عن « وتغلبكم » .

والتناصر، وصَلُوا التَّعَاهِدَ وَالتَّزَوَّرَ، تُرْغِمُوا بِذَلِكَ الْأَعْدَاءَ، وَتَسْتَكْنُوا الْأَوْدَاءَ،  
وَلَا تَتَنَافَسُوا فِي الْحُظُوظِ السَّخِيفَةِ، وَلَا تَهَارِشُوا تَهَارِثُ السَّبَاعِ عَلَى الْجَيْفَةِ،  
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَكْذَرُ بِالْأَمْتَانِ، وَطَاعَةُ النِّسَاءِ شَرٌّ مَا أَفْسَدَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ،  
فَإِذَا أَسَدَيْتُمْ مَعْرُوفًا فَلَا تَذْكُرُوهُ، وَإِذَا بَرَزَ قَيْحٌ فَاسْتُرُوهُ، وَإِذَا أَعْظَمَ النِّسَاءُ  
أَمْرًا فَاحْقِرُوهُ، وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْفَسُوا مُقَارَضَةَ سَجَلِي<sup>(١)</sup>، وَبَرُّوا أَهْلَ مَوْدِقِي مِنْ  
أَجَلِي، وَمَنْ رُزِقَ مِنْكُمْ مَالًا بِهَذَا الْوَطَنِ الْقَلِقِ الْمَهَادِ، الَّذِي لَا يَصْلَحُ لِنِيرِ الْجِهَادِ،  
فَلَا يَسْتَمْلِكُهُ أَجْمَعُ فِي الْمَقَارِ، فَيَصْبِحُ عُرْضَةً لِلْمَذَاةِ وَالْإِحْتِقَارِ، وَسَاعِيًا لِنَفْسِهِ  
- إِنْ تَغْلَبَ الْعَدُوُّ عَلَى بِلَدِهِ - فِي الْإِفْتِضَاحِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَمَعُوقًا عَنِ الْإِتْقَالِ،  
أَمَامَ الثُّوبِ الثَّقَالِ، وَإِذَا كَانَ رِزْقُ الْعَبْدِ عَلَى الْمَوْلَى، فَلَا إِجَالُ فِي الطَّلَبِ أَوْلَى،  
وَاذْهَبُوا جَهْدَكُمْ فِي مَصَاحِبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَخَيْرُهَا لَا يَقُومُ بِشَرِّهَا، وَتَفْعُهَا لَا يَقُومُ  
بِضَرِّهَا، وَأَعْقَابُ مَنْ تَقَدَّمَ شَاهِدَةً، وَالتَّوَارِيخُ لِهَذِهِ الدَّعْوَى عَاصِدَةٌ، وَمَنْ  
بُئِيَ بِهَا مِنْكُمْ فَلْيَسْتَظْهِرْ بِسَمَةِ الْإِحْتِمَالِ، وَالتَّقَلُّلِ مِنَ الْمَالِ، وَلْيَحْذَرْ مُعَادَاةَ  
الرِّجَالِ، وَمَزَلَّاتِ الْإِدْلَالِ، وَفَسَادِ الْخِيَالِ، وَمُدَاخَلَةِ الْعِيَالِ، وَإِفْشَاءِ السَّرِّ،  
وَسُكْرِ الْإِغْتِرَارِ، فَإِنَّه دَابُّ الْغَرِّ، وَلَيْسَ مِنَ الدِّيَانَةِ، وَيُؤَثِّرُ الصَّمْتُ وَيَلْزِمُ  
الْأَمَانَةَ، وَيَسِرُّ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَلَى أَوْضَحِ الطَّرِيقِ، وَمَهْمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ قَصْدَةٌ  
أَقْرَبَهُمَا إِلَى الْحَقِّ، وَلْيَقِفْ فِي التَّمَسُّسِ أَسْبَابَ الْجَلَالِ دُونَ الْكَمَالِ غَيْرِ النِّقْصَانِ،  
وَالزَّعَازُعِ تَسَالُمِ اللَّذْنِ<sup>(٢)</sup> اللَّطِيفِ مِنَ الْأَغْصَانِ، وَإِيَّاكُمْ وَطَلَبَ الْوَلَايَاتِ رَغْبَةً  
وَاسْتِجْلَابًا، وَاسْتَظْهَارًا عَلَى الْخَطُوبِ وَغِلَابًا، فَذَلِكَ ضَرَرُ بِالْأَرْوَآتِ وَالْأَفْدَارِ،  
دَاعٍ إِلَى الْفُضِيحَةِ وَالْعَارِ، وَمَنْ أَمْتَحَنَ بِهَا مِنْكُمْ اخْتِيَارًا، أَوْ جَبَرَ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا

[١] السَّجَلُ : النَّصِيبُ . وَالْمَعْنَى : إِنَّكُمْ مَدِينُونَ لِي بِمَا قَدَّمْتُ لَكُمْ مِنْ مَعْرُوفٍ ، فَلَا تَسُوا أَنْ تَرُدُّوه  
لِي بِأَكْرَامٍ مِنْ أَوْدَةٍ . [٢] اللَّذْنُ الْإِلَيْنِ

وإثارةً ، فليتلقْ وغلّاقتها بِسَعَةِ صدره ، ويُنزل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فَتَنَةٌ وَنَحْنَةٌ ، وَأَسْرٌ وَإِخْنَةٌ ، وهى بين إِخْطَاءِ سعادة ، وإِخْلَالِ بعبادة ، وتَوْقُعُ عَزَلٍ ، وإِدَالَةٍ <sup>(١)</sup> يَازاءِ بيعٍ جَدِّ بِهِزَلٍ ، وَزَرْلَةٍ قدم ، واستتباعِ ندم ، ومآلِ المعركة موت ومعاد ، واقتراب من الله وإِتِمَادٍ ، جَعَلَكم الله من نَفْعَةٍ بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عملُ أبيه ، هذه - أسعدكم الله - وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أَذَرْتَهَا ، فتلَقَّوْها بِالْقَبُولِ لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستنشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وَحَصَلْتُم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أَضَعْتُم لآلِهَا النفيسة النعيمَ ، استكترتم من بواعث الندم ، ومهما ستمت مطالعتها ، واستغزرتُم مقالاتها ، فاعلموا أن تقوى الله فَذَلِكَ <sup>(٢)</sup> الحساب ، وضابط هذا الباب ، كَانَ الله خليفَتى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مُنَاخٌ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض مُحَالٌ ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خُطَّتِهِ النجاة ، وَتَفَقَّ بِضَائِعِهَا المُرْجَاةُ <sup>(٣)</sup> ، باطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يُلَنِّمُهُ <sup>(٤)</sup> حيث شاء من شَمَلٍ متصدع ، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته . ( نفع الطيب ٤ : ١١٩ )

## ١٨ - خطبة وعظية له

وصدعته على لسان واعظ :

« الحمد لله الوليُّ الحميد ، المبدئُ المعيد ، البعيد فى قُرْبِهِ من العبيد ، القريب

[١] للإدالة : التلمية . [٢] فذلك حساب كدمرج : انتهاء وفرغ منه ، مختصرة من قوله إذا أهل حساب : فذلك كنا وكنا . [٣] بصاعة رجاة : رديئة أو قليلة يردما ويدفعها من رآها رغبة عنها ، وعق السلة تقيفاً : روجها . [٤] لأم الجرح والصدع كقطع والألم : سده .

في بعده وهو أقرب من حبل الوريد <sup>(١)</sup> ، مُخَيَّرَ رُبُوعِ العارفين بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ ، وَمُفَنِّي قُيُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ احْتِقَارِ الْاِفْتِقَارِ إِلَى الْعَرَضِ الزَّهِيدِ ، وَمُخَلِّصِ خَوَاطِرِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ سَجُونِ دُجُونِ <sup>(٢)</sup> التَّقْيِيدِ ، إِلَى قُسْحِ التَّجْرِيدِ ، نَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظِمَةُ دُرَرُهُ فِي سُلُوكِ الدَّوَامِ ، وَنُحْمُوطِ <sup>(٣)</sup> التَّأْيِيدِ ، حَمْدَهُ مِنْ زَرْهٍ أَحْكَامٍ وَحَدَائِثِهِ ، وَأَعْلَامِ قَرْدَانِيَّتِهِ ، عَنْ تَرَاطُفِ التَّقْيِيدِ ، وَتَخَابُطِ الطَّنْبِغِ الْبَلِيدِ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ افْتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شَهَادَةً تَنْخُطُّ بِهَا مَعَالِمُ الْخَلْقِ ، إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ ، عَلَى كَيْدِ التَّفْرِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ قِلَادَةُ الْجَيْدِ الْمَحِيدِ ، وَهَلَالُ الْعِيدِ ، وَقَدْ لَكَ الْحِسَابُ وَبَيْتُ الْقَصِيدِ ، الْخُصُوصُ بِمَنْشُورِ الْإِدْلَالِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِقْطَاعِ الْكَالِ ، بَيْنَ مَقَامِ الْمُرَادِ وَمَقَامِ الْمُرِيدِ ، الَّذِي جَعَلَهُ السَّبَبَ الْأَوْصَلَ فِي نَجَاةِ النَّاجِي وَسَعَادَةِ السَّعِيدِ ، وَخَاطِبَ الْخَلَائِقِ عَلَى لِسَانِهِ الصَّادِقِ بِحُجَّتِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، فَكَانَ مِمَّا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ ، وَأَنْزَلَ الْمَلَكُ بِهِ عَلَيْهِ ، مِنَ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ ، لِيَأْخُذَ بِالْحُجَزِ <sup>(٥)</sup> وَالْأَطْوَاقِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَيْدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

[١] عرق في العنق . [٢] أى ظلام التقييد ، والدجون جمع دجن بالفتح : وهو إبليس النيم الأرض

وأقطار السماء . [٣] مموط جمع موط بالكسر : وهو خيط النظم . [٤] أدل عليه : وثق بمحبته .

[٥] المجز جمع حجرة كفرصة : وهي مقعد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة .

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة  
تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتسرى إلى تربيته الزكية من ظهور المواجهات الجاثية  
على البريد :

قعدتُ لتذكير ، ولو كنتُ منصفًا      لذكرتُ نفسي فهي أحوجُّ للذكرى  
إذا لم يكن منى لنفسي واعظ      فيا ليت شعري كيف أفعل في الأخرى ؟  
آه ، أيُّ وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يُسمع ، وفي ماذا - وقد تبين الرشدُ  
من النسي - يُطمع ؟ يا من يُعطى ويمنع ، إذا لم تُقيم الصنعة فماذا نصنع ؟ أنجعنا  
بقلوبنا يا من يُفرِّق ويجمع ، ولَيْنَ حَدِيدِهَا بنار خشيتك ، فقد استعاذ نبينا  
صلى الله عليه وسلم من قلب لا يخشع ، ومن عين لا تذم : اعلوا رحمكم الله أن  
الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال والأحوال ، ومن الجماد والحیوان ، وما  
أملأه لللوان <sup>(١)</sup> ، فإن الحق نور لا يضاه أن صدر من الخامل ، ولا يقصر  
بحموله احتقار الحامل ، وأنتم تدرون أنكم في أطوار سفر لا تستقر لها دون  
الغاية رحلة ، ولا تثاني معها إقامة ولا مثيلة ، من الأصلاب إلى الأرحام إلى  
الوجود ، إلى القبور إلى النشور إلى إحدى دارى البقاء ، أفى الله شك ؟ فلو  
أبصرتم مسافرًا إلى البرية يبنى وَيَقْرَش ، وَيُمَهَّد ويعرَّش ، ألم تكونوا تضحكون  
من جهله ، وتَعْجَبون من ركاكة عقله ؟ ووالله ما أموالكم ولا أولادكم ،  
وشواغلُكم عن الله ، التي فيها اجتهاؤكم ، إلا بقاء سفر <sup>(٢)</sup> في فقر ، أو إعراس في  
ليلة نفر <sup>(٣)</sup> ، كأنكم بها مطرحةً تغبر فيها المواشى ، وتلبو الميؤن عن خبرها

[١] اللوان : الليل والتهار .

[٢] السفر : جماعة المسافرين . [٣] أمرس القوم وعمرسوا : نزلوا في آخر الليل للاستراحة ،  
ونهر الحاج من منى كضرب غراً وهودوا . انظر ج ٣ ص ١٢١ .

المتلاشي « إِنَّمَا أَمْرُ الْكُفِّ وَأَوَّلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد  
 المَقِيلِ إِلَّا الرَّحِيلَ ، ولا بعد الرحيل إِلَّا الْمَنْزِلُ الْكَرِيمَ ، أو المنزل الويل ، وإنكم  
 تَسْتَقْبِلُونَ أَهْوَالًا ، سَكَرَاتُ الْمَوْتِ بَوَاكِرُ حَسَابِهَا ، وَغَتَبُ أَبْوَابِهَا ، فلو  
 كُشِفَ الْغَطَاءُ عَنْ ذَرَّةٍ مِنْهَا ، لَذَهَلَتِ الْعُقُولُ وَطَاشَتِ الْأَلْبَابُ ، وما كلَّ  
 حَقِيقَةٍ يَشْرَحُهَا الْكَلَامُ ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ  
 الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، أفلا أعددتُم لهذه الْوَزْطَةِ حِيلَةً ، وأظهرتم  
 للاهتمام بها نَحِيلَةً <sup>(١)</sup> ؟ أتعويلا على عفوه مع المقاطعة ؟ وهو القائل في مقام  
 التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أأمننا من مكروهه مع المنابذة ؟ « وَلَا يَأْمَنُ  
 مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أطمعنا في رحمته مع المخالفة ؟ وهو يقول :  
 « فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » ، أُمْسَاقَةٌ وَمَعَانِدَةٌ ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ  
 شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أَشَكَّا فِي اللَّهِ ؟ فَمَا لَوْ نُعِيدَ الْحِسَابَ ، وَتَقَرَّرَ الْعَقْدُ ، وَتَتَصِفَ  
 بِدَعْوَةِ الْحَقِّ (أَوْ غَيْرِهَا) مِنَ الْيَوْمِ ، يُفْقَدَ عَقْدُ الْعُقَاةِ عِنْدَ التَّسَاهُلِ بِالْوَعِيدِ <sup>(٢)</sup> ،  
 فَالْعَامِيُّ يُذْنِبِي الْأَصْبَعَ الْوَجِمَةَ ، وَالْعَارِفُ يَضْمُدُّ لَهَا مَبْدَأَ الْعَصَبِ .

هكذا هكذا يكون التعمي هكذا هكذا يكون الغرور

« يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا  
 مما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم الرءوف الرحيم يقول لكم : « الْكَيْسُ  
 مِنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَتَعَمَّلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ؛ وَالْأَهْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَعْنَى  
 عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِ » ، فَعَلَامَ بَعْدَ هَذَا الْمَعْمُولِ ، وماذا يتأوَّل ؟ اتقوا الله تعالى في

[١] الخيلة الظن . [٢] أى أن المرء إذا لم يحسب لوعيد الله حسابا ، واسترسل في إقتراف المعاصي  
 وللوفيات ، أفضى به ذلك إلى زلولة العقيدة ، ولم أنه كان خالسا للإيمان لا يعرَى عما نهى عنه .

فَؤْسِكُمْ وَأَنْفَعَهَا ، وَاغْتَنِمُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ وَارْتَجُّوْهَا ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسُ  
يَا حَسْرَةً عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّاخِرِينَ » ، وَتَنَادَى  
أُخْرَى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، وَتَسْتَفِثُ أُخْرَى : « يَا لَيْتَنَّا رُزِدُ  
فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » ، وَتَقُولُ أُخْرَى : « رَبِّ أَرْجُونِ » ، فَارْحِمِ  
اللَّهُ مِنْ نَظَرِ لِنَفْسِهِ ، قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ ، وَقَدِّمِ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، وَعَلِّمْ أَنَّ الْحَيَاةَ  
تَجْرُؤُ إِلَى الْمَوْتِ ، وَالنَّفْلَةُ تَقْوَدُ إِلَى الْقَوْتِ ، وَالصَّحَّةُ مَرْكَبُ الْأَلَمِ ، وَالشَّيْبَةُ  
سَفِينَةُ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْمَرَمِ .

وَإِنْ شَاءَ قَالَ بَعْدَ الْخُطْبَةِ :

« إِخْوَانِي ، مَا هَذَا التَّوَانِي ؟ وَالْكَفْلُ بِالْوُجُودِ الْفَانِي ، عَنْ الدَّائِمِ الْبَاقِي ،  
وَالدَّهْرُ يَقْطَعُ الْأَمَانِي ، وَهَادِمُ اللَّذَاتِ قَدْ شَرَعَ فِي تَقْضِ الْمُبَانِي ، الْأَ مُتَبَرِّقِي  
عَالَمِ هَذِهِ الْعَمَانِي ، الْأَ مَرْتَحِلِ عَنْ مَنَازِلِ هَذِهِ الْمَنَازِنِي <sup>(١)</sup> ؟

أَلَا أُذُنٌ تُصْنِي إِلَيَّ تَمِيمَةً أُحَدِّثُهَا بِالصَّدَقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ  
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَاهُ حَسْرَةً عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ  
هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ فَوَبِّحُوا سِرَاعًا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْقَوْتُ  
يَا كَلِفًا بِمَا لَا يَدُومُ ، يَا مَفْتُونًا بِزُرُورِ الْوُجُودِ الْمَعْدُومِ ، يَا صَرِيعَ جِدَارِ الْأَجَلِ  
الْمُهْدُومِ ، يَا مُشْتَتَلًا بَيْنِيَانِ الطَّرِيقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَازِعُ وَقَرُبَ الْقُدُومُ ، يَا غَرِيقًا فِي  
فِي بَحَارِ الْأَمَلِ مَا عَسَاكَ تَعُومُ ! يَا مُعْتَلِّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمَعَ السَّرَابِ <sup>(٢)</sup> ،  
لَا بَدَأَنْ تَهْجُرَ الْمَشْرُوبَ وَتَتْرَكَ الْمَطْعُومَ ، دَخَلَ سَارِقُ الْأَجَلِ بَيْتَ عَمْرٍكَ ،  
فَسَلَبَ النَّشَاطَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَطَوَّسَى الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تُكْرَبُ <sup>(٣)</sup> ، وَاقْلَعِ جَوَاهِرَ

[١] اللغوي جمع معنى وهو التزلزل .

[٢] السراب : ما يرى وسط التهلكة ماء . [٣] كرهه التمس كنعصر : اشتد عليه .



الجوارح ، وقد وقع بك التَّهَب ، ولم يَبْقَ إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد .

لو خَفَّفَ الوجْدُ عني دعوتُ طالبِ ناري

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » ، كيف التَّراخى والفوتُ مع الأنفاس يُنتظر ، كيف الأمان وهاجمِ الموت لا يَبْقَى ولا يَدَّر ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح وقد صَحَّ الخبر ؟ من فكَّر في كَرْبِ الخُمار <sup>(١)</sup> تنَغَّصَتْ عنده لذَّةُ البَيِّذ ، من أَحَسَّ بِلَقْظِ <sup>(٢)</sup> الحريق فوق جِداره ، لم يُصْغِرْ بصوته لِنَمَّةِ العود ، من تَيَقَّنَ بِذَلِكَ العُرْلة ، هان عليه ترك الولاية .

ما قامَ خيرُك يا زمانُ بشره أولى لنا ما قُلَّ منك وما كَفَى

أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : أَنْ ضَعَيْدُكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَيَعْدُدَ مَا حَازَتْهُ مِنْ شَعْرَةٍ تَعِيشُ سَنِينَ ، فقال : يارب وبعْدَ ذلك ؟ قال : تموت ، قال : يارب فالآن .

رَأَى الْأَمْرَ يُفْضَى إِلَى آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا

إِذَا شَعَرْتَ نَفْسَكَ بِالْمِيلِ إِلَى شَيْءٍ فَأَعْرِضْ عَلَيْهَا غُصَّةَ فِرَاقِهِ « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِّي نَفْسَةً ، وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنِّي نَفْسَةً » فالمفروح به هو المحزون عليه ، أين الأحباب مَرُّوا ؟ فياليت شعري أين استقروا ؟ استكانوا والله واضطربوا ، واستغاثوا مَنْ سَبَقَكَ <sup>(٣)</sup> بأوليائهم ففروا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضَرُّوا ، فالمنازل من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والعظام من بعد التفاصيل متشابهة متساوية ، والمساكن تَنْدُبُ في أطلالها الذئابُ العاوية .

[١] الحمار : صداع الحز وأذاها . [٢] أى يرميه . [٣] هكذا في الأصل ، وكان يمكن أن يقول : « واستغاث من سبقك بأوليائهم » إلا أن يخرج على أن « من » مبتدأ مؤخر كما في قوله تعالى : « ثُمَّ تَحُمُّوا وَحْمَةً مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا » أو « من » بدل من واو الجملة .

صَحْتُ بِالرَّيْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا      لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمُضِي الْغَرِيبُ ؟  
وَيَجْتَبِ الدَّارَ قَبْرٌ جَدِيدٌ      مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيبُ  
غَاضٍ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ النَّجَاحِي      قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَيِيبُ (١)  
لَا نَسْلَ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ      إِنَّ يَوْمَ الْبَيْنِ يَوْمَ عَصِيبُ  
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتْ نَفْسِي      بَعْدَ إِلَنِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

أَيْنَ الْمَعْمَرُ الْخَالِدُ ، أَيْنَ الْوَلَدُ أَيْنَ الْوَالِدُ ، أَيْنَ الطَّارِفُ أَيْنَ التَّالِدُ ، أَيْنَ الْمَجَادِلُ أَيْنَ  
الْمُجَالِدُ ؟ هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ نَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرَآءَ ؟ (٢) وَجْوهَ عَلاهُنَّ التَّرَى ،  
وَصَحَائِفُ تَفَضُّ ، وَأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ تُمَرِّضُ ، بَحَثَ الزُّهَادُ وَالْعِبَادُ ، وَالْمَارْفُونُ  
وَالْأَوْتَادُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يُهْدَى بِهِمُ الْعِبَادُ ، عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا سَعَادَةَ  
بِمَدِّهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْبُعْدَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَبَبَهُ حُبُّ الدُّنْيَا ، « لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي  
عَلَى ضَلَالَةٍ » .

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلَى      فَأَلَى بَعْدِ لَيْلَى مِنْ حَيْبٍ  
وَمَاذَا أُرْتَجَى مِنْ وَصْلِ لَيْلَى      سَتَجْزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبٍ  
وَقَالُوا : مَا أَوْرَدَ النَّفْسَ الْمَوَارِدَ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْحَنْفِ إِلَّا الْأَمَلُ ، كُلَّمَا قَوَّمتَهَا  
مَثَاقِفُ الْحُدُودِ ، فَتَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرُّخَصِ . كُلَّمَا عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ ، أَهْدَاهَا  
طُرْفَ التَّرْوَرِ فِي أَطْبَاقِ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا  
حَتَّى أَفْطَرَ :

مَا أَوْبَقَ الْأَنْفَسَ إِلَّا الْأَمَلُ      وَهُوَ غُرُورٌ مَا عَلَيْهِ حَمَلُ  
يَقْرَضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَهَمَّائِمَاتُهُ      حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ

[١] لَهُ وَآلِهِ وَتَحَمُّهُ : إِذَا أَبْصَرَهُ بَنَظَرٍ خَفِيفٍ . [٢] الرِّكَزُ : الصَّوْتُ الْحَقُّ .

ما فوق وجه الأرض نفس حية  
لوا أنهم من غيرها قد كونوا  
ما نتم إلا لقم قد هيئت  
والوعد حق، والورى في غفلة  
أين الذين شيدوا واغترسوا  
أين ذوو الراحة زادت حسرة  
لم تدفع الأجاب عنهم غير أن  
الله في نفسك أولى من له  
لا تتركها في عى وخيرة  
حقرها الفانى، وحاول زهدا  
وفد إلى الله بها مضطرة  
هو الفناء، والبقاء بعده  
يا قرّة العين ويا حسرتها  
إلا قد انتفض عليها الأجل  
لأمتلا السهل بهم والجبل  
للموت، وهو الأكل المستعجل  
قد خودعوا بعاجل وظلّلوا  
ومهدوا واقترشوا وظلّلوا؟  
إذ جنبوا إلى الثرى وانتقلوا<sup>(١)</sup>  
بكووا على فراقهم وأغولوا  
ذخرت نصحا وعتابا يقبل<sup>(٢)</sup>  
عن هول ما بين يديها تغفل  
وشوقها إلى الذى تستقبل  
حتى ترى السير عليها يسهل<sup>(٣)</sup>  
والله عن حكته لا يسأل  
يوم يؤفى الناس ما قد عملوا

ياطرّد<sup>(٤)</sup> المخالفة، أنكم مدركون فاستيقوا باب التوبة ، فإن رب تلك الدار يخيروا  
يُحار عليه « فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَذَا كُمْ » ، يا طفيلية الهمة، دُسّوا  
أنفسكم بزمر التائبين ، وقد دُعوا إلى الله دعوة الحبيب ، فإن لم يكن أكل فلا  
أقل من طيب الولية ، قال بعض العارفين : إذا عقد التائبون الصلح مع الله  
تعالى ، انتشرت رعايا الطاعة في عمالة الأعمال ، « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

[١] جنبه : دفعه . [٢] أى اتق الله فى عكس الذى هو أول . . . الخ .

[٣] فد : أمر من وفد أى اقدم . [٤] الطريدة : ما طردت من صيد أو غيره .

وَوَضَعَ الْكِتَابُ ، معاني هذا المجلس والله نَسِيمُ سَحَرٍ ، إذا أَسْتَشَقَّهُ مَحْمُور  
الْغَفْلَةِ أَفَاق ، سَعُوطٌ <sup>(١)</sup> هذا الوَعظُ يَنْقُضُ <sup>(٢)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكَمَةَ الْبَطَالَةِ ، إِنْ  
الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الدَّوَاءَ ، إِكْسِيرٌ <sup>(٣)</sup> هذا الكتاب يَلْقَبُ بِحِكْمَةِ جَابِرٍ <sup>(٤)</sup> ،  
الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ عَيْنٍ مِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى  
يَبْمِثُهُمُ اللَّهُ » إلهي دُلْنَا مِنْ حَيْرَةٍ يَصِلُ فِيهَا - إِلَّا إِنْ هَدَيْتَ - الدَّلِيلُ ،  
وَأَجْرُنَا مِنْ نَعْمَةٍ <sup>(٥)</sup> وكيف - إِلَّا بِإِغَاثَتِكَ - السَّبِيلُ ، نَقُوسُ صَدِيِّ مِنْ مَرٍّ  
الْأَزْمَانِ مِنْهَا الصَّقِيلُ ، وَنَبَاً يَجْنُوبُهَا عَنِ الْحَقِّ الْمَقِيلُ ، وَأَذَانُ أَنْهَضَهَا الْقَوْلُ  
الثَقِيلُ ، وَعَثَرَاتٌ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ حَسْبُنَا  
وَنُصْرًا <sup>(٦)</sup> الْوَكِيلُ . (لمح الطيب ٤ : ٨٥)

## ١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسي <sup>(٧)</sup> لابنه

قال أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي :

لما أردت النهوض من ثمر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى

[١] في الأصل « سوط » وأراه محرفاً من « سعوط » كما يدل عليه سياق الكلام ، والسوط : الدواء  
يصب في الأنف . [٢] في الأصل « ينقض » وأراه « ينقض » أي ينهب .  
[٣] الإكسير : الكيباء .

[٤] يريد جابر بن حيّان . قال ابن الفطحي في تاريخ الحكماء في ترجمته : « هو جابر بن حيّان الصولي  
الكوفي ، وكان مقدماً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكيباء . . . الخ » وذكره ابن زيدون في  
رسائله الهزلية ، فقال : « وأظهرت جابر بن حيّان علي سرّ الكيباء » قال ابن نباتة في سرح اليون :  
« وأما جابر بن حيّان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يمتد عليه ، وهذا دليل على قول  
أكثر الناس إنه اسم موضوع وضعه للصنفون في هذا الفن » وذكروا أنه كان في زمن جعفر الصادق ،  
وأنه إذا قال في كتبه : قال لي سيدي ، وصحت من سيدي ، فإنه يسمي به جعفر الصادق « وقد قدمنا لك  
أن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

[٥] الغمرة : الشدة . [٦] أورد القرطبي في فتح الطيب لسان الدين عقيب ذلك كلاماً آخر في الوعد  
وهو على نمط ما أوردناه لك فأنظره هناك إن شئت .

[٧] هو الكاتب الشهير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ، من سلالة  
عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ، وقد توفاه به ابن هود ملك الأندلس ، وولاه الجزيرة الخضراء ، وهو

الإسكندرية ، رأى أبى أن يكتب لى وصية أجمعها إماماً فى الغربية ، فبقى فيها أياماً إلى أن كتبها عنه ، وهى هذه :

|                                   |                                                |
|-----------------------------------|------------------------------------------------|
| أودعك الرحمن فى غُرْبَتِكَ        | مُرْتَقِياً رُمَحاً فى أَوْزَتِكَ              |
| وما اختيارى كأن طَوَّعَ النَّوَى  | لكننى أجزى على بُغْيَتِكَ <sup>(١)</sup>       |
| فلا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى ، إننى | والله أشتاقُ إلى طَلَمَتِكَ                    |
| من كان مفتوناً بأبنائه            | فإننى أمنتُ فى خبرَتِكَ                        |
| فاختصرِ التوديعَ أخذاً ، فما      | لى ناظرٌ يقوى على فُرْقَتِكَ                   |
| واجملِ وصائى نُصَبَ عَيْنٍ ، ولا  | تَبْرَحْ مَدَى الأيامِ من فِكْرَتِكَ           |
| خُلَاصَةَ العمرِ التى حُنْكَتْ    | فى ساعةٍ زُفَّتْ إلى فِطْنَتِكَ <sup>(٢)</sup> |
| فلتجاربِ أمورٍ إذا                | طالمتها تشحَّذُ من غفلتك                       |
| فلا تَمِّمْ عن وَغِيها ساعةً      | فإنها عَوْنٌ إلى يَقْظَتِكَ <sup>(٣)</sup>     |
| وكلَّ ما كابدته فى النَّوَى       | إياك أن يكسِرَ من هِمَّتِكَ                    |
| فليس يُذْرى أصلُ ذى غُرْبَةٍ      | وإنما تُعْرِفُ من شِمَّتِكَ                    |

من رحل من علماء الأندلس إلى المشرق ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ عن ٦٧ عاماً . وكان أبوه محمد وزيراً جليلاً بعيد الصيت ، على الذكر ، رفيع الهمة ، كثير الأموال ، وكان ذا حظوة لدى الموحدين ، وولى لهم أعمالاً كثيرة بمرآكش وإشبيلية وغرناطة ، واتصلت ولايته على أعمال غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

وكان جده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد تحت طاعة على بن يوسف بن تاشفين ملك البربر ، إلى أن استبدَّ بها سنة ٥٣٩ هـ .

وابنه أبو الحسن على هو مقيم كتاب : « المغرب فى أخبار المغرب » ، وكان السبب فى تأليفه هو جده عبد الملك بن سعيد ، ثم عمه ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم تم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ، ثم أربى على الجميع فى إتمامه على بن موسى ، وقد ذكر فى خطبته أنه بدئ فيه من سنة ٥٣٠ هـ ، ومنتها إلى غرة سنة ٦٤١ هـ ، وكان مولد أبى الحسن بفرناطة سنة ٦١٠ هـ ، ووفاته بنونس سنة ٦٨٥ هـ [١] النوى : البعد . [٢] حنكت : أجهكت . [٣] البقطة بالتحريك وسكنه لفتح .

وكل ما يُفْضِي لِإِذْرٍ فَلَا      تَجْمَلُهُ فِي الْغَرَبَةِ مِنْ إِزْبَتِكَ <sup>(١)</sup>  
 وَلَا تَجَالِسْ مَنْ فَشَا جَهْلُهُ      وَأَقْصِدْ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي صُنْعِكَ  
 وَلَا تَجَادِلْ أَبَدًا حَاسِدًا      فَإِنَّهُ أَذْعَى إِلَى هَيْبَتِكَ  
 وَامْشِ الْهُوَيْنَى مُظْهِرًا عِفَّةَ      وَأَبْعِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ  
 أَفْشِ التَّحِيَّاتِ إِلَى أَهْلِهَا      وَتَبَوَّءِ النَّاسَ عَلَى رُبَّتِكَ  
 وَأَنْطَلِقْ بِمَجِثِ الْعَيْ مُسْتَقْبَحٍ      وَاصْمُتْ بِمَجِثِ الْخَيْرِ فِي سَكْتِكَ  
 وَلَا تَزَلْ مُجْتَمِعًا طَالِبًا      مِنْ دَهْرِكَ الْفُرْصَةَ فِي وَثْبَتِكَ  
 وَكَلِمَا أَبْصَرْتَهَا أَمَكْتَنَ      ثَبَّ وَاتَّقِ بِاللَّهِ فِي مَكْتَنِكَ <sup>(٢)</sup>  
 وَبَلِّغْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ      وَأَقْصِدْ لَهُ مَاعِشَتَ فِي بُكْرَتِكَ  
 وَأَيَّاسُ مِنَ الْوَدِّ لَدَى حَاسِدٍ      صِدِّ ، وَنَافِسُهُ عَلَى خُطْبَتِكَ <sup>(٣)</sup>  
 وَوَفِّرِ الْجَهْدَ ، فَزَنْ قَصْدُهُ      قَصْدُكَ لَا تَعْتَبُهُ فِي بَغْضَتِكَ  
 وَوَفِّ كَلًّا حَقًّا ، وَلَتَكُنْ      تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدَّتِكَ  
 وَلَا تَكُنْ تَحْقِرُ ذَا رُبَّةٍ      فَإِنَّهُ أَنْفَعُ فِي غُرْبَتِكَ  
 وَحَيْثَا خَيَّمْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى      مُحِبَّةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ  
 وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةً ، مَالَهَا      إِلَّا الَّذِي تَذْخَرُ مِنْ عُدَّتِكَ  
 وَلَا تَقُلْ : ( أَسْلَمَ لِي وَحَدَّثَنِي )      فَقَدْ تُقَاسِي الْقُلَّ فِي وَحَدَّتِكَ  
 وَاتَّزِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا      تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ  
 وَلَتَجْعَلَ الْعَقْلَ يَحْكُمًا ، وَخَذْ      كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي تَقْدَتِكَ  
 وَاجْتَبِ النَّاسَ بِالْفَاضِلِ      وَامْحَبَّ أَخَا يَرْغَبُ فِي مُحِبَّتِكَ

[١] الإبرة : الحاجة . [٢] المكنة بفتح فكسر : التمكن والقدرة ، وسكنة لشر .

[٣] في الأصل « وأس من الود . . . » وقد أصلحه « وإياس » وبه يستقيم المعنى .

بعد اختبارٍ منك يَقْضَى بما      يَحْسُنُ فِي الْآخِذِ مِنْ خِلْطِنِكَ (١)  
 كم من صديقٍ مُظْهِرٍ نَصْحَهُ      وَفِكْرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثْرَتِكَ  
 إياك أن تَقْرَبَهُ ، إنه      عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كَرْبَتِكَ  
 وَأَقْنَعُ إِذَا مَا لَمْ تَجِدْ مَطْمَئِنًا      وَأُطْمَعُ إِذَا أَنْعِشْتَ مِنْ عُسْرَتِكَ  
 وَأَنْتُمْ نَمُوْا النَّبْتَ قَدْ زَارُهُ      غِيبُ النَّدَى ، وَاسْمُ إِلَى قَدْرَتِكَ  
 وَإِنْ نَبَا دَهْرٌ قَوَّطُنٌ لَهُ      جَاشَكَ ، وَانْظُرُهُ إِلَى مَدَّتِكَ  
 فَكُلْ ذِي أَمْرٍ لَهُ دَوْلَةٌ      قَوْفٌ مَا وَاغَاكَ فِي دَوْلَتِكَ  
 وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِنًا      تَذَكَّارُهُ يُذَكِّرُ لَطْفَ حَسْرَتِكَ  
 وَالشَّرَّ مَهْمَا أَسْطَمَتْ لَا تَأْتِيهِ      فَإِنَّهُ حَوَزٌ عَلَى مُهْجَتِكَ (٢)

\* \*

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي ، وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ ، قَدْ قَدِمْتُ لَكَ فِي هَذَا  
 النَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، رَجَوْتُ لَكَ حَسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ  
 اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ ، وَأَعْلَقَ بِالْفِكْرِ ، وَأَحَقَّ بِالْقَدَمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

١ يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ      ثَلَاثٌ ، فَهِنَّ : حُسْنُ الْأَدَبِ

وَتَانِيَةٌ : حُسْنُ أَخْلَاقِهِ      وَثَالِثَةٌ : اجْتِنَابُ الرَّيْبِ

وَإِذَا اعْتَبَرْتَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ ، وَلَزِمْتَهَا فِي الْغَرِيبَةِ ، رَأَيْتَهَا جَامِعَةً نَافِعَةً ، لَا يَلْحَقُكَ  
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ اسْتِعْمَالِهَا نَدَمٌ ، وَلَا يَفَارِقُكَ بَرٌّ وَلَا كَرَمٌ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

يُعَدُّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا      وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ

[١] الحَلْطَةُ مِثْلُ الْعُسْرَةِ وَزَنَا وَمَعْنَى ، وَالْحَلْطَةُ بِالضَّمِّ : اسْمٌ مِنَ الْإِخْلَاطِ ، مِثْلُ الْفِرْقَةِ مِنَ الْإِفْتِرَاقِ .

[٢] حَازَهُ حَوْزًا : جَمَعَهُ وَضَعَهُ وَامْتَلَكَهُ كَالْحَتَّازِ اخْتِيَارًا ، وَالْمَعْنَى : أَنْكَ إِنْ أَتَيْتَ الشَّرَّ اسْتَحْوِذَ عَلَى

قَسَمِكَ وَتَمَلَّكَكَ .

إِذَا حَلَّ أَرْضًا طَافَ فِيهَا بِمَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بِلَدَةٍ بِغَرِيبٍ  
وَمَا قَصَّرَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ :

وَاصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِنْ تُعَاشِرُهُ وَدَارِهِ ، فَالْيَبِيبُ مَنْ دَارَى  
وَاتَّخَذَ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمَثَلَ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا  
وَأَصْغَرَ يَا بُنَى إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ بَيْتَةُ الدَّهْرِ<sup>(١)</sup> ، وَسَلَّمَ الْكِرْمَ وَالصَّبْرَ :  
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ<sup>(٢)</sup>

إِذْ حُسِّنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ تَزِيلٍ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ ، وَلِتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ  
فِي أَدِيبٍ مُتَغَرِّبٍ : « وَكَانَ كُلُّهَا طَرَأً<sup>(٣)</sup> عَلَى مَلِكٍ ، فَكَأَنَّهُ مَعَهُ وَلَدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصْدٌ ،  
غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ » ، وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى  
صَحْبَةٍ مِنْ أَخْذٍ بِجَمَاعٍ هَوَاهُ<sup>(٤)</sup> ، فَاجْعَلِ التَّكَلُّفَ لَهُ سُلْمًا ، وَهُبْ فِي رَوْضِ  
أَخْلَاقِهِ هَيُوبَ النَّسِيمِ ، وَحُلْ بِطَرَفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ<sup>(٥)</sup> ، وَاتَزَلْ بِقَلْبِهِ تَزُولَ الْمَسْرَةِ ،  
حَتَّى يَتِمَّكَ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَخْلُصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ ، وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ ،  
وَأَغْلِقْ مَتَمَّكَ ، وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ لَكَ مِنْهُ ، يَرِيدُ إِبْهَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ ،  
أَوْ حُسُودَ لَهُ يَغَارُ لِتَجْمَلَهُ بِصَحْبَتِكَ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا تَتَوَتَّرْ بِطُولِ صَحْبَتِهِ ، وَلَا تَتَمَهَّدْ  
بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ ، فَقَدْ يَذْبُههُ الزَّمَانُ ، وَيُغَيِّرُ مِنْهُ الْقَلْبَ وَالْإِنْسَانَ ، وَلِذَا قِيلَ : « إِذَا  
أَحْبَبْتَ فَأَحْبِبْ هَوْنًا ، فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْقَلِبَ الصَّدِيقُ عَدُوًّا ، وَالْعَدُوُّ صَدِيقًا »  
وَلَمَّا الْعَاقِلُ مِنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِثَارًا ، وَكَانَ كَأَلْمَرَّةٍ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ ، وَجَعَلَ  
نُصَبَ نَظَرِهِ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :

[١] يَتَكَلَّمُ : دَرَّةٌ بَيْتِيَّةٌ : أَيْ لَا نَظِيرَ لَهَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٍ يَنْزِعُ تَطْلِيْعَهُ فَهُوَ بَيْتِي .  
[٢] نَابِهٌ مِنْزِلُهُ : إِذَا لَمْ يَوَاقِعْهُ . [٣] طَرَأَ عَلَيْهِمْ كُنْعٌ : أَتَاهُمْ مِنْ مَكَانٍ ، أَوْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ خُفَاةٌ .  
[٤] الضَّمِيرُ فِيهِ يَمُودُ عَلَى « قَلْبِكَ » . [٥] الْوَسْنُ : التَّنَاسُلُ .



ولما صار ودّ الناس خيباً جزيتُ على ابتسام بابتسام<sup>(١)</sup>

وفي أمثال العامة : « من سبقك يوم فقد سبقك بعقل » ، فاحتذِ بأمثلة من جرب ، واستمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتمبهم من الأقوال ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزبدة تجاربهم ، ولا تتكل على عقلك ، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم ، وابتاعوه غالياً بتجاربهم ، يُربح بك ويقع عليك رخيصاً ، وإن رأيت من له مروءة وعقل وتجربة ، فاستفد منه ، ولا تضع قوله ولا فعله ، فإن فيما تلقاه تلقيحاً لعقلك ، وحثاً لك واهتداء .

وإياك أن تعمل بهذا البيت في كل موضع : وَالْحُرُّ يُخَذَعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ : فقد قال أحدكم : ما قيل أضر من هذا البيت على أهل التجمل ، وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه حتى تتدبره ، فإن كان موافقاً لعقلك ، مُصلحاً لحالك ، فراجع ذلك عندك ، وإلا فانبذه نبذ النواة ، فليس لكل أحد يُتَّبَعُ ، ولا كل شخص يُكَلَّمُ ، ولا الجود مما يُعَمُّ به ، ولا حُسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل أحد ، والله درّ القائل :

وَمَالِي لَا أَوْفِي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ

وإياك أن تُعْطِيَ من نفسك إلا بِقَدَرٍ ، فلا تماثل الدُّونَ بمعاملة الكف ، ولا الكف بمعاملة الأعلى ، ولا تضع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ، وَيُثْبِتُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ ، بنائبة آجلة ، واسمع قول الأول :

وَبِعْ آجِلاً مِنْكَ بِالْعَاجِلِ : وَأَقْلِلْ مِنْ زِيَارَةِ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَجْفُهمُ بِالْجُمْلَةِ ، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه مَلَلٌ ولا ضَجَرٌ ولا جفاء ،

ولا تَقُلْ أَيْضًا : أَقْعُدُ فِي كِسْرِ يَتِي ، وَلَا أَرَى أَحَدًا ، وَأُسْتَرْجِعُ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنْ ذَلِكَ كَسَلَ دَايِعَ إِلَى الذِّلِّ وَالْمَهَانَةِ ، وَإِذَا عَلِمَ عَدُوْلَكَ أَوْ صَدِيقَ مَنْكَ ذَلِكَ ، حَامِلًا لَكَ بِحَسَبِهِ ، فَازْدِرَاكُ الصَّدِيقِ ، وَجَسَرُ عَلَيْكَ الْعَدُو ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَفْرُكَ صَاحِبَ عَنْ أَنْ تَذْخِرَ غَيْرَهُ لِلزَّمَانِ ، وَتُطِيعَهُ فِي عِدَاوَةِ سِوَاهُ ، فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَيْكَ ، فَتُطَلَبَ إِعَانَتُهُ غَيْرُهُ عَلَيْهِ ، أَوْ اسْتِغْنَاءُ عَنْهُ ، فَلَا تُجِدُ ذَخِيرَةً قَدَّمَتَهَا ، وَكَانَ هُوَ فِي أَوْسَعِ حَالٍ ، وَأَعْلَى رَأْيٍ ، بِمَا دَبَّرَهُ بِحِيلَتِهِ فِي انْقِطَاعِكَ عَنْ غَيْرِهِ ، فَلَوْ اتَّفَقَ لَكَ أَنْ تَصْحَبَ مِنْ كُلِّ صِنَاعَةٍ وَكُلِّ رِيَّاسَةٍ ، مَنْ يَكُونُ لَكَ عُدَّةٌ ، لَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَصْوَبَ ، وَسَلِّىْ فَإِنِّى خَيْرٌ ، طَالَمَا - وَاللَّهِ - مَا تَحَبَّبْتُ الشَّخْصَ أَكْثَرَ عَمْرِى ، لَا أَعْتَمِدُ عَلَى سِوَاهُ ، وَلَا أَعْتَدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مِنْخَدَعًا بِسَرَّابِهِ ، مُوْتَوِقًا فِي حِبَائِلِ خِطَابِهِ ، إِلَى أَنْ لَا يَحْصُلَ لِي مِنْهُ غَيْرُ الْعَصْنِ عَلَى الْبَنَانِ ، وَقَوْلُ : لَوْ كَانَ وَلَوْ كَانَ ! وَلَا يَحْمِلُكَ أَيْضًا هَذَا الْقَوْلُ أَنْ تَظُنَّ فِي كُلِّ أَحَدٍ ، وَتَسْجُلَ الْمَكَاافَةَ ، وَلِيَكُنْ حَسَنُ الظَّنِّ بِمَقْدَارِمَا ، وَاصْبِرْ بِمَقْدَارِمَا ، وَالْفَطْنُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ تَحَايِلُ الْأَحْوَالِ ، وَفِي الْوُجُوهِ دَلَالَاتٌ وَعَلَامَاتٌ ، وَأَصْغَرُ إِلَى الْقَائِلِ :

لَيْسَ ذَا وَجْهِ مَنْ يَضِيفُ وَلَا يَقِفُ - رِى وَلَا يَدْفَعُ الْأَذَى عَنْ حَرِيمٍ <sup>(١)</sup>  
فَنَ يَكُنْ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ هَذَا الْوَجْهِ قَوْلٌ وَجْهَكَ عَنْهُ قِبْلَةٌ تَرْضَاهَا ، وَلْتَحَرِّصْ جُهْدَكَ عَلَى أَنْ لَا تَصْحَبَ أَوْ تُخَذِّمَ إِلَّا رَبَّ حِشْمَةٍ وَنِعْمَةٍ ، وَمَنْ نَشَأَ فِي رِفَاقِيَةٍ وَمُرُوءَةٍ ، فَإِنَّكَ تَنَامُ مَعَهُ فِي مِهَادِ الْعَافِيَةِ ، وَإِنْ الْجِيَادُ عَلَى أَعْرَاقِهَا <sup>(٢)</sup>  
تَجْرَى ، وَأَهْلُ الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ يَتَرَكُونَ مَنَافِعَهُمْ مَتَى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فِيهَا

[١] ضافه يضيفه : نزل به ضيفاً ، وقرى الضيف كرى : أحسن إليه .

[٢] الأعراق جمع عرق بالكسر وهو الأصل .

وَصَمَّةٌ ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أَشْرَبَ مُصْعَبُ الْحَرِّ ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو عَلِمَ مُصْعَبُ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مِرْوَنَةَ مَا شَرِبَهُ ؛ وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

يابنى ، وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغير ، وقد قيل : « أَصْحَبُ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » ، فمتى فارقت أحداً فَعَلَى حُسْنَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

« وَلَمَّا مَضَى سَلَمٌ بِكَيْتٍ عَلَى سَلَمٍ » ، وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

واحرص على ما جمع قول القائل : « ثَلَاثَةٌ تُبْنِي لَكَ الْوَدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، واحذر كل ما يئنه لك القائل : « كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّكَ إِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ يَتَمَسَّكُنُ حَتَّى يَتِمَّ كُنْ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ ذَنْبٌ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ » .

وإياك أن تثبت على ضجة أحد قبل أن تطيل اختباره ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل ضجته ، فجابهه : « إِنْ الصَّحْبَةَ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُ رِقِّي فِي يَدِكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتُكَ <sup>(١)</sup> » ، وَأَسْتَمِلُ <sup>(٢)</sup> مِنْ عَيْنٍ مَنْ تَعَاشَرَهُ ، وَتَفْقَدُ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسَنِ وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا

[١] ملكة ملكة بالتجريك ، وملكاً مثلث اللام ، وملكة مثلث اللام : احتواء قادراً على الاستعداد به .

[٢] من استملته الكتاب : سأله أن يملأه علي ، وللملح : استرشد وتبين من نظرات عينه وأحجب لك هو أم مدو .

يضرك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السلم ، وبالأئين يُعزف ألم الجرح ،  
واجمل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

وأكدُ ما أوصيك به أن تطرح الأفكار ، وتسلم للأقدار .

واقبل من الدهر ما أتاك به من قر عينا ببشه نعمة

إذ الأفكار تجلب الموم ، وتضاعف النوم ، وملازمة القُطوب ، عنوان  
المصائب والمُخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدو المُجائب ، ولا  
تض بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، والله درّ القائل :

إذا ما كنت للأحزان عوناً عليك مع الزمان فن تلوم ؟

مع أنه لا يرث عليك الفاتية الحزن ، ولا يرعوى بطول عتبك الزمن ، ولقد  
شاهدت بفرط ناطة شخصاً قد ألفت الموم ، وعشيقته النوم ، من صغره إلى  
كبره ، لا تراه أبداً خلياً من فكره ، حتى لقّب بصدر الموم ، ومن أعجب ما  
رأيت منه أنه يتأكد في الشدة ، ولا يتعل بأن يكون بعدها فرج ، ويتأكد في  
الرخاء خوفاً من أن لا يدوم .

ويُنشد : توقع زوالاً إذا قيل تم ، ويُنشد : وعند التناهي يقصر المتطاوُل .

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا ثمرة تحسور يمر ضياها .

ومتى رفعت الزمان إلى قوم يذمّون من العلم ما مُحسِنه حسداً لك ، وقصداً

لتصغير قدرك عندك ، وترهيداً لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن تهّد في علمك ،

وتركّن إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه متي الحجة<sup>(١)</sup>

[١] الجبل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر اللعاز والرجلين ، والواحدة حجة ، واسم جمه

حبل بكسر فسكون قنبح ولا نظير له سوى غربي ( ومفرده غربيان قنبح فكسر وهو دوية متقة الريح )

فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ فَصَعَّبَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشِيهِ فَنَسِيَهُ ، فَبَقِيَ مُخْبِلًا  
الْمَشَى ، كَمَا قِيلَ :

إِنْ الْغَرَابَ ( وَكَانَ يَعِشِي مِشْيَةً ) فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَجَالِ (١)

حَسَدَ الْقَطَا ، وَأَرَادَ يَعِشِي مِشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ (٢)

فَأُضِلَّ مِشْيَتَهُ ، وَأَخْطَأَ مِشْيَهَا فَلِذَاكَ مَمْنُومُ أَبِي مِنْ قَالَ (٣)

وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَدُومَ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ ، وَيَقُولُ : « مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا  
كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ ، وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاخُ فِيهِ » ، فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَامُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ،  
أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْجُرْمَانُ ، وَاسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ لِلْهَوَانِ ، وَأَبْرَمُوا (٤)  
عَلَى النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَقَتُومٌ ، وَعَجَزُوا عَنْ طَلِبِ الْأُمُورِ مِنْ وَجْهِهَا ، فَاسْتَرَاخُوا  
إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الْأَعْذَارِ لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ ، وَتَعَذِيرِ أُمُورِهِمْ ،  
وَلَا تَزِلْ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْعِزِّ يَلِينُ

فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وقول الآخر :

تَهْ وَارْتَفِعْ إِنْ قِيلَ أَقْسَرُ ، وَانْخَفِضْ إِنْ قِيلَ أَثَرَى (٥)

كَأَلْفَصْنٍ يَسْقُلُ مَا أَكْتَمَى ثَمَرًا ، وَيَعْلُو مَا تَعَرَّى

[١] هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ مُبْتَدَأً فِي الْأَصْلِ ، وَقَدْ أَوْرَدَهُ الْبَاهِي مَعَ الْيَتِيمَيْنِ بَعْدَهُ فِي حَيَاةِ الْحَبِوَانِ

الْكَبِيرِ ٢ : ٢٤٤ . [٢] الْعُقَالُ : دَاءٌ فِي رِجْلِ الدَّابَّةِ إِذَا مَضَى طَلْعُ سَاعَةِ ثَمَّ انْبَسَطَ .

[٣] مِنْ أَرْقَاتِ الدَّابَّةِ إِذَا أَسْرَعَتْ . [٤] أَوْرَدَ النُّصْلَ لِأَنَّهُ لَازِمًا وَهُوَ مُتَعَدٍّ ، جَاءَ فِي كِتَابِ الْفَنَاءِ :

« أَرَبَهُ فَبِهِمْ كَفَحَ وَتَبَرَّمَ : أَمَلَهُ فَلَّ » . [٥] أَقْسَرُ : انْقَضَى .

لا قول الآخر :

الخير يَنقَى وإن طال الزمانُ به      والشرُّ أخْبَثُ ما أوعيتَ مِنْ زاد  
واعْتَقَدَ في الناسِ ما قاله القائل :

وَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ      وَمَنْ يَقْوِ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى النَّفْسِ لَأَمْنًا  
وقريبٌ منه قول القائل :

بقدر الصَّعُودِ يكونُ الهبوطُ      فإياك والرَّتَبَ العالِيَّةَ  
وكن في مكانٍ إذا ما سَقَطْتَ      تقومُ ورجلاك في عافية  
وَتَحْفَظُ بما تَضُمُّه قول الآخر :

ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه      ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ  
ولله درَّ القائل :

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً      فإذا قَنِعْتَ فكلُّ شيءٍ كافٍ  
والأمثال يَضْرِبُهَا لَدُنِي أَلْبُ الْحَكِيمِ ، وذو الْبَصَرِ عَمَشَى عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ،  
وَالْفِطْنِ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ ، وَيَسْتَدَلُّ بِالْبَسِيرِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ ،  
لَا رَبَّ سِوَاهُ » . (مع الطيب ١ : ٤٩٢)

٢٠ - خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف ( توفي سنة ٧٢٨ هـ )

وخطب أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات <sup>(١)</sup> خطبة أنبت الألف من  
حروفها على كثرة تردها في الكلام ، وهي :

[١] هو أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الخطيب النحوي ، من أهل بلش مائة وله سنة ٦٤٩ هـ ،  
وتوفي سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجاله أكثر الأحيان بخطبة غريبة ،  
يطلق بها مفاسل الأغراض التي يشرع فيها ، فينظم الشعر دائماً في مراجعته ومخاطبته وإيجازته من غير  
تأن ولا روية ، حتى اعتاده ملكه ، واستعمل في السفارات بين الملوك لبعض النخام ، وإصلاح الأمور ،  
فكانوا يوجبون حقه ، ويمنون بركته ودعاه » وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

« حَدَّثُ رَبِّي جَلَّ مِنْ كَرِيمٍ مُحَمَّدٌ ، وَشَكَرْتُهُ عَزَّ مِنْ عَظِيمٍ مَعْبُودٌ ، وَنَزَّهْتُهُ عَنْ جَهْلٍ كُلِّ مُلْحِدٍ كَفُورٌ ، وَقَدَّسْتُهُ عَنْ قَوْلِ كُلِّ مُفْسِدٍ غَرُورٌ . كَبِيرٌ لَوْ تَقَوَّمُ فِي فَهْمٍ لِحُدٍّ <sup>(١)</sup> ، قَدِيرٌ لَوْ تَصَوَّرُ فِي رَسْمٍ لِحُدٍّ <sup>(٢)</sup> ، لَوْ عَرَّتَهُ <sup>(٣)</sup> فِكْرُهُ تَصَوُّرٌ لَتَصَوَّرَ ، وَلَوْ حَدَّثَهُ فِكْرُهُ لَتَقَدَّرَ <sup>(٤)</sup> ، وَلَوْ فَهِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةٌ لِبَطْلٍ قِدَمُهُ ، وَلَوْ عَلِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةٌ لِحَصَلِ عَدَمِهِ ، وَلَوْ حُصِرَ فِي ظَرْفٍ لِقُطْعِ بَتَجْسُمِهِ ، وَلَوْ قَهَرَ وَصَفٌ لَصُدِعَ <sup>(٥)</sup> بِتَقْسُمِهِ ، وَلَوْ فُرِضَ لَهُ شَيْخٌ لَرَهَقَهُ <sup>(٦)</sup> كَيْفٌ . عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ قَطْرٌ ، عَلِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فِكْرٌ ، مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُنْسِكُهُ ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وِجْهِ يُدْرِكُهُ ، كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ يُلْحَقُهُ ، حَكِيمٌ مِنْ غَيْرِ عَرَضٍ يُلْحَقُهُ <sup>(٧)</sup> ، قَوِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَجْمَعُهُ ، عَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ، لَوْ وُجِدَ لَهُ جِنْسٌ لَعُورِضٌ فِي قِيُومِيَّتِهِ <sup>(٨)</sup> ، وَلَوْ ثَبَتَ لَهُ حِسٌّ لِنُوزَعٍ فِي دَيُّومِيَّتِهِ <sup>(٩)</sup> .

ومنها : تَقَدَّسَ وَعَزَّ فَعْلُهُ ، وَنَزَّهَ عَزَّ اسْمُهُ وَفَضْلُهُ ، جَلَّ قَاهِرُ قُدْرَتِهِ ، وَعَزَّ بَاهِرُ عِزَّتِهِ ، وَعَظُمَتْ صِفَتُهُ ، وَكَثُرَتْ مَنَّتُهُ ، فَتَقَى وَرَتَقَ ، وَصَوَّرَ وَخَلَقَ ، وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، وَنَصَرَ وَخَذَلَ ، حَمْدُهُ سَمَدٌ مِنْ عَرَفَ رَبِّهِ ، وَرَهَبَ ذَنْبَهُ ، وَصَفَتْ حَقِيقَةُ يَقِينِهِ قَلْبَهُ ، وَزَكَتْ <sup>(١٠)</sup> بَصِيرَةُ دِينِهِ لُبَّهُ ، رَبَطَ سِلَاطُكَ سَلُوكَهُ

[١] أى لعرّف ، من الحد : وهو التعريف . [٢] من التحديد ، أى لصارت له ذات محدودة ، ولأنه قال : « قديم » بدل « قدير » لأنّ أن يقول بعده : « لحد » بالميم المفتوحة أى لصار جديداً حادثاً . [٣] عرته : أى اعترته وتناولته ، وفى الأصل « عدته » بالذال وأراء محرفا ، وتصوّر أى تمثل فى صورة ، يقال : تصوّرته تصوير . [٤] لتضر : أى صار له قدر مجسم ، وفى الأصل « لتذر » وأراء محرفا . [٥] صدع به : جهر . [٦] رهقه : غشيته ولحقه .

[٧] يلحقه الأول : أى يناله وبأخذه ، ويلحقه الثانى بمعنى يتصف به .

[٨] القيوم : من أسماء تعالى ، أى الذى لا يند له . [٩] الدعومة : الدوام .

[١٠] زكت : طهرت .

وَشَدَّ<sup>(١)</sup>، وَهَدَمَ صَرَحَ عَثْوَهُ وَهَدَّ، وَحَرَسَ مَعْقِلَ عَقْلِهِ وَحَدَّ، وَطَرَدَ غُرُورَ غِرَّتِهِ<sup>(٢)</sup> وَرَذَلَهُ<sup>(٣)</sup>، عِلِمَ عِلْمَ تَحْقِيقِ فَنَحْأِ نَحْوِهِ، ثَقَرَتْ لَهُ عَزٌّ وَجَلَّ بَثُوتُ رُبُوبِيَّتِهِ وَقَدَمُهُ، وَنَمْتَقَدُ صُدُورِ كُلِّ جَوْهَرٍ وَعَرَضِيٌّ عَنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَنَشْهَدُ بِتَبْلِيغِ مُحَمَّدٍ صَلَى رَبُّهُ وَسَلَّمُ عَلَيْهِ، رَسُولُهُ وَخَيْرُ خَلْقِهِ، وَنُعَلِّنُ بَهْوَضَهُ فِي تَبْيِينِ فَرْصِهِ، وَتَبْلِيغِ شَرْعِهِ، ضَرْبَ قُبَّةِ شَرْعِهِ فَنَسَخَتْ كُلَّ شَرْعٍ، وَجَدَّدَ عَزِيمَتَهُ فَقَمَعَ عَدُوَّهُ خَيْرَ قَمَعٍ، قَوْمَ كُلِّ مَقَوْمٍ بِقَوِيمِ سُنَّتِهِ، وَكَرِيمِ هَدْيِهِ، وَوَيْتِ لِقَوْمِهِ كَيْفَ يَرْكَنُونَ<sup>(٤)</sup>، فَفَازُوا بِقَصْدِهِ وَسَدِيدِ سَمِيِّهِ، بِشَرِّ مُطِيعِهِ فَظْفَرِ بُرْجَتِهِ، وَحَذَرِ حَاصِيَتِهِ فَشَقَى يَنْقَمَتُهُ .

وبعد : فقد نصحتكم لو كنتم تعلمون ، وهديتكم لو كنتم تعلمون ، بُصِرْتُمْ لو كنتم تُبْصِرُونَ ، وَذُكِّرْتُمْ لو كنتم تَذْكُرُونَ ، ظَهَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ نُشْرِكِكُمْ ، وَبَرَزَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ حَشْرِكُمْ ، فَكَمْ تَرْكُضُونَ فِي طَلْقِ<sup>(٥)</sup> غَفْلَتِكُمْ ، وَتَنْفَلُونَ عَنْ يَوْمِ بَعْتِكُمْ ، وَالْمَوْتَ عَلَيْكُمْ سَيْفُ مُسَاوِلٍ ، وَحُكْمُ عَزْمٍ غَيْرِ مَعَاوِلٍ ، فَكَيْفَ بَكِمُ يَوْمَ يُوْخِذُ كُلٌّ بِذَنْبِهِ ، وَيُخْبَرُ بِجَمِيعِ كَسْبِهِ ، وَيَفْرَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحْبِهِ ، وَيَعْتَدِمُ نُصْرَةَ حِزْبِهِ ، وَيَسْتَفْلُ بِهَمَّةٍ وَكَرْبِهِ ، عَنْ صَدِيقِهِ وَتَرْبِهِ ، وَتُنْشَرُ لَهُ رُقْعَةٌ ، وَلَمْ يَنْ لَهُ رُقْعَةٌ ؟ قَرَبِحْ عَبْدٌ نَظَرَ وَهُوَ فِي مَهَلٍ لِنَفْسِهِ ، وَتُرْسِلَ فِي رَضَى عَمَلِ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رَمْسِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَكَتَسَرِ صَنْمَ شَهْوَتِهِ ، لِيَتَقَرَّ فِي بُحْبُوحَةِ<sup>(٧)</sup> قُدْسِهِ .

[١] في الأصل « وشيد » وأراه عرّافاً عن « شدّ » إذ هي التي تلائم قوله قبلها « وربط » .

[٢] الفرة : العلة . [٣] رذله وأرذله : عدّه وذلاً .

[٤] ركن إلى الشيء : ركوناً : مال إليه وإطّاعاً ، أي بين لهم كيف يركنون إلى الحق والصواب .

وقد كانوا من قبل يسهون في ضلالتهم ويحبطون .

[٥] يقال : جرى الفرس طلقاً أو طاهين : أي شوطاً أو شوطين . [٦] الرمس : الثبر .

[٧] بحبوحة السكان : وسطه .



ومنها : قَتْنَةٌ - وَنَحْك - من سِنَتِكَ ونَوْمِكَ ، وتَفَكَّرَ فيمن هَلَكَ من مُحِبِّتِكَ وقَوْمِكَ ، هَتَفَ بِهِمْ مَنْ لَعَلَّمْ ، وَشَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ حَرَقٌ <sup>(١)</sup> مُظْلِمٌ ، نَفَرَتِ بِصَبِيحَتِهِ رِبْعُهُمْ ، وتَفَرَّقَتْ لَهْوَلُهُ جُمُوعُهُمْ ، وَذَلَّ عَزِيمُهُمْ ، وَخَسِيَ رَفِيعُهُمْ ، وَصَمَّ سَمِيعُهُمْ ، نَفَرَ جُلُودُهُمْ مِنْهُمْ عَنْ قَصْرِهِ ، وَرُمِيَ غَيْرَ مُؤَسَّدٍ فِي قَبْرِهِ ، فَهُمْ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي رَوْضَةٍ مُقَرَّبٍ ، وَبَيْنَ شَقِيٍّ فِي حُفْرَةٍ مَعْدَبٍ ، فَتَسْتَوِهُبُ مِنْهُ عَزٌّ وَجَلٌّ عِصْنَةٌ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَخُصُوصِيَّةٌ تَقِي مِنْ كُلِّ نَفْسٍ جَرِيئَةٍ .

(الإحاطة ، في أخبار غرناطة ١ : ١٥٤)

## ٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض <sup>(٢)</sup> خطبة ضمنها سور القرآن ، فقال :  
« الحمد لله الذي افْتَتَحَ بِالْحَمْدِ كَلَامَهُ ، وَبَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَحْكَامَهُ ، وَمَدَّ فِي آلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ مَائِدَةَ الْأَنْعَامِ لِيُتِمَّ إِنْعَامَهُ ، وَجَمَلَ فِي الْأَعْرَافِ أَنْفَالَ تَوْبَةِ يُونُسَ وَالرَّكِيَابِ أَحْكَامَتِ آيَاتُهُ ، بِمَجَاوِرَةِ يَوْسُفَ الصَّدِّيقِ فِي دَارِ الْكِرَامَةِ ، وَسَبَّحَ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَجَمَلَ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، لِيُؤْمِنَ أَهْلُ الْحِجْرِ <sup>(٣)</sup> أَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ فَلَا كَهْفَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُظْلَمُونَ قَوْلَامَةً ، وَجَمَلَ فِي حُرُوفِ كَهْفِصِ سِرًّا مَكْنُونًا ، قَدَّمَ بِسَبَبِهِ طَهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، لِيُظْهِرَ إِجْلَالَهُ وَإِعْظَامَهُ ، وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ حَتَّى حَجَّ الْمُؤْمِنُونَ

[١] الحرق : النار ولهبها .

[٢] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ولد سنة ٤٧٦ هـ ، ببنة - بلد بمراكش على الساحل الشمال - ودخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له به كبير عناية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي النحو واللغة ، واستقصى ببلده ببنة ، ثم نقل منها إلى قضاء غرناطة ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ ، قال القرطبي بعد أن أورد هذه الخطبة : « وفي نفي من نسبها له شيء ، لأن نفي القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم » .

[٣] واد بين المدينة والشام ، وهو منازل يهود .

بُنُورِ الْفُرْقَانِ ، والشمراء صاروا كَالْمَلِّ ذُلًّا وَصَغَارًا لِعَظَمَتِهِ ، وظهرت قَصَصُ الْعَنْكَبُوتِ فَأَمَّنَ بِهِ الرُّومُ ، وَأَيَقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى زَيْنٍ مِّنْ وَآفَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْضَحَ لِقِمَامِ الْحِكْمَةِ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِرَبِّ الْأَحْزَابِ ، فَسَبَّاهُ طُرُقُ السَّمَوَاتِ أَهْلَ الطَّاغُوتِ ، وَأَكْسَبَهُمْ ذِلًّا وَخِزْيًا وَحَسْرَةً وَنِدَامَةً ، وَأَمَدَّ يَسُى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْيِيدِ الصَّافَّاتِ <sup>(١)</sup> ، فَصَادَ الزُّمَرُ يَوْمَ بَدْرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ صُنَادِيدُهُمْ فِي الْقَلْبِ <sup>(٢)</sup> مَكْدُوسٌ وَمَكْبُوبٌ ، حِينَ شَالَتْ بِهِمُ النَّامَةُ <sup>(٣)</sup> ، وَغَفَرَ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ لِلْبَدْرَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ قُصِّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْمَذَابِ وَأَيْسَرَ مِنَ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَرْهَمَ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَشَغَلَهُمْ زُخْرُفُ الْآخِرَةِ عَنْ ذُخَانِ الدُّنْيَا ، فَجَنُّوا أَمَامَ الْأَحْقَافِ <sup>(٤)</sup> لِقِتَالِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، فَأَعْطَوْا الْفَتْحَ وَبُوتُوا حُجُرَاتِ الْجِنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا : قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَتَدَبَّرُوا جَوَابَ قَسَمِ النَّارِيَّاتِ <sup>(٥)</sup> وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ الْحَقِيقَةِ ، وَانْشَقَّ لَهُمْ قَرَالَيْقِينَ ، فَنَافَرُوا السَّامَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمَّنَّهُمُ الرَّحْمَنُ إِذَا وَقَمَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَاعْتَرَفَ بِالضَّمْفِ لَهُمُ الْحَدِيدُ ، وَهَزَمَ الْمَجَادِلُونَ ، وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، يُخْرِبُونَ يَوْمَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ نَافَرُوا السَّلَامَةَ .

أَحْمَدُ هَدَى مِنْ أَمْتَحَنَتِهِ صَفُوفُ الْجُمُوعِ فِي نَفَقِ التَّنَابُثِ ، فَطَلَّقَ الْحُرُمَاتِ حِينَ اعْتَبَرَ الْمُلُوكَ وَعَامَهُ ، وَقَدْ سَمِعَ صَرِيحَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ بِالْحَاقَّةِ <sup>(٦)</sup> وَالْمَارِجِ يَمِينَهُ

[١] اللَّائِكَةُ تَصِفُ شَوْسَهَا لِعِبَادَةِ . [٢] الْقَلْبُ : الْبَيْتُ .

[٣] شَالَتْ غَايَتُهُمْ : خَفَّتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْهُمْ ، أَوْ عَمَرَتْ كَلِمَتُهُمْ ، أَوْ ذَعَبَ مَزْمُ .

[٤] وَادِ بِالْمِثْلِ بِهِ مَنَازِلُ هَادٍ . [٥] الْقَارِيَّاتُ : الرِّيحُ تَمُرُّ بِالتُّرَابِ وَغَيْرِهِ .

[٦] الْحَاقَّةُ : السَّاعَةُ .

وَرِثَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، وَقَدْ نَاحَ نُوحٌ الْجَنِّ فَتَزَمَّلَ <sup>(١)</sup> وَتَذَرَفَ قَرَقًا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،  
وَأَنَسَ بِمُرْسَلَاتِ النَّبَأِ ، فَزَرَغَ الْبُيُوتَ مِنْ تَحْتِ كُورِ الْعِمَامَةِ ، وَظَهَرَ لَهُ بِالْإِنْفِطَارِ  
التَّطْفِيفُ ، فَانْشَقَّتْ بُرُوجُ الطَّارِقِ بِتَسْيِيجِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَغَشِيَتْهُ الشَّهَامَةُ ، فَوَرَبَّ  
الْفَجْرِ وَالْبَلَدِ وَالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالضُّحَى ، لَقَدْ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْمُتَّقِينَ ، حِينَ تَلَوْا  
سُورَةَ التِّينِ ، وَعَلِقَ الْإِيمَانُ بِقُلُوبِهِمْ ، فَكَلَّ عَلَى قَدَرِ مَقَامِهِ يُبَيِّنُ ، وَلَمْ يَكُونُوا  
بِمَنْفَكِّينَ دَهْرَمَ ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ وَصِيَامُهُ وَقِيَامُهُ ، إِذَا ذَكَرُوا الزَّلْزَلَةَ رَكَبُوا  
الْعَادِيَاتِ <sup>(٢)</sup> لِيُطْفِئُوا نُورَ الْقَارِعَةِ ، وَلَمْ يُلْهِمِهِمُ التَّكَاثُرَ حِينَ تَلَوْا سُورَةَ الْعَصْرِ  
وَالْهُمَزَةَ ، وَتَمَثَّلُوا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا النَّيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ  
جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، أَرَأَيْتَهُمْ كَيْفَ جَعَلُوا عَلَى رءِيسِهِمُ مِنَ الْكُورِ عِمَامَةً ؟  
فَالْكُورُ <sup>(٣)</sup> مَكْتُوبٌ لَهُمْ ، وَالْكَافِرُونَ خُدِلُوا ، وَهُمْ نُصِرُوا ، وَعَدِلَ بِهِمْ عَنْ لَهَبِ  
الطَّائِمَةِ ، وَبِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ قَرَأُوا وَسَعِدُوا ، وَبِرَبِّ الْفَلَقِ <sup>(٤)</sup> وَالنَّاسِ ، اسْتَعَاذُوا  
فَأَعْيَدُوا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَغَمٍّ وَنَدَامَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَةٌ تُنَالُ بِهَا مَنَازِلُ الْكَرَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيَّامِ حَمَامَةٌ » . ( نفع الطيب ٤ : ٢٩١ )

## ٢٢ - خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ <sup>(٥)</sup> خطبة على هذا النمط نصها :

« الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ، ليصطفى من آل عمران

[١] تَزَمَّلَ بِشَيْءٍ : تَلَفَّ بِهَا ، وَكُنَّا تَذَرَفُ .

[٢] الْجِيلُ لَمَدُو فِي الْقَزْوِ ، وَالْقَارِعَةُ الَّتِي تَفْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا .

[٣] الْكُورُ : نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ . [٤] الْفَلَقُ : الصَّحْجُ .

[٥] هُوَ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَقْرِيٍّ عَمُّ أَحْمَدَ الْمَقْرِيٍّ صَاحِبُ نَعَجِ الطَّيِّبِ .

رجالاً ونساءً، وفضلهم تفضيلاً، ومَدَّ مائدة إناعامه ورزقه، ليعرف أعراف أقاليم  
كرمه وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً، ونجى هوداً  
من كربه وحزنه، كما خلص يوسف من جُبِّه وسجنه، وسبَّح الرعدُ بحمده  
وُثْنُهُ، واتَّخَذَ اللهُ إبراهيم خليلًا، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شرباً  
تَوَجَّع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بِخَفِيِّ لطفه سبحانه، واتَّخَذَ مِنْهُ كَهْفًا قد  
شَيَّدَ بنيانَه، وأرسل رُوحَهُ إلى مريم فتَمَثَّلَ لها تمثيلاً، وفضَّلَ طه على جميع  
الأنبياء، فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيثُ دعا إلى الإسلام قَدْ أَفْلَحَ  
المُؤْمِنُونَ، إِذْ جَعَلَ نور الفرقان دليلاً، وَصَدَّقَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم الذي  
هَجَزَتِ الشعراءُ في صِدْقِ نَعْتِهِ، وَشَهِدَتِ النملُ بصدق بَعْتِهِ، وَيَتَن قِصَصِ  
الأنبياء في مُدَّةِ مَكْنَتِهِ، ونسجَ المنكبوت عليه في الغار سِتْرًا مَسْدُولا،  
وَمُلَّتْ قلوب الروم رُعبًا من هيئته، وتعلَّم ثُمان الحكمة من حِكْمَتِهِ، وَهَدَى  
أهل السَّجْدَةِ للإيمان بدعوته، وَهَزَمَ الأحزاب وسبَّام وأخْذَمَ أَخْذًا وَيلاً،  
فَلَقَّبَهُ فاطمَةُ السموات والأرض يسَّ، كما نَفَّذَ حَكْمَهُ في الصَّافَّاتِ، وَيَتَن من  
صِدْقِهِ بإظهار المعجزات، وفَرَّقَ زُمرَ المشركين، وَصَبَّرَ على أقوالهم وهجرهم  
هَجْرًا جَمِيلاً، ففَرَّ لَهُ غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وَفُصِّلَتْ رِقَابُ  
المشركين إِذْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهم شُورَى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وَخَفِيَ دخان  
الشرك، وَخَرَّتِ المشركون جاثيةً، كما أَنْذَرَ أَهْلَ الْأَحْقَافِ فلا يهتدون سبيلاً،  
وَأَذَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِشِدَّةِ الْقِتَالِ، وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وَحَجَّرَ  
الحُجُرَاتِ الْخَرِيْزِ، وَبَنَى الْقُدْرَةَ قَتْلَ الْخَرَّاصُونَ<sup>(١)</sup> تَقْتِيلاً، كَلَّمَ موسى على جبل

الطُّور، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم، فاقتربت بطاعته مبادئ السرور، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور، فتعجب الحديد من قوته، وكثرة المجادلة في أمته، إلى أن أُعيد في الحشر بأحسن مَقِيلَا، امتحنه في صف الأنبياء وصلى بهم إمامًا، وفي تلك الجمعة مائت قلوب المنافقين من التناؤن خُسْرًا وإِغْرَامًا، فطلق وحرّم، تبارك الذي أعطاه الملك، وعلم بالقلم، ورتّل القرآن ترتيلا، وعن علم الحافّة كم سأل سائل فسأل الإيمان، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان، وأنت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن، فأُنزل عليه: «يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْمَلَأَ قَمَرُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا»، فكم من مُدَثِّرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ شَفَقَةٌ على الإنسان إذا أرسل مُرْسَلَاتِ الدَّمْعِ، فعمّ ينساء لون أهل الكتاب، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبّس عليهم مالك وتولّاهم بالعذاب، وَكُوِّرَتِ الشَّمْسُ وانفطرت السماء، وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً، فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ إذا انشقت السماء بالغمام، وَطُوِيَتِ ذَاتُ الْبُرُوجِ، وَطَرَقَ طَارِقُ الصُّورِ بالنفخ للقيام، وعزّ اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر، فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا، فَطُوبَى لِلْمَصْلِينَ الضحى عند انشراح صدورهم، إذا حايوا التين والزيتون وأشجار الجنة، فسجدوا بِأَقْرَأِ أَسْمَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا النَّعِيمَ الأكبر لأهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر، وتبتّلوا بتبتيلا، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا خيم، وتسوقهم كالعاديات إلى سواء<sup>(١)</sup> الجحيم، وزلزلت بهم قارعة العقاب، وقيل لهم: أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ، هذا عصر العقاب الأليم، وَخَشِرَ الْهَمَزَةُ وَأَصْحَابُ الْفِيلِ إلى النار فلا يظلمون فتيلا، وقالت قريش ما أمّتم من

هول الحشر، أرايت الذي يكذبُ بالدين كيف طُرِدَ عن الكوثر؟ وسيق الكافرون إلى النار، وجاء نصر الله والفتح، فَنَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ: إذ لا يَجِدُ إلى سورة الإخلاص سبيلا، فنمودُ رَبِّ الْفُلْكِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، ونمودُ رَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الذي فَسَقَ، وتوب إليه وتوكل عليه وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. (فتح الطيب ٤: ٢٩٢)

### ٢٣ - خطبة الكفعمي التي ضمنها سور القرآن أيضا

وخطب الكفعمي <sup>(١)</sup> خطبة على هذا النمط أيضا نصها:

« الحمد لله الذي شَرَّفَ النبي العربي بالسبع المثاني وخواتيم البقرة، من بين الأنام، وفضل آل عمران على الرجال والنساء، بما وهب لهم من مائدة الأنعام، ومنحهم بأعراف الأقال، وكتب لهم بَرَاءَةً مِنَ الْآنَامِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي نَجَّى يونس وهوذا ويوسف من قومهم، برَّعَدِ الانتقام، وغدَّى إبراهيم في الحِجْرِ بُلْعَابِ النحل ذاتِ الأسرار، فضاهى كهف مريم عليها السلام، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو طه الأنبياء، وحج المؤمنين، ونور فرقان الملك العلَّام، فالشعراء والنمل بفضلُه تُخْبِرُ، ولقصص العنكبوت الروم تذْكَرُ، ولقمان في سجدته يَشْكُرُ، والأحزاب كأيا دى سَبَّأُ تُقَهَّرُ، وفاطريس لصافاته يُنْصَرُ، وصاد مقلَّة زُتْرَه تنظر الأعلام، قَالَ خُمُ بَقْتَالِ فتحة في حُجْرَاتِ قَافِه قد ظَهَرَتْ، وذَارِيَاتِ طُورِه ونجمه وقره قد عَطِرَتْ، وبالرحمن وائمة حديدِه يوم المجادلة قد نُصِرَتْ، وأبصار معانديه في الحشر يوم

[١] قال صاحب فتح الطيب في ترجمته: «هو إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كثرهما قرعة من قرى أعمال صدد كما تقول في النسبة إلى بني هذيل عدي، وإلى حسن كيفا: «مكنى».

الامتحان حَسَرَتْ<sup>(١)</sup> ، وَصَفَ جمعته فَأُزِّدَ أجساد المنافقين بالتغابن استعرت ،  
وله الطلاق والتحرير وَمَقَامُ الْمَلِكِ والقلم ، فذاهيك به من مقام ، وفي الحافة ،  
أَعْلَى اللَّهِ له المارج نوح المطهر ، وخصه من بين الإنس والجن بِبَيَّاتِهَا الْمُرْمَلُ ،  
وَبَيَّاتِهَا الْمُدْنَرُ ، وَشَفَعُهُ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا دُمُوعُ الْإِنْسَانِ مُرْسَلَاتٌ كَالْمَاءِ الْمُتَفَجِّرِ ،  
وَوَجْهُهُ عِنْدَ نَبَاِ النَّازِعَاتِ وَقَدْ عَبَسَ الْوَجْهَ كَالْهَلَالِ الْمُتَنَوِّرِ ، وَيَوْمَ التَّكْوِيرِ  
وَالْإِنْفِطَارِ وَهَلَاكِ الْمُطْفِفِينَ وَانْشِقَاقِ ذَاتِ الْبُرُوجِ بِشَفَاعَتِهِ غَيْرِ مُتَضَجِّرٍ ، وَقَدْ  
حُرِّمَتْ لِمَوْلَدِهِ السَّمَاءُ بِالطَّارِقِ الْأَعْلَى ، وَتَمَّتْ غَاشِيَةُ الْعَذَابِ إِلَى الْفَجْرِ عَلَى الْمَرْدَةِ  
اللَّثَامِ ، فَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ وَشَمْسُ اللَّيْلِ وَالضُّحَى الْمَخْصُوصُ بِالنَّشْرَاحِ الصَّدْرِ ،  
وَالْمَفْضَلُ بِالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ، الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ أَمْشَاجِ<sup>(٢)</sup> الْعَلَقِ ، الطَّاهِرُ الْعَلَى الْقَدْرِ ،  
شَجَاعُ الْبَرِيَّةِ يَوْمَ الزَّلْزَالِ ، إِذْ عَادِيَاتُ الْقَارَعَةِ تَدُوسُ أَهْلَ التَّكَاثُرِ وَمَشْرُكِي الْعَصْرِ ،  
أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ الْهُمَزَةَ وَأَصْحَابَ الْفِيلِ إِذْ مَكَرُوا بِقُرَيْشٍ وَلَمْ يَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَلَمْ  
يَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، الْمَخْصُوصُ بِالْدِينِ الْحَنِيفِيِّ وَالْكَوْثَرِ السَّنْسَالِ ، وَالْمُزِيدُ عَلَى أَهْلِ  
الْجَحْدِ بِالْزُّعْرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَبَيَّنَ يَدَا مُعَاذِيهِ ، وَنَعِمَ بِالتَّوْحِيدِ  
مُؤَالِيهِ ، وَمَا أَفْصَحَ فَلَقَى الصَّبْحَ بَيْنَ النَّاسِ وَامْتَدَّ الظَّلَامُ .

(فتح الطيب ٤ : ٣٩٥)



[١] حشر البعر كحشر : كلٌّ فهو حسير . [٢] مشج بينهما كحشر : خلط ، والشيء مشج ،  
والجمع أمشاج كينيم وأيام .

## الباب الثاني

في

### خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما ولي أبو بكر بن عبد الله المدينة<sup>(١)</sup> وطال مكثه عليها ، كان يلفه عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم جمعة أن يقربوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال :

« أيها الناس : إني قائلٌ قولاً ، فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم

[١] لا أعرف صاحب هذا الاسم والياً على المدينة ، وإنما الذي قرأته في تاريخ الطبري أن أبا بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم الأنصاري ولي المدينة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٠ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز « انظر تاريخ الطبري » الجزء الثامن ، حوادث السنين من ٩٦ إلى ١٠٠ « وذكر أيضاً الفيلسوف في صبح الأعشى » ج ٤ : ص ٢٩٦ « أن أبا بكر بن محمد هذا ولي المدينة أليم سليمان بن عبد الملك ، والطاهر أنه صاحب هذه الخطبة » وإني لأستأس في ذلك بقوله : « وطال مكثه عليها » فقد تولاها خمس سنين ، وبالفرض الذي قبلت فيه الخطبة ، وأنت تذكر ما كان في الهدى الأمور من اتساع دائرة الاختلاف الحزبي ، والنضال السياسي البعيد للدي ، وربما كان « عبد الله » اسماً آخر لأبيه محمد ، تسمى به تواضعاً ، وكذا ذلك من عادة العرب الصالح رضوان الله عليهم كثيراً ، انظر مثلاً كتاب عمر في صلح أهل إيليا « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان » . ( الطبري ٤ : ١٥٩ ) .



يَعْمَهُ فَلَا يَمُدُّ مِنْ ذِمَامِهَا <sup>(١)</sup> إِنْ قَصَّرْتُمْ عَنْ تَفْصِيلِهِ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ،  
فَارْغَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْغَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْمِرُوهُ <sup>(٢)</sup> قُلُوبَكُمْ ، فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةٌ ،  
وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ <sup>(٣)</sup> السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ »  
فَاتُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، وَاجْتَنِبُوا النَّفَى تَرْشُدُوا ، « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَمْرُكُمْ  
بِالْجَمَاعَةِ ، وَرَضِيهَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفُرْقَةِ ، وَسَخَطَهَا مِنْكُمْ ، فـ « لَاتَقُوا اللَّهَ  
حَقَّ تَقَاتِهِ <sup>(٤)</sup> وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا  
تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ،  
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا <sup>(٥)</sup> حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ  
مِنْهَا » ، جَمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنْ تَبِعِ رِضْوَانِهِ ، وَتَجَنَّبِ سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا  
نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْدِينِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ  
لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ، وَوَزَّرَاهُ دُونَ الْخَلْقِ ، اخْتَصَمَهُمْ بِهِ ، وَاسْتَجَبَهُمْ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ  
وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّرُوهُ <sup>(٦)</sup> وَوَقَّروُهُ ، فَلَمْ يَقْدِمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُخْجِبُوا إِلَّا عَنِ رَأْيِهِ ،  
وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بِعَهْدِهِ ، وَخُلَفَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَصَفَهُمْ فَأَحْسَنَ صِفَتِهِمْ ، وَذَكَرَهُمْ  
فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ  
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

[١] أَيْ فَلَا يَخْرُجُ عَنْ حَرَمَتِهَا ، وَتَأْتِي الضَّمِيرُ فِي « ذِمَامِهَا » بِاعْتِبَارِ الْمَوْعِظَةِ أَوْ الْقَالَةِ .

[٢] أَيْ الزَّهْمُ بِهِ . [٣] الْقَصْدُ : اسْتِغَامَةُ الطَّرِيقِ ، أَيْ يَبَانُ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْحَقِّ .

[٤] الْفَاتَةُ : التَّقْوَى ، وَجَمْعُهَا تَقِي كَرُطْبَةٍ وَرُطْبٍ ، وَأَصْلُهَا وَتِيَةٌ قَلْبَتْ وَادَاهَا الْمَضْمُونَةُ نَاءً ، كَمَا فِي تَوْذَةِ  
وَتَحْمَةٍ ، وَالْيَاءُ أَلْفًا . [٥] الشِّفَا : حَرْفٌ كُلُّ هِيءٍ .

[٦] التَّمَرُّزُ : التَّغَنُّيمُ وَالتَّعْظِيمُ « وَهُوَ أَيْضًا أَشَدُّ الضَّرْبِ . مِنْهُ » .

وَرِضْوَانًا ، سَيَّاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوَرَّاتِ ،  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ <sup>(١)</sup> ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سَوَاقِهِ ، يُنْجِبُ الزَّرْعَ ، لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، ، فَنِ خَانِلُهُ كُفَرِ  
وَنَابِ ، وَبَرِّ وَخَيْرِ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ  
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَتَشَرُّونَ  
اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ  
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ » فَنِ خَالِفِ شَرِيطَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَهُمْ ، وَأَمْرَهُ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِي الْفِيءِ  
وَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فِي آيِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ .

فَرَقَتْ مَارِقَةً مِنَ الدِّينِ ، وَفَارَقُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلُوهُمْ عِصِينَ <sup>(٣)</sup> ، وَتَشَعَّبُوا  
أَحْزَابًا ، أَشَابَاتِ وَأَوْشَابًا <sup>(٤)</sup> ، تَخَالَفُوا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَثَنَاءُ عَلَيْهِمْ ، وَأَذْوَا  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، تَخَابَوْا وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ « ذَلِكَ هُوَ  
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . « أَقْنِ كَأَنَّ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ

[١] أَيْ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْكِتَابِ ، وَالشَّطْأُ : فِرَاحُ الزَّرْعِ ، فَآزَرَهُ أَيْ قَوَّاهُ ، فَاسْتَوَى عَلَى سَوَاقِهِ :  
أَيْ فَاسْتَغْلَمَ عَلَى أَسْوَلِهِ وَسَيَّاهَهُ . [٢] يُوْثِرُونَ : يَضَعُونَ وَبَعْدُ مَوَدَّةٍ ، وَالْخَصَاصَةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .  
[٣] جَمْعُ عِصَةٍ كَدَمَةٍ : وَهِيَ الْفِرْقَةُ وَالْفِطْلَةُ . [٤] أَشَابَاتُ جَمْعُ أَشَابَةٍ : وَهِيَ الْأَخْلَاطُ ، وَأَشْبَهُ  
كُفَرِهِ : خِلَافَهُ ، وَالْأَوْشَابُ جَمْعُ وَشَبٍ كَحِلٍّ ، وَالْأَوْشِبُ جَمْعُ وَشٍ كَسَبٍ : الْأَخْلَاطُ وَالسُّفْقَةُ .

وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ ؟ « مالى أرى عيوننا خُزراً <sup>(١)</sup> ، ورقابنا صُغراً <sup>(٢)</sup> ، وبطوننا يُجْراً <sup>(٣)</sup> ، شَجّاً لا يُسِيغُهُ الْمَاءُ <sup>(٤)</sup> ، وداء لا يُشْرِبُ فِيهِ الدَّوَاءُ ، « أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ اللَّهُ كَرْصَفْحًا أَنْ كُثِّمَ قَوْمًا مُشْرِفِينَ ؟ » كلا والله ، بل هو الهناء <sup>(٥)</sup> والطلاء ، حتى يظهر المذر ، وَيَبْشُرُ السَّرَّ ، وَيَضْحَكُ الْغَيْبَ ، وَيُسَوِّسُ الْجُنُبَ <sup>(٦)</sup> ، فإنكم لم تُخْلَقُوا عَبَثًا ، ولم تُتركوا سُدىً ، ويُحْكَمُ الْإِنِ اسْتِ أَنْوِيًّا <sup>(٧)</sup> أَعْلَمُ ، ولا بدويًّا أَفْهَمُ ، قد حَلَبْتُمْ أَشْطَرًا <sup>(٨)</sup> ، وَقَلْبَكُمْ أَبْطُنًا وَأَظْهَرًا ، فعرفت أنْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وعلمت أن قوماً أظهروا الإسلام بالسننهم ، وأسرؤوا الكفر في قلوبهم ، فضربوا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعض ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أبنائهم أَعْوَانًا يَأْذَنُونَ <sup>(٩)</sup> لهم ، وَيَضْمُنُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقُوعِ الْقَوَارِعِ <sup>(١٠)</sup> ، وطُولِ الرِّوَايَةِ ، هذا لهذا ومع هذا <sup>(١١)</sup> ، فلست أعتنِش <sup>(١٢)</sup> آثِبًا وَلَا تَائِبًا ، « عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَاذَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ »

- 
- [١] جمع خُزراء مؤنث أخضر وصف من الخزر بالتحريك ، وهو النظر في أحد الشقين .  
 [٢] الصعر بالتحريك ميل في الوجه ، أو في أحد الشقين ، أو داء في البحر يلوى عقه منه ، صعر كفرح فهو أصعر . [٣] بجر بطنه كفرح أيضاً فهو أبجر : عظم ، والجعر بجر كجر .  
 [٤] الشجا : ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه ، لا يسيغه : أى لا يجعله سائناً سهلاً المدخل في الخلق .  
 [٥] الهناء : الفطران ، يريد أنه يبالغهم كما تطلق الإبل الحري بالفطران لمدواتها .  
 [٦] باح السر : ظهر ، وباح بره : أظهره ، ووضع يضح واتضح واحد ، ويسوس : أى يروض ويذل ، مضاعف ساسه يسوسه . يقال : سوست له أسراً إذا روضته وذلته ، والجلب : الصبب الذى لا ينقاد . [٧] الْآثَوَى : الغريب عن القوم . [٨] اقتبسه من النذل المشهور : « حلب الدهر أشطره » وللناقة شطران ، قادمان وآخران ، فكل خافين شطر بفتح الشين - والمخلف للناقة كالفرع للبقرة - وأشطره منصوب على البدل ، فكأنه قال : حلب أشطر الدهر ، والمعنى : اختبر الدهر وعرف خيره وشره . [٩] أأذله وإليه كفرح : استمع . [١٠] القوارع جمع فاعة : زعم الداهية الفاجئة ، والروائع جمع رائمة ، وهى للفرقة . [١١] أى هذا الذى أتهدكم به من القوارع والروائع ، لهذا الذى تخوضون فيه ، ومفرون به . [١٢] اعتنشته : ظله .

فَأَسِرُوا خَيْرًا وَأُظْهِرُوا ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا ، فطالما مَشَيْتُمْ التَّهْمَرَى  
نَا كَيْصِينَ ، وَلَيْعَلَّ مِنْ أَدْبَرٍ وَأَصْرٍ أَنَّهُا . وَعِظَةُ يَدَيَّ تَقْمَةُ ، وَلَسْتُ أَدْعُوكُمْ  
إِلَى أَهْوَاءِ تُتَّبَعُ ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُتَّبَعُ ، إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلَى ، الَّتِي  
فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، فَمَنْ أَجَابَ فَإِلَى رَشْدِهِ ، وَمَنْ نَهَى فَمَنْ قَصَدَهُ ، فَهَلُمَّ  
إِلَى الشَّرَائِعِ الْجَدَائِعِ <sup>(١)</sup> ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ  
أَذْنَى <sup>(٢)</sup> بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ « يَنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

إِيَّاكُمْ وَبُيِّنَاتٍ <sup>(٣)</sup> الطَّرِيقَ ، فَصْنَدُهَا التَّرْزِيقُ وَالرَّهَقُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَةِ ،  
فَهِيَ أَسَدُ <sup>(٥)</sup> وَأَوْرَدُ ، وَدَعَا الْأَمَانِي فَقْدَارُذَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ  
إِلَّا مَا سَعَى ، وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَكَكُمْ » <sup>(٦)</sup>  
بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى . « رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ،  
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

( نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٧ : ٢٠٦ ، وَصِيحُ الْأَمْرِ ١ : ٢٢٠ )

[١] الَّذِي فِي كِتَابِ الْإِسْمَةِ : « جَدَاءُ كَسَابٍ وَقَطَامٍ : السَّيِّئَةُ الشَّدِيدَةُ تَحْدَعُ بِالْمَالِ وَتَذْهَبُ بِهِ » وَهَذِهِ  
السَّكْمَةُ هِيَ الَّتِي يُسَوِّغُ أَنْ يَجْمَعَ عَلَى جَمَاعَةٍ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَنْسَبُ لِلْقَامِ حَتَّى ، فَلَمَّا الْأَصْلُ « الْجَوَادِعُ »  
جَمْعُ جَادَعَةٍ : وَهِيَ الْفَاعِلَةُ ، بِرَبِّدِ الشَّرَائِعِ الصَّحِيحَةِ الْخَلْفَةَ لِأَنَّهَا تَطْلَعُ الْبَاطِلَ وَتَرْهَقُهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ : انْبِئُوا  
الْحَلَّةَ الْهَامِصَةَ ، أَوْ الْمَلْجَأَ جَمْعُ جَلُوعٍ كَجَوْزٍ صِيغَةً مُبَالَغَةً مِنْ جِلَاعَةٍ ، وَفِي التَّطْبِيقِ عَلَى نَهَايَةِ الْأَرْبِ  
« وَلَهُ الْجَوَامِعُ : أَيُّ الَّتِي يَجْمَعُ النَّاسُ عَلَى اتِّبَاعِهَا ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ » .

[٢] أَيُّ أَيْضًا وَأَدْوَنُ وَقَدْ قَرَأَ ، وَأَصْلُ الدُّنُوْ : الْقُرْبُ فِي الْمَكَانِ اسْتِعْرَافُ خِصَّةٍ كَمَا اسْتَعْرَفَ الْبَعْدَ فَشَرَفَ  
وَالرَّفْعَةَ ، أَوْ هُوَ مُسَلِّحٌ عَنْ أَدْنَى مِنَ الدَّعَاءِ ، وَقَدْ قُرِئَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : « أَنْتَبِذُوا الَّذِي  
هُوَ أَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . [٣] بُيِّنَاتُ الطَّرِيقِ : التَّرَهَاتُ ( جَمْعُ تَرَمَةٍ كَقَبْرَةٍ وَهِيَ الطَّرِيقُ  
الضَّائِرَةُ الْمُنْتَهَبَةُ مِنَ الْمَجَادَةِ ، أَيُّ اسْلُكُوا الطَّرِيقَ الْعَامَّ طَرِيقَ الْجَمَاعَةِ ، وَلَا تَمْرَجُوا فِي سَوَاءٍ .

[٤] التَّرْزِيقُ : الضَّعْفُ فِي الْأَمْرِ « وَفِي الْبَصْرِ وَالْبَدَنِ أَيْضًا » ، وَالرَّهَقُ : السُّقُوطُ وَالْحَقُّ وَالْخَلْفَةُ ،  
وَرُكُوبُ الْعَرِّ وَالطَّلْمِ ، وَغَشْيَانُ الْحَارِمِ . [٥] أَفْضَلُ ، مِنَ السَّادِ . [٦] أَسَحَتْهُ : اسْتَأْصَلَهُ .

## ٢ - وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت بيشة<sup>(١)</sup> رجلاً من أزدي السراة أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يا سمي ، لا يفرئك أن فسح الشاب خطوك ، وخلى سربك ، وأزفة وزدك<sup>(٢)</sup> ، فكأنك بالكبر قد أرب ظوفك ، وأقل أوزك ، وأوهن طوفك<sup>(٣)</sup> ، وأتمب سوفك ، فهدجت بعد المملجة ، ودججت بعد الدعلجة<sup>(٤)</sup> ، نخذ من أيام الترفيه لأيام الإنزعاج ، ومن ساعات المتهلة لساعة الإجمال<sup>(٥)</sup> ، يا بن أخي : إن اغترارك بالشباب ، كالتذاذك بسمادير<sup>(٦)</sup> الأحلام ، ثم تنقشع ، فلا تمسك منها إلا بالحسرة عليها ، ثم تمرى راحلة الصبا ، وتشرب سلوة<sup>(٧)</sup> عن الهوى ، واعلم أن أغنى الناس يوم الفقر من قدم ذخيرة ، وأشدهم اغتباطاً يوم الحسرة من أحسن سيرة » .

(الأمال ٢ : ٣١٦)

## ٣ - وصية رجل لآخر وقد أراد سفرأ

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصي آخر وأراد سفرأ ، فقال :

[١] بيته : واد بطريق اليمامة . [٢] السرب : الطريق والوجه ، ورنهت الإبل كنح : وردت الماء متى شئت ، وقد أرنتها ورنهتها بالتشديد . [٣] أرب المقد : شدة ، والأربة بالفم : القعدة ، وظاف البير يظوفه : إذا داني بين قبيله ، والقبان يفتح الفاف موضعاً القيد من الوظيف ، والأوق : الثقل ، والطوق : الوسع والطاقة . [٤] الهدجان كحفقان وغراب : مشية الشيخ ، هدى كضرب ، والمهلبة : سرعة في المشي ، ودج كضرب دجيجاً ، مر مرأ ضعيفاً ، والدعلجة : ضرب من المعى ، والتردد في الذهاب والهيء ، والدرجة . [٥] رقه عيشه ككرم فهو رقيه ورافه : مستريح متمتع ، وأرفهه الله ورفهه ترفيحاً ، ومن ساحت الهملة أى الدنيا الهملة : أى التي ستملها وتنادرها ، وربما كانت « الهملة » [٦] السبادير : ما يترأى للإنسان في نومه من الأباطيل ، وما يترأى السكران في سكره . [٧] السلوة : اسم بمعنى السلوان . قال الأصمسي : يقول الرجل لصاحبه : « سقيني سلوة ( بالفتح ) وسلواناً ( بالفم ) » أى طيب عسى غك ، وذكروا أيضاً أن السلوة والسلوانة : خرزة شفاة تدفن في الرمل فتسود فيبيح عنها ، ويسقاها الإنسان فتشفيه .

« آثِرْ بِمَمْلَكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدْفَعْ لَشَهْوَتِكَ رَشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرَكَ  
الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَقْصِمُكَ مِنَ الرَّدَى ، أَلْجِمِ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ،  
وَأُطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ، فَإِنَّكَ تَبَرُّ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ شَرَفَكَ » .  
( الامالى ١ : ٢٠٠ )

#### ٤ - وصية رجل لابنه وقد أراد الزواج

وقال بعضهم لولده وقد أراد الزواج :  
« يَا بَنِي : لَا تَخِذْهَا حَنَانَةً ، وَلَا أَثَانَةً ، وَلَا مَنَانَةً <sup>(١)</sup> ، وَلَا عُشْبَةَ الدَّارِ <sup>(٢)</sup> ،  
وَلَا كُبَّةَ الْقَفَا <sup>(٣)</sup> » .  
( الأمال ٢ : ٢٦٠ )

#### ٥ - وصية بعض العلماء لابنه

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال :  
« أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلْيَسَعَكَ يَتُّكَ ، وَامْكُنْ عَلَيْكَ لِسَانُكَ ، وَابْكُ  
عَلَى خَطِيئَتِكَ » .  
( اليبال والتبيين ٢ : ١٦١ )

#### ٦ - وصية لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء :  
« لَا يَكُونَنَّ مِنْكُمْ الْمُحَدِّثُ وَلَا يُنْصَتُ لَهُ ، وَالِدَاخِلُ فِي مِرِّائِينَ لَمْ يُدْخِلَاهُ ،

[١] الحفانة : التي لها ولد من سواء فهي تحنّ عليهم ، والأثانة : التي مات عنها زوجها ، فهي إذا  
رأت الزوج الثاني أنت ، وقالت : رحم الله فلانا ، لزوجها الأول ، والثناة : التي لها مال ، فهي تحنّ  
على زوجها ، كلما أهوى إلى شيء من ماله . [٢] عشب الدار : يريد الهجنة ، وعشب الدار : التي  
تنبت في دمنة الدار ، وحولها عشب في يابس الأرض ، فهي أعظم منه وأضخم ، لأنها غذتها المنة ، وذلك  
( أي العشب ) أطيب للأكل رطباً ويبساً ، لأنه تنبت في أرض طيبة ، وهذه تنبت في دمنة ، فهي منتنة  
ورطبة ، وإذا طست صارت حثا ( بالضم ) وذهب قبحها في الدمنة فلم يمكن جمعه ، وذلك يجمع قبحه لأنه في  
أرض طيبة ( واللفظ بالضم : مايس من البقل ، وسقط على الأرض في موضع نبات ) .  
[٣] كبة القفا : هي التي يأتي زوجها أو ابنها القوم ، فإذا انصرف من عندهم ، قال رجل من جنابه  
... .. له أذه هذا الولي أو أمه أسر .

ولا آتَى الدعوة لم يُدْعَ إليها، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقُّه، ولا الطالبُ الفضلَ من أيدي اللّثام، ولا المتعرّضُ للخير من عند عدوّه، ولا المتحمقُ في الدّالة<sup>(١)</sup> .

( البيان والبيان ٢ : ٥٨ )

## ٧ - وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :

« إياك والمجالة ، فإنّ العرب كانت تَكْنِيها « أمّ الندامة » لأن صاحبها يقول قبل أن يَعْلَمَ ، وَيُجِيب قبل أن يَفْهَمَ ، وَيَعْزِم قبل أن يَفْكُرَ ، وَيَقْطَع قبل أن يُقَدِّرَ ، وَيَحْمَد قبل أن يُحَرِّبَ ، وَيَذْمُ قبل أن يُخْبِرَ ، ولن يصحب هذه الصّفةَ أحدٌ إلا صَحِبَ الندامة ، واعتزل السلامة . » ( زمر الآداب ٣ : ١٩٧ )

## ٨ - وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« آمرك بمجاهدة هواك ، فإنه يقال : إن الهوى مفتاح السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها<sup>(٢)</sup> هوى يكتنك في نفسه ، وأعداها هوى يثقل لك الإثم في صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهنٌ ، وصديق لا يطمع فيه تكذيبٌ ، ومضاه لا يقاربه التثبُّط<sup>(٣)</sup> ، وصبر لا يغتاله جزعٌ ، ونية لا يتقسمها التضييع »

( زمر الآداب ٣ : ١٢٩ )

[١] الدالة : ما تدلّ به على حيك .

[٢] أى وأعدّها . [٣] التوقف والإبطاء .

## ٩ - عظة لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :

« إني لأعظكم ، وإني لكثير الذنوب مُسْرِفٌ على نفسي ، غيرُ حامد لها ، ولا حاملها على المكروه في طاعة الله عز وجل ، قد بَلَوْتُهَا فلم أجِد لها شكرًا في الرِّخاء ، ولا صَبْرًا على التَّوَلَّى ، ولو أن المرءَ لَا يَعِظُ أخاه حتى يُنَحِّمَ أمرَ نفسه ، لَتَرِكَ الأمرُ بِالْخَيْرِ والنهي عن النكر ، ولكن محادثة الإخوان حياةٌ للقلوب ، وجلاءٌ للنفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحران ، وإقبالها إدبار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبلٍ يوما لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، ومُتَنَطِّلٍ غدًا لَا يَبْلُغُهُ ، ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأملَ وَغُرُورَهُ . »

(الأمالي ٢ : ٥٧)

## ١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وحذّر بعض الحكماء صديقًا له صَحْبُهُ رجل فقال :

« احذّر فلانًا ، فإنه كثير المسألة ، حَسَنَ البحث ، لطيفُ الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أَخَرْتَ بما قدمت ، فلا تُظْهِرَنَّ له المخافة ، فيرى أنك قد تَحَرَّزْتَ ، واعلم أن من يَقْطَعُ الْفِطْنَةَ إظهارَ التَّنْفَلَةِ مع شدة الحذر ، فبأنه مبائة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يُظْهِرُ الْخَفِيَ الْبَاطِنَ ، وَيَبْدِي الْمُسْتَكْنَى الْكَامِنَ . » (زمر الآداب ٣ : ١٦٤)

## ١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : قال بعض الحكماء :

« من كَانَتْ فِيهِ سَبْعُ خِصَالٍ لم يَمُدِّمْ سِيبًا : من كَانَ جَوَادًا لم يَعمِدِ الشرف



ومن كان ذا وفاء لم يعدم المِقة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رِاية للحقوق لم يعدم الشؤدد ، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة .

(الأمال ٢ : ٢٩)

وقيل لبعض الحكماء : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخلق الأبدان ، ويُحدّد الآمال ، ويُقرّب الآجال ، قيل له : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به نصيب ، ومن فاته حزن ، قيل : فأى الأصحاب أبر ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضر ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : فقيم المخرج ، قال : فى قطع الراحة وبذل الجهود .

(الأمال ٢ : ٥٩)

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :  
« الحسد ما حَقَّ الحَسَنَات ، وَالزُّهْوَ جَالِبٌ لِمَقْتِ اللَّهِ وَمَقْتِ الصَّالِحِينَ ،  
وَالْعُجْبُ صَارِفٌ عَنِ الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ ، دَاعٍ إِلَى التَّخَمُّطِ <sup>(١)</sup> وَالْجَهْلِ ، وَالْبَخْلُ  
أَذَمُّ الْأَخْلَاقِ ، وَأَجَلِبُهَا لِسُوءِ الْأَحْدُوثَةِ » .

(الأمال ١ : ٢٠٠)

وقال : قال بعض العرب :

« أَوْلَى النَّاسِ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ بِفَضْلِهِ ، وَأَعْوَنُ الْأَشْيَاءِ عَلَى تَذَكِّيَةِ الْعَقْلِ

التَّعَلُّمُ ، وَأَدْلُ الْأَشْيَاءِ عَلَى عَقْلِ الْعَاقِلِ حَسَنُ التَّنْذِيرِ » .

(الأمال ١ : ٢١٧)

وقال الأصمى : العرب تقول :

« لَا تَنَاءَ مَعَ الْكَبِيرِ ، وَلَا صَدِيقَ لَدَى الْحَسَدِ ، وَلَا شَرَفَ لِسَيِّئِ الْأَدَبِ .

قال : وكان يقال : « شَرُّ خِصَالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنُ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى

(الأمال ١ : ٢٠١)

الضعفاء ، وَالْبَخْلُ عِنْدَ الْإِعْطَاءِ » .

وقال أبو علي القالى : وأمل علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاياها :  
« جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوموك ، وإن أخطأت  
لم يُفتدوك <sup>(١)</sup> ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك ، ولا تجالس أهل  
الجهل ، فإنك إن جهلت عتفوك ، وإن زللت لم يقوموك ، وإن أخطأت لم  
يثبتوك » . (الأمال ٢ : ٧٢)

### ١٢ - رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته قال : أى عشيرتك أفضل ؟  
قال : أتنقاهم لله ، بالرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟  
قال : أرزئهم حِلما حين يُستجهل ، وأسخام حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟  
قال : من كتم سرّه ممن أحب ، خافة أن يُشاره يوما ، قال : فأيهم أكيس ؟  
قال : من يُصلح ماله ويقتصد فى معيشته ، قال : فأيهم أرفق ، قال : من يعطى  
بشر وجهه أصدقاؤه ، ويلطف فى مسأله ، ويتعاهد حقوق إخوانه ، فى إجابة  
دعواتهم ، وعبادة مَرْضاهم ، والتسليم عليهم ، والمشى مع جنائزهم ، والنصح لهم  
بالغييب ، قال : فأيهم أفطن ؟ قال : من عَرَف ما يوافق الرجال من الحديث  
حين يحالسه ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت حارِضته <sup>(٢)</sup> فى اليقين ،  
وحَزَم فى التوكل ، ومنع جاره من الظلم . (مع الأمثال ٢ : ١٧٨)

### ١٣ - أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد وافد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت  
الناس ؟ قال :

[١] فنده : ضف رأيه وخطاه . [٢] المارضة : الجلد والصرامة والسن .

« تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم مخبوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً » ، فقال : « الحمد لله ، لولم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بمضو من أعضائي ، لكان يسيراً » . ( الأمل ٢ : ٢٩ )

## ١٤ — كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له :

« لا يَضَعْنِي عِنْدَكَ مُحَوَّلُ النَّبْوةِ ، وَزَوَالُ الثَّرْوَةِ ، فَإِنَّ السَّيْفَ الْعَتِيقَ إِذَا مَسَّهُ كَثِيرُ الصَّدَأِ اسْتَفْنَى بِقَلِيلِ الْجَلَاءِ ، حَتَّى يَمُودَ حَدُّهُ ، وَيُظْهَرَ فَرِيدُهُ ، وَلَمْ أَصِفْ نَفْسِي مُحِبًّا ، لَكِنْ شُكْرًا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا نَفَرٍ » . فَجَهَرَ بِالشُّكْرِ ، وَتَرَكَ الاسْتِطَالََةَ بِالْكِبَرِ » . ( زهر الآداب ٣ : ٩١ )

## ١٥ — وصف الهلباجة

من أمثال العرب : « أعجز من هِلْبَاجَةٍ » وهو التَّثْوِمُ الكِسْلَانُ الْعُطْلُ<sup>(١)</sup> الجاني ، وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصّحين ، وفصل آخر لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كبشة بن الْقَبْعَرَسِي عَنْهُ فَقَالَ : « الْهَلْبَاجَةُ : الضَّعِيفُ الْعَاجِزُ ، الْأَخْرَقُ الْأَحْمَقُ ، الْجَلْفُ<sup>(٢)</sup> الْكِسْلَانُ ، السَّاقِطُ لَا مَعْنَى فِيهِ ، وَلَا غَنَاءَ<sup>(٣)</sup> عِنْدَهُ ، وَلَا كِفَايَةَ مَعَهُ ، وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ » .

[١] عطل كفتح : عظم بدنه ، ومن المال والأدب : خلا فهو عطل كقفل وعنى

[٢] الجاني . [٣] لا غناء : لا كفاية .

وأما وصف الحضري فإن بعض بُلغَاء الأماص استل عن الهلباجة فقال :

« هو الذي لَا يَرَعَوِي لِمَذَلِّ العاذل ، وَلَا يُعْصِي إِلَى وَعْظِ الواعظ ، ينظر  
 بين حُسُود ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ حَقُود ، إِنْ سَأَلَ الْخَفَّ (١) ، وَإِنْ سُئِلَ سَوَفَ ،  
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِنْ زَجَرَ عَتَفَ ، وَإِنْ قَدَّرَ عَسَفَ (٢) ،  
 وَإِنْ احْتَمَلَ أَسَفَ (٣) ، وَإِنْ اسْتَفْنَى بَطَرَ ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنَطَ ، وَإِنْ فَرِحَ أَثِيرَ (٤) ،  
 وَإِنْ حَزَنَ يئِسَ ، وَإِنْ ضَحِكَ زَارَ ، وَإِنْ بَكَى جَارَ (٥) ، وَإِنْ حَكَمَ جَارَ ، وَإِنْ  
 قَدَّمْتَهُ تَأَخَّرَ ، وَإِنْ أَخَّرْتَهُ تَقَدَّمَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مِنْ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ لَمْ  
 يَشْكُرْكَ ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ ، وَإِنْ أَسَرَّ إِلَيْكَ اتَّهَمَكَ ، وَإِنْ صَارَ فَوْقَكَ  
 قَهَرَكَ ، وَإِنْ صَارَ دُونَكَ حَسَدَكَ ، وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ خَانَكَ ، وَإِنْ انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ  
 شَانَكَ ، وَإِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهُ الصَّدِيقُ سَلَاةً ، وَإِنْ حَقَّرَهُ  
 قَلَاةً (٦) ، وَإِنْ فَاتَمَّتْهُ لَمْ يُجِبْهُ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ لَمْ يَنْدَاهُ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالوَدِّ هَجَرَ ،  
 وَإِنْ بَدَأَ بِالْبَرِّ جَفَا ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فَضَحَهُ الْبَيُّ ، وَإِنْ عَمِلَ قَصَّرَ بِهِ الْجَهْلُ ، وَإِنْ  
 أَوْثَمِينَ غَدَرَ ، وَإِنْ أَجَارَ أَخْفَرَ (٧) ، وَإِنْ عَاهَدَ نَكَثَ ، وَإِنْ حَلَفَ حَنَثَ ،  
 لَا يَصْدُرُ عَنْهُ الْآمِلُ إِلَّا بِخَيِّبَةٍ ، وَلَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ حُرٌّ إِلَّا بِمِخْنَةٍ . »

قال خلف الأحمر : سألت أعرابياً عن الهلباجة ، فقال : « هو الأحمق

الضخيم القدم (٨) الأَكُولُ الذي والذي ... ثم جعل يلتقاني بعد ذلك ، ويزيد

[١] الخ . [٢] ظلم . [٣] من أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، أى لم يستطع  
 النهوض بما حمل . [٤] أمر : مرجح . [٥] صاح واستنكث . [٦] أبغضه وكرهه فأبى الكرامة .  
 [٧] أخفزه وخف به : قضى مهده وغديره . [٨] القدم : الي من الكلام إلى مهل وورخلوة ،  
 وقلة فهم ، والفلظ : الأحمق الجاني .

في التفسير كل مرة شيئاً، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شرّ .  
(جمع الأمثال ١ : ٢٢٦)

## ١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إنه بَسِيطٌ <sup>(١)</sup> الكف ، رَحْبُ الصدر ، مُوَطَّأُ الأَكناف ، سَهْلُ الخلق ، كَرِيمُ الطَّبَاع ، غَيْثُ مَمَوْتٍ <sup>(٢)</sup> ، وَبَحْرُ زُخُور ، صَحُوكُ السِّن ، بِشِيرُ الوَجْه ، بَادِي القَبُول <sup>(٣)</sup> غير عبوس ، يَسْتَقْبِلُكَ بِطَلَاةٍ ، وَيُحْيِيكَ بِبِشْرٍ ، وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ غَيْثٍ ، وَجَمِيلُ بَشَرٍ ، تُبْهِجُكَ طَلَاقَتُهُ ، وَيَرْضِيكَ بِشَرُهُ ، ضَمَّاكُ عَلَى مَائِدَتِهِ ، عَبْدٌ لَضَيْفَانِهِ ، غَيْرُ مَلَا حِظٍ لِأَكِيلِهِ ، بَاطِنٌ <sup>(٤)</sup> مِنَ الْعَقْلِ ، خَمِيسٌ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْجَهْلِ ، رَاجِحُ الْحِلْمِ ، ثَاقِبُ الرَّأْيِ ، طَيِّبُ الْخَلْقِ ، مُحَصِّنُ الضَّرِيَّةِ <sup>(٦)</sup> ، مِعْطَا غَيْرِ سَأَلٍ ، كَأْسٍ <sup>(٧)</sup> مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، عَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَأَمَةٍ ، إِنْ سئِلَ بِذَلِكَ وَإِنْ قَالَ فَعَلَ » .  
(زهر الآداب ٢ : ٢٠٠)

## ١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمسُ جَوَارٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقُلْنَ : هَلُمَّنْ نَصِيفَ خَيْلِ آبَائِنَا .  
فَقَالَتِ الْأُولَى :

« فَرَسُ أَبِي وَرْدَةَ ، وَمَا وَرَدَ ؟ ذَاتُ كَفَلٍ مَزُحَلَقٍ ، وَمَنْ أَخْلَقَ ،

[١] أى ميسوط الكف سخى . [٢] غوث تقريباً : قال واغوثاً .

[٣] القبول بالفتح وقد يضم : الحسن . [٤] أى ممتلئ وأصله : عظيم البطن .

[٥] خميس : خل ، وأصله : الجائع . [٦] الضريبة : الطبيعة ، ومحسن : عفا .

[٧] أى مكسو .

وَجَوْفٌ أَخْوَقٌ <sup>(١)</sup> ، وَنَفْسٌ مَرُوحٌ ، وَعَيْنٌ طَرُوحٌ ، وَرِجْلٌ ضَرُوحٌ ، وَيَدٌ سَبُوحٌ <sup>(٢)</sup> ، بُدَاهَتُهَا إِهْدَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ <sup>(٣)</sup> .

وقالت الثانية :

« فرسُ أبي اللَّعَابِ ، وما اللَّعَابُ ؟ غَيَّةُ سَحَابٍ ، واضطرامُّ غَلَبٍ ، مُتَرَمِّصٌ الْأَوْصَالِ ، أَشْمُ الْقَدَالِ ، مُلَاَحَكُ الْمَحَالِ <sup>(٤)</sup> ، فَارِسُهُ مُجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَنِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ قَطْبِي مَعَاجٍ ، وَإِنْ أَدْبَرَ قَطْلِيمُ هَدَاجٍ ، وَإِنْ أَخْضَرَ فَعِلْجٌ هَرَاَجٍ <sup>(٥)</sup> . »

وقالت الثالثة :

« فرسُ أبي خُذَمَةٍ ، وما خُذَمَةٌ ؟ إِنْ أَقْبَلْتُ فَقَتَانَةٌ مُقَوِّمَةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرْتُ فَأُفْئِيَّةٌ مُلْمَلَةٌ ، وَإِنْ أَعْرَصْتَ فَذَنْبَةٌ مُعْجِرِمَةٌ <sup>(٦)</sup> ، أُرْسَاغُهَا مُتَرَصَّةٌ ، وَفُصُوصُهَا مُمَحَّصَةٌ ، جَرَيْنُهَا انْتِرَارٌ ، وَتَقَرِيرُهَا انكِدَارٌ <sup>(٧)</sup> . »

[١] الزحلق : الملس الذي كأنه زحلوقة ( بالضم ) وهي آكلو ترنج الصيالك من فوق إلى أسفل ، والأخلق : الأملس ، وأخوق : واسع . [٢] مروح : كثيرة للريح ، طروح بيده موقع النظر ، ضروح : دفوع ، يريد أنها تفرح المحاربة برجليها إذا عدت ، سبوح : كأنها تسبح في عدوها من سرعتها . [٣] بداهتها : جاءتها ، والبداهة والبديهة واحد ، والإهداب : الرمة ، والعقب : جرى بعد جرى ، وغلاب مصدر ، فالبتة مقابلة وغلابا ، كأنها تنال الجري .

[٤] الفية : الدصة من المطر ، والغاب جمع حابة وهي الأجرة ، مترص : يحكم ، أترصت الشيء : أحكته أهم : مرتفع ، القنال : مفعد العنابر ( والندار من الجمال ككتاب : ماسال على خد الفرس ) ، ملاحك مداخل ( بفتح الحاء ) كأنه يدخل مضه في سنى ، والمحال جمع محالة : وهي قنار الظفر ( كسحاب جمع قنارة ) وذكر الأصمعي أنه رأى قنار فرس ميت ، فإذا ثلاث قنر من عظم واحد ، وكذا تكون الرقاب فيما ذكروا . [٥] مجيد : صاحب جواد ، عتيد : حاضر ، معج في سبده ومعج : إذا أسرع ، والمهذج كشمس : للمنى الزويد ويكون السريع ، والبلج : حمار الوحش السمين القوي ، وهرج الفرس كضرب : إذا كان كثير الجري . [٦] خذمة : فلاة من الحظم وهو السرعة أو القطع ، فضاء مقومة تريد أنها دقيقة للقدم ، وهو مدح في الإثبات ، والأفنية : المجر توضع عليه الصدر ، مللمة : مجتمعة ، تريد أنها مدورة للؤخر ، لأن الألفي تختار مدورة ، معجربة بكسر الراء اسم قائل من المعجربة ، وهي لإسراع في مقابلة خطو . قال الشاعر :

أَمَا إِذَا يَطْلُو قُطْلِبُ جَرِيَةٍ أَوْ ذُئِبُ عَلَدِيَةِ يَعْجِرِمَةٍ

وقال ناقة معجربة بفتح الراء : أرى شديدة . [٧] بمحصة : قلية اللحم قلية الشعر ، محس الجلد

وقالت الرابعة :

« فرسُ أبى خَيْفَق ، وما خَيْفَق ؟ ذاتُ ناهِقٍ مُعْرَق ، وَشِدْقُ أَشْدَق ،  
وأديمٌ مُمَلَّقٌ <sup>(١)</sup> ، لها خَلْقٌ أَشْدَف ، وَدَسِيعٌ مُنْفَتَف ، وَتَلِيلٌ مُسَيَّف <sup>(٢)</sup> ،  
وَنَابَةٌ زُلُوج ، خَيْفَانَةٌ رَهْوَج ، تَقْرِيبُهَا إِمْهَاج ، وَخُضْرُهَا ارْتِمَاج <sup>(٣)</sup> . »

وقالت الخامسة :

« فرسُ أبى هُذُلُول ، وما هُذُلُول ؟ طَرِيدُهُ مَحْبُول ، وَطَالِبُهُ مَشْكُول ،  
رَقِيقُ الْمَلَاغِم ، أَمِينُ الْمَعَاقِم <sup>(٤)</sup> ، عَبَلُ الْمَخْرَم ، مَحْدٌ مَرَجَم <sup>(٥)</sup> ، مُنِيفُ الْحَارِك ،  
أَشْمُ السَّنَابِك ، مَجْدُولُ الْخَصَائِل ، سَبْطُ الْفَلَائِل <sup>(٦)</sup> ، غَوْجُ التَّلِيل ، صَاصَالُ  
الصَّهِيل ، أَدِيمُهُ صَافٍ ، وَسَبْيُهُ صَافٍ <sup>(٧)</sup> ، وَعَفْوُهُ كَافٍ . » (الأمالي ١ : ١٩٠)

كفرح ، إذا سقط شعره واملأه ، انثرار : انصباب ، كأنه يثرثر ، والقريب : ضرب من العدو  
أو أن يرفع يديه مماً ويشبعها مماً ، وانكدر : أسرع وانقض ، وانكدر عليه القوم : انصبوا .

[١] خَيْفَق : فيل من الخفق كشمس : وهو السرعة ، الناهقان : العظمان الشاحسان في خدى الفرس  
مروق : قليل اللحم ، أشدق : واسع الشدق ، مملق : مملس . [٢] الأشدق : العظيم الشخص ،  
والشدق محركة : الشخص ، الدسيع . مفرز النق في الكاهل ، منفن : واسع ، من التنف كجف :  
وهو الهواء بين السماء والأرض ، التليل : المنق ، مسيف : كأنه سيف .

[٣] زُلُوج : سريعة ، الزليج والزليان بالتحريك : السرعة ، الخيفانة : الجراة التي فيها نقط سود  
تخالط سائر لونها ، وإمهاقيل للفرس : خيفانة لرعيتها لأن الجراة إذا ظهر فيها تلك النقط كان أسرع  
لطيرانها ، رهوج : كثيرة الزهج ، ( والزهج بالتحريك : الغبار ) أمهج الفرس إمهاجاً : إذا اجتهد في  
عدوه ، والمخر : ارتفاع الفرس في عدوه ، الارتماج : كثرة البرق وتنابه .

[٤] محبول : في حباله ، مشكول : موثق في شكل ( الشكل ككتاب : الجبل تمتد به قوائم الدابة )  
الملاغم من الإنسان : ماحول القم ، أرادت هاهنا الجحافل ( والجحافل جمع جفلة بمزة النقة للغيل  
والغال والخير ) والمعاقم : الفاصل . [٥] عبل : غليظ ، والمخرم موضع الحزام ، مخرم : يخرم الأرض  
أى يجعل فيها أعنيد ( والأعنيد : الشقوق جمع أخدود ) ، مخرم : يرمم المخرم بالحجر ، أو يرمم  
الأرض بموافره . [٦] منيف : مرتفع ، والحارك : منبت أدنى العرف إلى الظهر الذى يأخذ به من  
يركبه ، والسنايك : أطراف الحوافر جمع سنايك كمنفذ ، مجدول : مقتول ، الحصائل جمع خييلة : وهى  
كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مجنمة ، الفليل : الشعر المجتمع ، ويقال للقطعة من الشعر : الفليلة ،  
سبط : مسترسل . [٧] الفوج : اللين المطف ، والصلصلة صوت الحديد ، وكل صوت حاد ،  
والسبيب : شعر الناصية ، صاف : سائب .

## ١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جذب فقال :

«نَشَأَ حَمَلًا<sup>(١)</sup> سُدًّا مُتَقَاذِفَ الْأَحْضَانِ ، مُخْمَوِيَّ الْأَرْكَانِ ، لَمَّاعِ الْأَقْرَابِ ،  
مُكْفَهِّرِ الرَّبَابِ ، تَحْنِ رُعودُهُ حَيْنَ اضْطِرَابِ ، وَتُرْجِمُ زَجْرَةَ اللَّيْثِ الْغَضَابِ ،  
لِبَوَارِقِهِ النَّهَابِ ، وَلِرَوَاعِدِهِ اضْطِرَابِ ، فَجَاحَفَتْ<sup>(٢)</sup> صَدُورُهُ الشَّعَافَ ، وَرَكِبَتْ  
أَحْجَازُهُ الْغِيفَافَ ، ثُمَّ أَلْقَى أَعْبَاءَهُ ، وَحَطَّ أَثْقَالَهُ ، فَتَأَلَّقَى وَأَصْعَقَ<sup>(٣)</sup> ، وَانْبَجَسَ  
وَانْبَعَثَ ، ثُمَّ انْجَمَّ فَانْطَلَقَ ، فَنَادَرَ النَّهَاءَ<sup>(٤)</sup> مُتْرَعَةً ، وَالنَّيْطَانَ مُمْرِعَةً ، حَبَاءَ  
الْبِلَادِ ، وَرِزْقًا لِلْمِبَادِ . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٠)



[١] الجبل : السحاب الكثير للماء ، والد : القى قد سدّ الألقى ، احموى : اسودّ ، والأقرباب جمع قرب كقفل وعنق وهو الحاصرة ، والزباب : السحاب الأبيض . [٢] جاحفه : زاحه ودأه ، والشعاف جمع شفة كربة : وهي رأس الجبل ، والغفاف جمع تقّ بالضم وهو ماعظ من الأرض وارتفع لم يبلغ أن يكون جبلا . [٣] صغتهم السهاء وأصغتهم : ألقت عليهم صاعقة ، وانجس : اغبر بالماء وانبعث السحاب : انبعج بالطر وانبعج ، والانباق : أن يندفع عليك الشيء فجأة وأنت لا تشع ، وانجمت السهاء : أسرع مطرها . [٤] النهاء جمع نهى بالكسر والفتح : الندير ، ومترعة : مملوءة ، والنيطان جمع فائط : وهو للطنن الواسع من الأرض ، ممرعة : مخضبة ، حباء : حطاء .



## الباب الثالث

في

### نثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية

١ - مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« إني مُكَلِّمُكَ يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بعض الغِلْظَةِ ، فاحْتِمِلْهُ إِنْ كَرِهْتَهُ ، فَإِنْ وَرَأَاهُ مَا تُحِبُّهُ إِنْ قَبِلْتَهُ » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نجود بِسَعَةِ الاحْتِمَالِ على من لا نرجو نُصْحَهُ ، ولا نأمنُ غِشَّهُ ، وأرجو أن تكون الناصحَ جَيِّبًا ، المأمونَ غَيِّبًا ، قال : « يا أمير المؤمنين أما إذ أمنتَ بِإِدْرَةِ غضبك ، فأني سأُطْلِقُ لسانِي بما خَرِسَتْ عنه الألسُنُ من عِظَتِكَ ، تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَمَامَتِكَ . إنه قد اكْتَنَفَكَ رجالٌ أَسَاءُوا الاختيارَ لأنفسهم ، فابتاعوا دنياءَ بدينهم ، ورضاكَ بِسُخْطِ رَبِّهِمْ ، خَافُوكَ في اللَّهِ ، ولم يخافوا اللَّهَ فيكَ ، فهم حربٌ لِلْآخِرَةِ ، سَلِمَ لِلدُّنْيَا ، فلا تأمَنُهم على ما أئتمنكَ اللَّهُ عليه ، فإنهم

لا يألونك<sup>(١)</sup> خَبَالًا ، والأمانة تضييعًا ، والأمة عسفًا وخسفًا<sup>(٢)</sup> ، وأنت مسئول عما اجترحو<sup>(٣)</sup> ، وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقة يوم القيامة ، وأعظمهم غبنًا من باع آخرته بدنيا غيره » قال سليمان : « أما أنت يا أعرابي ، فقد سَلَّتْ لسانك ، وهو أقطع سيفيك » ، فقال : « أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك » .

( صون الأخبار ٢ : ص ٣٣٧ ، والقدر الفريد ١ : ٣٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، وزهر الآداب ١ : ٢٧٧ )

## ٢ - أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك

ودخل أعرابي على هشام بن عبد الملك ، فقال له : عِظْنِي يا أعرابي ، فقال : « كُنْ بِالْقُرْآنِ واعظًا ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : « وَيَلُكُ لِلْمُطَفِّفِينَ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يُطَفِّفُ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلُّهُ<sup>(٢)</sup> ؟ » .

( القدر الفريد ٢ : ٨٤ )

## ٣ - خطبة أعرابي<sup>(١)</sup>

وَوَلَّى جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ<sup>(٢)</sup> أَعْرَابِيًّا بَعْضَ مِيَاهِهِمْ<sup>(٣)</sup> ، فخطبهم يوم الجمعة فقال :

[١] ألا يَأُو : قصر وأبطأ ، والجهال : الساذج . [٢] السف : الظلم ، والحسف : اذل .

[٣] اكسبوا ، وفي رواية : « اجترموا » .

[٤] طلف : نفس الكيال . [٥] وروى صاحب القدر أيضاً هذه العظة ( ج ١ ص ٣٠٦ )

وذكر أنها لابن السباك وعط بها الرشيد .

[٦] قدمنا في الجزء الثاني ص ٤٦٣ أن هذه الخطبة متنازع فيها ، فهي تروى تارة إلى الإمام علي كرم الله وجهه ، وأخرى إلى سحبان وائل ، وثالثة إلى أعرابي . [٧] هو ابن عم أبي جعفر المنصور ، وكان والياً له على المدينة سنة ١٤٦ - ١٥٠ هـ . [٨] في مجمع الأمثال : « من الأصمى قال : حدثني شيخ من أهل العلم قال : شهدت الجمعة بالقرية « غرة كفتية » : قرية بين البصرة ومكة »

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد : فإن الدنيا دارٌ بلاغ <sup>(١)</sup> ، والآخرة دار قرار ، نخذوا لِمَقَرِّكُمْ من تمرِّكم ، ولا تَهْتِكُوا أَسْطَارَكُمْ عند من لا تَخْفَى عليه أسراركم ، وأُخْرِجُوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حَيَاتُكُمْ ، ولنغيرها خُلُقَتُمْ ، اليوم عملٌ بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ، إن الرجل إذا هَلَكَ ، قال الناس ماترك ؟ وقالت الملائكة : ما قَدَّم ؟ فله آباؤكم ! قَدَّمُوا بعضاً ، يكون لكم قَرَضاً ، ولا تَخْلُفُوا كُلاً ، يكون عليكم كُلاً <sup>(٢)</sup> ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ، والحمد لله ، والمصلّى عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر بن سليمان ، قوموا إلى صلاتكم » .

( الأمل ١ : ٢٤٨ ، والقدر الفريد ٢ : ١٦٤ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢٨ ،

ومجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، وعبود الأخبار ٢ : ص ٢٥٣ وزهر الآداب ٢ : ٤ )

## ٤ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد . أما بعد : فإن التعمق فى ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يَنْتَبِى حتى يُنْتَبِى عنه ، والله تبارك وتعالى لا يُدْرِكُ وِصْفُ كُنْه صِفَتِهِ ، ولا يَبْلُغُ خَطِيبٌ مُنْتَهَى مِذْحَتِهِ ، له الحمد كما مدح نفسه ، فانهمضوا إلى صلاتكم » ثم نزل فصلّى . ( القدر الفريد ٢ : ١٦٤ )

---

وأبهرها رجل من الأعراب ، فخرج وخطب ، ولفّ ثيابه على رأسه ، ويده قوس فقال . . . . . وأورد هذه الخطبة « ، وفى الكامل للبهرد : « قال الأصمى فيما بلّغنى خطبنا أعرابي بالبادية حمد الله . . . » .

[١] وفى رواية البهائى ، وعبود الأخبار « بلاد » وفى رواية القدر « دار مرّ والآخرة دار مقرّ »

[٢] الكل : القتل .

## ٥ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء ، ما أتبع بمثل  
أن ينهى عن أمرٍ ويرتكبه ، ويأمر بشيءٍ ويحتنبه ، وقد قال الأول :  
وَدَعَّ مَا لُمْتُ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذَمُّ أَنْ يُلُومَكَ مَنْ تُلُومُ  
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلَ بِرِضَاهُ . » ( القند المفيد ٢ : ١٦٤ )

## ٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أباؤُ بن تغلب - وكان عابداً من عبَاد أهل البصرة توفى سنة ١٤١ هـ -  
شهدتُ أعرابية وهي تُوصي ولدًا لها يريد سفرًا وهي تقول له :  
« أَيْ مُبْنَى اجْلِسْ أَمْتَحُكَ وَصِيَّتِي ، وَاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنْ الرِّسِيَّةُ أَجْدَى<sup>(١)</sup>  
عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيْ مُبْنَى : إِيَّاكَ وَالنِّمَّةَ فَإِنَّهَا تَرْوِعُ الضَّمِنَةَ ، وَتَفَرِّقُ  
بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَتُخَذَّ غَرَضًا<sup>(٢)</sup> ، وَخَلِيقُ أَنْ لَا يَثْبُتَ  
الْعَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ، وَقَلَمَا اعْتَوَرْتُ<sup>(٣)</sup> السَّهَامَ غَرَضًا إِلَّا كَلَّمْتَهُ<sup>(٤)</sup> حَتَّى  
يَهَيَّ<sup>(٥)</sup> مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالْبُخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَزَزْتَ  
فَاهْزُزْ كَرِيمًا يَلِينُ لَهْزَتِكَ ، وَلَا تَهْزُزْ اللَّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمَثَلُ  
لِنَفْسِكَ مِثَالٌ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَافْعَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ  
فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنْ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ  
مَنْهُ فَعَلُهُ ، كَانَ صَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا » ثُمَّ أَمْسَكَتْ ، فَدَنَوْتُ

[١] أُنْفَع [٢] هَذَا . [٣] تَمَادُوت . [٤] جَرَحَتْ وَطَحَتْ .

منها ، فقلت : بالله يا أعراية ، <sup>١</sup> إلاً زِدْتِه في الوصية ، فقالت : أو قد أعجبك كلام العرب يا عراقى ؟ قلت : نعم ، قالت : والغدرُ أقيح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسَّخَاءَ فقد أجاد الحِلَّةَ <sup>(١)</sup> : رِيْطَتَهَا وَمِرْبَالَهَا .

( الأمل ٢ : ٨١ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٥ ، وبلغات النساء ص ٥٧ ، والبيان والبيان ٣ : ٢٢١ )

## ٧ - أعراية توصى ابنها

وقالت أعراية لابنها :

« يَا بُنَيَّ ، إن سؤَالَكَ النَّاسَ ما في أيديهم من أشدَّ الافتقار إليهم ، ومن افتقرت إليه هُنْتَ عليه ، ولا تزال تُحَفِّظُ وتُكْرِمُ ، حتى تَسْأَلَ وتَرْغِبُ ، فإذا أَلَحَّتْ عليك الحاجةُ ، ولزِمَكَ سوءُ الحال ، فاجعل سؤَالَكَ إلى من إليه حاجةُ السائل والمسئول ، فإنه يُعْطَى السائل » . ( المقد الفريد ٢ : ٨٥ )

## ٨ - أعراي يوصى ابنه

ووصى أعراي ابنه فقال :

« ابْدُلْ المودَّةَ الصادقةَ تَسْتَفِذْ إِخْوَانًا ، وتَتَخَذْ أَعْوَانًا ، فإن العداوةَ موجودةٌ عَتِيدَةٌ ، والصدقةُ مُسْتَعْرَزةٌ <sup>(٢)</sup> بعيدة ، جنبْ كرامَتَكَ اللثام ، فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا ، وإن نزلت شديدة لم يصبرُوا » . ( الأمل ١ : ٢٠١ )

## ٩ - أعراي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرايًّا يقول لابنه :

« لَا يَغْمُرُكَ ما ترى من خَفَضِ العيش ، وَلَيْنَ الرِّيش <sup>(٣)</sup> ، ولكن فانظر

إلى سوء الظَّنِّ ، وسوء المُتَقَلِّبِ » . ( الأمل ٢ : ٥٩ )

[١] الحلة لا تكون إلا من ثوبين لازل ورداء ، والريطة : اللادة كلها نسج واحد ونقطة واحدة ، والربال : الفيس . [٢] مستعزة : متعبة شديدة : [٣] المصب والعاش .

## ١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وقال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كن للعاقل المذبر أرجى منك للأحمق المقبل » ، ثم أنشد :

عَدُوُّكَ ذُو الْحِلْمِ أَتَى عَلَيْكَ وَأَرْغَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ<sup>(١)</sup>

( ذيل الأمالي ص ٢٤ )

## ١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، فقال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، مَنْ طالع لك ما وراء العواقب  
برؤيته ونظره ، وَتَمَثَّلَ لك الأحوال الْمُخَوِّفَةُ عليك ، وَخَلَطَ الْوَعْرَ بِالسَّهْلِ مِنْ  
كَلَامِهِ وَمَشُورَتِهِ ، لِيَكُونَ خَوْفُكَ كِفَاءً<sup>(٢)</sup> وَجَائِثُكَ ، وَشَكَرُكَ إِزَاءَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ،  
وَأَنْ النَّاشِءَ لك ، وَالْحَاطِبَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ ، مَنْ مَدَّ لك فِي الْإِغْتِرَارِ ، وَوَطَّأَ لك بِهَاكُ<sup>(٤)</sup>  
الظُّلْمِ ، تَابِعًا لِمَرْضَاتِكَ ، مُنْقَادًا لِهَوَاكَ » . ( الأمالي ١ : ١٩٨ )

## ١٢ - أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه له أفسد ماله في الشُّرَابِ ، فقال :

« لَا الدَّهْرُ يَنْظُكُ ، وَلَا الْيَوْمُ تُنْذِرُكَ ، وَلَا الشَّيْبُ يَزْجُرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ  
تَحْصِي عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، وَالنَّيَا تُقَادُ إِلَيْكَ ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ،  
أَعْوَدُهَا بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ » .

( القند الفريد ٢ : ٨٥ ، والأمالي ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٣ : ١١٥ )

[١] الوامق : الحب . [٢] مكاتأ .

[٣] الحاطب : الحاد . [٤] الهاد : الفرائض .

### ١٣ - أعرابي يعظ صاحبه

وقال أعرابي لصاحبه :

« والله لئن مَمَلَجْتَ <sup>(١)</sup> إلى الباطل ، إنك لَقَطُوفٌ <sup>(٢)</sup> عن الحق ، وإنَّ أبطأتَ لَيُسْرَعَنَّ بك ، وقد خسرَ أقوامٌ وهم يظنون أنهم رابحون ، فلا تنفرك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك » . (البيان والبيان ٢ : ١٥٨ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٦)

### ١٤ - أعرابي يعظ أخاه

وقال أعرابي لأخيه :

« يا أخى : أنت طالب ومطلوب ، يَطْلُبُكَ ما لا تَقْوُوه ، وتطلب ما قد كُفِيَته ، فكانَ ما غاب عنك ، قد كُشِفَ لك ، وما أنت فيه قد نُقِلَتْ عنه ، فامهِّد <sup>(٣)</sup> لنفسك ، وأعدْ ذلك ، وخذ في جَهَازِكَ » . (المقد الفريد ٢ : ٨٤)

### ١٥ - أعرابي يعظ رجلاً

وقال أعرابي لرجل :

« أى أخى : إنَّ يَسَارَ النفسِ أفضلُ من يسار المال ، فإن لم تُرزقْ غِنًى فلا تُحَرِّمْ تقوى ، فَرُبَّ شَبْعَانٍ من النعم ، عُزَيَّانٍ من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خيرٍ : رُحِبَ به الأرض ، وتستبشِّر به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه في بطنها وقد أَحْسَنَ على ظهرها » . (المقد الفريد ٢ : ٨٥)

[١] من هلع البرذون : مئى مشية سهلة في سرعة .

[٢] من قطفت الهابة كنصر وضرب : ضاق مشياً ، فهي قطوف .

[٣] أى مهد وأعد .

## ١٦ - أعرابي يعظ رجلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يعظ رجلاً وهو يقول :

« وَيَحْكُ ١ إِنْ فَلَانَا وَإِنْ ضَحِكَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَ  
الشفقة عليك ، إِنْ عَقَّارِبُهُ لَتَسْرِي إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا  
تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَّتِكَ » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٤)

## ١٧ - أعرابي يعظ رجلا

وسمع أعرابي رجلاً يقع في السلطان ، فقال :

« إِنَّكَ غُفْلٌ لَمْ تَسْمَعْ التَّجَارِبُ ، وَفِي النَّصِيحِ لَسَعُ الْمَقَارِبِ ، كَأَنِّي  
بِالضَّاحِكِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ بَاكِ عَلَيْكَ » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٤)

## ١٨ - كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابنَ عمِّ له ، فأشار عليه برأى ، فقال :

« قَدْ قَاتَ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ خُلُوكَ كَلَامِهِ بِمُرَّةٍ ،  
وَحَزَنَتِهِ بِسَهْلِهِ ، وَيَحْرُكُ الْإِشْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِئٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَعَيْتُ  
النَّصِيحَ مِنْهُ وَقَبْلَتَهُ ، إِذْ كَانَ مَصْدَرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَا شَكَّ فِي مَوَدَّتِهِ ، وَصَافِي  
غَيْبِهِ ، وَمَا زِلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مِنْهُجًا وَاضِحًا ، وَطَرِيقًا مَهِيمًا <sup>(١)</sup> » .

(الأمال ٢ : ٨٢)





## ١٩ - كلمات حكيمة للأعراب

قيل لأعرابي : مَالَك لا تشرب النِّبِيذ ؟ قال : « لثلاثِ خِلَالٍ فيه : لأنه مُتَلِفٌ للمال ، مُذهِبٌ للعقل ، مُسْقِطٌ للرُّوَّة » .

وقال أعرابي : « الدرهم مَيْكِيمٌ <sup>(١)</sup> ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فمن حَبَسَهَا كَانَ لها ، ومن أَنْفَقَهَا كَانَتْ له ، وما كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ مَالًا أُعْطِيَ حَمْدًا ، ولا كُلُّ عَدِيمٍ ذَمِيمٌ » .  
وقال أعرابي لأخ له : « يا أَخِي إِنَّ مَالَك إن لم يكن لك كُنْتَ له ، وإن لم تُفْنِهِ أَفْنَاكَ ، فَكُلْهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إنَّ المَوْفَّقَ مَنْ تَرَكَ أَرْفَقَ الحَالَاتِ به ، لِأَصْلَحِهَا لدينه ، نَظَرًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا لم تَنْظُرْ نَفْسُهُ لها » .

وقال أعرابي : « إنَّ اللهَ يُخْلِفُ ما أَتْلَفَ النَّاسُ ، والدَّهْرُ مُتَلِفٌ ما أَخْلَفُوا ، وَكَمْ مِنْ مِيتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبَ الحَيَاةِ ، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ سَبَّيْهَا التَّعَرُّضُ للمَوْتِ » .

وقال أعرابي : « إنَّ الآمالَ قَطَمَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رآه ، وَأَخْلَفَ مِنْ رَجَاهِ » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَفْضَحَبَ مِنْ يَنْتَاسِي مَعْرُوفَهُ عَلَيْكَ ، وَيَتَذَكَّرُ حَقُّوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لا تَسْأَلْ مَنْ يَقِرُّ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَلَكِنْ سَلْ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى » .

---

[١] مَيَّاسٌ جمع مَيْسَمٍ بالكسر : وهو الكَوَاةُ .

وقال أعرابي : « ما بقاء مُهرٍ تقطعه الساعاتُ ، وسلامةُ بدنٍ مُعرضٍ للآفاتِ ؟ ولقد عجبتُ من المؤمنِ كيف يكره الموتَ ؟ وهو ينقله إلى الثواب الذي أحياء له ليله ، وأظنأ له نهاره . »

وذكر أهلُ السلطان عند أعرابي فقال : « أما والله لئن عَزُوا في الدنيا بالجور ، لقد ذَلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليلٍ فإن ، عِوَصًا عن كثيرٍ باقٍ ، وإنما نزلَ القَدُمُ حيث لا ينفع الندم . »

وقال أعرابي : « من كَانَتْ مطيئته الليل والنهار ، سارا به وإن لم يَسِرْ ، وبلغا به وإن لم يبلغ . »

وقال أعرابي : « الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة ، والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا . »

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : « وإذا مِتُّ فإلى أين يذهب بي ؟ » قالوا : « إلى الله تعالى » ، قال : « فإكرهني أن يذهب بي إلى من لم أرا الخير إلا منه ؟ » .

وقال أعرابي : « من خاف الموتَ بادر الموتَ ، ومن لم يُنَحَّ النفسَ عن الشهوات ، أسرع به إلى المهلكات ، والجنة والنار أمامك . »

وقال أعرابي : « خيرٌ لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ له الحياة ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحييتَ له الموت . »

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال : « الكريمُ يُسَلِّطُ عليه اللئيمُ ، والمافلُ يُسَلِّطُ عليه الجاهلُ . »

وقيل له : أى الداعين أحق بالإجابة ؟ قال : المظلوم ، وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : « من أفرد الله بحاجته » .

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يقول : « إذا أشكل عليك أمران ، فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى » .  
وقال أعرابي : « الشرُّ عاجله لذيد ، وآجله وخيم » .

وقال أعرابي : « من ولد الخير أُنْتَج له فراخاً تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقُضْبَانُه النيظ ، وثمرته الندم » .

وقال أعرابي : « من كساه الحياء ثوبه ، خَفِيَ على الناس عيبه » وقال : « بُسّ الزاد ، التَّمَدَّى على العباد » ، وقال : « التلطّف بالحيلة ، أُنْقَع من الوسيلة » ، وقال : « من ثَقُلَ على صديقه ، خَفَّ على عدوّه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون » .

وقال أعرابي : « أعجزُ الناس مَنْ قَصَرَ في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيّع من ظفّره منهم » .

وقال أعرابي لابنه : « لا يسرك أن تغلب بالشرّ ، فإن الغالب بالشرّ هو المغلوب » .

وقال أعرابي لأخ له : « قد نهيتك أن تُريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه ، فإن حَطَّكَ من عطيتّه السؤالُ » .

وقال أعرابي : « إن حبّ الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبنهض الشرّ خير وإن فعلت أكثره » .

وقال أعرابي : « والله لولا أن الروءة ثَقِيلَ تَحْمِلُهَا <sup>(١)</sup> ، شديدة مؤثتها ، مترك اللثام للكرام شيئا » .

واحتُضِرَ أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرة ، إن غبتم حَنُوا إِلَيْكُمْ ، وإن مَتَّمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شَمْلَةٍ <sup>(٢)</sup> شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشَمْلَةَ لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هُوَ فِيهَا » .

وقال أعرابي : « رُبَّ رجل سِرُّه منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه قلبه التحافَ الجَنَاحَ على الخَوَافِ » .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : « ما جوفى له إلا قَبْرٌ » .

ومرَّ أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أُنَبِّئُكَ الطَّاعَةَ ، وَحَصَدَتِهُ المَصِيَّةُ ، وقال الآخر : « من طَلَّقَ الدنيا فالآخرة صَاحِبَتُهُ ، ومن فارق الحق فَالْجُذْعُ رَاحِلَتُهُ » .

وقال أعرابي : « إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوام عهده ، فانظر إلى حينته إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه » .

وقال أعرابي : « إذا كان الرأى عند من لا يُقْبَلُ منه ، والسلاح عند من لا يَسْتَمْلُهُ ، والمال عند من لا يَنْفَقُهُ ، ضاعت الأمور » .

( القدر الفريد ٢ : ٨٥ - ٨٧ )

وقال أعرابي : « إن الدنيا تنطق بغير لسان ، فتخبر عما يكون بما قد كَانَ » .

( القدر الفريد ٢ : ٨٠ )

وقال الأَصْمَى : سمعت أعرابيا يقول : « غَفَلْنَا ولم يَفْعَلِ الدهرُ عَنَّا ، فلم

[١] الخيل في الأصل : شقان على البعير يحمل فيها المديان . [٢] كساء دون اقطيفة يشتمل به .

تَعِظُ بغيرنا ، حتى وَعِظَ غَيْرُنَا بِنَا ، فقد أدركت السعادة مَنْ تَنَبَّهَ ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً . ( زمر الآداب ٢ : ٥ )

وقال أعرابي لرجل : « اشكر للنعيم عليك ، وَأَنْعِمْ على الشاكر لك ، تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مُناصحتَه » . ( زمر الآداب ٢ : ٦ )  
وتذاكر قوم صِلَةَ الرَّجَمِ ، وأعرابيٌ جالس ، فقال : « مَنْسَأَةٌ <sup>(١)</sup> في العمر ، مَرْضَاءٌ للرب ، محبة في الأهل » . ( الأمال ١ : ٢١٧ )

وقال أعرابي : « لا أعرف ضُرّاً أوَصَلَ إلى نِباط القلب ، من الحاجة إلى من لم تَتَّقِ بإسعافه ، ولا تَأْمَنَ رَدَّه ، وَأَكْلُ المصائب فَقْدُ خليلٍ لا عِوَضَ منه » .  
وقيل لأعرابي : أى شيء أمتع ؟ فقال : « مُمَازَحَةُ المُحِبِّ ، ومحادثة الصديق ، وأمانى تقطع بها أيامك » .

وقال أعرابي : « من لم يرضَ عن صديقه إلا بإثارة على نفسه ، دام سَخَطُه ، ومن عاتب على كل ذنب كثُرَ عدوّه ، ومن لم يؤاخِ من الإخوان إلا مَنْ لا عيبَ فيه قَلَّ صَدِيقُه » . ( الأمال ١ : ٢١٨ )

عن عبدالرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي ماتقول في المراء ؟ قال : « ما عسى أن أقول في شيء يُفْسِدُ الصداقة القديمة ، وَيَحُلُّ الثُّقْدَةَ الوثيقة ، أَقْلُ ما فيه أن يكون ذُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة » . ( الأمال ١ : ٢٠٨ )  
عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « لا يوجَدُ المَعْجُولُ محموداً ، ولا النُضُوبُ مَسْرُوراً ، ولا المُلُولُ ذا إخوان ، ولا الحُرُّ حريصاً ، ولا الشرُّ غنياً » .

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « سُنْ عقلك بالحلم ، وَرُوْءُكَ بالعفاف ، وَنَجِدْكَ بِمُجَانِبَةِ الْحِيَلِ ، وَخَلِّكَ <sup>(١)</sup> بِالْإِجْمَالِ فِي الْطَلَبِ » . (الأمل ٢ : ٢٢)  
وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أَقْبَحُ أَعْمَالِ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِتْقَامُ ، وَمَا اسْتَنْبَطَ الصَّوَابُ بِمَثَلِ الْمَشَاوِرَةِ ، وَلَا حُصِّلَتِ النِّعَمُ بِمَثَلِ الْمَوَاسَاةِ ، وَلَا اكْتَسَبَتِ الْبَغْضَاءُ بِمَثَلِ الْكِبَرِ » . (الأمل ٢ : ٢٢ ، وزمر الآداب ٢ : ٢)  
وقال أعرابي : « خَيْرُ الْأَخْوَانِ مَنْ يُنِيلُ عُرْفًا ، أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا » .

(الأمل ٢ : ٤١)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « الْمَاعِزُ حَقِيقٌ مَنْ أَنْ يُسَخِّيَ بِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَنَالَ أَحَدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَلَّ إِمْتَاعُهُ بِهِ ، أَوْ كَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ، وَاشْتَدَّتْ مَرَزَاتُهُ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ عِنْدَ فِرَاقِهِ ، وَعَظُمَتِ التَّيْبَةُ فِيهِ بِمَدِهِ » . (الأمل ٢ : ٤١)

وقال أعرابي : « خَصَلْتَانِ مِنَ الْكِرَمِ : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمَوْاسَاةُ الْأَخْوَانِ » . (الأمل ٢ : ٧٣)

وقال أعرابي : « مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُغَيِّبَنَّ قَوْمِي » ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « لَا أَفْلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ » . (البيان والتبيين ٢ : ١٦١)

وقال أعرابي لرجل مَطْلَه في حاجة : « إِنْ مِثْلَ الظَّفَرِ بِالحَاجَةِ تَعَجِيلُ الْيَأْسِ مِنْهَا ، إِذَا عَسُرَ قَضَاؤُهَا ، وَإِنْ الْطَلَبُ وَإِنْ قَلَّ ، أَعْظَمُ قَدْرًا مِنَ الْحَاجَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ ، وَالْمَطْلُ مِنْ غَيْرِ عُسْرِ آفَةُ الْجُودِ » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « وَعَدُ الْكَرِيمِ تَقْدُّ وَتَعَجِيلُ ، وَوَعْدُ الْثَمِيمِ مَطْلٌ وَتَعْلِيلُ » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣١)

وقال أعرابي : « اعتذارٌ من منع ، أنجلُ من وعدٍ ممطول » .

( الأمل ٢ : ١٩٨ )

وقال أعرابي : « عودُ لسانك الخير ، تسلمُ من أهل الشر » .

( ذيل الأمل ص ٢٩ )

وقال أعرابي : « خرجت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت <sup>(١)</sup>

أرجلها ، فمازات أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أمالأك ناه من كرم ، إن لم يكن لك زاجرٌ من عقل ؟ قال : والله ما يراني إلا الكواكب ! قالت : فأين مكوكيها ؟ » .

( القد الفريد ٢ : ٩٤ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب ٦ : ٢ )

## أجوبة الأعراب

### ٢. — مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فأفصح <sup>(٢)</sup> ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من يتغدى معي ، فطلبوا ، فإذا أعرابي في شملة : فأقْبَى به ، فقال السلام عليكم ، قال : هَلَمْ أيها الأعرابي ، قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ، قال : ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربِّي إلى الصوم ، فأنا صائم ، قال : وصومٌ في مثل هذا اليوم الحار ؟ قال : صمت ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأفطر اليوم وصُمتُ غداً ، قال : وَيَضْمَنُ لي الأمير أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إليه ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجلٍ ، ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله

[١] ارتفعت : من شالت الناقة بذنبها وأشالته : رفعته ، فتشال هو .

[٢] أصمر : برز في الصبراء .

ما طيبه خبازك ولا طبّاخك ، قال : فَنَ طَيِّبه ؟ قال : المافية ، قال الحجاج :  
تالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه عني . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ ، والقندائريد ٢ : ٨٧)

## ٢١ - مساءلة الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً : كيف تركت الناس وراءك ؟ فقال :  
« تركتهم - أصلح الله الأمير - حين تفرقوا في النيطان ، وأخذوا النيران ،  
وتشكّت النساء ، وعرض الشاء ، ومات الكلب » ، فقال الحجاج لجلسائه :  
أخصباً نعت أم جذباً ؟ قالوا : بل جذباً ، قال : بل خصباً ، قوله : تفرقوا في  
النيطان<sup>(١)</sup> ، معناه : أنها أعشبت ، فإبلهم وغنمهم تزعى ، وأخذوا النيران ، معناه :  
استغنوا باللبن عن أن يشتروا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها ، وتشكّت النساء  
أعضادهن ، من كثرة ما يخفضن<sup>(٢)</sup> الألبان ، وعرض الشاء : استن<sup>(٣)</sup> من كثرة  
العشب والمرعى ، ومات الكلب : لم تمت أغنامهم وإبلهم فإكل جيفها .  
(ذيل الأمال ص ٨٧)

## ٢٢ - مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحمر ، فقال :  
ثَمُولٌ إِذَا شُجِبَتْ ، وَفِي الْكَأْسِ مُزَّةٌ لها في عظام الشارين ديب<sup>(٤)</sup>  
تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قُطُوبٌ<sup>(٥)</sup>

[١] جمع فائط : وهو اللطيفة الواسع من الأرض . [٢] غشى الالب من بلب قطع ونصر وضرب  
أخذ زجه . [٣] استن : سمن ، سن الإبل كنسر : إذا وطأها فأسمتها .

[٤] السمول : الحمر أو الباردة منها ، لأنها تشد برمجها الناس ، أو لأن لها عصف كصفه الشمال ،  
وشج المهراب : مزجه . [٥] القدى : ما يقع في الشراب ، قطب كضرب قطباً وقطوبا : زوى ما بين  
عينيه وكلع ، وأخوها : هو نبيذ الزبيب ، والى : أن الشرابين يغفلونها عليه فيشربونها دونه ، فهو  
يطلب من أجل ذلك ، وفي أخيها يقول الشاعر :



فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتهمك عندى حُسْنُ صفتك لها ، قال : « يا أمير المؤمنين ، واتهمك عندى معرفتك بحسن صفتى لها » .

( عمود الأخبار ٢ : ص ٢١٥ )

## ٢٣ - مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري

وخطب خالد بن عبد الله القسري فقال :

« يا أهل البادية : ما أخشن بلدكم ، وأغلظ معاشكم ، وأجنى أخلاقكم ، لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون علما ، فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : « أما ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وغلظ طعامنا ، فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر ، فيكم ثلاث خصال ، هي شر من كل ما ذكرت » ، قال له خالد : وما هي ؟ قال : « تنقبون الدور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون الذكور » ، قال : « قبحك الله ، وقبح ما جئت به » . ( القند الفريد ٢ : ١٢٧ )

## ٢٤ - أجوبة شتى

وقدّم أعرابي إلى السلطان ، فقال له : قل الحق ، وإلا أوجعتك ضرباً ، قال له : « وأنت قاتلٌ به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه ، أعظم مما تُوعِدُنِي به » .

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، ناتيئ الجبهة ، فقال له : أين ربك ؟ قال : بِالْمِرْصَادِ !

وقيل لأعرابي : إنك تُحسِنُ الشّارة <sup>(١)</sup> ، قال : « ذلك عُنوانُ نعمة الله عندى » .

دع الحر يفسرها العواذ فإني رأيت أكلها معنياً بكانها

فإلا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غنّه أمه بلبانها

[١] الشارة : اللباس والهيئة والزينة .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقمه بالاستغفار » .

وسئل أعرابي عن القدر فقال : « الناظر في قدر الله كأنظر في عين الشمس ، يعرف ضوءها ، ولا يقف على حدودها » .

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصمت فيه العقول ، وتناول فيه المختلفون ، وحق علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا من علمه » . ( القدر الفريد ٢ : ٨٦ — ٨٧ )

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة » .  
وقيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق » .

وقال معاوية لأعرابية : هل من قرى ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت : « حُبْرٌ خَيْرٌ ، ولبنٌ فطيرٌ ، وماءٌ نَميرٌ <sup>(١)</sup> » .

وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : « كنا بين قدر تفور ، وكأس تدور ، وحديث لا يحور <sup>(٢)</sup> » .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرعدة ، وقرْقُصَاءُ القعدة ، وذَرْبُ المَعْدَةِ <sup>(٣)</sup> » .

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليلٌ خييث ، قيل له : ما معناه ؟

[١] النَمير : الذي اختر ، وماء نَمير : ناعم ، عذبان أو غير عذب .

[٢] أى لا يتبس ، وربما كان لا يحور بالميم . [٣] القرقصاء : أن يجلس على آليته ، ويلصق مخذيته بيطنه ، ويحتج يديه يضمهما على ساقيه ، أو يجلس على ركبتيه متكباً ، ويلصق بطنه بفخذيه ، ويتأبط كفيه ، والقرب : المنة ، واللعة ككلمة وكسرة .

قال : « إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبت من أنثى » .

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته في السوق ليبيها - صف لنا ناقتك ، قال :  
ما طَلَبْتُ عليها قطُّ إلا أدركتُ ، ولا طَلَبْتُ إلا قُتُّ ، قيل له : فلم تبيعها ؟  
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أُمَّ حَامِرٍ كَرَامٍ مِنْ رَبِّ بَهَنٍ ضَنِينٍ  
وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : « حُرُّ الوحش لا تحتاج  
إلى يَيْطَارٍ » .

وقيل لِشُرَيْحِ القاضى : هل كلك أحد قطُّ فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أَعْلَمُهُ  
إلا أن يكون أعرابياً ، خاصم عندي وهو يشير يديه ، فقلت له : أُمْسِكْ ، فإن  
لسانك أطول من يدك ، قال : « أَسَامِرِي أَنْتَ لَا تُمَسُّ ؟ » (١) .  
(القد الفريد ٢ : ٩٧)

وقيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : « قصـورٌ بيضٌ ، فى  
حدائقٍ خُضرٍ » .

[١] يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ،  
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ، قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ  
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَهُولَ لَأَمْسَانٍ » .

والسامرى : هو موسى بن ظفر السامرى نسبة إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان  
من قوم يبدون البقر ، وقع فى مصر ، فدخل فى بنى إسرائيل ، وآمن بجوسى ، وكان منافقاً لا يزال فى قلبه  
عبادة البقر ، فلما ذهب موسى للمناجاة ربه قف بنى إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر حملوا معهم من  
حلى القبط التى أخذوها منهم وهائن على ما قرضونهم من المال - فأتخذ لهم منها عجلاً جسداً له خولج . . .  
إلى آخر ما هو معروف فى القصة ، من أثر الرسول : أى من أثر حافر الرسول وهو جبريل ، والأثر :  
التراب الذى تحت حافره ، والماس مصدر ماس ، وهو نقي أريد به النهى ، أى لا تمس ولا أسك .

وقيل لآخر : أى الأولان أحسن ؟ قال : « يَيْضَةُ <sup>(١)</sup> » ، فى رَوْضَةِ ، عن  
غَيْبِ سَارِيَّةَ ، وَالشَّمْسِ مُكَبِّدَةً . ( القُدِّ الِغْرِيدِ ٢ : ٩٦ )

وخطب أعرابى إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السَّجْفُ <sup>(٢)</sup>  
فرأى شيئاً كرهه فقال : « والله ما عندى نقد ، وإنى لأكره أن يكون  
على دين » . ( ميون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٠ )

وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عزاءك عن ابنك ! » ، قالت :  
« إن مصيبتى آمَنَتْنِى مِنَ المصائب بعده » .

وقال محمد بن حرب الهلالى : قلت لأعرابى : « إني لك لوأدٌ » ، قال :  
« وإن لك من قلبى لرأئداً » . ( البيان والبيان ١ : ١٤٦ ، والبيان ٢ : ٩٢ )  
وقال الأصمعى : رأيت أعرابياً أمامه شاة ، فقالت : لِمَنْ هذه الشاة ؟ قال :  
« هى لله عندى » . ( القُدِّ الِغْرِيدِ ٧ : ٨٦ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٩ )

## قولهم فى الاستمناح والاستجداء

### ٢٥ — أعرابى يجتدى عتبة بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لُتْبَةَ بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ،  
فقال : لستُ به ، ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : أَسَمَّتَ فَعَلَ ، قال :  
« شيخ من بنى طامر يتقرَّب إليك بالمُؤْمَةِ ، ويختص بالخُثُولَةِ ، ويشكو  
إليك كثرة العيال ، وَوَطْأَةَ الزَّمان ، وشدة فقر ، وترادف ضرٌّ ، وعندك ما يَسَمُه

[١] البَيْضَةُ : ساءة القوم وعجسهم ، والساورة : السابجة تسمى ليلاً ، وكبدت الشمس السماء : سارت  
فى كبدما أى وسطها ، وفى الأصل « مكبدة » بالياء وهو تصحيف .  
[٢] السجف بالفتح والكسر : السر .

وَيَصْرِفُ عَنْهُ بؤْسُهُ ، قَالَ : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِفَنَّاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ ، يَقُومُ بِإِطَائِنَا عَنْكَ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والمقد الفريد ٢ : ٨١ )

## ٢٦ — أعرابي يجتدى عمر بن عبد العزيز

وَأَتَى أَعْرَابِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ :

« رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، سَاقَهُ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَبَلَغَتْ بِهِ الْفَاقَةُ ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ مَقَامِي غَدًا » ، فَقَالَ عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أَبْلَغَ مِنْ قَائِلٍ ، وَلَا أَوْعَظَ لِمَقُولٍ لَهُ مِنْهَا » .

( القد الفريد ٢ : ٨٣ ، والأمال ٢ : ١٧٤ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

## ٢٧ — خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وَكَانَتْ الْأَعْرَابُ تَنْتَجِعُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخُطْبِ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِمُ الْحَاجِبُ بِأَمْرِهِمُ بِالْإِيحَازِ ، فَمَقَامَ أَعْرَابِي ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنْعَ مَبْغِضَةً ، فَلَآنَ نَحْبُكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُبَغِضَ<sup>(١)</sup> » ، فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ . ( المقد الفريد ٢ : ٨٣ )

## ٢٨ — مقام أعرابي بين يدي هشام

وَقَامَ أَعْرَابِي بَيْنَ يَدَيْ هِشَامٍ فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَيْتُ عَلَى النَّاسِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، أَمَّا الْأُولَى : فَلَحَّتِ<sup>(٢)</sup>

اللَّحْمَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَأَكَلْتُ الشَّحْمَ ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ : فَهَاضَتِ<sup>(٣)</sup> الْعَظْمَ ، وَعِنْدَكُمْ

[١] يروى هذا لحد بن أبي الجهم المدوني ، قاله في حضرة هشام أيضاً . انظر الجزء الثاني ص ٤٠٦ .

[٢] من لحا الثجرة : أخذ لحامها ( بالكسر ) وهو قشرها . [٣] هاض العظم : كسره بعد

الجبور فهو مبيض ، وفي رواية : « وطام ألقى العظم » أي وصل إلى نقيه ( بالكسر ) وهو مرق العظم .

فُضُولُ أُمُوال ، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده ، وإن كانت لهم فقيم تُحْظَرُ<sup>(١)</sup> عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها ، إن الله يجزي المتصدقين ، قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ قال : « ما ضربتُ إليك أكبادَ الابل ، أذرعُ الحجير ، وأخوضُ الشجى لخاصّ دون عام » ، فأمر هشام بمال ، فقسّم بين الناس ، وأمر للأعرابي بمال ، فقال : « أكلُ المسلمين له مثلُ هذا ؟ » قالوا : « لا ، ولا يقوم بذلك بيتُ مال المسلمين » ، قال : « فلا حاجة لي فيما يَبْتَغى لأئمة الناس على أمير المؤمنين . »

( ميون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٨ والقند الفريد ٢ : ٨٢ )

## ٢٩ — أعرابي يستجدي عبيد الله بن زياد

وقال النُتْبِيُّ : وقف أعرابي يباب عبيد الله بن زياد فقال :

« يَا أَهْلَ الْفَضَاةِ<sup>(٢)</sup> ، حَقَبَ<sup>(٣)</sup> السَّحَابُ ، وَاتَّقَشَعَ الرِّيَابُ ، وَاسْتَأَسَدَتِ الدُّنَابُ ، وَزُرِدِمَ التَّمَدُّ<sup>(٤)</sup> ، وَقَلَّ الْحَفَدُ<sup>(٥)</sup> ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكُنْتُ كَثِيرَ الْعُقَاةِ<sup>(٦)</sup> ، صَنَجِبَ<sup>(٧)</sup> السَّقَاةَ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ<sup>(٨)</sup> لَانْصَالِ الزَّمَانِ ، وَغَفَلَ<sup>(٩)</sup> الْحَدَثَانِ ، حَتَّى حَلَلَلْ<sup>(١٠)</sup> ، وَعَدَدَ وَمَالَ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيَّدَى سَبَا<sup>(١١)</sup> ، بَيْنَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ،

[١] تعجب وتمنح . [٢] الفضارة : العمة والسعة والمحب ، وفي الأصل : « الفضاضة » وهو تحريف ... والفضاضة القلة واللحمة . — [٣] حَبَبَ المطر وغيره : احتبس ، والرياب : السحاب الأبيض . [٤] التمد كشمس وسبب : للماء الليل لامتداده . [٥] الحفد : الأموال جمع حَفْد . [٦] الفاقة جمع فاق : وهو الراد والضعيف ، وكل طالب فضل أو رزق . [٧] وصف من الصخب بالتحريك وهو شدة الصوت ، والفاقة جمع ساق كفاض ، وفي الأصل « صخب السام » وأراء عمرفا . [٨] في الأصل : « عظيم الزلات » وأراء عمرفا من « الدلاة » ، والدلاة كفضاضة جمع دال كفاض ، وهو التازع في البلو للستقي به للماء من البئر . يقال : أدليت البلو ودليتها : إذا أرسلتها في البئر . ودلويتها أدلوها فأنا حال : إذا أخرجتها . [٩] الغفل بالتحريك : الغفلة ، والحدثنان : ثوب الدهر وحوادثه ، وفي الأصل : « ولا أعطل الحدثنان » وأراء عمرفا ، وربما كان الأصل « ولا يغفل الحدثنان » بتكرير لام الجر . [١٠] الحلة بالكسر : القوم اللزبون ، والجمع حلال وحلل . ككتاب وعنب ، وتطلق الحلة على البيوت مجازاً تسمية للسبل باسم الحالة ، وهي مائة بيت فها فوها . [١١] يقال : ذهبوا أيدي سبا ، وتحرقوا أيدي سبا ، وأيادي سبا : أي تبهدوا ، شهبوا بأهل سبا لما

وكنْتَ حَسَنَ الشَّارَةِ<sup>(١)</sup> ، خَصِيبَ الدَّارَةِ<sup>(٢)</sup> ، سَلِيمَ الْجَارَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ مَحَلِّي  
يَحْيَى ، وَقَوْمِي أَسَى<sup>(٤)</sup> ، وَعَزَى جَدًّا<sup>(٥)</sup> ، قَضَى اللَّهُ - وَلَا رُجْمَانَ لِمَا قَضَى - بِسَوَافٍ<sup>(٦)</sup>  
الْمَالِ ، وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَغْيُرِ الْحَالِ ، فَأَعَيْنُوا مَنْ شَخَصَهُ شَاهِدُهُ ، وَإِسَانُهُ  
وَافِدُهُ ، وَفَقْرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ . ( زهر الآداب ٣ : ٣٠٧ )

### ٣٠ - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة ، فوفقت بين  
السَّامِطِينَ<sup>(٧)</sup> فقالت :

« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَأَمْتَعَ بِهِ ، حَدَرْتَنَا إِلَيْكَ سَنَةً أَشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ، وَانْكَشَفَ  
غِطَاؤُهَا ، أَقْوَدُ صَبِيَّةً صَغَارًا ، وَآخَرِينَ كِبَارًا ، فِي بِلَدَةٍ شَاسِعَةٍ ، تَحْفَضُنَا خَافِضَةً ،  
وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمِلْمَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ ، بَرِّينَ عَظْمِي ، وَأَذْهَبِينَ لِحْيِي ، وَتَرَكْنِي  
وَالِهَةً ، أَدُورُ بِالْحَضِيضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ  
الْعَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ فُضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمَكْنَى نَائِلُهُ ؟ فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ  
- أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، قَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الرَّافِدُ ،

مَرْقَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ كُلِّ مَرْقٍ ، فَأَخَذَ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا عَلَى حِدَةٍ ، وَالْيَدِ : الطَّرِيقُ . يُقَالُ : أَخَذَ  
الْقَوْمُ يَدَ بَعْرِ ، فَقِيلَ لِلْقَوْمِ إِذَا تَخَرَّقُوا فِي جِهَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ : ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا : أَي فَرَّقْتُمْ طَرَفَهُمُ إِلَى  
سَلَكُوكِهَا كَمَا تَفْرُقُ أَهْلَ سَبَا فِي مَذَاهِبِ شَتَّى ، وَالْعَرَبُ لَا تَهْمُزُ سَبَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّهُ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ  
فَاسْتَعْمَلُوا فِيهِ الْهَمْزَ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مِهْمُوزًا ، وَقَدْ بَنَوْا أَيْدِي سَبَا ، وَإِيَادِي سَبَا عَلَى الْكَوْنِ لِكَوْنِهِ  
مَرْكَبًا تَرْكِيبُ خَمْسَةِ عَشَرَ .

[١] الشارة : الهيئة واللباس والزينة والجمال . [٢] العارة : العمار .

[٣] الجارة ، من مَنَابِي : الزوجة . [٤] الأسي جمع أسوة : وهي القدوة .

[٥] الجدا : العطية ، واللط الذي لا يعرف أقصاه . [٦] السواف بالضم ويفتح : مرض الإبل ،

وسواف الل يسوف ويساف : حلك ، أو وقع فيه السواف .

[٧] السامطان من الناس : الجلبان .

وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غِيَاثِي ، وَمُنْتَهَى أَمَلِي ، فَافْعَلْ بِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تُحَسِّنَ صَفْدِي <sup>(١)</sup> ، أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ، فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُنَ لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُجَرِّي عَلَيْهَا كَمَا يُجَرِّي عَلَى عِيَالِهِ حَتَّى مَاتَ .  
( زمر الآداب ٢ : ٢٠٦ )



وروى صاحب العقد قال :  
قال الأصمعي : وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها فقالت :

« إِنِّي أَتَيْتُ مِنْ أَرْضٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنِي خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنِي رَافِعَةً ، فِي بَوَادِي بَرٍّ لَحْمِي ، وَهَيْضَن <sup>(٢)</sup> عَظْمِي ، وَتَرَكْتَنِي وَالِهَةً ، قَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ ، بَعْدَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَكَثُرَتْ مِنَ الْعُدَدِ ، لَا قَرَابَةَ تُؤْوِيَنِي ، وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِيَنِي ، فَسَأَلْتُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، مَنْ الْمَرْجَحَى سَيِّئُهُ <sup>(٣)</sup> ، الْمَأْمُونُ عَيْبُهُ ، الْكَثِيرُ نَائِلُهُ ، الْمَكْنِيُّ سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا أَمْرَاءُ مِنْ هَوَازِنَ ، فَقَدْتُ الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، فَاصْنَعْ فِي أَمْرِي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تُحَسِّنَ صَفْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ أَوْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي » ، قَالَ : بَلْ أَجْمَعُنَ لَكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهَا .

( العقد الفريد ٢ : ٨٢ )

٣١ - أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فقال :  
« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ : شَيْخٌ كَبِيرٌ ، حَدَّثَنِي إِيَّاكَ بِأَرِيَّةِ الْعِظَامِ <sup>(١)</sup> ، وَمُؤَرَّةِ

[١] الممدد . المطاء . [٢] هاضن العظم : كسره . من الجبور . [٣] السبب المطاء .  
[٤] حدة : ساقه ، وأريئة العظام : أمى السكبات التي تهرى العظام ، مؤرئة : صبيحة ، من التأريث ، وهو إيقاد النار .



الأسقام ، ومُطَوَّلَة الأعوام ، فذهبت أمواله ، وَدُعِذَت <sup>(١)</sup> آباله ، وَتَمَيَّرَتْ أحواله ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَجْبُرَهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَتَمَشَّهُ بِسَجْلِهِ <sup>(٢)</sup> ، وَيُرَدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ ! » فقال : كل ذلك ، وأمر له بمشرة آلاف درهم . ( الأمل : ٢ : ٤٩ )

### ٣٢ - أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وَقَدِمَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ عَلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ وَهُوَ بِالْمِثْنِ فَقَالَ :  
« يَا اللَّهَ مَا أَعْرِفُ سَبَبًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَالرَّحِمِ ، أَقْوَى مِنْ رِحْلَةٍ مِثْلَى مِنْ أَهْلِ السَّنِّ وَالْحَسَبِ إِلَيْكَ مِنْ بِلَادِهِ ، بَلَا سَبَبٍ وَلَا وَسِيلَةَ ، إِلَّا دَعَاءُكَ إِلَى الْمَكَارِمِ ، وَرَغْبَتِكَ فِي الْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَضَعْنِي مِنْ نَفْسِكَ بِمِحْثٍ وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ فَافْعَلْ » فَوَصَّلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . ( المقد الفرد : ٢ : ٨٠ )

### ٣٣ - خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ : يَتَنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ :  
« يَا مُسْلِمُونَ ، إِنَّ الْحَدِيثَ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ ، إِنِّي أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمِلْطَاطِ الشَّرْقِيِّ الْمَوَاصِي أَسْيَافَ تِهَامَةٍ <sup>(١)</sup> ، عَكَفْتُ عَلَى سَنُونٍ مُخْشٍ <sup>(٢)</sup> ، فَاجْتَبَيْتُ الذَّرَى ، وَهَشَمَتِ الْعُرَى <sup>(٣)</sup> ، وَجَشَشَتِ النَّجْمَ ، وَأَفْجَحَتِ الْبَهْمَ <sup>(٤)</sup> ،

[١] دُعِذَت : فرقت ، وآبال جمع إبل . [٢] السجل في الأصل : الدلو العظيمة مملوءة .  
[٣] المِلْطَاط : كل شفير نهر أو واد ، والموَاصي والمواصل واحد ، يقال : تواصى التبت : إذا اتصل ببعضه بعض ، وأسْيَاف جمع سيف بالكسر : وهو سائل البحر . [٤] عَكَفْتُ : أفلت ، والسَنُون الجذوب ، وعش جمع محوش كصبور ، وحى القى تمحش ( بضم الحاء ) الكلاء أى تحرقه .  
[٥] اجْتَبَيْتُ : قطعت واستأصلت ، وهَشَمَتِ : كسرت ، والبرى جمع عروة ، والعروة : القطة من الشجر لا يزال باقياً على الجذع ترماه أموالهم . [٦] جَشَشَتِ : احتلفت ، والنجم : مانعهم ولم يستقل على ساق ، وأفجحت : أى جطتها عجلاً ، والمجى : السبي الذناء للهزول .

وَحَمَّتِ الشَّحْمَ ، وَالتَّحَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأَحْجَنَتِ الْعَظْمَ <sup>(١)</sup> ، وفادرت التراب موزراً ،  
والماء غوراً ، والناس أوزاعاً <sup>(٢)</sup> ، والنَّبَطَ قُعاماً ، والضَّهْلَ جُزاعاً ، وَالْمَقَامَ  
جَمْعاً <sup>(٣)</sup> ، يُصَبِّحُنَا الْهَماوى ، وَيَطْرُقُنَا الْعَماوى <sup>(٤)</sup> ، فخرجت لا أتلفع بوَصيدة ،  
ولا أَتَقَوْتُ هَيِّدة <sup>(٥)</sup> ، فالبَخَصَاتُ وَقِعةٌ ، والزُّرْ كَبَاتُ زَاعةٌ ، وَالْأَطْرَافُ  
قَفِعةٌ <sup>(٦)</sup> ، والجسم مُسْلَمٌ ، والنظر مُذْهِمٌ <sup>(٧)</sup> ، أَعْشَوْ فَأَغْطَشْتُ ، وَأَضْحَى  
فَأَخْفَشْتُ <sup>(٨)</sup> ، أسهل ظالماً ، وأخزن راكماً <sup>(٩)</sup> فهل من أمرٍ عَمِيْرٍ <sup>(١٠)</sup> ، أوداع  
بخير ؟ وقاكم الله سَطَوَة القادر ، وَمَلَكَة الكاهِر <sup>(١١)</sup> ، وسوء الموارد ، وفُضُوح  
المصادر ، قال : فأعطيته ديناراً وكتبت كلامه ، واستفسرته ما لم أعرفه .

(الأمال : ١ : ١١٣)

### ٣٤ - خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة

- [١] حمت : أذبت ، والعرب تقول : « هك ما هك » أى أذابك ما أحزبك ، والتحبت اللحم : عرقته من العظم ، وأحجنت العظم : أى عوخته فصورته كالخبث . [٢] مار موزراً : اضطرب وماج ، والنور : الفأر ، أوزاع : فرق . [٣] النبط : اللاء الذى يستخرج من البئر أوله مانحفر ، والنباع الماء الملع المر : والضهل : القليل من الماء ، والجزاع : أشد البلاء مرارة ، والججباع : السكان الذى لا يطعن من قدم عليه . [٤] الهاموى : الجراد ، والعاموى : الدُّب .
- [٥] التفع : الاشتما ، والوصيدة : كل نسيجة ، والهربد : حب الخنثل يعالج حق يطيب فيعتبر .
- [٦] البنصات جمع بضة ، وهى لحم باطن القدم ، ووقعة : من قولهم : وقع الرجل كفراح إذا اشتكى لحم باطن قدمه ، ورامة : متشقة ، وقعة وقفة واحد : وهى التى قد تقيضت ويست .
- [٧] للسلم : الضائر للتيز ، والدمدم : الضرب البصر الذى قد ضعف بصره من جوع أو مرض .
- [٨] أَعْشَوْ : أنظر : فأغطش : أصير غطاً ( بكسر الطاء ) والنطش عركة : ضعف فى البصر ، وهى الشمس كفراح وسى : برز لها ، والمغش بالتحريك : ضعف البصر خفة ، أو فساد فى الجفون بلا وجع أو أن يمر بالليل دون النهار . [٩] أسهل ظالماً : أى إذا شئت فى السهول ظلمت ، وطلع كتم : عر فى مشي ، وأخزن راكماً : أى إذا علوت الحزن ركمت أى كبوت لوجهى .
- [١٠] اللير : العطية ، من قولهم : مارم يبرم ميراً . [١١] الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ بعضهم : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ » .

ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول :

« أما بعد : فَإِنَّا أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ <sup>(١)</sup> طَرِيقٍ ، وَقَلٌّ <sup>(٢)</sup> سَنَةٍ ، تَصَدَّقُوا عَلَيْنَا ، فَإِنَّهُ لَا قَلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ ، وَلَا عَمَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَقُومُ هَذَا الْمَقَامَ ، وَفِي الصَّدْرِ حَزَازَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَفِي الْقَلْبِ غُصَّةٌ » .  
( البيان والبيان ٢ : ٤٦ )

### ٣٥ — صورة أخرى

وروى أبو عليّ القالي هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كما :  
عن يُونُسَ قَالَ : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فِي الْبَصْرَةِ فَقَالَ :  
« قَلَّ النَّيْلُ ، وَنَقَصَ الْكَثِيلُ ، وَتَحَجَّفَتْ <sup>(١)</sup> الْخَلِيلُ ، وَاللَّهُ مَا أَصْبَحْنَا نَنْفَخُ فِي وَضَحٍ <sup>(٢)</sup> ، وَمَا لَنَا فِي الدِّيْوَانِ وَشِمَّةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنَّا لَمِيعَالُ جَرَبَةٍ <sup>(٤)</sup> ، فَهَلْ مِنْ مُعِينٍ ، أَعَانَهُ اللَّهُ ، يُعِينُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَنِضْوَ طَرِيقٍ ، وَقَلٌّ سَنَةٍ ؟ فَلَاقِلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ ، وَلَا عَمَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ » . ( الأمل ٢ : ١٩٧ )

### ٣٦ — صورة أخرى

ورواها صاحب العقد فقال : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حَلْقَةِ يُونُسَ فَقَالَ :  
« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ ، أَنْ أَذْكَرَّ بِهِ وَأَنْسَاهُ ، إِنَّا أَنَاسٌ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثُونَ رَجُلًا لَا نَدْفِنُ مَيْتًا وَلَا نَتَحَوَّلُ مِنْ مَنْزِلٍ وَإِنْ كَرِهْنَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا

[١] أنصاء : جمع نضو كقرد وهو الموزول ، أي قد هزلنا وأضنانا سلوك الطريق .

[٢] السنة : الجذب والقحط ، وقوم قل : منهزمون ، والجمع قول وأفلال ، أي هزلنا القحط .

[٣] الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . [٤] هزلت . [٥] الوضع : اللبن ، ممي

وضحاً ليأضاه . [٦] الوشمة : مثل الوشم في الذراع ، يريد الخط .

[٧] الجربة : الكثير ، أو الببال بأكلون ولا ينفقون .

تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفَلَّ سَنَةً ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، يقول الله عز وجل : « مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قَرْضًا حَسَنًا » إن الله لا يستقرض من عوزٍ ، ولكن ليثبُلُو خيار عباده .  
( القدر الريد ٢ : ٨٢ )

### ٣٧ - أعرابي يستجدي

وقال المدائني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :  
« رحم الله امرأ لم تَمُجْ أَذْنَاهُ كَلَامِي ، وَقَدَّمْ لِنَفْسِهِ مَعَادَةً <sup>(١)</sup> من سوء مقامِي ،  
فإن البلاد مُجْدِبَةٌ ، والدار مُضَيِّعَةٌ ، والحال سيئة <sup>(٢)</sup> ، والحياة زاجر ينهي عن  
كلامكم ، والعُدْمُ مَذِرٌ يَحْمِلُنِي عَلَى إِخْبَارِكُمْ ، والدعاء إحدى الصدقتين ، فرحم  
الله امرأ أَمَرَ بِمَعِيرٍ <sup>(٣)</sup> ، أودعا بخير » ، فقال له بعض القوم : يَمُنُّ الرجل ؟  
فقال : « يَمُنُّ لا تنفعكم معرفته ، ولا تضرَّكم جهاته ، ذلك لا اكتساب ، يمنع  
من عزِّ الانتساب » .

( البيان والتهيين ٣ : ٢١٧ ، والقدر الريد ٢ : ٨١ ، والأمال ١ : ١٣٨ )

### ٣٨ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : أصابت الأعراب أعوام جذبة وشدة وجَهِد ، فدخلت  
طائفة منهم البصرة وبين يديهم أعرابي وهو يقول :  
« أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، وشركاؤكم في الإسلام ، طابرو سبيل ،  
وأقلل بُؤْس ، وَصَرَعي جَدْب ، تنابست علينا سنون ثلاثة <sup>(١)</sup> ، غَبَرَتِ <sup>(٢)</sup> النعم ،

[١] للمائة والمائة والباذ : الانتداء . [٢] وفي الأمال « والحال مضية » أي مجيبة .

[٣] ملاذ عياله ميراً : جلب لهم لليرة ( بالكسر ) ومع الطعام ، وفي القدر : « فرحم الله امرأ يعير ، وداعياً يعير » . [٤] غبره لطفه بالنبار ، أو « غبرت » بإلهاء .

وأهلك الثَّمنَ ، فأَكَانَا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نَمَلٌ بذلك أنفسنا ، وَغَنَى بالنَّيْثِ قلوبَنَا ، حتى عاد مُخْنًا عِظَامًا ، وعاد إشرافنا ظلامًا ، وأقبلنا إليكم يَصْرَعُنَا الوَعْرُ ، وَيَكْنِتُنَا <sup>(١)</sup> السَّهْلُ ، وهذه آثار مصائبنا لأَمْحَى فِي سَمَاتِنَا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، ومُؤَاسِياً من قليل ، فلقد عَظُمَتِ الحاجة ، وَكَسَفَ البَالُ ، وبلغ المجهود ، والله يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

### ٣٩ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : كنت في حَلَقَةٍ بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال : « أيها الناس ، إن الفَقْرَ يَهْتِكُ الحِجَابَ ، وَيُبْرِزُ الكِمَابَ <sup>(٢)</sup> ، وقد حَمَلْنَا سِنُوءَ المصائب ، وَنَسَكَبَاتِ الدهور ، على مَرَكَبِهَا الوَعْرُ ، فواسُوا أبا أَيْتَامٍ ، وَنِصُّوْ زَمَانَ ، وَطَرِيدَ فَاقَةٍ ، وَطَرِيحَ هَلَكَةٍ ، رَحِمَكُمُ اللهُ . »

### ٤٠ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : وقف أعرابي علينا فقال : « يا قوم : تتابعن علينا سِنُوءَ بَغْيٍ وانتقاص ، فاستركت لنا هُبْمًا ولا رُبْمًا <sup>(٣)</sup> ، ولا عَافِطَةً ولا نَافِطَةً <sup>(٤)</sup> ، ولا نَائِغَةً ولا رَائِغَةً ، فأما تِ الزرع ، وقتلت الضَّرْعَ ، وعندكم من مال الله فضلُ نِعْمَةٍ ، فأعينوني من عطِيَةٍ ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أَيْتَامٍ ، وَنِصُّوْ زَمَانَ ، فلقد خَلَفْتُ أَقْوَامًا يَمْرَضُونَ ولا يَكْفَنُونَ

[٧] أى يسترنا . [٢] جارية كمام : نهدي ثيابها .

[٣] الهج : الفصيل ينتج في آخر التاج ، والريح : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول التاج .

[٤] النافطة : النجعة ، من الفط : وهو الضرط ، غطت كضرب : ضربت فهي نافطة ، والمفط أيضاً : ثير الضأن تنثر بأوفها كما ينثر الحمار ، والنافطة : المز ، من اللفط : قطبت المز كضرب : نثرت بأفها أو غطت فهي نافطة ، أو لأنها تنفط بيولها : أى تدفه دفماً ، أو النافطة : إنباع للمافطة ، أو النافطة : الأمة لإراعية ، والنافطة : الشاة .

ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل وإن كرهوه ، ولقد مشيتُ حتى اتملتُ الدماء ،  
وَجُعْتُ حتى أكلتُ التُّرى .

## ٤١ - أعرابية تستجدى

وقال الأصمى : وقفت أعرابية فقالت :

« يا قوم سَنَّة جَرَدَتْ ، وأيدٍ جُدَّت ، وحال جَهَّدَتْ <sup>(١)</sup> ، فهل من فاعلٍ  
لخير ، وأميرٍ بِمَيْرٍ؟ رَحِمَ الله من رَحِم ، فأقرَضَ من لا يظلم .

( الطد الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٤ )

## ٤٢ - أعرابي يستجدى

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أشكو إليكم أيها اللأ زمانا ، كلَّح في وجهه ، وأناخ على بَكَلِكَلَه ، بمد  
نعمة من المال ، وثروة من المآل ، وَغِبْطَة من الحال ، اغتورتني جدائده <sup>(٢)</sup> ، بِقَبْلِ  
مصائبه ، عن قِبي نوابه ، فاستركألى ناغية <sup>(٣)</sup> أجتدى ضرعها ، ولا رَاغِيَة  
ارتجى نفعا ، فهل فيكم من مُبِينٍ على صَرْفه ، أو مُعَدٍّ <sup>(٤)</sup> على خْتفه ؟ ، فرد  
القوم عليه ، ولم يُبْلِوه شيئا ، فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأكل من أمثالكم      جودًا ، وليس الجودُ من فِعالكم

لا بارك الله لكم في مالكم      ولا أراح السوء عن عيالكم

فالفقر خيرٌ من صلاح حالكم

[١] جهده للرشى كبح : مره .

[٢] سنة جداء : علة جداء ، والجداء من كل حلوبة : القامحة الذين عن عيب ، والجدودة :  
انقلبة الذين من غير عيب ، والجمع جدائد وحداد . [٣] الناغية : الشاة من الثناء بالقم ، وهي صوت  
القم ، والراغية : الناقة ، من الرغاء ، وهو صوت الإبل .  
[٤] مُعَدٍّ : أعداء عليه : نصر . وأمانه وقواه .

### ٤٣ - أعرابي يستجدي

وَسَمِعَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :

« يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَيَّ شَيْخَ مُعِيلٍ ، وَعَابِرَ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَسَمِعَ شَكْوَاهُ خَالِقُهُ ، بَدَنُهُ مَطْلُوبٌ ، وَثَوْبُهُ مَسْلُوبٌ » ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :

رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي دِيَّةٍ لَزِمْتَنِي ، قَالَ : فَمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : مَائَةٌ بَعِيرٍ ، قَالَ :

دُونَكُمْ فِي بَطْنِ الْوَادِي . ( النقد النفردي ٢ : ٨٢ - ٨٣ )

### ٤٤ أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِي عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ :

« إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ طَرِيقٍ وَقَاسِيَةٌ <sup>(١)</sup> ، رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أُعْطِيَ مِنْ سَعَةٍ ، وَوَسَّيَ مِنْ كِفَافٍ » .

فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دَرَاهِمًا فَقَالَ : « أَجَزَكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْتَلِيكَ » .

### ٤٥ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِي بِقَوْمٍ فَقَالَ :

« يَا قَوْمَ : تَتَابَعْتَ عَلَيْنَا سِنُونَ جَمَادٍ <sup>(٢)</sup> شِدَادٍ ، لَمْ يَكُنْ لِلسَّمَاءِ فِيهَا رَجْعٌ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا لِلْأَرْضِ فِيهَا صَدْعٌ <sup>(٤)</sup> ، فَتَنْضَبُ الْعِدَّةُ <sup>(٥)</sup> ، وَتَنْشِفُ الْوَسْلُ ، وَأَتَحْمَلُ الْخِصْبُ ،

[١] أى وحال قاسية ، وربما كان الأصل « وقل سنة » . [٢] الجاد : السنة التى لا مطر فيها .

[٣] الرجع : المطر ، لعوده كل حين . [٤] أى انشقاق من البات ، اقتبس من الآية الكريمة :

« وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ » .

[٥] العد : الماء الجارى الذى له مادة لا تقطع كماء العين ، ونضب الماء : غار ، والوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ، ولا يتصل قطره ، ونشف للماء فى الأرض : ذهب « ونشف الخوض الماء شربه » وأعمل : أجبب .

وَكَلَعَ الْجَذْبَ، وَشَفَّ<sup>(١)</sup> الْمَالَ، وَكَسَفَ الْبَالَ، وَشَطَفَ الْعَاشَ، وَذَهَبَ الرِّيشُ، وَطَرَحَتِ الْأَيَّامُ إِلَيْكُمْ غَرِيبَ الدَّارِ، نَأَتْى الْحَلَّ، لَيْسَ لِي مَالٌ أَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَلَا عَشِيرَةٌ أَحَقُّ بِهَا، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَحِمَ اغْتِرَابِي، وَجَمَلَ الْمَعْرُوفَ جَوَابِي .  
(الغد الفريد ٢ : ٨٠)

#### ٤٦ - أعرابية تستجدي

وخرج المهدي يطوف بمد هذاة<sup>(٢)</sup> من الليل، فَسَمِعَ أعرابية من جانب المسجد، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، نَبَتَ<sup>(٣)</sup> عنهم الميؤن ، وَفَدَحَتَهُمُ الديونُ ، وَعَضَّتْهُمُ السَّنُونُ ، بادت رجالهم ، وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُمْ ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ طَرِيقٍ ، وَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يُبْحِرُ ؟ كَلَّاهُ اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَّفَهُ فِي أَهْلِهِ .

فَأَمَرَ نُصَيْرًا الْخَادِمَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا خَمْسَ مِائَةِ دَرَاهِمٍ .

(الغد الفريد ٢ : ٨٠ ، وَزَهْرُ الْأَدَبِ ٣ : ٢٤٤)

#### ٤٧ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يَا قَوْمَ : لَقَدْ خَتَمَتْ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ عَلَى أَفْوَاهِنَا مِنْ صُبْحِ أَمْسٍ ، وَمَعِيَ بَنْتَانٌ لِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهَا تَحْلُلَانِي بِجَلَالٍ ، فَهَلْ رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرْحَمُ الْيَوْمَ مَقَامَنَا ، وَيُرِدُّ حُشَاكَشَتَنَا<sup>(٤)</sup> ؟ مَنَعَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلِّ وَطَارِ وَصَخَارٍ .

[١] شَفَّ : رَقَّ ، وَالشَّطَفَ بِالْتَحْرِيكِ : بَيَسَ الْبَيْشَ وَشَدَّهُ ، وَالرِّيشُ : اللَّحْلُ وَالْخَصْبُ وَالْعَاشُ

[٢] أَوْ جَنَ هَذَا الْبَلِيلِ ، أَوْ هُوَ أَوَّلُ الْبَلِيلِ إِلَى نَتْنِهِ .

[٣] التَّحْتَمُ وَازْدَحَمَتْهُمُ ، وَفَدَحَتْهُمُ : أَهْلَتْهُمُ .

[٤] الْحَشَاةُ : بَجَّةُ الرُّوحِ فِي اللَّيْثِ ، وَالصَّخَارُ : الْقُلُوبُ .



فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :  
« أَشَدُّ وَأَقْبَلُ عَلَى مَنْ سُوءُ حَالِي وَفَاتِي ، تَوْهَمِي فِيكُمْ الْمَوَاسَاةَ ، ائْتَمِلُوا الطَّرِيقَ ،  
لَا صَحْبَكُمْ اللَّهُ ! » . ( القدر العبد ٢ : ٨٢ )

#### ٤٨ - أعرابي يستجدي

وقام أعرابي ليسأل فقال :  
« أَيْنَ الْوُجُوهُ الصُّبَاحُ <sup>(١)</sup> ، وَالْعُقُولُ الصُّبَاحُ ، وَالْأَلْسُنُ الصُّبَاحُ ،  
وَالْأَنْسَابُ الصُّرَاحُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْمَكَارِمُ الزَّيَاحُ ، وَالصُّدُورُ الْفَسَاحُ ؟ تُبَيِّدُنِي مِنْ  
مَقَامِي هَذَا » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

#### ٤٩ - أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة ، فقال :  
« هَلْ مِنْ حَائِدٍ بِفَضْلٍ ، أَوْ مُوَالٍ مِنْ كِفَافٍ ؟ <sup>(٣)</sup> » ، فَأَمْسِكَ عَنْهُ  
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَنَعْجَزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَتَضَيِّعَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ )

#### ٥٠ - أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عَلَيْكَ بِالصَّيَّارِفَةِ ، قَالَ : هُنَاكَ وَاللَّهِ  
قَرَارَةُ اللَّوْمِ ! ( البيان والتبيين ٢ : ٤٨ )

#### ٥١ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَمَلُ اللَّهِ حَظُّكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَمَلَ حَظِّ  
السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةٌ <sup>(٤)</sup> صَادِقَةٌ » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

[١] جمع صبيحة وهي الليلة من الصباحة كفضاحة أى الجمال . [٢] جمع صريحة وهي الهضبة الخاصة  
[٣] الكفاف من الرزق : ما كفى من السس وأغنى . [٤] العذرة : اسم من العذر .

## ٥٢ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف الدار : « بُوركَ فيك ، فقال :  
قَبَّحَ اللهُ هذا القَمَمَ ، لقد تَعَلَّمَ الشرَّ صَغِيرًا . ( البيان والبيان ١٢٦ : ٣ )

## ٥٣ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فنموه ، فقال :  
« اللهم اشغَلْنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ سُخْطِكَ ، وَأَوَلِّجْنَا إِلَى غَفْوِكَ ، فَقَدْ  
صَنَعَ خَلْقَكَ بِرِزْقِكَ ، فَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا عِنْدَهُمْ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَكَ ، وَأَتَانَا مِنَ  
الدُّنْيَا الْقُنُومَانِ » ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَهَا يُسْخِطُكَ ، فَلَا خَيْرَ فِيهَا يُسْخِطُكَ .  
( البيان والبيان ٢٢٤ : ٣ )

## ٥٤ - أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي فقال :  
« أَخْ فِي كِتَابِ اللهِ ، وَجَارِي فِي بِلَادِ اللهِ ، وَطَالِبُ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللهِ ، فَهَلْ  
فِيكُمْ مِنْ مُوَاسٍ فِي اللهِ ؟ » .  
وسأل أعرابي رجلا ، فاعتلَّ عليه فقال : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَجَمَلُكَ  
اللهُ صَادِقًا » . ( القند الفريد ٨٤ : ٢ )

## ٥٥ - أعرابي يسأل رجلا حاجة له

أتى أعرابي رجلا ( لم تكن بينه وبينه حُرْمَةٌ ) في حاجة له ، فقال :  
« إِنِّي امْتَطَيْتُ إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَسِرْتُ عَلَى الْأَمَلِ ، وَوَقَدْتُ بِالشُّكْرِ ،  
وَتَوَسَّلْتُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، فَحَقَّقْتُ الْأَمَلَ ، وَأَحْسِنِ الثَّوْبَةَ ، وَأَكْرِمِ الْقَصْدَ ، وَأَتِمِّ  
الْوَدَّ ، وَتَجَلَّ الْمُرَادُ » . ( القند الفريد ٨٢ : ٣ ، وزهر الآداب ١٦٥ : ٣ )

## قولهم في بكاء الموتى

٥٦ - أعرابية تبكى ابنها

وَحَبَّتْ أعرابية ومعهما ابن لها فأصببت به ، فلما دُفِن قامت على قبره وهي  
وجعة فقالت :

« والله يا بُنَيَّ لقد غَدَوْتُكَ رَضِيماً ، وَفَقَدْتُكَ سَرِيماً ، وكأنه لم يكن بين  
الحالين مَدَّةُ أَلْتَدُ بِمَيْشِكَ فيها ، فأصبحت بعد النَّصَارَةِ وَالْفَصَارَةِ <sup>(١)</sup> ، وَرَوْنَقِ  
الحياة ، وَالتَّنَسُّمِ فِي طَيْبِ رَوَائِحِهَا ، تحت أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَداً هَامِداً ، وَرُفَاتَا  
سَحِيحًا ، وَصَعِيداً جُرُزاً <sup>(٢)</sup> .

أنى بنى لقد سَحَبَتِ الدنيا عليك أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسْكَنْتِكَ دَارَ الْبَلَى ،  
وَرَمَتْنِي بِعِدِكَ نَكْبَةً الرَّدَى ، أنى بنى لقد أَسْفَرَ لى عن وجه الدنيا صَبَاحَ دَاجٍ  
ظلامه <sup>(٣)</sup> ، ثم قالت :

أنى رَبِّ ، وَمِنْكَ الْعَدْلُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ ، وَهَبْتَهُ لى قُرَّةَ عَيْنٍ ، فلم  
تَمْنَعْنِي به كثيراً ، بل سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكَا <sup>(٤)</sup> ، ثم أَمَرْتَنِي بالصبر ، وَوَعَدْتَنِي عليه  
الأجرَ ، فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ ، فَرَحِمَ اللهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَى مَنْ  
أَسْتَوْدَعْتُهُ الرِّذْمَ <sup>(٥)</sup> ، وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى ، اللهم ارحم عُزْبَتَهُ ، وَآلِسَ وَحْشَتَهُ ،  
وَأَمْدُرْ عَوَزَتَهُ ، يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ <sup>(٦)</sup> وَالسُّوءَاتُ .

[١] النصارة : النعمة والحسن والبنى ، والنصارة أيضاً : النعمة والسعة والخصب :

[٢] أَطْبَاقُ جمع طبق : وهو وجه الأرض ، والرفات : الحطام ، وسحيقاً : مسحوقاً ، والصعيد :  
التراب ، أو وجه الأرض ، وأرض جرز : لانتبت ، أو أكل نباتاً ، أو لم يصبها مطر .

[٣] أسفر الصبح وسفر كضرب : أضاء وأشرق ، داج : قال الأصمى : دجا الليل ، إنما هو أليس

كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومنه قولهم : دجا الإسلام أى قرى ، وأليس كل شيء .

[٤] سريماً . [٥] الردم : الدفن ، وما يقط من الجدار للتهديم . [٦] السيئات .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت :  
 أي بني : إني قد ترودت لسفري ، فليت شعري ، مازادك ليُمد طريقك ،  
 ويوم مَعادِك ! اللهم إني أسألك له الرضا برضاي عنه ، ثم قالت :  
 استودعتك من استودعتك في أحشائي جَنِينًا ، وأُكُلَ الوالدات !  
 ما أَمْضُ <sup>(١)</sup> حرارةَ قلوبهن ، وأقلَقَ مضاجعهن ، وأطولَ ليلهن ، وأقصرَ  
 نهارهن ، وأقلَّ أنسهن ، وأشدَّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن  
 من الأحزان .

فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عزَّ  
 وجل ، واسترجعت وصلت رَكَمَاتٍ عند قبره وانطلقت . ( زمر الآداب ٧ : ٧ )

## ٥٧ - حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

وروى أبو علي القالي : عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« دَفَعْتُ يوماً في تَلْشِيٍّ بالبادية إلى وادٍ خَلَاءٍ لَا أُنِيسَ بِهِ إِلَّا بَيْتَ مُنْتَبِزٍ <sup>(٢)</sup> ،  
 بِفِنَائِهِ أَغْزُرُ ، وَقَدْ ظَلَمْتُ فَيَعْمَتُهُ ، فَسَلَّمْتُ فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَتْ ، كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ  
 رَاخِمٌ <sup>(٣)</sup> ، فَقُلْتُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ فَقَالَتْ : أَوْ لَبَنٍ ، فَقُلْتُ : مَا كَأَنْتِ يُغْنِيكِ إِلَّا  
 الْمَاءُ ، فَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ اللَّبَنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ قَقِيرٌ ، فَقَامَتْ إِلَى قَنْبٍ <sup>(٤)</sup> فَأَفْرَغَتْ فِيهِ مَاءً ،  
 وَنَظَّفَتْ غَسَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الْأَغْزُرِ ، فَتَغَبَّرْتَهُنَّ <sup>(٥)</sup> حَتَّى احْتَلَبْتُ قُرَابَ <sup>(٦)</sup> »

[١] مضى الشيء : بلغ من قلبه الحزن به كأن مضى .

[٢] منفرد . [٣] الراخم : التي تمضن يعضها ، أرحت البجاجة على يعضها ورخته ، ورجت عليه

غنى مرخم ولا رخم .. [٤] القنب : قدح إلى الصبر ، ويغيب به الماثر .

[٥] أي احتلبت النهر (كفعل) : وهي بقية اللبن في العرع ، وجمه أعبار .

[٦] قراب وقريب واحد ، مثل كبار وكبير وجسام وجسيم .

مِلءِ الْقَعْبِ ، ثم أفرغت عليه ماء حتى رغا وطفَّتْ مُمْلَأَةً <sup>(١)</sup> ، كأنها نَمَامَةٌ  
بيضاء ، ثم ناولتني إياه ، فشربت حتى تحبَّبت <sup>(٢)</sup> رِيًّا واطمأننت ، فقلت :  
إني أراك معتزَّةً في هذا الوادى الموحش ، والحلَّةُ <sup>(٣)</sup> منك قريب ، فلو  
انضمت إلى جنابهم فَأَنْتِ بِهِم ! فقالت :

« يابن أخى ، إني لَأَنْسُ بِالْوَحْشَةِ ، وأستريح إلى الوَحْذَةِ ، ويطمئن قلبي  
إلى هذا الوادى الموحش ، فأذكر من عهدتُ ، فكأنى أخطب أعيانهم ،  
وَأَتَرَأَى أَشْبَاحَهُمْ <sup>(٤)</sup> ، وَتَخَيَّلُ لى أُنْدِيَّةُ رِجْلِهِمْ ، وَمَلَأَيْتُ وَلَدَانَهُمْ ،  
وَمُنْدَى <sup>(٥)</sup> أُمُوْلَهُمْ ، والله يابن أخى لقد رأيت هذا الوادى بَشِعِ الدَّيْدَنِ <sup>(٦)</sup>  
بأهل أذواح وقياب ، وَنَمَّ كَالْهَضَابِ ، وخيل كَالدَّنَابِ ، وفتيان كالرماح ،  
يبارون الرياح ، وَيَحْمُونَ الصَّبَاحَ <sup>(٧)</sup> ، فأحال عليهم الجلاء قَا بَرْفَةً <sup>(٨)</sup> ،  
فأصبحتِ الْآثَارُ دَارِسَةً ، وَالْمَحَالُ طَامِسَةً ، وكذلك سيرة الدهر فيمن وثق به »  
ثم قالت : ازمِ بعينك في هذا المَلَأِ المتباطن <sup>(٩)</sup> ، فنظرتُ فإذا قبورٌ نحو  
أربعين أو خمسين ، فقالت : ألا ترى تلك الْأَجْدَاثَ ؟ قلت نعم ، قالت :  
ما انطوت إلا عَلَى أَخٍ أَوْ ابْنِ أَخٍ ، أَوْ عَمٍّ أَوْ ابْنِ عَمٍّ ، فأصبحوا قد أَلْمَأَتْ <sup>(١٠)</sup>  
عليهم الأرضُ ، وأنا أترقب ما غلهم ، انصرف راشداً رَحِمَكَ اللَّهُ . (الأمالي ٧: ٢)

[١] التَّمْلَةُ : الرغوة « وهي مثقلة الرأه » . [٢] امتلأت . [٣] الحلة : جماعة يوت الناس  
والجمع حلال ككتاب . [٤] أشخاص جمع شبح كشس وسبب .

[٥] التندية : أن يورد الرجل إليه ، ثم يرطما ، ثم يوردها ، ثم يرطما ، والتندى : المكان الذى  
يندى فيه اللل . [٦] بشع : ملآن ، الديدان : الجانيان ، والوحة : الشجرة الطيبة .

[٧] الصباح جمع صبيحة : وهي الجيلة من الصبابة كصبابة : الجلال .

[٨] قَمَ الْبَيْتُ قَا : كنفه « والنفقة : المكسفة ، والقمامة : الكناسة » والفرقة الواحدة من  
الغرف : وهي ضرب من الشجر . [٩] الملا : القضاء ، والمتباطن : المتعاطف .

[١٠] أى احتوت عليهم ، وغلهم : أهلكهم .

## ٥٨ — حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن عمه قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خِباء لها ، وبين يديها بُني لها ، قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغصصته وعصصته وسجته <sup>(١)</sup> ، ثم قالت :

« يا بن أخي ، قلت : ماتشائين ؟ قالت : ما أحق من البسِ النعمة ، وأطيلت له النظرة <sup>(٢)</sup> ، أن لا يدع التوثق من نفسه ، قبل حلِّ عُقْدته <sup>(٣)</sup> ، والحلول بعقوته <sup>(٤)</sup> ، والمخالعة بينه وبين نفسه » ، قال : وما يقطر من عينها قطرة صبراً واحساباً ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالك لبطنك ، ولا أملك ليرسك <sup>(٥)</sup> ، ثم أنشدت تقول :

رَجِيبُ الدَّرَاعِ بِالْيَئِ لَا نَشِينُهُ      وَإِنْ كَانَتْ أَلْفُ خَشَاءٍ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا <sup>(٦)</sup>

( الأمل : ٢ : ٢٨٢ ، والبيان والتبيين : ٣ : ٢٣١ )

## قولهم في الشكوى

### ٥٩ — أعرابي يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« قَدِمَ عَلَيْنَا الْبَصْرَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَقَصَدْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يَتَحَضَّبُ لِحَيْتِهِ ، فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَنْتِي مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، فَجِئْتُكَ أَقْتَبِسُ مِنْ عِلْمِكَ ، فَقَالَ : أَتَيْتَنِي وَأَنَا أَخْضِبُ ، وَإِنْ الْخِضَابُ لِمِنْ عِلَامَاتِ الْكِبَرِ ، وَطَالَ وَاللَّهِ مَا عَدَوْتُ عَلَى صَيْدِ الْوَحُوشِ ، وَمَنْشَيْتُ أَمَامَ الْجِيُوشِ ،

[١] تَجِيجَةُ اللَّبْتِ تَزَقِطِيهِ ، [٢] النَّظَرَةُ : الْإِهْمَالُ . [٣] كِنَايَةٌ مِنَ الْمَوْتِ .

[٤] الْفُتُورَةُ : الْهَلَاةُ ، أَيْ يَمُوتُ . [٥] الْمَرَسُ : امْرَأَةُ الرَّجُلِ .

[٦] ضَاقَ بِالْأَمْرِ فَرَحًا : ضَمِنَتْ طَائِفَتُهُ ، وَلَمْ يَجِدْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِيهِ مَخْلَصًا .

واختَلْتُ بالرِّداء ، وَهُوتُ<sup>(١)</sup> بالنِّساء ، وَقَرَيْتُ الضَّيفَ ، وَأَرَوَيْتُ السَّيْفَ ،  
وَشَرِبْتُ الرِّاحَ ، وَنَادَمْتُ المَجْجَاحَ<sup>(٢)</sup> ، فَاليَوْمَ قَدْ حَنَانِي الكِبَرُ ، وَضَعُفُ  
مَنِي البَصَرِ ، وَجَاءَ بَعْدَ الصَّفْوِ الكَدَرُ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

شَيْبُ تَغْيِبِهِ كَيْمَا تَغَرُّ بِهِ كَيْبُكَ الثَّوْبَ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ  
قَدَكُنْتُ كَالْمُضْنِ تَرْتَاحُ الرِّيحُ لَهُ فَصِرْتُ عُودًا بِلَا مَاءَ وَلَا وَرَقِ  
صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ ، إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ وَأَهْلُهُ مِنْهُ يَبْنِي الصَّفْوَ وَالرَّتْقِ<sup>(٣)</sup>  
(الأملال ٢ : ٩٤)

## ٦ - كلمات شتى في الشكوى

قِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ أُصِيبَتْ بِإِبْنِهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَاءَكَ ! قَالَتْ : « إِنْ فَقَدِي إِيَّاهُ  
أَمْتَنِي كُلَّ فَقْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنْ مَصِيبَتِي بِهِ هَوَّنَتْ عَلَيَّ المَصَائِبَ بَعْدَهُ » ، ثُمَّ  
أَنْشَأَتْ يَقُولُ :

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَازِرُ  
لَيْتَ المَنَازِلَ وَالْأَيَّامَ رَحَقًا رَمَقًا وَمَقَابِرُ

✱

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حَزْنُكَ عَلَى وَلَدِكَ ؟ قَالَ : « مَا تَرَكَ لِي مِمَّا أَكَلْتُ وَالنَّشَاءَ  
لِي حُزْنًا » .

✱

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَنْحَلَ جِسْمُكَ ؟ قَالَ : « سُوءُ الْغِذَاءِ ، وَجُدُوبَةُ الْمَرْغَى ،  
وَاخْتِلَافُ الْمُسُومِ فِي صَدْرِي » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[١] : هَوْتُ بِهِ : فَرَحْتُ بِهِ . [٢] : المَجْجَاحُ : السَّيِّدُ . [٣] : الرَّتْقُ : الكَدَرُ .

الهمُّ ما لم تُنْخِضْهُ لِسَبِيلِهِ      دَاوُدُ تَضَمَّنَهُ الضَّلُوعُ عَظِيمُ  
ولربما استيأستُ ثم أقول : لا      إن الذي ضَمِنَ النجَاحَ كريمُ

\*\*\*

وقيل لأعرابي قد أخذ به السنُّ : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحتُ  
تَقِيدُنِي الشَّعْرَةُ ، وَأَعَثُرُنِي البُعْرَةُ ، قَدْ أَقَامَ الدَّهْرُ صَعْرِي ، بَعْدَ أَنْ أَقْتُ صَعْرَهُ » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لقد كنتُ أَنْكِرُ البِيضَاءُ ، فَصِرْتُ أَنْكِرُ السُّودَاءُ ،  
فِي آخِرِ مَبْدُولٍ ، وَيَأْشُرُ بَدَلِ ! » .

\*\*\*

وذكر أعرابي منزلاً بَادَ أَهْلُهُ فقال : « مَنْزِلٌ وَاقِدٌ رَحَلَتْ عَنْهُ رَبَّاتُ  
الْخُدُورِ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ رَوَاحِلُ<sup>(١)</sup> الْقُدُورِ ، وَقَدْ اكْتَسَى بِالنَّبَاتِ كَأَنَّمَا أُلْبِسَ  
الْحُلْلَ ، وَكَانَ أَهْلُهُ يَمْقُونُ<sup>(٢)</sup> فِيهِ آثَارَ الرِّيحِ ، وَأَصْبَحَتْ الرِّيحُ تَمْقُو آثَارَهُمْ ،  
فَالْمَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْمُلْتَقَى بَعِيدٌ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً تَغَيَّرَتْ أحوَالُهُمْ فقال : « أُعْيِنُ وَاللهُ كَحِلَّتِ بِالْمَبْرَةِ  
بَعْدَ الْحَبْرَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَنْفُسُ لَبَسَتْ الْحَزْنَ بَعْدَ السُّرُورِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً تَغَيَّرَتْ حَالُهُمْ فقال : « كَانُوا وَاللهُ فِي عَيْشٍ رَقِيقٍ  
الْحَوَاشِي ، فَطَوَّاهُ الدَّهْرُ بَعْدَ سَعَةٍ ، حَتَّى لَبَسُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْقُرْ<sup>(٤)</sup> ، وَلَمْ أَرِ صَاحِبًا

[١] الرِّاحِلُ جمع راحلة : وهي في الأصل : الناقة الصالحة لأن ترحل ، والمراد هنا الحوامل التي تحمل  
القدور ، أي الأثافي . [٢] مفا للزَّل : درس ، وغطته الريح ، يصدى ويلزم ، وبأبها عدا ،  
وغطته الريح أيضاً بالتعديد للبانة . [٣] المبرة : السرور . [٤] القرّ مثلك القاف : البرد .



أَغْرَمَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا ظَلَمًا أَغْشَمَ <sup>(١)</sup> مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ عَصَفَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
أَزْدِيَاهُ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ وَكَّلَ بِهِ الْمَوْتَ أَفْنَاهُ .



وَوَقَفَ أَعْرَابِي عَلَى دَارِ قَدْبَادٍ أَهْلَهَا فَقَالَ : « دَارُهُ وَاللَّهِ مُتَّصِرَةٌ لِلدَّوْعِ ،  
حَطَّتْ بِهَا السَّحَابُ أُنْقَالَهَا ، وَجَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ أَذْيَالَهَا . »



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا تَغَيَّرَ حَالُهُ فَقَالَ : « طُوِيَتْ صَحِيفَتُهُ ، وَذَهَبَ رِزْقُهُ ،  
فَالْبَلَاءُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالْمَيْتَشُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفَيْهِ . »



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا ضَاقَ عَيْشُهُ بَعْدَ مَسْعَةٍ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ  
مَمْدُودٍ ، فَقُدِّحَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ غَيْرُ كَآيَةٍ <sup>(٣)</sup> . »

( القمد الفريد ٢ : ٧٩ - ٨٠ )



وَذَكَرَ أَعْرَابِي مَصِيبَةً نَالَتْهُ ، فَقَالَ : « مُصِيبَةٌ وَاللَّهِ تَرَكْتُ سُودَ الرِّءُوسِ  
يَبِضًا ، وَبَيِضَ الْوُجُوهِ سُودًا ، وَهَوَّاتِ الْمَصَائِبِ بَعْدَهَا . »

( القمد الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٥ )



وَذَكَرَ أَعْرَابِي قَطِيعَةً بَعْضُ إِخْوَانِهِ فَقَالَ : « صَفَرْتُ عِيَابُ <sup>(٤)</sup> الْوَدِ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا ، وَأَقْفَرْتُ وَجُوهُ كَانَتْ بِمِائِهَا ، فَأَذْبَرُ مَا كَانَ مُقْبِلًا ،  
وَأَقْبِلُ مَا كَانَ مَدْبَرًا . »

( القمد الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )

[١] أَظْلَمَ . [٢] أَهْلَكَاهُ . [٣] الزند : العود الذي يقدح به النار « وكبا الزند » : لم يخرج  
ناره ، وفي الأصل « زند عين كايه » وهو تحريف .  
[٤] صَفَرْتُ : خَلْتُ ، وَعِيَابُ جَمْعُ عَيْبَةٍ بِالْفَتْحِ : مَا يَجْعَلُ فِيهِ الْخِيَابُ .

وقيل لأعرابي : ما أذهب شبابك ؟ قال : « من طال أمده ، وكثر ولده ،  
ودفّ عذده ، وذهب جلده ، ذهب شبابه » .

( المقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧ )

وسئل أعرابي عن سفر أ كدى<sup>(١)</sup> فيه ، فقال : « ما غنمنا إلا ما قصرنا في  
صلاتنا ، فأما ما أكلته الهواجر<sup>(٢)</sup> ، ولقيته منا الأباغر ، فأثر استخفافنا لما  
أملناه » .

وقالت امرأة من الأعراب : « أصبحنا ما يرقد لنا قرس ، وما ينام لنا حرس » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٨٢ )

وقال أعرابي : « مضى لنا سلف أهل تواصل ، اعتقدوا<sup>(٣)</sup> منّا ، واتخذوا  
الأيادي ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع المعروف عليهم قرصاً لازماً ، وإظهار  
البر واجباً ، ثم جاء الزمان بينين ، اتخذوا منتهم بضاعة ، ويرغم مراجعة<sup>(٤)</sup> ، وأيادهم  
تجارة ، واصطناع المعروف مقارضة ، كنفذ ، خذ مني وهات » .

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمام العدة ، وانقضاء المدة » .

ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه ، من الضيق والضر فقال : « يا هذا :  
أنشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ » .  
( المقد الفريد ٢ : ٨٥ )

[١] أما من « حر فأكدى » أى صاف الكدية - والكدية كفرصة : الأرض الفلظة ،  
والصفاء العظيمة الشديدة . [٢] الهواجر جمع هاجرة ، وهى شدة الحر  
[٣] من اعتقد مالا : اعتناه . [٤] راجع على السالمة : أعطاه رجماً



ووصف أعرابي الدنيا فقال : « هِيَ رَشَقَةٌ <sup>(١)</sup> المِشَارِبِ ، حَمَّةُ المِصَابِ ،  
لَا تُنَمِّعُكَ الدهرَ بِصاحبٍ . »



وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أُسْنِمَةً <sup>(٢)</sup> تُوضَعُ ،  
وأخفافاً تُرْفَعُ ، والخير يُطَلَّبُ عند غير أهله ، والفقير قد حلَّ غير محله . »  
( القد الفريد ٢ : ٨٦ )



وقيل لأعرابي : كيف ابنك - وكان به عاقاً - قال : « عذابٌ لا يقاومه  
الصَّبْرُ ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتني قد استودعته القبرَ . »  
( القد الفريد ٢ : ٩٧ )



عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قَدِمَ الحَفْرةَ <sup>(٣)</sup> ، ما أَقْدَمَكَ ؟ قال :  
« الحَيْنُ <sup>(٤)</sup> ، الذي يُغَطِّي العَيْنَ . » ( الأمل ١ : ٢٠٢ )



وأصيب أعرابي بآبن له ، فقال وقد قيل له أَصْبِرْ : « أَعْلَى الله أَنَجْلِدَ ، أم في  
مصيبتي أَتَبْلُدُ ؟ والله لِلْحَزَنِ من أمره أَحَبُّ إِلَيَّ الآنَ من الصبر ، لأنَّ الحَزَنَ  
استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أَجْزَعْ من النقص لم أَفْرَحْ بالمزيد . »  
( زهر الأدب ٣ : ١٦٤ )



وقيل لأعرابي : لِمَ لَا تَضْرِبُ في الأرض ؟ فقال : « يَمْنَعُنِي من ذلك ، طِفْلٌ  
بَارِكٌ ، وإِصْرٌ سَافِكٌ ، ثم إِنِّي لست بعد ذلك وَاثِقًا بِنُجْعِ طَلِبَتِي ، ولا مَعْتَقِدًا

[١]. كدرة . [٢]. جمع سنام ، والمراد ما كان طالياً .

[٣]. الحفرة : خلاف البادية كالحفرة بالتحريك . [٤]. الهلاك .

قضاء حاجتى ، ولا راجياً عطف قراتى ، لأنى أقدم على قوم أطعام الشيطان ، واستألمهم السلطان ، وساعدتم الزمان ، وأسكرتم حدائثة الأستان .

( زمر الآداب ٣ : ٢٤٤ )

وقال بمض الأعراب : « نالنا ونشئ<sup>١</sup> » ، وخلفه ولى<sup>٢</sup> ، فالأرض كأنها وشئ<sup>٣</sup> عبقرى<sup>٤</sup> ، ثم أتتنا غيوم جراد<sup>٥</sup> ، بتناجل حواد<sup>٦</sup> ، فغربت البلاد ، وأهلك العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأكل<sup>٧</sup> ، بالضعيف المأكول<sup>٨</sup> .

( زمر الآداب ٣ : ٢٤٦ )

## ٦١ - قولهم فى العتاب والاعتذار

عاب أعرابى أباه فقال : « يا أبت ، إن عظيم حقدك على لا يذهب صغير حتى عليك ، والذي تمت به<sup>١</sup> إلى ، أمت بمنله إليك ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكنى أقول : لا يحل لك الاعتداء . »

( البيان والتبيين ٢ : ٢٢١ ، وزمر الآداب ٢ : ١٠٠ )

وقال أعرابى لصديق استبطأه فلأمه : « كأت بى إليك زلة<sup>٢</sup> يمتنى من ذكرها ما أملت من تجاوزك عنها ، وليس أعذر<sup>٣</sup> إليك منها إلا بالإقلاع عنها . »

وقال آخر لابن عم له : « والله ما أعرف تقصيراً فأقلس ، ولا ذنباً فأعتب ، ولست أقول إنك كذبت ، ولا إنى أذنبت . » ( زمر الآداب ٢ : ١٦٢ )

[١] الوعى : مطر الريح الأول ، والولى : للطر الذى يأتى بعد المطر .

[٢] الوعى : هش التوب ، والعبقرى : المنقطع النظر ، لبة إلى عبقر ، موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن ، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من خلقه ، أو جودة صنعه .

[٣] للتناجل جمع منجل كبير : حديدة يقضب بها الزرع ، وحواد جمع حادة : أى فاطمة ، وفى الأصل

« حراد » وأراه محرراً . [٤] تنوسل .

✽

وقال آخر لابن عمّ له : « سأتحطّي ذنبك إلى عُذرك ، وإن كنتُ من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شكّ ، ولكن ليتمّ المعروف مني إليك ، وتقوم الحجة لى عليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والقدر الفريد ٢ : ٨٥ )

✽

وعذلت أعرابية أباهما في الجود وإنلاف ماله ، فقالت : « جنسُ المال ، أنفع للعيال ، من بذل الوجه في السؤال ، فقد قلّ النوال ، وكثر البُخَال ، وقد أثْلَفَت الطارِف والتلاد ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أوشك أن يسى فيما يضرّه » . ( زهر الآداب ٣ : ٢٤٦ )

## ٦٢ - قولهم في المدح

دخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « رأيْتُني فيما أتماطى من مدحك ، كالمُخْبِر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذي لا يَخْفَى على الناظر ، وأيقنت أني حيثُ انتهى بنى القول ، منسوبٌ إلى العَجْز ، مُقَصَّر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك ، إلى الدعاء لك ، ووَكَلْتُ الإخبار عنك ، إلى عِلْم الناس بك » . ( الأمل ٢ : ٧٣ )

✽

وأثنى أعرابي على رجل فقال : « إن خيرك لَمَرِيحٌ <sup>(١)</sup> ، وإن منعك لَمَرِيحٌ ، وإن رِفْدَكَ لَرَبِيحٌ » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ )

✽

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني كلاب يذكو رجلاً

[١] أى عطاء بلا مظل ولا إبطاء ، ومرح : أى من كدة الطلب .

فقال : « كَانَ وَاللَّهِ الْفَتَمُ مِنْهُ ذَا أَذْنَيْنِ ، وَالْجَوَابُ ذَا لِسَانَيْنِ ، لَمْ أَرِ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَ لِحْلُلَ رَأْيٍ مِنْهُ ، وَلَا أَبَدَ مَسَافَةَ رَوِيَّةٍ ، وَمُرَادٌ <sup>(١)</sup> طَرْفٌ ، لِنَعْمَا يَرْمِي بِهِمْتَهُ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْكَرَمُ ، وَمَا زَالَ وَاللَّهِ يَتَحَسَّى مَرَارَةَ أَخْلَاقِ الْإِخْوَانِ ، وَيُسْقِيهِمْ عَذُوبَةَ أَخْلَاقِهِ » (الأمال ١٦: ٢ ، والقصد الفريد ٨٩: ٢ ، وزهر الآداب ٣: ٢)

وقال : سمعت أعرابياً ذكر رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِلْإِخَاءِ وَصُولًا ، وَلِلْمَالِ بَذُولًا ، وَكَانَ الْوَفَاءُ بِهِمَا عَلَيْهِ كَفِيلًا ، وَمَنْ فَاضَلَهُ كَانَ مَفْضُولًا » .

(الأمال ١ : ١١٦ ، والقصد الفريد ٨٩ : ٢)

ووصف أعرابى رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ مَنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيَتَوَاصَفُ حِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمَرُّ <sup>(٢)</sup> ظَلَمُهُ ، إِنْ قَالَ فَعَلَ ، وَإِنْ وَلَّى عَدَلَ » .

(البيان والتبيين ٢ : ١٠٨ ، والقصد الفريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

وذكر أعرابى قومًا فقال : « أَدْبَجْتُمُ الْحِكْمَةَ ، وَأَحْكَمْتُمُ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ تَعْرِزْ السَّلَامَةَ الْمُنْطَوِيَّةَ عَلَى الْمَلَكَةِ ، وَجَانِبُوا التَّسْوِيفَ الَّذِي بِهِ قَطَعَ النَّاسُ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ ، فَذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْوَعْدِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ ، وَشَفَقُوهُ بِالْفَعَالِ » .

(الأمال ٢ : ٢٣ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والقصد الفريد ٨٨ : ٢)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها ، فقالت : « يَا أُمُّهُ ، مَنْ نَشَرَ ثَوْبَ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ الْجَزَاءِ ، وَفِي

[١] وياد الأيل : اختلافها في الرمي طيلة ومدبرة ، وللوضع مراد ومستراد .

[٢] لا يستطاب ، من استمر الطمام : وجده مريئاً أى منبهاً جيداً للغة .

كِتَانُ الشَّكْرِ جُحُودٌ لِمَا وَجِبَ مِنَ الْحَقِّ ، وَدُخُولٌ فِي كُفْرِ النَّعَمِ » ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « أَيْ بُنَيَّةُ : أَطَبَّتِ الشَّاءَ ، وَقَتَّ بِالْجَزَاءِ ، وَلَمْ تَدْعِ لِلذَّمِّ مَوْضِعًا ، إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ عَقَلَ ، لَمْ يَعْجَلْ بِذَمِّهِ وَلَا ثَنَاءً إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ » ، فَقَالَتْ : « يَا أُمُّهُ ، مَا مَدَحْتُ حَتَّى اخْتَبَرْتُ ، وَلَا وَصَفْتُ حَتَّى عَرَفْتُ » .

( الأمل ١ : ٢٢٠ )

✽

وَوَصَفَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ أَمِيرًا فَقَالَ : « إِذَا أَوْعَدَ آخَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ نَجَلَ ، وَعِيدُهُ عَفْوٌ ، وَوَعْدُهُ إِنْجَازٌ » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ )

✽

وَنَعَتَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ الْأَلْسُنُ وَالْقُلُوبُ رِيضَتَ لَهُ ، فَاسْتَمَقِدَ إِلَّا عَلَى وَدِّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزمر الآداب ٢ : ٣ )

✽

وَذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ أَعْرَابِي فَوْقَ فِيهِ قَوْمٌ فَقَالَ : « أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا كَلْكُمَ لِلنَّأْدُومِ ، وَأَعْطَاكُمْ الْمَغْرُومَ <sup>(١)</sup> ، وَأَكْسَبَكُمْ الْمَعْدُومَ ، وَأَعْطَفَكُمْ عَلَى الْمَحْرُومِ » . ( الأمل ٢ : ١٦ ، والبيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

✽

وَأَعْطَى رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا فَأَكْثَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : « إِنْ كُنْتَ جَاوَزْتَ قَدْرِي عِنْدَ نَفْسِي ، فَقَدْ بَلَغْتَ أَمَلِي فِيكَ » . ( الأمل ٢ : ٥٠ )

✽

وَمَدَحَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ مُعَنًى <sup>(٢)</sup> فِي طَلَبِ الْمَكَارِمِ ، غَيْرَ ضَالٍّ فِي مَعَارِجِ طَرَفِهَا ، وَلَا تَشَاغَلَ عَنْهَا بَنِيرُهَا » . ( الأمل ٢ : ٥٠ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ )

[١] أَيْ لِلدَّالِ الْغُرُومِ ، فَمِنْ لُغَمِهِ غَرَمَ سَهْلَهُ عَنْهُ . [٢] أَيْ يَتَجَبَّ وَيَنْصَبُّ .

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : اجعلني زماعاً من أزمئك يُجَرِّبُهَا الأعداء ، فَإِنِ مِسْرَحَ حَرْبٍ <sup>(١)</sup> ، وَرَكَابُ نُجُبٍ ، شديد على الأعداء ، لِيَن على الأصدقاء ، منطوى الحصيلة <sup>(٢)</sup> ، قليل الثميلة ، غرار النوم ، قد غَذَّتْني الحرب بأفلاويقها <sup>(٣)</sup> ، وَحَلَبْتُ الدهرَ أَشْطَرُهُ ، ولا تمنك مني الدمامة <sup>(٤)</sup> ، فَإِن من تحتها شهامة .

(المقد الفريد ٧ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨٠)

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « ذاك والله فسيح الأدب ، مستخيم السبب ، من أي أقطاره أثبتته ، تننى عليه بكرم فعال ، وَحُسْنِ مقال .

(زهر الآداب ٢ : ٦ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩)

ومدح أعرابي رجلاً فقال « كَانَ والله يَفْسِل من المار وجوهاً مُسَوِّدَةً ، ويفتح من الرأي عيوناً مُنْسَدَةً .

(المقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)

وذكر أعرابي قوماً عبّاداً فقال : « تَرَكُوا والله النعيم لِيَنْتَمُوا ، لهم عَبَرَاتٌ متدافقة ، وَزَفَرَاتٌ متتابعة ، لا ترام إِلَّا في وجهٍ وجهٍ عند الله .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « مَا رَأَيْتُ أَمْرَ إلى داجٍ بَلِيل ، على قَرَسٍ حَسِيب ، وجمل نجيب <sup>(٥)</sup> ، ثم لا ينتظر الأولُ السابق ، الآخر اللاحق .

[١] أي موقدها ، والتجب جمع نجيب . [٢] حصل الشيء تحميلاً : جمه ، والاسم الحصيلة ، وللمنى مكنته السر ، والتميلة في الأصل : ما يبق في بطن الدابة من اللطف والماء ، وما يسخره الإنسان من طعام أو غيره ، وفي حديث عبد الملك قال المباح : « أما بعد فقد وليتك الراخين ، فسر إليها منطوى الثميلة » والحقى حصر إليها غنفاً ، والنمرار : القليل من النوم . [٣] الأفاويج جمع أفاق ، وهو جمع فيعة بالكسر ، والتميلة : اسم اللبن يجمع في الفرع بين الحلبتين . [٤] الدمامة : فيج للنظر . [٥] النجيب : الجمل السريع الخفيف في السير .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « جعلوا أموالهم متدايِلَ أعراضهم ، فالخير بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ، ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إِذَا بُعِيَ لَدَيْهِمْ .

✽

وذكر أعرابي قوماً فقال : « والله ما أنالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وطئناه بأخفاف<sup>(١)</sup> أقدامنا ، وإنْ أَقْصَى هَمِّهِمْ لَا ذَنْيَ فِعَالِنَا .

✽

وذكر أعرابي أميراً فقال : « إِذَا وَلِيَ لَمْ يُطَاقِبْ بَيْنَ جُفُونِهِ<sup>(٢)</sup> ، وأرسل المَيُّونَ عَلَى عَيْنِهِ ، فهو غائب عنهم ، شاهد معهم ، فالحسن راجٍ ، والمُسِيءُ خائف .

✽

وذكر أعرابي رجلاً يبراعة المنطق فقال : « كان والله بارعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ الْأَلْفَاظَ ، عربىَّ اللسان ، فصيحَ البيان ، رقيقَ حَوَاشِيِ الْكَلَامِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، قليلَ الْحَرَكَاتِ ، ساكنَ الْإِشَارَاتِ .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « رَأَيْتَ لَهُ حِلْمًا وَأَنَاةً<sup>(٣)</sup> ، يُحَدِّثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَقَاطِعِهِ ، وَيُثْبِتُ الشَّعْرَ عَلَى مَدَارِجِهِ<sup>(٤)</sup> ، فَلَا تَسْمَعُ لَهُ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةً<sup>(٥)</sup> .

✽

وذكر أعرابي قوماً فقال : « آلَتْ<sup>(٦)</sup> سِيوفُهُمْ إِلَّا تَقْضَى دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَضِيْعُ حَقًّا لَهُمْ ، فَمَا أَخِذَ مِنْهُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكٌ لَهُمْ .

[١] جمع أخس كآخر ، وهو من باطن القدم ما لم يصب الأرض .

[٢] أي لم ينم عن شئون رعيته ، والعيون : الجواسيس .

[٣] مدارج جمع مدرج ومدرجة : التذنب والسك . [٤] أحل الكلام إحلة : إذا أفسده ، والحال

من الكلام : ما عدل به عن وجهه ، وأحال : أتى بالحال وتكلم به . [٥] حلفت .



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « مارأيت عيناً قطْ أخْرَقَ لِظُلْمَةِ اللَّيْلِ مِنْ عَيْنِهِ ، وَلَحْظَةً أَشْبَهَ بِلَهْيَبِ النَّارِ مِنْ لَحْظَتِهِ ، لَهُ هِزَّةٌ كَهِزَّةِ السَّيْفِ إِذَا طَرِبَ ، وَجُرْأَةٌ كَجُرْأَةِ اللَّيْثِ إِذَا غَضِبَ » .



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَتْ ظُلْمَةٌ لَيْلَهُ كَضَوْءِ نَهَارِهِ ، أَمِيراً بَارْتِياداً ، وَنَاهِياً عَنِ فُسَادٍ ، لَحِيْبٍ السُّوءِ غَيْرِ مُنْقَادٍ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « اشْتَرَى وَاللَّهِ عِرْضَتَهُ مِنَ الْأَذَى ، فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ فَأَتَقَمَّهَا ، لَرَأَى بَعْدَهَا عَلَيْهِ حُقُوقاً ، وَكَانَ مِنْهَا جَاً لِلْأُمُورِ الْمُشْكِلَةِ إِذَا تَذَاجَرَ النَّاسُ بِاللَّاعَةِ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « يُفَوِّقُ <sup>(١)</sup> الْكَلِمَةَ عَلَى الْمَعْنَى ، قَتَمَرُوقٌ مُرُوقٌ السَّهْمِ مِنَ الرِّمِيَّةِ ، فَمَا أَصَابَ قَتْلَ ، وَمَا أَخْطَأَ أَشْوَى <sup>(٢)</sup> ، وَمَا غَطَّنَطَ <sup>(٣)</sup> لَهُ سَهْمٌ مِنْذَ تَحَرَّكَ لِسَانُهُ فِي فِيهِ » .



وذكر أعرابي أخاه فقال : « كَانَ وَاللَّهِ رَكُوباً لِلْأَهْوَالِ ، غَيْرَ أُلُوفٍ لِلْحِجَالِ <sup>(٤)</sup> ، إِذَا أُرْعِدَ <sup>(٥)</sup> لِقَوْمٍ مِنْ غَيْرِ قُرٍّ ، يَهِينُ نَفْساً كَرِيْعَةً عَلَى قَوْمِهَا ، غَيْرَ مُبْقِيَةٍ لِنَدِي مَا فِي يَوْمِهَا » .

[١] يَسُدُّ وَيُصِيبُ ، وَالرِّمِيَّةُ : مَا يَرْمِي . [٢] أَشْوَاهُ أَصَابَ شَوَاهٍ ، وَالشَّوَى كَصَا : الْيَدَانِ وَالرَّجْلَانِ وَالْأَطْرَافُ وَقِفَ الرَّأْسُ وَمَا كَانَ غَيْرَ مَقْتُلٍ . [٣] النُّطْنَطَةُ : حِكَايَةُ صَوْتِ الدَّخْرِ فِي النَّبْلَانِ وَمَا أَشْبَهَهَا وَلَيْدِيكَوْنِ الْأَصْلِ « وَمَا غَطَّنَطَ » أَيْ مَا اضْطَرَبَ مِنَ النُّطْمَطَةِ وَهُوَ اضْطِرَابُ مَوْجِ الْبَحْرِ [٤] الْحِجَالُ جَمْعُ حِجْلَةٍ بِالتَّحْرِيكِ : الْغَيْبَةُ وَمَوْضِعُ يَزِينُ بِالنِّيَابِ وَالسُّتُورِ لِلْمَرْوَسِ ، وَالْمُرَادُ النَّسَاءُ . [٥] أُرْعِدَ : أَخَذَتْهُ رَعْبَةٌ .

\*\*\*

ومدح أعرابي رجلا فقال : « كَانَ وَاللَّهِ مِنْ شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، وَمَنْ بَحَرَ لَا يُخَافُ كَذْرَهُ . »

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ فَتَى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَاسِئًا ، فَأَحْسَنَ لُبْسَهُ ، وَزَيْنَ بِهِ نَفْسَهُ . »

\*\*\*

ومدح أعرابي رجلا فقال : « يُصِمُّ أُذُنِيهِ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَاءِ ، وَيُخْرِسُ لِسَانَهُ عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ ، فَهُوَ الْمَاءُ الشَّرِيبُ <sup>(١)</sup> ، وَالْمِصْقَعُ الْخَطِيبُ . »

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ سَبَقَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ قَبْلَ طَلْبِي إِلَيْهِ ، فَالْعَرِضُ وَافِرٌ ، وَالْوَجْهُ بِمَآئِهِ ، وَمَا أَسْتَقِيلَ <sup>(٢)</sup> بِنِعْمَةٍ إِلَّا أَقْفَلَنِي بِأُخْرَى . »

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ رَضِيعُ الْجُودِ وَالْمَفْطُومُ بِهِ ، عَقِيمٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ ، مُتَّصِمٌ بِالتَّقْوَى ، إِذَا حَذَفَتْ <sup>(٣)</sup> الْأُلسُنُ عَنِ الرَّأْيِ ، حَذَفَ بِالصَّوَابِ ، كَمَا يَحْذِفُ الْأَرَبُ ، فَإِنْ طَالَتِ الْغَايَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهَا نِهَايَةً ، تَهَلَّلَ أَمَامَ الْقَوْمِ سَابِقًا . »

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « إِنْ جَلِيسُهُ لَطِيبٌ عِشْرَتُهُ أَطْرَبُ مِنَ الْإِبِلِ عَلَى الْحَدَاءِ ، وَالتَّمَلُّ عَلَى الْغِنَاءِ . »

---

[١] الشريب والشراب : ما يشرب ، المصقع : البليغ أو المال الصوت أو من لا يرجح دليلاً في كلامه ولا يتشع . [٢] أي وما أعمل ، وأظنني : أرجو ورددني . [٣] حذفت : رمت .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَالُطُهُ جَهْلٌ ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، كَأَنَّهُ الْوَيْلُ عِنْدَ الْمَحَلِّ (١) » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهُ ، وَمَا رَأَيْتُ الْمُنْكَرَ أَبْغَضَ لِأَحَدٍ بِمُضَاهٍ لَهُ » .



وقدم أعرابي البادية وقد نال من بنى بَرَمَكْ ، فقليل له كيف رأيتهم ؟ قال : « رَأَيْتُهُمْ وَقَدْ أُنِسَتْ بِهِمُ النِّعْمَةُ ، كَأَنَّهُمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « مَا زَالَ يَنْفِي الْمَجْدَ ، وَيَشْتَرِي الْحَمْدَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدُ » .



ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « إِنْ جِهَلًا أَنْ يَقُولَ الْمَادِحُ بِخِلَافِ مَا يَعْرِفُ مِنَ الْمَدْحِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَكَارِمِ فِي زَمَانِ اللَّوْمِ مِنْكَ ، وَأَنْشُدُ :

مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً ؟      وَكَأَنَّ بَابَكَ تَجَمَّعَ الْأَسْوَاقُ  
حَابُوكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى      يَدِيكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ  
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ حَاشِقًا      وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةً الْعُشَاقِ

( القيد الجديد ٢ : ٨٨ - ٩٠ )



وضل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :  
 ما أدري ما أقول ؟ أ أقول : رَفَعَكَ اللهُ ؟ فقد رَفَعَكَ ، أم أقول : تَوَرَّكَ اللهُ ؟ فقد  
 تَوَرَّكَ ، أم أقول : حَسَّنَكَ اللهُ ؟ فقد حَسَّنَكَ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
 عَمَّرَكَ ، ولكني أقول : جعلني اللهُ فِدَاكَ . ( القد الفريد ٢ : ٩٧ )



وذكر أعرابي قومه فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ إِذَا اصْطَفَوْا تَحْتَ الْقَتَامِ <sup>(١)</sup> ،  
 خَظَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ ، بِوُفُودِ الْحِمَامِ ، وَإِذَا تَصَاغَوْا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ <sup>(٢)</sup> الْمَنَايَا  
 أَفْوَاهُهَا ، قَرُبَ يَوْمَ حَارِمٍ <sup>(٣)</sup> قَدْ أَحْسَنُوا أَدَبَهُ ، وَحَرَبِ عَبُوسٍ قَدْ صَنَّا حَكَمَهَا  
 أَسِنَّتُهُمْ ، وَخَطَبِ شَيْزٍ <sup>(٤)</sup> قَدْ ذَلَّلُوا مَنَاكِيبَهُ ، وَيَوْمَ عَمَّاسٍ <sup>(٥)</sup> قَدْ كَشَفُوا ظُلُمَتَهُ  
 بِالصَّبْرِ حَتَّى يَنْجَلِي ، إِنَّمَا كَانُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَا يُنْكَشُ <sup>(٦)</sup> غِمَارُهُ ، وَلَا يُنْتَهَى  
 تَيَّارُهُ » . ( الأمل ١ : ١٣٩ ، والقد الفريد ٢ : ٨٨ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )



ووصف أعرابي رجلا فقال : « هُوَ أَطْهَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَرْقُ طَبَاعَا مِنَ الْهَوَاءِ ،  
 وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ ، وَأَهْدَى مِنَ النَّجْمِ » . ( زهر الآداب ٢ : ٣ )

[١] القتام : الغبار ، والحمام : اللوث ، ورواية القد : « كَانُوا إِذَا اصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ »  
 - سفر بين القوم كضرب ونهر : أصح - . [٢] ففرت : فحمت .  
 [٣] الحرامة بالفتح والجرام بالضم : الفراسة والأذى ، مرم كنصر وضرب وكرم وعلم .  
 [٤] شئز : شديد ، مقلق . [٥] العماس من الغيال : المظلم الشديد ، وأمر لا ينام له ولا يهتدي لوجهه .  
 [٦] لا ينكش : لا ينزع ، والغمار جمع غمر كشمس وهو الماء الكثير ، ونهيه : كفه وزجره وفي  
 رواية القد : « إِنَّمَا قَرَى الْبَحْرَ مَا أَلْقَمَتْهُ الْقَتَمِ » ، ورواية زهر الآداب : « إِذَا اصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ  
 السَّهَامُ ، وَإِذَا تَصَاغَوْا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ فَه الْحِمَامُ » .



ووصف أعرابي قومه فقال : لِيُوثُ حَرْبٌ ، وَغِيُوثٌ جَدْبٌ ، إِنْ قَاتَلُوا  
أَبْلَوْا ، وَإِنْ بَدَلُوا أَغْنَوْا . (زمر الآداب ٢ : ٤)



وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « إِذَا مَبَتَّتِ الْأَصُولُ فِي الْقُلُوبِ ،  
نَطَقَتِ الْأَلْسُنُ بِالْفُرُوعِ ، وَاقَهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي لَكَ شَاكِرٌ ، وَلِسَانِي ذَاكِرٌ ، وَحَالِي  
أَنْ يَظْهَرَ الْوَدَّ الْمُسْتَقِيمَ ، مِنْ الْفَوَادِ السَّقِيمِ » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٥)



وسئل أعرابي عن قومه فقال : « يَقْتُلُونَ الْفَقْرَ ، عِنْدَ شِدَّةِ الْقُرَّةِ <sup>(١)</sup> ،  
وَأُرْوَاهِ <sup>(٢)</sup> الشَّتَاءَ ، وَهَيَّوْبِ الْجَزِيَاءِ <sup>(٣)</sup> ، بِأَسْنِمَةِ الْجَزُورِ ، وَتُرْعَاتِ <sup>(٤)</sup>  
الْقُدُورِ ، تَحْسُنُ وَجُوهَهُمْ عِنْدَ طَلَبِ الْمَعْرُوفِ ، وَتَعْبِسُ عِنْدَ لَمَعَانِ السِّيُوفِ » .



ووصف أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ جُودٌ كَرَامٍ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُهَا ، وَبَأْسُ  
لِيُوثٍ تَتَّبَعُهَا أَشْبَاهُهَا ، وَهَمَمٌ مَلُوكٍ انْفَسَحَتْ آمَالُهَا ، وَغَرُّ صَبِيحِ آبَاءِ  
شَرَفَتْ أَحْوَالُهَا » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٧)



[١] القُرَّةُ بفتح القاف : البرد . [٢] جمع دج كزج . [٣] دج الضم : دج الصبح أو بردها .

[٤] جمع تمرعة : وهي اللقوة .

## ٦٣ - قولهم في الذم

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أولئك سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْهَجَاءِ ، وَدُبِغَتْ  
وُجُوهُهُمْ بِاللَّوْمِ ، لِبَاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَزَادَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ يَبُوتٌ تَدْخُلُ حَبُوباً ، إِلَى غَيْرِ نَمَارِقٍ <sup>(١)</sup>  
وَلَا وَسَائِدَ ، فُصِّحُ الْأَلْسُنِ بِرَدِّ السَّائِلِ ، جِمَادِ الْأَكْفِ عَنِ النَّائِلِ <sup>(٢)</sup> » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لَقَدْ صَغَّرَ فُلَانًا فِي عَيْنِي عِظَمَ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَأَنَّمَا يَرَى  
السَّائِلَ إِذَا أَنَاهُ ، مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا رَأَاهُ » .

\*\*\*

وسئل أعرابي عن رجل فقال : « مَا ظَنُّكُمْ بِسِكِّيرٍ لَا يُفْقِيقُ ، يَتَّبِعُ الصَّدِيقَ ،  
وَيَمْنَعُ الشَّفِيقَ ، لَا يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا حَرُمَتْ فِيهِ الصَّلَاةُ ، وَلَوْ أَفْلَنْتَ  
كَلِمَةً سَوَاءً لَمْ تَصِرْ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَوْ نَزَلَتْ لَعْنَةٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ فُلَانًا لِيُمْدِي بِأَمْرِهِ ، مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِهِ ،  
وَلَنْ خِيَّتَنِي فَرْبٌ بَاقِيَةٌ قَدْ ضَاعَتْ فِي طَلَبِ رَجُلٍ كَرِيمٍ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « تَعْدُو إِلَيْهِ مَرَكَبُ الضَّلَالَةِ ، فَتَرْجِعُ مِنْ

[١] النمارق جمع نمرقة (بالفم) : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] النائل : الطاء ، وهو جمد الديدن  
أو الأنامل (كشمس) : أي يجبل ، وقد جمعا جمد الشعر على جمد ككتاب كما في اللسانم فليكن هذا  
مثله ، وقد جاء في الأصل « جمد » بدون ألف ، وأراه محرفاً ، إذ لا يجمع جمد (بالفتح) على جمد بضم  
فسكون ، ولا على جمد بضمين .

عنده بينور الآثام ، مُعْتَدِمٌ مِمَّا تَحِبُّ ، مُكْتَبِرٌ مِمَّا تَكْرَهُ ، وصاحب السوء  
قطعة من النار .



وقال أعرابي لرجل : « أنت واللهِ ممن إذا سأل أحلف ، وإذا سُئِلَ سوِّف ،  
وإذا حَدَّثَ حَلَف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حُسُود ، وتُعْرِضُ  
إِعْراضَ حَقُود » .



وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لِمَا سئل عن سفره : « مارَ بِحُنا في  
سفرنا إلا ما قَصَرنا من صلاتنا ، فأما الذي لَقِينَا من المَواجِر <sup>(١)</sup> ، وَلَقِيتُ منا  
منا الأَباعِرُ ، فَعَقُوبَةُ لَنَا فيما أَفْسَدْنَا من حسن ظننا » ، ثم أنشأ يقول :  
رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا خَرَجْنَا      وَمَا خَابَتْ مَرِيَّةُ سَالِمِينَا



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ إِذَا رَأَى قَرَبَ مِنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا ،  
فَأَقُولُ لَهُ : لَا تَقْبَحْ وَجْهَكَ إِلَى قَبْحه ، فَوَاللهِ مَا أَتَيْتَكَ لَطِيعَ رَاغِبًا ،  
وَلَا لُخُوفَ رَاهِبًا » .



وذم أعرابي رجلاً فقال : « عَبْدُ الفِعال ، حُرُّ المِقال ، عَظِيمُ الرِّواق ،  
دَنِيءُ الأَخلاق ، الدهرُ يرفعه ، ونَفْسُهُ تَصْنَعُهُ » .



وقال أعرابي : « دخلت البصرة ، فرأيت ثيابَ أحرارٍ على أجساد عبيد ،

[١] المَواجِر جمع هاجرة : وهي شدة الحر .



إِقْبَالَ حَفَّاهُمْ إِدْبَارُ حَفْظِ الْكِرَامِ ، شَجَرُ أَصُولِهِ عِنْدَ فُرُوعِهِ ، شَفَلَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ رَغَبُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .

\*\*\*

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَاكَ مُثَمَّ الْجَالِسِ ، أَعْيَا مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلُوسَاتِهِ ، أَبْلَغُ مَا يَكُونُ عِنْدَ نَفْسِهِ » .

\*\*\*

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَاكَ إِلَى مَنْ يَدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْجَهْلِ ، أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى مَنْ يَدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، إِنَّهُ لَا مَرَضَ أَوْجَعُ مِنْ قَلَّةِ عَقْلِ » .

\*\*\*

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا لَمْ يَدْرِكْ بَثَّارَهُ فَقَالَ : « كَيْفَ يُدْرِكُ بَثَّارَهُ مَنْ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْبَلْغَمِ حَشَوٌ مُرَقَّةٌ ، لَوْ دُقَّتْ بِوَجْهِهِ الْحَجَارَةُ لَرَضَّهَا <sup>(١)</sup> ، وَلَوْ خَلَا بِالْكَبَةِ لَسَرَقَهَا » .

\*\*\*

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « نَسَهَرَ وَأَلْفَهُ زَوْجَتُهُ جُوعًا إِذَا سَهَرَ النَّاسُ شَبِيحًا ، ثُمَّ لَا يَخَافُ مَعَ ذَلِكَ عَاجِلَ عَارٍ ، وَلَا آجِلَ نَارٍ ، كَالْبَهِيمَةِ أَكَلَتْ مَا جَمَعَتْ ، وَنَكَحَتْ مَا وَجَدَتْ » .

\*\*\*

وَسَمِعَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَزْعَقُ فَقَالَ : « وَيْحَكَ ! إِنَّمَا يَسْتَجَابُ لِمُؤْمِنٍ أَوْ مَظْلُومٍ ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَأَرَاكَ يَحْفَ عَلَيْكَ قِفْلُ الذُّنُوبِ ، فَيَحْسُنْ عِنْدَكَ مَقَابِلُ الْعُيُوبِ » .



وذكر أعرابي رجلاً بضف فقال : « سبي الروية ، قليل التقيّة ، كثير السّعاية ، ضعيف النّكاية » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « عليه كل يوم من فضله شاهدٌ يفسّقه ، وشهاداتُ الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال » .



وذكر أعرابي رجلاً بذلة فقال : « عاش خاملاً ، ومات مؤثوراً » .



وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، ذى الهمة : « ما أحوجّك أن يكون عِرْضُكَ لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن حدّثته يُسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكّته عنه أخذ في التّرهات <sup>(١)</sup> » .



وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه فقال : « والله لو أقصدُ إلى ما يهواه ، من الطّريق إلى المياه ، أفقره ذلك أو أغناه » .



وقال أعرابي : « ليت فلاناً أقالني من حسن ظني به ، فأختم بصواب إذ بدأت بخطأ ، ولكن من لم تُحكّمه التجارب ، أسرع بالمدح إلى من يستوجب النّدم ، وبالنّدم إلى من يستوجب المدح » .

✱

وقال أعرابي لرجل : « هل أنت إلا أنت لم تتَّير ؟ ولو كنت من حديد  
مُحَمَّى ووُضِعَتْ عَلَى عَيْنٍ لَمْ تَذُبْ » .

✱

وقال أعرابي لأخيه : « قد كنتُ نهيتك أن تدنُسَ عِرْضَكَ بمرض فلان ،  
وأعلمك أنه سمينُ المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فجأة ، قصيرُ عمر  
النَفْي ، طويلُ عمر الفقر » .

✱

وقال أعرابي : « لا ترك الله مُخَاً فِي سَلَايَ <sup>(١)</sup> نَاقَةٍ حَمَلَتْهُ إِلَيْكَ ، وَلَلدَّاعِي  
عَلَيْهَا أَحَقُّ بالدعاء عليه ، إذ كَلَّفَهَا المَسِيرَ إِلَيْكَ » .

✱

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « لا يُؤْنَسُ جَاراً ، ولا يُؤْهِلُ دَاراً ،  
ولا يَبْتَغِ نَاراً » .

✱

وذكر أعرابي امرأةً قبيحةً فقال : « تُرْخِي ذَيْلَهَا عَلَى عُرْقُوبِي نَمَامَةً ،  
وَتُسَدِّلُ خِمَارَهَا عَلَى وَجْهِهَا كَالْجُعَالَةِ <sup>(٢)</sup> » .

✱

وقال أعرابي لامرأة : « والله إنك لمُشْرِفَةُ الأَذْنَيْنِ ، جَاحِظَةُ العَيْنَيْنِ ، ذات  
خَلْقٍ متضائل ، يُعْجِبُكَ البَاطِلُ ، إن شَبِعْتَ بِطُورَتِ ، وإن جُمِعَتْ صَخَبَتِ <sup>(٣)</sup> ،  
وإن رَأَيْتِ حَسَنًا دَفَعْتِهِ ، وإن رَأَيْتِ سَيِّئًا أَدَغْتِهِ ، تَكْرِمِينَ مِنْ حَقَرِكَ ،  
وَتُحْقِرِينَ مِنْ أَكْرَمِكَ » . ( المقدم الفريد ٢ : ٩٠ - ٩٣ )

---

[١] السلايمان : عظام الأصابع . [٢] الجمالة : خرقه يزل بها القدر .  
[٣] الصخب : شدة الصوت .

وسأل أعرابي رجلا غرمه ، فقال له أخوه : « نزلت والله بوادي غير مَنطُور ،  
وأُتيت رجلا بك غير مسرور ، فلم تُذكرِكَ ما سألتَ ، ولا نلتَ ما أملتَ ،  
فارتحل بِندَمٍ ، أو أقيم على عَدَمٍ » . ( القند الفريد ٢ : ٩٢ ، وزمر الآداب ٢ : ٥ )

ودخلت أعرابية على تحذونة بنت المهدي ، فلما خرجت سئلت فقالت :  
« والله لقد رأيتها فإرأيت طائلا ، كأن بطنها قربة ، كأن نذيتها دُبَّة ، كأن  
استها رُمَّة <sup>(١)</sup> ، كأن وجهها وجهُ ديك قد نفَّش <sup>(٢)</sup> حَبْرَتَهُ يقاتل ديكًا » .  
( القند الفريد ٢ : ٩٢ ، والأمال ٢ : ١٥٦ )

وذم أعرابي رجلا فقال : « أفسدَ آخرتَه بصلاح دنياء ، ففارق ما أصلح  
غيرَ راجع إليه ، وقَدِمَ على ما أفسدَ غيرَ متقبلٍ عنه ، ولو صدَّق رجل نفسه  
ما كذَّبته ، ولو ألقى زمامَهُ أوطأه راحِلَتَه » . ( زمر الآداب ٢ : ٦ )

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه : « والله لو صوِّرَ الجمل  
لأظلم معه النهارُ ، ولو صوِّرَ العقلُ لأضاء معه الليلُ ، وإنك من أفضلهما لمُعَدِمٍ ،  
تَخَفِ الله واعلم أن من ورائك حَكَا لا يحتاج المدعى عنده إلى إحضار يَتَنَّةٍ » .  
( زمر الآداب ٣ : ١٦٢ )

وقال أعرابي يسيب قوماً : « هم أقولُ الناس ذُنُوبًا إلى أعدائهم ، وأكثرم  
جُرْمًا إلى أصدقائهم ، يَصُومُونَ عن المعروف ، وَيَفْطِرُونَ على الفحشاء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والقند الفريد ٢ : ٩٠ )



ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صَمِيرُ الْقَدْرِ ، قَصِيرُ الشَّيْرِ <sup>(١)</sup> ، ضَيْقُ  
الصدر ، لَثِيمُ النَّجْرِ <sup>(٢)</sup> ، عَظِيمُ الْكِبَرِ ، كَثِيرُ الْفَخْرِ » .  
( أليال والتبيين : ١ : ١٥٧ ، والبغداد الفريد : ٢ : ٩١ )



وذكر أعرابي أميراً فقال : « يَقْضَى بِالْمَشْوَةِ ، وَيَطِيلُ النِّشْوَةُ ،  
وَيَقْبَلُ الرِّشْوَةَ <sup>(٣)</sup> » . ( أليال والتبيين : ٢ : ٥٠ ، والبغداد الفريد : ٢ : ٩١ )



وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَمِّ  
أَوْفَى » ، قال : « وَمَنْ أُمُّ أَوْفَى ؟ » ، قال : « امرأتى ، وإنها لَحَمَاءٌ مِنْ قَامَةِ <sup>(٤)</sup> ،  
أَكُولُ قَامَةً <sup>(٥)</sup> » ، لا تَبْقَى لَهَا حَامَةٌ <sup>(٦)</sup> ، غير أنها حسناء فلا تُفْرَكُ <sup>(٧)</sup> ، وأم  
غلمان فلا تُفْرَكُ » . ( أليال والتبيين : ٢ : ٤٧ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهى  
تقول : « والله إن شُرْبِكَ لَأَشْتَفَا <sup>(٨)</sup> ، وإن ضِجْجَتَكَ لَأَنْجِمَا <sup>(٩)</sup> ،  
وإن شِمْثَلَتَكَ لَأَلْتَفَا ، وإنك لَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وتنام لَيْلَةً تُخَافُ » ،

[١] الشبر : القد . [٢] النجر : الأصل . [٣] المشوة والنشوة والرشوة يقتلث الفاء فى  
الثلاثة ، المشوة : ركوب الأمر على غير بيان ، والنشوة : السكر ، والرشوة : الجبل والبرطيل  
« بكسر الباء » . [٤] المرغامة : اللقضة لبعلمها . [٥] قامة : اسم فاعل ، من قم : أى أكل  
ما على الحوان كآفته ، وقه : كفه . [٦] الحامة : الخاصة .  
[٧] فرك زوجته وفركته كسح ، وكسر شاذ : أبغضته ، ورجل مفرك بالتشديد تبغضه النساء  
وامرأة مفركة : ينفضها الرجال . [٨] اشتف : ما فى الإفاء : شربه كله .  
[٩] الأنجماف : الانصرام .

فقال لها : « والله إنك لَكَرْوَاءُ السَّاقِينِ <sup>(١)</sup> ، قَمَوَاءُ الْفَخْذَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، مَقَاوِلُ الرُّفَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، مَقَاضِي الْكَشْحَيْنِ <sup>(٤)</sup> ضَيْفُكَ جَانِعٌ ، وَشَرُّكَ شَائِعٌ » . (الأمل : ١ : ١٠٤)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : مرَّ أعرابيُّ برجل يكنى أبا النمر - وكان ضخمًا جسيماً ، وكان جواباً لبعض الملوك - فقال : أعين الفقير الحسير ، فقال : ما ألحف سائلكم ، وأكث جائعكم ، أراحنا الله منكم ، فقال له الأعرابي : « لو فرَّق قوتُ جسمك في جِسوم عشرة منا ، لكفانا طعامك في يومٍ شهراً ، وإنك لعظيم السرَّطة <sup>(٥)</sup> ، شديد الضَّرْطَةِ ، لو ذرَّيَ بِحَبَقَّتِكَ يَنْدَرُ ، لكفَّته ريحُ الجَرِيَاءِ <sup>(٦)</sup> » . (الأمل : ١ : ٢٢٦)

## ٦٤ - قولهم في الغزل

سئل أعرابي عن امرأة فقال : « هي أَرْقُ من الهواء ، وأطيبُ من الماء ، وأحسن من النِّعْماء ، وأبعد من السماء » . (الأمل : ١ : ٢٠١ ، والنفاء الفريد : ٢ : ٩٤)

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لها جلدٌ من لؤلؤ ، مع رائحةِ المسك ، وفي كلِّ عُضْوٍ منها شمسٌ طالعة » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « كَادَ الْغَزَالُ أَنْ يَكُونَهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وَمَا نَقَصَ مِنْهُ » .

[١] الكرواء : الدققة الساقين .

[٢] الأصواء : الدققة ، أو الدققة الفخذين ، وقيل : هي التباعدة ما بين الفخذين (كالنجراد) .

[٣] الرفق : أصل الفخذ ، والقفا : الدققة الفخذين ، أو الطويلة من القف بالتحريك وهو الطول .

[٤] المقاضة : المسترخية ، والكشحال : المصطغان . [٥] البلة : من سرطه كنعن وفرح : أبطه

[٦] الحبقة : الضربة ، والبيد : اللوح القوي تداس فيه الحبوب ، والجرياء : ريح النمل الباردة .

وذكر أعرابي نسوة خرجن متزهات فقال : « وجوه كالدنانير ، وأعناق  
كأعناق اليمافير <sup>(١)</sup> ، وأوساط كأوساط الزناير ، أقبلن إلينا بنججول <sup>(٢)</sup> تحفيق ،  
وأوشحة تملق ، وكم أسير لهن وكم مطلق » .



ووصف أعرابي امرأة حسناء فقال : « تبسم عن تخش <sup>(٣)</sup> اللثات ،  
كأقاحي النبات ، فالسميد من ذاقه ، والشقي من راقه » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « هي السقم الذي لا بُرء منه ، والبرء الذي  
لا سقم معه ، وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما » .



ووصف أعرابي امرأة فقال : « يضاء جعدة <sup>(٤)</sup> لا يمس الثوب منها  
إلا مشاشة <sup>(٥)</sup> كتفيها ، وحلمة ثديها ، ورضقي ركبتيها ، ورائفتي  
أليتيها ، وأنشد :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِهَا      مَسَّ البَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهْرُهَا  
وَإِذَا الرِّيحَ مَعَ العَشِيِّ تَنَاوَحَتْ      نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا

[١] اليمافير جمع يافور : وهو ولد البقرة الوحشية . [٢] المجول جمع جبل بالكسر والفتح : وهو الخلل ، والأوشحة جمع وشاح بالقم والكسر : أديم عريض يرصع بالجوهر ، تشده المرأة بين مانتها وكشحيها . [٣] خدش ، والأفاحى جمع أقحوان بالقم : وهو نبت طيب الريح حواله ورق أبيض ، ووسطه أصفر ، وراقه : أهجه .

[٤] الجعد من الشعر خلاف السبط ، أو أقصر منه ، ورجل جعد الشعر والأثني جعدة ، والجعد أيضا الدمع الخلق المجتمع يصفه إلى بعض ، والجعد إذا ذهب به مذهب للدخ فله معنيان مستحبان : أحدهما أن يكون ممصوب الجوارح شديد الأسر والخلق غير مسترخ ولا مضطرب ، والثاني أن يكون شعره جددا غير سبط لأن سبوط الشعر هي الغالبة على شعور المجمع من الروم والفرس ، وجودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب . [٥] اللشاشة : رأس العظم ، والرضف : عظام في الركبة كالأصابع المضمومة قد أخذ بعضها بعضا ، والراحة : أسفل الألية عند القيام .

❦

وذكر أعرابي امرأة فقال : « تلك شمس باهت بها الأرضُ شمسُ سماءها ،  
وليس لي شفيع في اقتضائها <sup>(١)</sup> ، وإن نفسي لكتوم لداؤها ، ولكنها تقيض  
عند امتلائها » .

❦

وقال أعرابي في امرأة ودعها للسير : « والله ما رأيت دمة ترقرق من  
عين يأميد <sup>(٢)</sup> على ديباجة خد ، أحسن من عبّرة أمطرتها عينها ، فأعشت  
بها قلبي » .

❦

وقال أعرابي : « إن لي قلباً مرّوعاً <sup>(٣)</sup> ، وعينا دموعاً ، فإذا يصنع كل  
واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟ » .

❦

وقال أعرابي : « ما أشدَّ جولةَ الرأي عند الهوى ، وفِطَامَ النفس عن الصِّبَا !  
ولقد تقطعت كبدي لَوْمُ العاذِلين للماشقين قِرْعَةً في آذانهم ، ولَوَحات الحب  
نيرانٌ في أبدانهم ، مع دموع على المغاني <sup>(٤)</sup> ، كغروب السَّوَانِي » .

❦

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لقد نَمِيتَ عَيْنٌ نظرتُ إليها ، وشقَّ قلب  
تَجَجَّعَ عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فيُرْحَبُ بي طَرْفُهَا ، ويتجهَّمني  
لسانُهَا » قيل له فما بلغ من حُبِّك لها ؟ قال : « إني ذا كِرْ لها وبينى وبينها  
عَذْوَةُ الطائر ، فأجد لذكرها ریحَ المسك » .

[١] اقتضى ذنبه وعاشاه بمعنى . [٢] الأعمد : الكمل ، والديباجة : الحد . [٣] مفرّعا .  
[٤] المغاني جمع مغنى : وهو للتلذذ ، والغروب جمع غروب كقمس : وهو الغلو المطيبة ، والسواني جمع  
سانية : وهي الناقة يبقى عليها ، والغرب وأداته .



وقال أعرابي : « <sup>١</sup>هَتَوَى هَوَان ، وَلَكِنْ غُلِطَ بِاسْمِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ مِنْ يَقُولُ ، مِنْ أَبْنَكْتَهُ الْمَنَازِلُ وَالطَّلُولُ » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « <sup>٢</sup>إِنْ لِسَانِي لَذِكْرُهَا لَذَلُولُ ، وَإِنْ حَبِّهَا لِقَلْبِي لَقَتُولُ ، وَإِنْ قَصِيرَ اللَّيْلِ بِهَا لَيَطُولُ » .

ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال : « <sup>٣</sup>كَلَامُهُنَّ أَقْتَلُ مِنَ النَّبْلِ ، وَأَوْقَعُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَبْلِ بِالْمَحْلِ ، فَرَوْعُهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ فُرُوعِ النَّخْلِ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٣ - ٩٥ )

وقال أعرابي : « <sup>٤</sup>دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ أَعْيُنًا دُعْجًا <sup>(١)</sup> ، وَحَوَاجِبَ زُجَا ، يَسْجَبُنَ الثِّيَابَ ، وَيَسْلُبُنَ الْأَلْيَابَ » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٣ ، وزمر الآداب ٣ : ١٧ )

وذكر أعرابي نساء فقال : « <sup>٥</sup>ظَلَعَانُ <sup>(٢)</sup> فِي سَوَافِهِنَّ طُولُ ، غَيْرَ قِيحَاتِ الْعُطُول <sup>(٣)</sup> ، إِذَا مَشَيْنَ أَسْبَلْنَ الذُّيُولَ ، وَإِنْ رَكِبْنَ أَثْقَلْنَ الْحُمُولَ <sup>(٤)</sup> » .  
( زمر الآداب ٣ : ١٧ )

وقال أعرابي : « <sup>٦</sup>لَقَدْ رَأَيْتُ بِالْبَصْرَةِ بُرُودًا كَأَنَّهَا صُبِغَتْ بِأَنْوَارِ الرَّيْعِ ، فَهِيَ تَرُوعُ <sup>(٥)</sup> ، وَاللَّابِسُ لَهَا أُرُوعُ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

[١] دجاء جمع دجاء ، وصف من الدجج بالتحريك : وهو سواد العين مع سمها . وزجاء جمع زجاء من الزجج بالتحريك أيضاً : وهو دقة الحاجبين في طول .  
[٢] ظلعان جمع ظليعة : والظليعة في الأصل وصف المرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تصير مظعومة ، وهي فيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظلم بها ، والسوالف جمع سالفه : وهي ناحية مقدم المتق من لدن ملحق الفهرط الى قرة الترقوة . [٣] عطلت المرأة كفرح عطلا بالتحريك وهطولا : إذا لم يكن عليها حل . [٤] الحول : الهوادج ، أو الإبل عليها الهوادج جمع حمل بالكسر ويختج . [٥] تمجب .

وقال أعرابي : « شَيْعَنَا الْحَيَّ وَفِيهِمْ أَدْوِيَةُ السَّقَامِ<sup>(١)</sup> ، فَقَرَأَنَ بِالْحَدَقِ  
السَّلَامَ ، وَخَرِسَتْ الْأَلْسُنُ عَنِ الْكَلَامِ . »  
(الأمال : ٢ : ٥٠)

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لَامْتَعُ الْهَوَى بِمَلَكِهِ ، وَلَا تُثْلِي<sup>(٢)</sup>  
بِسُلْطَانِهِ ، وَقَبَضَ اللَّهُ يَدَهُ ، وَأَوْهَنَ عَضُدَهُ ، فَإِنَّهُ جَائِرٌ لَا يُنْصِفُ فِي حَكْمٍ ، أَعْمَى  
لَا يَنْطِقُ بِعَدْلٍ ، وَلَا يَقْصُرُ فِي ظُلْمٍ ، وَلَا يَرْعَى لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَنْقَادُ لِحَقِّ ، وَلَا يُنْتَقِ  
عَلَى عَقْلِ وَفَهْمٍ ، لَوْ مَلَكَ الْهَوَى وَأَطَاعَهُ ، لَرَدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَالْدُنْيَا عَلَى أَعْقَابِهَا »

وسئل أعرابي عن الهوى فقال : « هُوَ دَاءٌ تُدَاوِي بِهِ النَفُوسُ الصَّحَاحَ ،  
وَتَسْلُ مِنْهُ الْأَرْوَاحَ ، وَهُوَ سَقَمٌ مُكْتَمٌ ، وَحَمِيمٌ<sup>(٣)</sup> مُضْطَرِمٌ ، فَالْقُلُوبُ لَهُ  
مُنْضَجَةٌ ، وَالْعَيُونُ سَاكِبَةٌ . »  
(زمر الآداب : ٣ : ١٨)

ووصف أعرابي امرأةً يحبها فقال : « هِيَ زِينَةُ الْحُضُورِ ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِ  
السُّرُورِ ، وَلَدِّ كَرُّهَا فِي الْمُنِيبِ ، وَالْبَعْدِ عَنِ الرَّقِيبِ ، أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ وَلَدٍ  
وَنَسِيبٍ ، وَبِهَا عُرِفَ فَضْلُ الْحُورِ الْعَيْنِ ، وَاشْتَقِيَ بِهَا إِلَيْهِنَّ يَوْمَ الدِّينِ . »  
(زمر الآداب : ٣ : ٢٤٤)

ووصف أعرابي نساءً فقال :

« يَلْتَمِسْنَ عَلَى السَّبَائِكِ<sup>(٤)</sup> ، وَيَتَشَحَّنَ عَلَى النَّيَازِكِ<sup>(٥)</sup> ، وَيَأْتِرْنَ

[١] أي المصوبات المداوية للعلاج .

[٢] ملأه الله حبيبه تملية : تمته به وأطاعه منه طويلا . [٣] الحميم : الماء الحار . وفي الأصل :

« وَجَمِي » وأراد عروفا عن حميم ، ويناسبه قوله بعد : « وَالْعَيُونُ سَاكِبَةٌ » .

[٤] التمام على التمام ، والتمام على طرف الألف ، تثبتت المرأة وتكلمت ، والسباك هنا الأستان شبهها

لبياضها بالسباك . [٥] النيازك جمع نيزك كجفر : وهو الرمح القصير .

على القَوَانِك<sup>(١)</sup> ، وَيَرْتَقِنُ على الْأَرَائِكِ<sup>(٢)</sup> ، وَيَهَادِنُ على الدَّرَائِكِ<sup>(٣)</sup> ،  
ابْتِسَامُهُنَّ وَمِيزُهُ ، عن وَلِيحٍ كَالْإِغْرِيزِ<sup>(٤)</sup> ، وَهُنَّ إلى الصَّبَا صُورٌ ، وعن  
الْحَنَّا نُورٌ<sup>(٥)</sup> . (الأمل ١ : ٤٤ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨)

## قولهم في الوصف

### ٦٥ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر فقال :

« اسْتَقَلَّ سُدُّمِعِ انْتِشَارِ الطُّفْلِ<sup>(١)</sup> ، فَتَصَا وَأَحْزَالَ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ اكْفَهَرَتْ  
أَرْجَاؤُهُ ، وَاحْمَوَمَتْ أَرْحَاؤُهُ ، وَابْدَعَرَتْ قَوَارِقُهُ<sup>(٣)</sup> ، وَتَصَا حَكَّتْ بَوَارِقُهُ ،  
وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ ، وَارْتَنَقَتْ جُوبُهُ ، وَارْتَعَنَ هَيْدَبُهُ<sup>(٤)</sup> ، وَحَشَكْتَ أَخْلَافُهُ ،  
وَاسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ ، وَانْتَشَرَتْ أَكْنَفُهُ<sup>(٥)</sup> ، فَارْعَدَ مَرْجَسُ ، وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسُ ،

[١] العوائك جمع عاك : وهو رمل منعقد ينشئ فيه البعير لا يقدر على السير .

[٢] الأرائك جمع أريكة وهي السرور أو الفرش ، وارتفق : اتكأ على مرفق يده ، أو على الخدة .

[٣] يهادين : يمشين مشياً ضعيفاً ، والدرايك : الطنافس جمع درنوك كصفيور ، ودونك كزرج .

[٤] الوميض : اللعان الحلي ، والوليح : الطلع ، كأنه نظم الأوّل في شدة بياضه . قال الشاعر يصف

نفر امرأة : وتبسم عن نير كالوليح ، والإغريض : الطلع حين ينشق عنه كلفوره ، والبرد (بتحريك الراء) .

[٥] صور : موائل ، ومنه قيل للمائى الدق أصور ، ونور : نافرات من الرية جمع نوار كسحاب .

[٦] استقل : ارتفع ، والسد : السحاب الذي يسد الأفق ، والطفل : الضئيل إلى حد القرب .

[٧] شها ارتفع ، واحزأ مثله . [٨] للكهفر من السحاب : الذي يركب بفضه بعضاً ،

وأرجأؤه : نواحيه جمع رجا كصفا ، واحومت : اسودت ، وأرحأؤه : أوساطه ، جمع رجا كصفا ، وابدعرت

تفرقت ، والفوارق جمع فارق ، وهو السحاب الذي يتقطع من معظم السحاب ، وأصله في الإبل ، يقال

ثافة فارق : وهي التي تتدعن الإبل عند حاجتها .

[٩] استطار : انتشر ، والودق الذي يكون فيه الودق ( كشمس ) وهو المطر العظيم القطر ، وارتنتقت

الثأمت ، وجوبه : فرجه ، وارتعن : استرخى ، والمهيدب : الذي يتدل ويدنو من الأرض مثل هيدب القطيفة .

[١٠] حشكت : امتلأت ، والأخلاف جمع خلف كحمل ، وهو لثافة كالفرع للبقرة ، أردانه : ما أخبره

والأكناف : النواحي .

والماء مُنْبِجٌ<sup>(١)</sup> ، فَأَتَرَعَ<sup>(٢)</sup> الذُّدُرَ ، وَاتَّبَتَ<sup>(٣)</sup> الوُجُرَ<sup>(٤)</sup> ، وَخَاطَ<sup>(٥)</sup> الأَومالَ  
بِالْأَجالِ ، وَقَرَنَ<sup>(٦)</sup> الصَّيْرانَ بِالرَّئالِ<sup>(٧)</sup> ، فَلأُودِيَةِ هَدِيرٍ ، وَللشُّرَاجِ خَرِيرٍ ، وَللثَّلَاحِ  
زفير<sup>(٨)</sup> ، وَحَطَّ<sup>(٩)</sup> النَّبْعَ وَالنَّعْمَ ، مِنَ الثَّقَلِ الشَّمَّ<sup>(١٠)</sup> ، إِلَى القِيَمَانِ الصُّخْمِ<sup>(١١)</sup> ، فَلَمْ  
يَبْقَ فِي القَلالِ إِلَّا مُنْعِمٌ مُجَرَّبٌ<sup>(١٢)</sup> ، أَوْ داحِضٌ مُجَرَّبٌ<sup>(١٣)</sup> ، وَذلكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ  
المالينَ ، عَلَى عِبَادِهِ المُذْنينَ . (الأمال : ١ : ١٧٣)

## ٦٦ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابيا من غني يذكر مطرا أصاب<sup>(١)</sup> بلادهم في  
غيب<sup>(٢)</sup> جذب فقال :

« تَذَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدْ كَلَيْتَ الْأَنْعَالَ ، وَتَقَاصَرَتِ الْأَمَالُ ، وَعَكَّافَ  
الْيَاسَ ، وَكُطِمَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَأَصْبَحَ الْمَاشِي مُعْصِرا<sup>(٣)</sup> ، وَالْمُتَرَبُّ مُعْصِما ،

[١] مرتجس : مصوت من الرحس كحل وهو الصوت ، مختلس : كأنه يختلس البصر لفدة إمامته ،  
منبجس : منفجر .

[٢] أنزع : ملأ والذود جمع غدبر ، والوجر جمع وجار ككتاب وسحاب وهو جمر الضبع والطلب ،  
واتبت : أخرج نبيتها وهو تراب البر والغير ، أي أنه لشدة هدم الوجر حتى أخرج ما بداخلها من التراب .  
[٣] الأومال جمع وعل ، ( كنس وكنت ودتل ) : التيس الجلي ، والأجال جمع أجل كحل وهو  
القطع من البر أي أنه لفدته جمع بين انهول - وهي تسكن الجبال - وبين البر - وهي تسكن القيمان  
والرمال ، والصيران جمع صوار كسجام ، وصيار ككتاب وهو الفجاج من البر ، والرئال جمع رال كشمس  
فرغ النعام ، فالرئال تسكن الجفد ( بالتحريك ) وهي الأرض الصلبة للمستوية للثقل ( والصيران تسكن الرمال  
والقيمان ، ففرد بينهما .

[٤] هدير : أي صوت كهدير الابل ، الفراج جمع فراج كشمس وهو ميل الماء من المرة إلى السيل  
والثَّلَاح : سائل الماء من الجبال حتى ينصب في الوادي . [٥] النبع : شجر يتخذ منه القسي ينبت في  
الجبال ، والنعم : الزيتون الجلي كقفل وعنتق ، والفلال : أعلى الجبال جمع قلة كفرصة ، والشم : الرتصة  
جمع شماء ، والقيمان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطبقة قد أخرجت منها الجبال والأكام ، والصخم : التي سطوها  
حرة جمع أحمم . [٦] اللصم : الذي قد تمسك بالجبال وابتنع فيها ( ويقال للرجل الذي يسك برف فرسه  
خوف السقوط : مصم ) مجرثم : متقبض ، الناحض : الذي يفض برجليه عند الموت ، والمجرم : المروع .  
[٧] صاب : جاد ، وكليت : اشتدت ، والأعمال جمع عمل كشمس وهو القطع ، وعكف : أظم .

[٨] الماشي : صاحب للماشية ، معنى الرجل وأمنى : كثرت ماشيته ، والمصرم : المقارب لئال القتل ،

وَجَفِيتِ الْحَلَالِيلُ ، وَأَمْتُنْهَتِ الْعَقَائِلُ ، فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَّامًا<sup>(١)</sup> ، كَتَهَوَّرَ سَجَّامًا ،  
بُرُوقُهُ مَتَأَلِّقَةٌ ، وَرُعُودُهُ مُتَفَقِّعَةٌ ، فَسَحَّ سَاجِيًا<sup>(٢)</sup> رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ ،  
ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ الشَّمَالَ ، فَطَهَّرْتَ<sup>(٣)</sup> رُكَّامَهُ ، وَفَرَّقْتَ جَهَامَهُ ، فَاتَّقَشَعَ مَحْمُودًا ،  
وَقَدْ أَحْيَا وَأَغْنَى ، وَجَادَ فَأَرْوَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُكْتَبُ نِعْمَتُهُ ، وَلَا تَنْقَدُ  
قِسْمَتُهُ ، وَلَا يَخْجِبُ سَائِلُهُ ، وَلَا يَنْزُرُ<sup>(٤)</sup> نَائِلُهُ . (الأمال : ١ : ١٧٦)

## ٦٧ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن مطر  
صَابَ بِلَادِهِمْ فَقَالَ :

« نَشَأَ عَارِضًا<sup>(١)</sup> ، فَطَلَعَ نَاهِضًا ، ثُمَّ ابْتَسَمَ زَامِضًا ، فَأَعَسَّ فِي الْأَقْطَارِ  
فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ فِي الْآفَاقِ فَمَطَّأَهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ<sup>(٢)</sup> فَهَمَّهِمْ ، ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ ،

وَالْتَرَبَّ اغْنَى الَّذِي لَهُ الْمَالُ مِثْلَ التَّرَابِ كَثْرَةً ، يُقَالُ : أَثْرَبَ الرَّجُلُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ ( وَقُلْ أَيْضًا : ضِدُّهُ )  
وَتَرَبَّ كَفْرَحَ إِذَا انْقَرَضَ كَأَنَّهُ اصْبَقَ بِالتَّرَابِ ، وَامْتُنَتْ : اسْتَعْدَمَتْ وَاعْتَمَلَتْ ، وَالْعَقَائِلُ جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَأَنْشَأَ  
أَحْدَثَ ، وَالنَّشَاءُ : السَّحَابُ أَوَّلَ مَا يَخْرُجُ .

[١] الرُّكَّامُ : التُّرَاكُمُ ، وَالْكُتْهُورُ مِنَ السَّحَابِ قَطْعُ كَأَنَّهَا الْجِبَالُ ، أَوْ التُّرَاكُمُ مِنْهُ ، وَاحِدَتُهُ كُنْهَوْرَةٌ ،  
وَسَجَّامٌ : صَبَابٌ ، وَمَتَأَلِّقَةٌ : لَامِقَةٌ ، وَمُتَفَقِّعَةٌ : مَصَوِّتَةٌ .

[٢] سَحَّ : صَبَّ ، - سَاجِيًا : سَاكِمًا ، رَاكِدًا : ثَابِتًا ، وَالْفُوقُ : أَنْ يَصْبُ صَبَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَصْبُ  
أُخْرَى ثُمَّ يَسْكُنُ وَأُخْرَى مِنْ فُوقِ النَّافَةِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْحَابِلَيْنِ ، كَأَنَّهُ يَجْلِبُ حَلْبَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَجْلِبُ أُخْرَى  
ثُمَّ يَسْكُنُ . [٣] طَهَّرْتُ : أَذْبَهْتُ وَأَعْدَيْتُ ، وَالْجَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي قَدْ هَرَقَ مَاءَهُ ، تَكَتَ : تَحَمَّى .  
[٤] يَنْزُرُ : يَقُلُ ، وَمَنْعَهُ قِيلَ : امْرَأَةٌ نَزَّوْرٌ : إِذَا كَانَتْ قَلِيلَةَ الْوَلَدِ .

[٥] الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمُرْتَضِ فِي الْأَفْقِ ، وَوَضْعُ الْبَرْقِ كَوَعْدٍ ، وَلَمْ يَخْفِيفَا ، وَلَمْ أُجِدْ فِي كِتَابِ الْهَدْيِ  
«أَعَسَّ» وَإِنَّمَا الَّذِي فِيهَا «عَمَسَ السَّحَابُ : دَنَا مِنَ الْأَرْضِ» وَأَسْجَاهَا : غَطَّاهَا ، وَفِي الْأَصْلِ «أَسْجَاهَا»  
بِدَاءٍ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . [٦] ارْتَجَزَ الرَّدَدُ : صَاتَ ، وَارْتَجَزَ السَّحَابُ : تَحَرَّكَ بَطِيئًا لِكَثْرَةِ مَائِهِ ،  
رَمَحَهُمُ الرَّدَدُ : إِذَا سَمِعْتَ لَهُ دَوِيًّا وَهَمْهَمَةً : كُلُّ صَوْتٍ مَعَ بَحْجٍ ، وَأَرْكَ : أَقْبَى بِالرَّكَ ( يَفْتَحُ الزَّاءُ وَيَكْسُرُ )  
وَهُوَ الْمَطَرُ الْقَلِيلُ أَوْ هُوَ فَوْقَ الدُّثِّ ، وَالدُّثُّ بِالْفَتْحِ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ ، وَالْبَشَّةُ بِالِتَّحِ : الْمَدَارَةُ الضَّعِيفَةُ  
وَقَدْ بَشَّتْ السَّمَاءُ كَحَجٍّ ، وَالطَّشُّ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ وَهُوَ فَوْقَ الرِّذَاذِ ، طَلَّتْ السَّمَاءُ كَنَصْرٍ وَضُرْبٍ .

فَأَرْكَ وَدَثَّ ، وَبَشَّشَ وَطَشَّ ، ثُمَّ قَطَّقَطَ <sup>(١)</sup> فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دَيْمَ فَأَغْمَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ فَأُتْجِمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَادَ فَأَنَسَمَ ، فَفَمَسَ الرَّثْبَا <sup>(٢)</sup> ، وَأَفْرَطَ الزُّرْبَى ، سَبَمَا تَبَاعَا ، مَا يَرِيدُ انْتِشَاعَا ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحُرُونُ <sup>(٣)</sup> ، وَتَضَحَّضَتْ الْمُتُونُ ، سَافَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلِبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ . ( بولغ الأرب ٣ : ٢٤٩ )

## ٦٨ - ثلاثة غلبة من الأعراب يصفون مطرا

، الْأَصْمَى قَالَ : مَرَرْتُ بِبَنِيَّةٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَتِمَّاقِلُونَ <sup>(٤)</sup> فِي غَدِيرٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيُّكُمْ يَصِفُ لِي النَّيْثَ وَأَعْطِيهِ دِرْهَمًا ؟ فَنُحِرُوا إِلَى فَقَالُوا : كُلُّنَا ، وَمِثْلُ ثَلَاثَةٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : صِفُوا ، فَأَيُّكُمْ ارْتَضَيْتَ وَصَفَهُ أَعْطَيْتَهُ الدِّرْهَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : « عَنْ لَنَا عَارِضٌ قَصْرًا <sup>(٥)</sup> ، تَسُوقُهُ الصَّبَا ، وَتَحْدُوهُ الْجَنُوبُ ، يُحِبُّو حَبَوَ الْمُتَنَتِكَ <sup>(٦)</sup> ، حَتَّى إِذَا اَزْلاَمَتْ <sup>(٧)</sup> صَدُورُهُ ، وَاتَّحَلَّتْ خُصُورُهُ ، وَزَجَّعَ هَدِيرُهُ ، وَصَمَقَ زَيْبِرُهُ ، وَاسْتَقَلَّ نَشَاصُهُ <sup>(٨)</sup> ، وَتَلَامَ خَصَاصُهُ ، وَارْتَجَّعَ

[١] القطط بالكسر : للطر المتتابع الطيم القطر ، وقد قططت السماء ، والدَّيْمَةُ بالكسر : مطر يدوم في - يكون بلا رعد وبرق ، أو يدوم أياما ، وقد ديمت السماء ، أغمط : دام ولارم ، وأُتْجِمَتْ السماء : أسرع مطرها ودام ، والويل : للطر الشديد الضخم القطر ، وقد بليت السماء كوعده : أمطرت ، وسبم كمدخل : سال والعصب . [٢] قس الربا : كسر وضرب : غوصها ، وأفراطها : ملأها حتى فاست ، والزى جمع زية كفرسة ، وهي الزاية لا يملؤها الماء ، وحفرة تحفر لصيد الأسد ( وهو المراد هنا ) سميت بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في موضع حال .

[٣] الحزون جمع حزن كشمس وهو الغليظ من الأرض ، وللتون جمع تون كشمس : وهو ما صلب من الأرض وارتفع ، والضخضخ والضخضخ : الماء القليل ، وقيل هو ما لا غرق فيه ، وقيل هو الماء إلى الكسين أو إلى أصناف السوق - وفي لغة هذيل الكثير - وقد تضخضخ الماء ، والتضخضض أيضا جرى السراب ، تضخضخ إذا ترقرق .

[٤] يتفادون في الماء . [٥] عن : عرض ، والقصر : المعنى ، والصبا : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والهار . [٦] عك الرمل كشمس : تمعد وارتفع فلم يكن فيه طرى ، ورملة طائف : فيها تمعد لا يقدر البير على اللقى فيها إلا أن يجو ، واعتك البير واستنتك : حبا في البانك فلم يقدر على البير وقال رؤفة : أوديت لأن لم تحب جبر المستك .

[٧] ازلامت : ارتفعت ، والمصور جمع خمر : وهو وسط الإنسان ، والرجع : ترديد الصوت في الحلق . [٨] النشاس ككتاب وسحاب : السحاب للرفع ، أو للرفع بهن فوق يسنى وخصاصه :

ارتعاضه ، وأوفدت سِقَابَهُ <sup>(١)</sup> ، وامتدت أطنابُه ، تدارك وَدْقُهُ ، وتألقت بَرَقُهُ ، وَحَفَرَتْ تَوَالِيَهُ <sup>(٢)</sup> ، وانسَفَحَتْ عَزَائِيَهُ ، فنادر التَّرَى عَمِدًا <sup>(٣)</sup> ، والْعَزَازُ تَمِيدًا ، والْحُثَّ عَقِيدًا <sup>(٤)</sup> ، وَالضَّحَاصِيحَ مُتَوَاصِيَةً ، وَالشَّعَابَ مُتَدَاعِيَةً .

وقال الآخر : « تَرَاءَتْ الْمَخَايِلُ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْأَقْطَارِ ، تَحْنُ حَيْنَ الْعِشَارِ ، وَتَرَايَ بِشُهْبِ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَبَوَاسِقُهَا مُتَضَاحِكَةٌ ، وَأَرْجَاؤُهَا مُتَقَاضِفَةٌ ، وَأَعْجَازُهَا مُتَرَادِفَةٌ ، وَأَرْحَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ ، فَوَصَلَتْ الْغَرْبَ بِالْشَرْقِ ، وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ ، سَحَّادَرًا كَمَا <sup>(٧)</sup> ، مُتَابِعًا لَكَمَا كَا ، فَضَحَضَتْ الْجَفَاجِفَ <sup>(٨)</sup> ، وَأَنْهَرَتْ الصِّفَافِصِفَ ، وَحَوَّضَتْ الْأَصَالِفَ ، ثُمَّ أَقْلَمَتْ مَحْمُودَةَ الْآنَارِ ، مَوْثُوقَةَ الْخِيَارِ .

فرجه ، وأصله الفرج بين الأثافي والنتفب الصغير وكل خلل أخرج في باب ومنخل وبرق ونحوه ، وارتفع : ارتعد ، وارتعس : تطوى وانقبض ، وارتعس الرمح : اشتد اهتزازه .

[١] أوفدت : أشرفت ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو عمود الجباب ، والأطناب جمع طناب كمنق وهو جبل طويل يشد به الوند . [٢] حفزه كغزبه : دفعه من خلفه ، والتوالي : الأعجاز والمآخير ، والعرالي بكسر اللام وفتحها جمع عزلاء : وهي مصب الماء من الراوية ونحوها ، وانسفعت : انصبت ، من سفع الدم أواقه . [٣] عمد الترى كفرح : بلله المطر حتى إذا قبضت عليه تفقد لندوته ، والعزاز : الأرض الصلبة مكان ثد : ند من التأد بالتحريك وهو الودي . [٤] الحث : اليابس الحشن من الرمل ، والعقد ككف وجبل : مالمعد من الرمل وتراكم ، والضحاضح كجفر والضمضاح : الماء اليسير ، متواصية : متواصلة ، والشعاب جمع شعبة كفرصة : وهي السيل في الرمل ، وماعظم من سواق الأودية ، وصدم في الجبل يأوي إليه المطر . [٥] مخايل جمع مخيلة « يضم اليم وكسر الحاء » والمخيلة والمخيلة « بتشديد الياء المكسورة » السحابة التي تحبسها عاصفة ، والمشار جمع عشاء كغشاء : وهي النافقة التي مضى لجلها عشرة أشهر أو ثمانية ، أو هي كالغشاء من النساء ، والمهب جمع شهاب ككتاب : وهو شملة من نار ساطعة .

[٦] قواعدها : أسافلها ، وأصله من قواعد البيت : أي أساسه ، متلاحكة : متلاصكة : أي قد اشتد التماسها ، والمتلاحكة : النافقة الشديدة الحلق ، وبواسقها : أعاليها جمع باسقة : من سبق : أي طال وارتفع ، ومتضاحكة : أي يضمك فيها برقعها ، متقاضفة : أي يقذف بعضها ببعض بالمطر ، وأرجاؤها : أوساطها ، متراصة : متراكمة قد رصف بعضها فوق بعض . [٧] أي صبا متتابع ، ولكما كان متتابعاً من اللكك ككتاب وهو لزام . [٨] الجفاجف جمع جفيف كجفر : وهي الأرض المرتفعة ليست بالغليظة ، وضخمتها : جعلت فيها مجاميع ، والمصفاصف جمع مصفف كجفر : وهو للمستوى من الأرض ، وأنهر الماء : أساله ، والأصلف والصلفاء : ما صلب من الأرض ، والجمع أمالف ، وحوضت جعلت فيها حياضاً .

فقال الثالث : وأفقه ما خلته بلغ محسأ ، فقال : هلمّ الدرهم أصفه لك ، فقلت : لا ، أو تقول كما قالوا ، قال : لا بدّ منهما <sup>(١)</sup> ووصفاً ، ولأوقفنهما رصفاً ، فقلت : هاتِ لله أبوك ، فقال : « بيننا الحاضرُ بين الباس والإبلاس ، قد غمّهم الإشفاق ، رهبةً الإملاق ، وقد جفّت الأنواء <sup>(٢)</sup> ، ورفرف البلاء ، واستولى القنوط على القلوب ، وكثُر الاستغفار من الذنوب ، ارتاح ربك لعباده ، فأنشأ سبحانه مستجيراً <sup>(٣)</sup> كتهوّرًا ممتونيكًا مخلوليكًا ، ثم استقل وأحزأل ، فصار كالسما دون السماء ، وكالأرض المدحوة <sup>(٤)</sup> في لوح الهواء ، فأحسب السهول ، وأتأق الهجول ، وأحيا الرجاء ، وأمات الضراء ، وذلك من فضل رب العالمين . قال : فلا والله اليقّع صدرى ، فأعطيت كل واحدٍ درهما ، وكتبت كلامهم .  
( بلوغ الأوب ٣ : ٢٥٢ )

## ٦٩ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : سألت أعرابيا عن مطر صابهم بعد جَدَب فقال :  
« ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على الظنون ، وخامر القلب القنوط ، فأنشأ بنوّه الجبهة <sup>(٥)</sup> قزعةً كالفرس من قبل العين ، فأحزألت عند ترجل النهار ،

[١] بدّه : فاته وقلبه ، والحاصر : ساكن الحضر ، والباس : الضباب والشدّة ، والإبلاس : النحير واليأس ، والاشفاق : الحوف ، والإملاق : القالة . [٢] الأنواء جمع نوء : وهو في الأصل سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابل في ساعته من المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحروب إليها . [٣] مستجيراً : لم أجد هذه الكلمة في كتب اللغة ، وربما كان الأصل : « مستهراً » من استهر الله إذا اتسع ، والمخلوك : الشديد السواد ، وقد فهم معنى اعتك واستنك ، واعتوك اضماع من هذه اللمدة ، ولم أجد في كتب اللغة . [٤] اللبسطة ، والقوح : الهواء وأحسبها : أدواها ، من أحسب إذا أطعمه وسفاه حتى شبع وروى ، وأتأق : ملا ، والمحول جمع هبل كشمس : وهو المطمئن من الأرض ، واليقّع والياقع : الثياب .

[٥] الجبهة : منزل القمر ، قرعة : قطعة من الحباب ، والفرس : اتسر ، والين : الغلبة ، وترجل النهار : ارتفع .



لَا زَمِيمَ السَّرَارِ<sup>(١)</sup> ، حتى إِذَا تَهَضَّتْ فِي الْأَفْقِ طَالِمَةٌ ، أَمْرَ مَسْخَرِهَا الْجَنُوبَ  
فَتَنَسَّتْ لَهَا ، فَاثْتَشَرَتْ أَحْضَانُهَا ، وَأَحْمَوَتْ أَرْكَانَهَا ، وَبَسَقَ عَنَانُهَا<sup>(٢)</sup> ،  
وَكَفَهَرَتْ رَحَاهَا ، وَانْبَجَتْ كَلَاهَا ، وَذَمَرَتْ أَخْرَاهَا أَوْلَاهَا ، ثُمَّ اسْتَطَارَتْ  
عَقَائِقُهَا ، وَتَقَهَّقَمَتْ صَوَاعِقُهَا ، ثُمَّ ارْتَمَعَتْ<sup>(٣)</sup> جَوَانِبُهَا ، وَتَدَاعَتْ سَوَاكِبُهَا ،  
وَذَمَرَتْ حَوَالِيَهَا ، فَكَانَتْ الْأَرْضُ طَبَقًا<sup>(٤)</sup> ، سَحَّ فَهَضَبَ ، وَعَمَّ فَأَحْسَبَ ،  
فَعَلَّ الْقَيْعَانِ ، وَضَخَضَخَ النِّيطَانِ ، وَجَوَّحَ الْأَضْوَجَ<sup>(٥)</sup> ، وَأَتْرَعَ الشَّرَاجَ ،  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كَيْفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا ، وَجَزَاءَ ظَلَمِنَا غَفْرَانًا .

(بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٣)

## ٧٠ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني عامر بن لؤي بن  
صَفْصَعة يصف مطراً فقال :

« نَشَأَ عِنْدَ الْقَصْرِ ، بِنَوْءِ الْفَقْرِ<sup>(١)</sup> ، حَيِّيًا عَارِضًا ، ضَاحِكًا وَامِضًا ،  
فَكَلَّا وَلَا<sup>(٢)</sup> » ، مَا كَانَ ، حَتَّى شَجِيتَ بِهِ أَقْطَارُ الْهَوَاءِ ، وَاحْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ،

[١] الإزميم : لبسة من لبال الحاق - والحاق مثنى : ثلاث لبال من آخر النمر ، والبرار :  
آخر ليلة من الشهر ، وأحضانها جمع حضن كحل : وهو جانب الشيء وتاجيته ، وأحموت : اسودت .

[٢] بسق : ارتفع ، والمانان : السحاب ، رحاها : وسطها ، وانبعجت : انشقت ، والكلية من  
السحاب : أسفله - ومن الزادة رقعة مستديرة تحمض عليها تحت العروة ، وذمرت : حضت - والنفاس :  
التحاض على القتال ، عقاقها : بروقها المشبهة للعقاق .

[٣] ارتمن الطر : ثبت وجاد . [٤] غيث طبق : عام واسع يطبق الأرض ، وهضب كفر ب :  
مطر . [٥] جَوَّحَ السيل الوادي : إذا كسر جنبه واقطع أجزائه ، وفي الأصل « خوخ » وهو مصيف  
والأضواج جمع ضوج كشمس : وهو منقط الوادي ، والقراج جمع شرج كشس أيضاً : وهو مسيل  
الماء من المارة ( يفتح الماء ) إلى السيل .

[٦] القصر : المعنى ، والفقر : منزل للفقر ، والمحي : السحاب ينرف من الأفق على الأرض ، وألذي  
بعضه فوق بعض . [٧] قال في السان : « والعرب إذا أرادوا تخليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي  
قالوا : كان فله كلاً ، وربما كرروا فقالوا كلاً ولا ، قال الشاعر : يكرن نزول القوم فيها كلاً ولا : » ،  
والشجا : ما اعترض في الحلق من نظم ونحوه ، وقد شحى به كرضى .

ثم أطرق<sup>(١)</sup> فاكفهر<sup>(٢)</sup>، وتراكم فأذلم<sup>(٣)</sup>، وبسق فازلأم<sup>(٤)</sup>، ثم حدث به الريح،  
فحن<sup>(٥)</sup>، فالبرق مَرْتَجِعٌ، والرعد مُتَبَوِّجٌ<sup>(٦)</sup>، والخروج مُتَبَعٌ، فأنجم ثلاثا،  
متحيراً منها<sup>(٧)</sup>، أخلافة حاشكة، ودُفْعُه متواشكة، وسَوَامُه متعاركة، ثم  
ودَّع مُنْجِماً<sup>(٨)</sup>، وأقلع مُتْنِهما، محمود البلاء، مُتَرِّعُ النَّهَاءِ، مشكور النعماء،  
بطول<sup>(٩)</sup> ذى الكبرياء. (بوغ الأرب ٣ : ٢٥٤)

## ٧١ - أعرابي يصف مطرا

عن أبي عبيدة قال : خرج النُّعْمان في بعض أيامه في عَقَبِ سَماءٍ ، فلقى  
أعرابياً على ناقة ، فأمر فأتى به ، قال : كيف تركت الأرض وراءك ، فقال :  
« فيح رُحَابٌ<sup>(١)</sup> ، منها السهولُ ومنها الصَّعَابُ ، منشوطة يَجِبِهاها ، حاملة  
لأنهاها » ، قال : إنما سألتك عن السماء ! قال :  
« مُطَلَّةٌ<sup>(٢)</sup> مستقِلَّةٌ ، على غير سِقَابٍ ولا أَطْنابٍ ، يختلف عَصْرُها ،  
ويتعاقب سِرَاجُهاها ، قال : ليس عن هذا أسألك ! قال : فَسَلْ ما بدا لك ، قال :  
هل سَابَ الأرضَ غيثٌ ؟ قال :  
« نعم : أنعمطت<sup>(٣)</sup> السماء في أرضنا ثلاثاً رهوًا ، فثرت وأرَزَغت<sup>(٤)</sup> ،

[١] دوس أطرقت الإبل : تبع بعضها بعضاً ، واذلم : اسود .

[٢] التَّبَوُّجُ : الصياح ، والمَرَجُ : السحاب أول ما ينشأ ، متبع : متتفق .

[٣] المنهات : السريح ، حاشكة : كثيرة الماء ، متواشكة : يسارع بعضها بعضاً ، والسوام : الإبل الراعية .

[٤] أعم اللز وغيره : أقلع ، ومنها : أي سائرا نحو تهامة والبهاء جمع نهي بالكسر والفتح وهو الندير .

[٥] أي بفعله وقدرته .

[٦] فيح جمع فيحاء : واسعة ، وكذا رحاب ، منشوطة : مشدودة ، من شط الحبل كنصر عقده

(وأشبهه : حله) . [٧] مطلة : مرتفعة ، وكذا مستقلة ، والسقاب جمع سقب كشمس : وهو عمود الحباء ،

والعصران : البقي والهان ، وسراجهاها : الشمس والقمر . [٨] أي دامت ولازمت ، والرهو : التكون

والثرة من البيوت : الغزيرة كالثرثرة ، وقد ثرت هي ، والرزغة بالتحريك : الوحل ، وأرَزَغت للطر الأرض

بها ولم تسبل ، ورسن الدار : كثر وترى الأرض حتى تبلل به الحافر عنه إلى أرسافه .

وَرَسَّغَتْ ، ثم خرجتُ من أرض قوى أقرؤها <sup>(١)</sup> ، فإذا هي مُتَوَاصِيَةٌ ، لا خَطِيطَةً بينها ، حتى هبطتُ بِمِشَار ، فتداعى السحابُ من الأفطار ، فجاءنا بالسيل الخرار ، ففقا <sup>(٢)</sup> الآتار ، وملأ الجفار ، وقور على الأشجار ، فأجصر الحُضَار ، ومنع السفار ، ثم أفلح عن نفع وإضرار ، فلما اتلَّبت <sup>(٣)</sup> لى القيعان ، ووضحت السبل في الغيطان ، وفات العنان ، من أقطار الأغنان ، فلم أجد وزراً إلا الفيران ، ففات وجار الضيع ، فنادرت السهول كالبحار ، تتلاطم بالتيار ، والحزون متلفعةً بالفتاء <sup>(٤)</sup> ، والوحوش مقذوفة على الأرباء ، فازلت أطا السماء ، وأخوض الماء ، حتى وطئت أرضكم . ( بوع الأرب ٣ : ٧٥٧ )

## ٧٢ - أعرابي يصف مطرا

عن أبي عبيدة قال : وقف أعرابي على قوم من الحاج فقال :  
« يا قوى بدا شأني ، والذي أَلْفَجَنِي <sup>(٥)</sup> إلى مسأتكم ، إن النيث كان قد قوى عتاً ، ثم تكرر فأ السحاب ، وشصا الرِّباب ، وأذلهم سيقه <sup>(٦)</sup> ، فارتجس ريقه ، وقلنا : هذا لم باكر الوسي <sup>(٧)</sup> ، محمود السعي ، ثم هبت له الشمال ، فأحزأت طخاريه <sup>(٨)</sup> ، وتقزع كرفته متباشراً ، ثم تنابح لمعان البرق ، حيث

- 
- [١] أتتبعها ، والخطيطة : الأرض لم تَطَر بين مطورتين ، أو التي طار بعضها ، وعشار : موضع .  
[٢] غاما وطلسها ، والجفار جمع جفر كشس : البثر التي لم تَطَو ، وقورها : قطع من وسطها خرقا مستديرا ، وأجر ، من أجر الضب : أي أدخله في جحره . والحضار جمع حاضر وهو الغيم في الحضر ، والسفار جمع سافر وهو المسافر لاضل له . [٣] استقامت ، والعنان : السحاب ، والأغان من السماء : نواحيها ، ولوزر الملبأ ، والفيران جمع غار : وهو الكهف في الجبل ، والوجار بالكسر والفتح : جحر الضبع وغيرها . [٤] الفتاء : البلى من ورق الشجر المختلط لزيد السيل .  
[٥] الجاني ، وقوى المطر : احتبس ، وتكرراً : تراكم ، وشصا : ارتفع ، والرباب : السحاب الأبيض .  
[٦] أذلهم : أسود ، والسبق : السحاب لأماء فيه ، والريق : تردد الماء على وجه الأرض .  
[٧] الوسي : مطر الريح الأول ، سمى بذلك لأنه يمس الأرض بالنبات ، والسمي جمع عمله : وهو المطر أو المطرة الجيدة . [٨] الطخاري جمع طخروور كصفور بالحاء والحاء : الطلع من السحاب ، والكرف : السحاب الرنق التراكم ، وتقرع : تفرق وتهشع ، وشام البرق : نظر إليه أين يقصد .

تَشِيْمُهُ الْأَبْصَارُ ، وَتَجْدُهُ النَّظَارُ ، وَمَرَّتِ <sup>(١)</sup> الْجَنُوبُ مَاءً ، فَقَوَّضَ الْحَيُّ مُزْلَمَيْنِ  
نَحْوَهُ ، فَسَرَحْنَا الْمَالَ فِيهِ وَكَانَ وَرِيحًا وَخِيَاً ، فَاسَافَ الْمَالَ ، وَأَضْفَ الْحَالَ ، فَرَجِمَ  
اللَّهُ امْرَأً جَادَ بِمَيِّرٍ ، أَوْدَلَ عَلَى خَيْرٍ . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٠٨)

## ٧٣ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

قال أبو حبيب - وكان أعرابياً من بني ربيعة بن مالك - : « لقد رأيتُنَا في  
أرضٍ مَجْفَاءٍ <sup>(١)</sup> ، وزمانٍ أَجْجَفَ ، وشجرٍ أَغْصَمَ ، في قُفٍّ غَلِيظٍ ، فينما نحن  
كذلك ، إِذْ أَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ غَيْثًا مُسْتَكِفًّا <sup>(٢)</sup> نَشُوهُ ، مُسَبِّلَةً عَزَّالِيَهُ ،  
ضِيْخًا مَقْطَرُهُ ، جَوْدًا صَوَّبُهُ زَاكِيًا ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِزْقًا لَنَا ، فَمَيَّشَ بِهِ أَمْوَالَنَا ،  
وَوَصَّلَ بِهِ طَرِقَنَا ، وَأَصَابَنَا وَإِنَّا لَبِنَوْطَةٌ <sup>(٣)</sup> بَسِيْدَةُ الْأَرْجَاءِ ، فَاهْرَمَعَ مَطَرُهَا ،  
حَتَّى رَأَيْتُنَا وَمَا نَرَى غَيْرَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ ، وَضَهَوَاتِ الطَّلَحِ <sup>(٤)</sup> ، وَضَرَبَ السَّيْلُ  
النَّجَافَ ، وَمَلَأَ الْأَوْدِيَةَ فَزَعَبَهَا ، فَمَا لَبِئْنَا إِلَّا عَشْرًا ، حَتَّى رَأَيْهَا رَوْضَةً تَنْدَى .  
(بلوغ الأرب ٣ : ٢٠٩)

[١] هو من مرى الناقة كرمى : مسح ضرعها لتدر ، مزلمين : ماضين مرتحلين إليه ، وأساف المال :  
أهلكه ، والسواف كجبال وشجاع : اللوت في الناس والمال ، ساف سواف أي هلك ، وأسافه الله ، ويقال  
أيضا أساف الرجل : وقع في ماله السواف أي اللوت ، وأضف من الضف كسبب وهو الضيق والفتنة ،  
أصاهم من العيش صف أي شدة .

[٢] ليس بها نبات ، وأسله من العجب بالتحريك وهو المزال ، وأعصم : يابس ، وأسله من السم  
بالتحريك وهو يابس في فصل الرشح ترويح منه اليد والقدم ، والقف : ما غلظ من الأرض وارتمى ، لم  
يلغ أن يكون جيلا ، وأنشأ الله السحاب : رفعه . [٣] مستكفا : مستديرا كالسكة ، ( والسكة  
بالكسر ويضم كل مستدير ) ، وصوبه : مطره . [٤] النوطة : الأرض يكثر بها الطلع ( والطلع :  
شجر عظام ) والمرضع للربيع عن الماء ، أو ليس بواد ولا تلة بل بين ذلك ، واهرمع : كثر وأسرع .  
[٥] الشهوة : بركة الماء ، والجاف جمع نجف بالتحريك وبهاء : مكان لا يملؤه الماء ، أو هي أرض  
مستدرة مشرفة على ما حولها ، وزعبها : ملأها .

## ٧٤ - أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي » ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحابة طحناء وطفاء <sup>(١)</sup> ، كأن هوائها الدلاء ، مُرَجَّجَتِ النواحي ، ووصولة بالآكام ، تكاد تَمَسُّ هامَ الرجال ، كثيرٌ رَجَلُها <sup>(٢)</sup> ، قاصِفٌ رَعْدُها ، خاطف <sup>(٣)</sup> برقها ، حَثِيثٌ وَدْقُها ، بطيءٌ سيرها ، مُتَمَنِّجٌ قَطْرُها ، مظلمٌ نَوْرُها ، قد لجئت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصولها بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين ببعضه الشجر ، وتعلقنا بِقُتْنِ الجبال ، لكنا جفأ <sup>(٤)</sup> في بعض الأودية ، وَلَقَمَ الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسألهما في أجلك يركتك ، وعاد الله بك على رعتك ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .  
فقال سليمان : « لَمَرُّ أياك لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت مُجَبَّرَةٌ لقد أجدت » ، قال : بل مجبرة مهدورة يا أمير المؤمنين ، قال : « يا غلام أعطه ، فوالله لصِدْقُه أعجبُ إلينا من صِفَتِه » . (الفرد ٢ : ٩٦)

## ٧٥ - أعرابية تصف مطرا

عن الأصمعي قال : « كَانَ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي خِيَابَتِهِ ، وَابْنَةٌ لَهُ بِالْفَنَاءِ <sup>(٥)</sup> ، إِذْ سَمِعَ رَعْدًا فَقَالَتْ : مَا تَرَيْنِ يَا بُنْيَّةُ ؟ قَالَتْ : أَرَأَاهَا حَوَاءَ قَرَحَاءٍ <sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّهَا أَقْرَابُ

[١] سحابة وطاء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هي الدائمة السح الخفيفة ، وهاديا : أوائلها ومقادها ، مرجنة : ثقيلة مهترئة . [٢] ائرجل : الجلبة ورفع الصوت ، متمنجر : سائل منصبي ، ولجا إليه كمنع وفرح ، وأظلاف جمع ظلف بالكسر وهو للبررة والشاء والطلي وشبهها كالقدم لها ، والفن جمع فنة ، وهي فنة الجبل . [٣] زدت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام والظاهر أنها سسفت من الأصل في الطبع . [٤] الجفأ : الربد ، ولهم الطريق : مظلمه أو وسطه ، حوق الأشلي : « انهم » وهو محريف .

[٥] الفناء : ما اتسع أدنى الدار . [٦] حواء : وصف من الحوة بالفم وهي حرة الى السواد .

أَتَانِ قَرَاءَ ، ثُمَّ سَمِعَ رَاعِدَةً أُخْرَى فَقَالَ : كَيْفَ تَرِيهَا ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا جَمَّةَ  
الْتَرَجَافِ<sup>(١)</sup> ، مُتَساقِطَةً الْأُكْنَفَ ، تَتَأَلَّقُ بِالْبَرْقِ الْوَلَّافِ ، قَالَ : مَلَأَتِ الْمِزْقَةَ ،  
إِنْتَهَى<sup>(٢)</sup> نُؤْيَا . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥١ )

## ٧٦ - أعرابية تصف مطراً

عن الأصمعي قال : كَانَ أَعْرَابِيٌّ ضَرِيرٌ تَقْوَدُهُ ابْنَتُهُ ، وَهِيَ تَرعى غُنَيْمَاتٍ لَهَا ،  
فَرَأَتْ سَحَابًا فَقَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرِيهَا ، قَالَتْ :  
كَأَنَّهَا فَرَسٌ دَهْمَاءُ<sup>(٣)</sup> تَجَرَّجَلَاهَا ، قَالَ : ارْعَى غُنَيْمَاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ :  
يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ تَرِيهَا ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهَا عَيْنٌ جَلَّ حَلِيْفُ<sup>(٤)</sup> ،  
قَالَ : ارْعَى غُنَيْمَاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ  
تَرِيهَا ؟ قَالَتْ : سَطِطَتْ وَابْيَضَّتْ ، قَالَ : أَدْخَلِي غُنَيْمَاتِكَ ، قَالَ : لَجَأَتِ السَّمَاءُ  
بِشَيْءٍ شَطَأً<sup>(٥)</sup> لَهُ الزَّرْعُ وَأَيْنَعُ ، وَخَصِرٌ وَنَصِيرٌ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٦٠ )

## ٧٧ - أعرابي يصف أرضاً

ووصف أعرابي أرضاً أحدها فقال :

« خَلَعَ شَيْخُهَا ، وَأَبْقَلَ رَمْتُهَا ، وَخَصَبَ عَرَفُجُهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَسْقَ نَبْتُهَا ،  
وَاخْضَرَّتْ قُرْيَانُهَا ، وَأَخْوَصَتْ بَطْنَانُهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأَحْلَسَتْ أَكْمَانُهَا ، وَاعْتَمَّ

والفرجة بالقم : في وجه الفرس دون الرءة ، والوصف منه أقرح وقرحاء ، والأقرب جمع قرب كقفل  
وعنق : وهو الخاصرة ، والقمرة بالقم : يابس فيه ككرة ، حار أقر ، وأنان قراء .

[١] كثرة الاضطراب ، الولاف : المتنازع ، من ولف البرق كوعد ولقاء وولافا بالكسر : تنازع .

[٢] النوى : المفير حول الجباء يمنع السيل ، وانأيت مملته .

[٣] سوداء ، والجلال جمع جل بالقم والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به .

[٤] الجبل ينهل من مرمى إلى مرمى . [٥] شطأ الزرع : أخرج شطأه ، أي فراخه .

[٦] خلق الفيح : أدرك ( والمخالع من الضياء : الذي لا يسقط ورقه أبداً ، والضياء كتاب : كل شجر  
له شوك ) والرمث : رمي للإبل ، وشجر يشبه الضياء ، والرفج : شجر سلب ، وخصب الشجر كضرب  
وسمع وعى : اخضر . [٧] القربان : مجارى الماء من الرو إلى الرياض جمع قرى كقنى ، وأخوص

بَنَتْ جَرَائِمَهُمَا<sup>(١)</sup> ، وَأَجَرَتْ بَقْلَتَهَا وَذَرَقَتَهَا وَخَبَّازَتِهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأَحْوَرَّتْ خَوَاصِرُ  
إِبِلَهَا ، وَشَكِرَتْ حُلُوبُهَا ، وَصَمِتَتْ قُتُوبُهَا<sup>(٣)</sup> ، وَحَمِدَتْ رَاها ، وَعَقِدَتْ تَنَاهِيَهَا ،  
وَأَمَامَتْ ثَمَارَهَا ، وَوَثِقَ النَّاسُ بِصَارِئِهَا<sup>(٤)</sup> . (البيان والبيان ٢ : ٧٧)

## ٧٨ - رائد يصف أرضاً جذبة

قال أبو الجيب : وصف رائد أرضاً جذبة فقال :

« أَغْبَرَّتْ جَادَتُهَا<sup>(٥)</sup> ، وَذَرَعَ مَرْتَمَهَا ، وَقَفَّصَ شَجَرُهَا ، وَزَقَّتْ كَرِشَهَا ،  
وَخَوَّرَ عَظْمَهَا ، وَالتَقَى سَرَحَاهَا<sup>(٦)</sup> ، وَتَمَيَّزَ<sup>(٧)</sup> أَهْلُهَا ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ ،  
وَأَمَوَاهُمُ الْمَزَلُ<sup>(٨)</sup> . (البيان والبيان ٢ : ٧٧)

الفرج : فطر بورق ، وأخوصت النخلة : أخرجت الخوص ، والبطنان جمع باطن وهو العارض من الأرض  
أى الملائح منها . [١] أحلس النبات : غطى الأرض بكثرة ، وأحلس الأرض نهى عملة : صار  
الباث عليها كالحلس كثرة - الحلس كحل كساء على ظهر البعير - والجرائيم جمع حرثومة بالضم ، وجرثومة  
النهى : أصله ، واعم : أى كأنه ليس عمامة . [٢] أجرت البقلة : صارت لها جراء - وجراء ككتاب  
جمع جرو بالثلاث وهو صغير كل شيء - والفرقة واحدة الفرق وهو نبات مثل الكرات الجبلى الدقاق فى  
رأسه حب حلو يؤكل رطباً نجبه الرطاة يأتون به أهلهم ، والحجارة والحجازى : النبات المعروف .

[٣] احورت : ابيضت وذلك من الشد على خواصرها لثلا تحيط ( والحيط بالتحريك : انفاخ بطنا من  
رحمى ترها ) والحلوة : الحلوبة ، وشكرت الناقة : امتلأ ضرعها ، والهابية : صمت ، والفتوبة : الأبل  
التي تقنبا ( وأقنبت الناقة : شد عليها القنب ( بالتحريك ) وهو إكاف صغير على قدر سنام البعير ) .

[٤] عمد الترى : بله للطر حتى إذا قبضت عليه تنهد لدونه ، والتناهى جمع نهي : ومعى مستقر السيل  
حيث ينتهى الماء من الوادى ، وعقدت تناهيا : أن يمر السيل مقبلا حتى إذا انتهى مشها دار بالأبطع  
حتى يلتقى مارفا السيل ، وأمامت ثمارها : أى كثر ماؤها ، والصائرة : اللطر والكلا .

[٥] الجادة : الطريق إلى الماء ، وذرع المرقع : بعد عن الماء ، وقصم شجرها : تكسر ، يقال :  
سيف قصم كفرح : أى طال عليه الدهر فتكسر حده ، وقصم السن : انصدع وتلم ، وإذا لم يكن للجمال  
رحمى إلا الشجر وحده رقت أكراشه . [٦] يعنى أنه إذا أكل كل سارح مايله ، التبا عند الماء .  
[٧] تفرقوا فى طلب الكلا ، والرحل : الفرع ، والمزل : موت . وواشى الرجل .

## ٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كُناسة قال : أخبرني بعض فصحاء أعراب طي قال :  
 « بعث قوم رائداً ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وَتَعَاثِيبٌ <sup>(١)</sup> ، وَكَمَاءٌ  
 متفرقة شَيْبٌ ، تَقْلَعُهَا بِأَخْفَافِهَا النَّيْبُ <sup>(٢)</sup> » ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا  
 كذب ! فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ تَأْدُمَادُ ، مَوَلِيٌّ <sup>(٣)</sup>  
 وَعَهْدٌ ، مَتَدَارِكُ جَعْدٌ <sup>(٤)</sup> ، كَأَنفَازٍ نَسَاءُ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ تُعَدُّ <sup>(٥)</sup> » .  
 ( البيان والبيان ٢ : ٧٩ )

## ٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعث رجل أولاده يرتادون في خِصْبٍ ، فقال أحدهم : « رَأَيْتُ بَقْلًا ،  
 وَمَاءً غَيْلًا <sup>(١)</sup> ، يَسِيلُ مَيْلًا ، وَخَوْصُهُ تَعِيلُ مَيْلًا ، يَحْسِبُهَا الرَّائِدُ لَيْلًا » ، وقال  
 الثاني : « رَأَيْتُ دِيمَةً عَلَى دِيمَةٍ ، فِي عَهْدِهَا غَيْرُ دِيمَةٍ ، وَكَلَّاءُ تَشْبَعُ مِنْهُ النَّابُ  
 قَبْلَ الْفَطِيمَةِ » . ( البيان والبيان ٢ : ٧٩ )

✽

وروي هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :  
 « خطب هند بنته الخُصَّ الإيادية ثلاثة نَفَرٍ من قومها ، وارتضت أنسابهم

[١] المصَّب : الكلأ الرطب ، والتعاشيب : القطع المتفرقة منه . [٢] البيب جمع ناب : وهو  
 الناقة المسنة . [٣] جاء في اللسان : « قال الأصمعي : قيل لبعض العرب : أصب لنا موصفاً أي اطلب  
 قال رائدكم : وجدت مكاناً ثدياً ثدياً ( بفتح فسكس ) وقال زيد بن كثوة : بشوا رائداً فجاء وقال : صِيبٌ  
 تَأْدُمَادُ ( بفتح فسكون ) كَأَنَّهُ أَسْوَقُ بَنِي سَعْدِ » وتشد التبت كفرح : ندى فهو تدد ، ومَادُ كَنَعِ اهتد  
 وتروى وجرى فيه الماء وتسم ولان ، ولَمَادُ : الناعم من كل شيء ، وللولي : الذي أصابه الولد  
 ( والولي : للطر الذي يأتي بعد للطر ) ، والهد : أول مطر الوسمي ( والوسمي : أول مطر الربيع ) .

[٤] من قولهم : زيد جعد : أي متراكب مجتمع قد صار بعضه فوق بعض .

[٥] يعني أن العشب قد طال وتم ، والنبيب تشبع منه وهي تمد ، لأنها تتناولوه وهي قائمة لا تبرح مكانها  
 ولا تطأ على رأسها . [٦] القليل : الماء الذي يجري بين العجر



وجملهم ، وأرادت أن تسبر عقولهم ، فقالت لهم : « إني أريد أن ترتادوا لى  
مرعى ، فلما أتوها قالت لأحدهم : ما رأيت ؟ قال : رأيت بقلاً وبقيلاً ،  
وماءً غداً<sup>(١)</sup> ميلاً ، يحسبه الجاهل ليلاً ، قالت : أمرعت<sup>(٢)</sup> ، قال الآخر :  
رأيت ديمة بعد ديمة ، على عهد غير قديمة ، فالناب تشبع قبل الفطيمة ، قال  
الثالث : رأيت غيثاً ثعداً معدداً<sup>(٣)</sup> ، ثم تراكم جعدداً ، كأنقاذ نساء بنى سعد ،  
تشبع منه الثيب وهى ثعد . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٦ )

## ٨١ أعرابي يصف أرضه وماله

عن أبى عمرو بن العلاء قال : لقيت أعرابياً بمكة فقلت له ، ممن أنت ؟ قال :  
أسدي ، قلت : ومن أيهم ؟ قال : نهدي ، قلت : من أى البلاد ؟ قال : من  
عُمان ، قلت : فأتى لك هذه الفصاحة ؟ قال : « إنا سكنا قطراً لا نسمع فيه  
ناجحة التيار<sup>(٤)</sup> » ، قلت : صف لى أرضك ، قال : « سيف أفتح ، وقضاء  
مصحح ، وجبل صردح ، ورمل أصبح<sup>(٥)</sup> » ، قلت : فما مالك ؟ قال : النخل ،  
قلت : فأين أنت من الإبل ؟ قال : « إن النخل حملها غداء ، وسعفها<sup>(٦)</sup> ضياء ،  
وجذعها بناء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وخوصها وعاء ، وقرؤها إناء .  
( ذيل الأمالى ص ١٧ )

[١] الفدق : الماء الكثير . [٢] أمرعه : أصابه مريعاً كحبيب وزنا ومعنى .

[٣] النيث : اللط والكلأ ، وقيل : الأصل للعار ثم سمى ما يثبت به غيثاً ، والراد هنا الثانى ، وقيل  
تعد معد : غرض رطب رخى .

[٤] الناجحة : الصوت ، والنيار : اللوح . [٥] السيف : ساحل البحر ، وساحل الوادى ، أو  
لكل ساحل سيف ، أو إنما يقال ذلك لسيف عمان ، وأفتح : واسع ، والصصح : ما استوى من  
الأرض ، والصردح : الصلب ، والأصبح : الذى يلو يياضه حمرة . [٦] السعف : جريد النخل أو  
ورقه ، والكرب : أصول السعف الغلاظ المراض ، والرشاء : الحبل ، والقرور : أسفل النخلة ينقر  
فيقتبذ فيه - أى يتخذ فيه النيد -

## ٨٢ - أعرابي يصف بلدا

وذكر أعرابي بلداً فقال: « بلد كالأُرْس، مائش في الرياح إلا عابرات سبيل، ولا يمر فيه السفر إلا بأدَلْ دليل » . ( القد الفريد ٢ : ٨٠ )

وقال أعرابي : « مررت ببلد ألقى به الصَّيْفُ <sup>(١)</sup> بقاعه ، فأظهر غديرًا يَفْعُرُ الطرفُ عن أرجائه ، وقد نَفَتِ الرياحُ القَدَى عن مأهه ، فكأنه سلاسل دِرْجِ ذاتِ قُضُول <sup>(٢)</sup> » . ( القد الفريد ٢ : ٩٦ )

ومثل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين فقال : « مُهر ليلة ، وأديم <sup>(٣)</sup> يوم » . وقال آخر : « سواد ليلة ، أو يياض يوم » .

( الليال واليدين ٢ : ٥١ والقد الفريد ٢ : ٩٧ )

وقال آخر : « إن المسافر ومتاعه لَعَلَّيْ قَلَّتْ <sup>(٤)</sup> إلا ما وُقِيَ اللَّهُ » .

( القد الفريد ٢ : ٥٢ )

## ٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي فقيل له : ما أشدُّ البرد ؟ قال : « ريح جَرِيَاءٌ ، في طَلِّ سَمَاءٍ ، غِيبٌ سَمَاءٍ <sup>(٥)</sup> » . ( الليال واليدين ١ : ١٦٣ )

## ٨٤ - أعرابي يصف إبلا

وقال : سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال :

« إِنِّهَا لَعِظَامُ الْحَنَاجِرِ ، سِبَاطُ الْمَشَافِرِ ، كَوْمٌ بَهَازِرٍ <sup>(٦)</sup> ، نُكْدٌ خَنَاجِرٍ <sup>(٧)</sup> ،

[١] السيف كسيد ويخفف : الطريحى . فى الصيف أو بعد الريح كالصبي .

[٢] جمع فضل : وهو الزيادة . [٣] أديم الهمز : طمته أو يياضه . [٤] القلت : الهلاك .

[٥] الجرياء : ريح الشمال المردة ، أو الريح بين الجنوب والعباء والعواء : السحاب للريح ، أو

الكثيف ، أو للمطر ، فى غيب سماء : أى عقب مطر . [٦] المنجرة والمنجور كمنفور : المنقور ،

وجه حنجر ، والمشافر جمع مشفر كمنبر : وهو جبير كالشفة للإنسان ، والكوم : النظام الأسنة جمع أكوام

وكوماء ، والبهازر جمع بهزرة : كبندة ، وهى الطبيعة من الوق .

[٧] الكد : الفزيرات اللبن من الإبل ( والى لا لبن لها أيضا ضد ) ، والحناجر : الفزيرات اللبن

أجوافها رِقَابٌ<sup>(١)</sup> ، وأعطائها رِجَابٌ ، تُنْتَع من البُهَم<sup>(٢)</sup> ، وتُبْدَل للجُمَم « .  
(الأمالى ١ : ٥٢)

### ٨٥ - أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إذا اَحْكَلَّت عَيْنُهَا ، وَأَلَّتْ<sup>(٣)</sup> أَذُنُهَا ،  
وَسَجَّحَ<sup>(٤)</sup> خَدُّهَا ، وَهَدَلْ<sup>(٥)</sup> مِشْفَرُهَا ، وَاسْتَدَارَتْ جُمُجُمَتُهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ .  
(الأمالى ١ : ٢١٧)

### ٨٦ - أعرابي يصف خيلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « خرجت علينا خيلٌ مُسْتَطِيرَةٌ  
النَّقْعُ<sup>(٦)</sup> ، كَأَن هَوَادِيَهَا<sup>(٧)</sup> أَعْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ ، وَفُرْسَانُهَا أُسُودُ  
آجَامٍ » .

### ٨٧ - أعرابي يصف خيلا

وذكر أعرابي خيلا فقال : « وَاللَّهِ مَا أُنْخَدِرْتُ فِي وَادٍ إِلَّا مَلَأَتْ بَطْنَهُ ،  
وَلَا رَكِبْتُ بَطْنَ جَبَلٍ إِلَّا أَشْهَلَتْ حَزَنَتُهُ » . (الفرد القريب ٢ : ٩٥)

### ٨٨ - أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يصف خيلا فقال : « سِبَاطُ  
الْخَصَائِلِ<sup>(٨)</sup> ، ظِلْمَاءُ الْمَفَاصِلِ ، شِدَادُ الْأَبْجَلِ<sup>(٩)</sup> ، قُبُثُ الْأَيَاطِلِ ، كِرَامُ  
النَّوْاجِلِ<sup>(١٠)</sup> » . (الأمالى ١ : ٥٢)

جمع خنجر كجفر وبهاه وخنجورة بالقم . [١] رِقَاب : واسعة ، وأعطائها : بباركها عند الماء جمع  
عطن كسبب . [٢] البُهَم جمع بهمة كفرسة : وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى ، من شدة  
بأسه ، والجُم جمع جمة كجبة ، وم القوم يسألون في الدلائل .

[٣] أَلَّ البعير : نصب أذنيه وحدهما . [٤] سَجَّح : سهل وحسن . [٥] هَدَل : استرخى .  
[٦] النِّقَاع : [٧] أَوَّالُهَا . [٨] الخصائل جمع خصلة : وهي كل قطعة من اللحم مستطيلة أو  
مجنمة ، وقيل : هي ما اعزاز من لحم المعز يعضه من بعض ، وسباط جمع سبط ، ككتف وشمس ، رجل  
سبط الجسم إذا كان حسن القند والاستواء ، وظباء : ضمر . [٩] الأبجل جمع أبجل : وهو عرق  
غليظ في الرجل أو في اليد ، يريد أنها شداد القوائم . [١٠] الأيطل جمع أيطل : وهو الخاصرة ،

## ٨٩ - أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : « قد انتهى ضُؤوره ، وَذَبُلَ فَرِيرُهُ <sup>(١)</sup> ،  
وظهر حَصِيرُهُ <sup>(٢)</sup> ، وَتَفَلَّقَتْ غُرُورُهُ <sup>(٣)</sup> ، واسترخت شَاكِلَتُهُ <sup>(٤)</sup> ، يُقْبَلُ بَزُورُ  
الأسد ، وَيُذْبِرُ بِعَجْزِ الذئبِ » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٣ ، والأمال ٢ : ٢٥٦ )

## ٩٠ - أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ <sup>(١)</sup> تَقْدِيرُ حَلَقَتِهِ ، وَدُورُ كَرَمِي فِضْتِهِ ،  
وَأَحْكَمُ تَرْكِيبِهِ ، وَأَتَقَنُ تَدْيِيرِهِ ، فَبِهِ يَتِمُّ الْمُلْكُ ، وَيَنْفُذُ الْأَمْرُ ، وَيَكْرُمُ الْكِتَابُ ،  
وَيُشْرَفُ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ » . ( القد الفريد ٢ : ٩٧ )

## ٩١ - أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « مَا أَطْيَبُ الطَّعَامُ ؟ » ، فقال : « بَكْرَةٌ  
سَنِمة <sup>(١)</sup> ، مُتَبَطَّلةٌ غَيْرُ ضَمِيَّةٍ ، فِي قُدُورٍ رَذِيمة <sup>(٢)</sup> ، بِشِفَارٍ خَدِمة <sup>(٣)</sup> ، فِي غَدَاةٍ  
شُبِمة <sup>(٤)</sup> » ، فقال عبد الملك : وَأَيُّكَ لَقَدْ أَطْيَيْتَ <sup>(٥)</sup> .

( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

قَبَّ جمع أَقْب ، وصف من القِب كسب وهو دفة الحصر وضور البطن ، والواحد جمع نَاجِلَة ، من  
نَجَلَنَهُ : أَى وَلَدَنَهُ . [ ١ ] الفرير : موضع الحبة من معرفة الفرس .

[ ٢ ] الحَصِيرُ : عرق يمتد معترضاً على جنب العنابة إلى ناحية بطنها ، أو لمة كذلك .

[ ٣ ] الزور : الضورون التي في جلده ، واحداً فَرْ بالفتح . [ ٤ ] الشَاكِلة من الفرس : الجلد بين  
عرض الحاصرة والثفنة - والثفنة كفرحة : الركبة - . [ ٥ ] رَقَى .

[ ٦ ] البكرة : العنة من الإبل ، والسنة : الظلمة السام ، ونطه كفرح ، عبط الذبيحة كفرح  
واعبطها : نحرها من غير علة وهي سمينة فنية ، والضمنة : الزمنة والبلاة في حسدها من الحنة كفرصة

وهي الرض . [ ٧ ] رذمت القصة كفرح فهي رذمة وردوم كصبور : انتلات وتصبت جوانبها .

[ ٨ ] شَارِج شفرة « بالفتح » : وهي السكين الطيخ ، وخذمه كفرح : قطعه ، وسيف خذم  
ككثف وصبور ومعظم : قاطع . [ ٩ ] النداء : البكرة « بالفم » أو ما بين صلاة الفجر وطلوع

الشمس ، وشبمة : باردة ، وقطعها كفرح . [ ١٠ ] أطاب الشيء وأطيه : وجده طيباً .

## ٩٢ - أعرابي يصف السويق

وعاب رجل السَّوِيقَ <sup>(١)</sup> بِحَضْرَةِ أَعْرَابِي، فَقَالَ: «لَا تُعْبِه، فَإِنَّهُ عُدَّةُ الْمَسَافِرِ، وَطَعَامُ الْهَجْلَانِ، وَغِذَاءُ الْمُبْتَكَرِ، وَبُلْغَةُ <sup>(٢)</sup> الْمَرِيضِ، وَيَسْرُو <sup>(٣)</sup> فَوَادَ الْحَزِينِ، وَيَرُدُّ مِنْ نَفْسِ الْمَحْدُودِ <sup>(٤)</sup>، وَجَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ، وَمَنْعُوتٌ فِي الطَّبِّ، وَقَفَّارُهُ <sup>(٥)</sup> يَجْلُو الْبَاقِمْ، وَمَلْتَوْتُهُ يُصْقِي الدَّمَّ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ شَرَابًا، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ طَعَامًا، وَإِنْ شَتَّتَ فَتَرِيدًا، وَإِنْ شَتَّتَ نَحْيِيصًا <sup>(٦)</sup>». (الأمالي ٢ : ١٩٧)

## ٩٣ - أعرابي يصف الجمال

وَقِيلَ لِأَعْرَابِي مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقَامَةِ، وَضَنْخُ <sup>(٧)</sup> الْهَامَةِ، وَرُحْبُ <sup>(٨)</sup> الشَّدْقِ، وَبُعْدُ الصَّوْتِ»، وَمِثْلُ آخَرٍ: مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: «غُثُورُ الْعَيْنَيْنِ، وَإِشْرَافُ الْحَاجِبَيْنِ، وَرُحْبُ الشَّدْقَيْنِ». (البيان والبيان ١ : ٦٧)

## ٩٤ - أبو النخش يصف ابنه

وَسَأَلَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبَا النِّخْشِ عَنْ ابْنِهِ النِّخْشِ <sup>(٩)</sup> - وَكَانَ جَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا - قَالَ: صَفِّ لِي النِّخْشَ، فَقَالَ: «كَانَ أَشَدَّ حُرْطُمَانِيًا <sup>(١٠)</sup>، سَائِلًا لُمَائِهِ، كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ قَلْتَيْنِ <sup>(١١)</sup>، كَانَ تَرْقُوتُهُ بُوَانٌ، أَوْ خَالِفَةٌ،

[١] السويق: ما يصل من الحنطة والشير. [٢] ما يبلغ به. [٣] يسرو: يكشف ما عليه. [٤] المديد: الذي قد حدث أي قد ضرب الحد. [٥] الففار: الذي لم يلبث بشيء من آدم، لازيت ولا من ولا لبن. يقال طامق قمار. [٦] الحبيس: نقي الدقيق يخلط بالسل. [٧] ضنخ ككرم ضنخاً وضنخامة فهو ضنخ. [٨] رحب ككرم وسبع رحبا بالضم ورحابة فهو رحب بالفتح. [٩] النخش في الأصل: الجريء على العمل في الليل. [١٠] أشد حُرْطُمَانِيًا: طويلاً. [١١] القلت: الثرة في الجبل.

كَانَ مِنْكَ كِرْكِرَةً جَلِي تَقَالٍ <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ اللَّهُ عَنِّي إِنْ كُنْتَ رَأَيْتُ قَبْلَهُ أَرْبَعَةً مِثْلَهُ . (البيان والبيان ١ : ٦٧)

## ٩٥ - أعرابي يصف بنيه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي بحمى الرَبْدَةِ : أَلَاكَ بَنُونَ ؟ قال : نعم ، وَخَالَتِهِمْ لَمْ تَقُمْ عَنْ مِثْلِهِمْ مُنْجِبَةً ، قُلْتُ : صِفْهُمْ لِي ، فَقَالَ : « جَهْمٌ ! وَمَا جَهْمٌ ؟ يُنْفِى الْوَهْمُ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمُ <sup>(٢)</sup> ، وَيَفْرِى الصَّفُوفُ ، وَيُمْلُ السُّيُوفُ <sup>(٣)</sup> » ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « غَشْمَشٌ ! وَمَا غَشْمَشٌ ؟ مَالُهُ مُقْسَمٌ ، وَقِرْنُهُ مُجْرَجَمٌ <sup>(٤)</sup> ، جِذْلُ حِكَاكٍ <sup>(٥)</sup> ، وَمِذْرَةُ لِكَاكَ <sup>(٦)</sup> » ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « عَشْرَبٌ ! وَمَا عَشْرَبٌ ؟ لَيْتَ مُحَرَّبٌ ، وَسِمَامٌ مُقْسَبٌ <sup>(٧)</sup> ، ذِكْرُهُ بَاهِرٌ ، وَخَصْمُهُ حَارٌّ ، وَفَنَؤُهُ رُحَابٌ <sup>(٨)</sup> ، وَذَاعِيهِ مُجَابٌ » ، قُلْتُ : صِفْ لِي نَفْسَكَ ، فَقَالَ : « لَيْتَ أَبُو رِيَابِلٍ <sup>(٩)</sup> ، رَكَّابٌ مَخَاضِلٌ ، عَسَافٌ <sup>(١٠)</sup> مَجَاهِلٌ ، حَمَالُ أَعْبَاءٍ ، نَهَاضٌ يَبْزُلَا <sup>(١١)</sup> » . (الأمالي ١ : ٥٣)

[١] البوان : حمود الجباء ، والحالفة : حمود من أمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : رعى ذور البعير ، وبهر تقال : بطيء .

[٢] ينفى : يزل ، والوهم : الضخم العظيم من الإبل ، والدم : العدد الكثير .

[٣] يفرى : يثقى ، ويمل : أى يوردها الماء ثانية ، مأخوذ من المل في الغرب .

[٤] المجرم : المصروع . [٥] الجدول : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الجرب تحطت به فتجد له قذبة ، والى أنه من يستقى به في الأمور بمنزلة ذلك الجندل الذى تستقى به الإبل .

[٦] لاسره : لسان الحمم ، والفكلم عنهم ، والذافع عنهم ، يقال : درهته عن ودرائه : أى دفعته ،

واللكاك : الزحلم . [٧] الحرب : للغضب الذى قد اشتد غضبه واحد ، وحربت الكين : إذا أحده ، ومقشب : مخروط . [٨] باهر : خالب ، ورحاب : متسع .

[٩] ربابل جمع رباب بالكسر يهز ولا يهز : وهو الأسد ، والمائل : الدواى .

[١٠] الأساف : الذى يركب الطريق على غير هداية ، والأعباء : الأعمال .

[١١] البزلاء : الرأى الجيد الذى يزل ( بضم الزاى ) عن السواب : أى يثقى منه .

## ٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عن المشيِّ قال : أخبرني أعرابي عن إخوة ثلاثة ، قال : قلت لأحدهم : أخبرني عن أخيك زيد فقال : « أُرِيدُ إِيَّاهُ <sup>(١)</sup> ؟ والله ما رأيتُ أحداً أسْكَنَ قَوْراً ، ولا أبعدَ غوراً ، ولا آخِذَ لِدَنْبٍ حُجَّةً قد تقدَّم رأسُها من زيد » ، قلت : أخبرني عن أخيك زائد ، قال : « كَانَ والله شديدَ العقْدَةِ ، لَيْنَ الْمُطْفَةِ ، مَا يُرْضِيهِ أَقْلٌ مِمَّا يُسْخِطُهُ ، قُتِلْتُ : فَأَخْبَرَنِي عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : « والله إن أفضَلَ ما فيَّ لَمَعَرَفِي بِفَضْلِهِمَا ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ كَأَمِيرٍ مُنْتَشِرٍ <sup>(٢)</sup> الرَّأْيَ ، وَلَا تَحْذُلُوا الْقَرْنَ » . (الأمل ٢ : ١٤)

## قولهم في الدعاء

### ٩٧ - دعاء أعرابي

قال أبو حاتم : أُمِلْ عَلَيْنَا أَعْرَابِيَّ يُقَالُ لَهُ مَرْنَدٌ :  
« اللهم اغْفِرْ لِي ، وَاجْلِدْ بَارِدَ ، وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ ، وَاللِّسَانُ مُنْطَلِقٌ ، وَالصَّحْفُ مَنْشُورٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مُقْبُولَةٌ ، وَالْأَنْفُسُ مِرْيَحَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ ، قَبْلَ أَنْ يَفْرَقَ ، وَحَسَّكَ النَّفْسُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَزَ الصِّدْرُ <sup>(٥)</sup> ، وَتَزَيَّلَ الْأَوْصَالُ <sup>(٦)</sup> ، وَنُصُولُ الشَّعْرِ ، وَاحْتِثَافُ <sup>(٧)</sup> التُّرَابِ ، وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْعَمَلُ ، وَيَحْضُرُ الْأَجَلُ ، وَيَنْقَطِعُ الْأَمَلُ .

[١] قال أبو علي الغالي : « هذه الزيادة تلحق في الاستفهام في آخر الكلمة إذا أنكرت أن يكون رأي التكلم على ما ذكر ، أو يكون على خلاف ما ذكر » انظر هذا البحث في الأمل ٢ : ١٥ .  
[٢] أي مفرقة . [٣] مرح كفرح : أمر وبطر ونشط واختال وتبخر فهو مرح ومرحج .  
[٤] الحنك : شدة الزرع . [٥] العز : قلق وخفة وعلج يصيب للريش والمختضر .  
[٦] تزييت وتزاييت : تهرقة ، والأوصال : الفاصل . [٧] الاحتفاف : اختال من الحيف وهو الجور ، والمراد أكل تراب القبر الجثة ، والذي في كتب اللغة « التحيف » تحيف الشيء : إذا تنقصته من حلقائه .

أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمَّتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخَفَّتِهِ ، وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَظِيمًا ، لَا تَنَادِرْ ذَنْبًا ، وَلَا تَدْعَ كَرْبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْتَرَضْتُ عَلَىَّ وَلَمْ أُؤْذِهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبَتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ <sup>(٢)</sup> عَلَىَّ مِنْكَ النِّعَمُ ، وَتَدَارَكْتُ عَنْكَ مِنْهُ الذُّنُوبُ ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَاسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ ، وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا ، وَإِذَا ابْتَلِيَتْهُمْ صَبَرُوا ، وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا ، وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْبًا ، لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ، اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا ، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْمَذَابَ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا تَحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي ، وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبْحَتِي <sup>(٤)</sup> ، وَتَعَجَّرُ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ دَعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ ، مَتَظَاهِرَةٍ ذَنْبُهُ ، ضَعِيفٍ عَلَى نَفْسِهِ ، دَعَاءَ مَنْ بَدَلَتْهُ ضَعِيفٌ ، وَمُسْتَهْتِكَةٍ <sup>(٥)</sup> حَاجِرَةٍ ، قَدْ انْتَهَتْ عُذَّتُهُ ، وَخَلَقَتْ <sup>(٦)</sup> جِدَّتُهُ ، وَتَمَّ ظَمْرُهُ ، اللَّهُمَّ

[١] فلة من غم الغم : أى غطاء فانم ، أو غم «غمته» بالغم : أى بلائه وكرب عذابه .

[٢] من تظاهروا إذا تعادوا : أى تناجس . [٣] يشير إلى قوله تعالى : « أَفَنُ خُقَ عَلَيْهِ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » . [٤] فلة من السبح : وهو الثوب والانتشار

في الأرض ، والإبعاد في السبع ، والصرف في اللباس . [٥] التنة : اقوة .

[٦] خلق الثوب كنسر وكرم وسمح : على ، والظلم : ما بين العرجين والوردين .



لَا تَحْيِيْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ <sup>(١)</sup> ،  
وَحَسَنَ التَّبَاعَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَتَشْنِجَ المَرُوقِ ، وَإِسَاغَةَ الرِّيقِ ، وَتَأْخِرَ الشَّدَاثِدِ ، وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي <sup>(٣)</sup>  
قَتْلَهُ ، وَلَا يَحْبِبُ سُؤْلَهُ ، وَلَا يُرَدِّ رَسُوْلَهُ ، اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ  
الْفَقْرِ اِلَّا اِلَيْكَ ، وَمِنَ الذَّائِلِ اِلَّا لَكَ ، وَاَعُوْذُ بِكَ اَنْ اَقُوْلَ زُورًا ، اَوْ اُغْشَى  
جُورًا ، اَوْ اَكُوْنَ بِكَ مَرُورًا ، وَاَعُوْذُ بِكَ مِنْ شِمَاطَةِ الْاَعْدَاءِ ، وَغُضَالِ الدَّاءِ ،  
وَخِيَّئَةِ الرَّجَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ » . (الفدالفرديد : ٧٧ ، والبيان والبيان : ٢٢٤ : ١٣٧-١٣٨)

## ٩٨ — دعاء أعرابي

ودعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال :

« اَللّٰهُمَّ مَنْ اَوَّلَىٰ بِالتَّصْوِيرِ وَازْلَلَ مَنِيَّ وَأَنْتَ خَلَقْتَنِيْ ؟ وَمَنْ اَوَّلَىٰ بِالْعَفْوِ مِنْكَ  
عَنِّيْ وَعِلْمِكَ بِيْ مَاضٍ ، وَقَضَاؤُكَ بِيْ مُّحِيطٌ ؟ أَطْعَمْتُكَ بِقُوَّتِكَ وَالْمِنَّةَ لَكَ ، وَعَصَيْتُكَ  
بِعِلْمِكَ ، فَاسْأَلْكَ يَا اَللّٰهُمَّ - بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَاتَّقِطَاعِ حُجَّتِيْ ، وَافْتِقَارِيْ اِلَيْكَ  
وِغْنَاكَ عَنِّيْ - اَنْ تَغْفِرَ لِيْ وَتَرْحَمَنِيْ .

اَللّٰهُمَّ اَلْمُحْسِنُ حَتَّىْ اَعْطَيْتَنِيْ ، فَتَجَاوَزَ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِيْ كَتَبْتَ عَلَيَّ ، اَللّٰهُمَّ  
اِنَّا اطْعَمْنَاكَ فِيْ اَحَبِّ الْاَشْيَاءِ اِلَيْكَ : شَهَادَةً اَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ ، وَحَدَّثَكَ لاشْرِيْكَ  
لَكَ ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِيْ اَبْغَضِ الْاَشْيَاءِ اِلَيْكَ : الشَّرْكَ بِكَ ، فَاغْفِرْ لِيْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ .

[١] الإيهال والآخر . [٢] التباعة من التبعة بفتح فـ فكر . قال الشاعر :

أكلت حنيفة ربهـا زمن النعم والجـاعه

لم يـجـذروا من ربهـم سوء المواقـب والتبـاعه

« لأنهم كانوا قد اتخذوا لها من حيس فيبدوه زمناً ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه » - ولعليس كشمس :  
تمر يـمـلـط بالسـن والابن الفـحـيـض فيـجـن شـديـداً ، ثم يـنـدر منه نـواه .

[٣] ودى القتل كوى : أعطى دية ، والبول مخفف عن سؤل : وهو مأسأته .

اللهم إنا نسئ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرم للتوكلين عليك ، إلهي  
أنت شاهدكم وغايتهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسيرى لك مكشوف ، وأنا  
إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربة آتسني ذكرك ، وإذا أكتبت عليّ  
القوم ، لجأت إلى الاستجارة بك ، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها  
عن قضائك ، فأقِلّني <sup>(١)</sup> إليك مغفوراً لي ، معصوماً بطاعتك بقية عمري ،  
يا أرحم الراحمين .

## ٩٩ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : حجّجت فرأيت أعرابياً يطوف بالكعبة ويقول :  
ياخير موفود سمي إليه الوُفْدُ <sup>(٢)</sup> ، قد ضَعُفْتُ قوتي ، وذهبت مُتَتِي ، وأتيت  
إليك بذنوب لا تفسلها الأنهار ، ولا تحمِلها البحار ، أستجير برضائك من  
سُخْطِكَ ، وبغفوك من عقوبتك ، ثم التفت فقال : « أيها المشفقون ، ارحموا  
من شَمَلته الخطايا ، وَغَمَرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ما ملكَ  
من الثلاد ، ارحموا من وَجَّعته الذنوب ، وظَهَرَت منه العيوب ، ارحموا أَسِيرَ ضُرٍّ ،  
وطريد فقر ، أسألكم بالذي أتملتم الرغبة إليه ، إلا ما سألتكم الله أن يهب لي  
عظيم جُرمي » ، ثم وضع في حلقة الباب خدّه وقال : ضَرَعَ خدي لك ، وَذَلِكَ  
مقامي بين يديك ، ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنبِ مكروب      من الخيرات مسلوب

وفد أصبحتُ ذا فقرٍ      وما عِنْدَكَ مطلوب

## ١٠٠ - دعاء أعرابي

وسمع أعرابي بمِرَفَاتٍ عَشِيَّةٍ عَرَفَهُ وهو يقول :

« اللهم إن هذه عَشِيَّةٌ من عشايا حُبَّتْكَ ، وأحد أيام زُفَّتْكَ <sup>(١)</sup> ، يأمل فيها من لَجَأٍ إليك من خلقك أن لا يُشْرِكَ بك شيئاً ، بكل لسان فيها يُدْعَى ، ولكل خير فيها يُرْجَى ، أُنْتُكَ المَصَادُ من البلد السَّحِيقِ <sup>(٢)</sup> ، ودَعْتُكَ العَنَاءَ <sup>(٣)</sup> من شُعَبِ المَضِيقِ ، رجاء ما لا خَلْفَ له من وعدك ، ولا انْقِطَاعَ له من جزيل عطائك ، أَبَدْتُ لك وجوهها المَصُونَةَ ، صابرةً على وَهَجِ السَّامِ <sup>(٤)</sup> ، وَبَرَدِ الليالي ، ترجو بذلك رِضوانَكَ ، يا غفارُ ، يا مُسْتَزَاداً من نِعَمِهِ ، وَمُسْتَعَاذاً من نِقَمِهِ ، ارحم صوتَ حزينٍ دعاكَ بزفيرٍ وشهيقٍ » .

ثم بسط كلتا يديه إلى السماء وقال : « اللهم إن كنت بسطتُ يديَّ إليك داعياً ، فطالما كَفَيْتَنِي ساهياً ، بنعمتك التي تظاهرتُ علىَّ عِنْدَ الغفلة ، فلا أياسُ بها عند التوبة ، لا تقطعُ رجائي منك لما قدَّمْتَ من اِقْتِرَافِ <sup>(٥)</sup> آثامك ، وإن كنت لا أُصِلُ إليك إلا بك ، فهب لي ياربَّ الصِّلاحِ في الولد ، والأمن في البلد ، والعافية في الجَسَدِ ، وعافيني من شرِّ الحَسَدِ ، ومن شرِّ الدهرِ التَّكْدِ <sup>(٦)</sup> » .

( المقد الفريد ٢ : ٧٧ ، والأمل ٢ : ٣٢٣ )

- 
- [١] الزلفة : القرية . [٢] البعيد . [٣] العناء جمع عان من هنا : أى ذلة وخضع ، وفي رواية الأمل : « أُنْتُكَ الضواصر من الفج المبيق ، وجاءت إليك للمهارق من شعب المضيق » والضواصر الإبل الملهزولة ، والمهارق جمع مرق ( بقم المم وضع الزاء ) : الصبراء للنساء .
- [٤] السام جمع صوم كصبور : وهو الرجز الحارّة تكون غالباً بالنار ، وفي رواية الأمل : « على لفع السام ، وبرد ليل التام » - وليل التام ( ككتاب ) وليل تسمى : أطول ليالي الشتاء - وفي رواية الأمل : « نعمتك تظاهرها علىَّ عند الغفلة ، فكيف أياس منها عند الرجعة » - وأصل الغفل ( بالتحريك ) : الرجوع من الشغل ، ويطلق على الابتداء في السفر كما هنا تغاولا بالرجوع - .
- [٥] اقترف الذنب : آثامه وضعه .
- [٦] يقال : رجل تكد ككتف وسبب واتكد : شؤم عسر .

## ١٠١ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَ مِنْ لَا رُكْنَ لَهُ ،  
وَيَا مُجِرَةَ الصُّقَى <sup>(١)</sup> ، وَيَا مُنْقَذَ الْهَلَكَى ، وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ  
مَوَادُّ اللَّيْلِ ، وَيَا ضُوءَ النَّهَارِ ، وَضُوءَ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعَ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفَ الشَّجَرِ ،  
وَدَوَى الْمَاءِ <sup>(٢)</sup> ، يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجْمِلَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرٍ مِنْ عِنْدِكَ ،  
وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلْ الْمَافِيَةَ لِي شِعَارًا وَدِفْأً <sup>(٣)</sup> ، وَجَنَّةً دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ »

## ١٠٢ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا في فلاة من الأرض ، وهو يقول في دعائه :  
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَفْهَرْتُ إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لَلْوُحْمِ ، وَإِنْ تَرَكْتُ الْاسْتِغْفَارَ مَعَ  
مِرْفَقِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزُ ، إِلَهِي كَمْ تَحَيَّنْتُ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي ، وَكَمْ  
أَتَبَغَّضْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ ، سَبِّحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَّى »

## ١٠٣ - دعاء أعرابي

قال : وسمعت أعرابيا يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنْ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ ،  
وَإِنْ رَحْمَتُكَ إِيَّاي لَا تَنْقُصُكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ » .

## ١٠٤ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابيا وهو يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَمَلَكُمُ  
الْخَائِفِينَ ، وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرْكِ النِّعَمِ <sup>(١)</sup> طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ ،  
وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ ، وَأَجِرْنِي مِنْ نِقَمَاتِكَ ، سَبَقْتُ  
لِي ذُنُوبٌ ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ <sup>(٢)</sup> ، إِلَيْكَ بِكَ أُوَسِّلُ ، وَمَنْكَ إِلَيْكَ أَفِرُّ » .

[١] الضمير جمع ضعيف . [٢] اللحن : أَنْ هَذِهِ الْكَاتِبَاتُ تَدْعُو أَسْأَلُ فِيمَا إِلَى تَسْبِيحِهِ جَلَّ شَأْنُهُ

[٣] الصَّار : مَا يَلِيسُ عَلَى شَرِّ الْجَدِّ ، وَالْمُتَلَوِّ : مَا يَلِيسُ فَرَقَ الْقَمَرِ ، وَالْجَنَّةُ : الْوَقَايَةُ .

[٤] أَى فِي الدُّنْيَا . [٥] حُبٌّ بِمُحِبِّهِ : أُمُّ

## ١٠٥ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بالستهم ، لِيَحْقِنُوا دماءهم ، فأدرَكُوا ما أُمِّلُوا ، وقد آمَنَّا بك بقلوبنا ، لِنُجِيرَنا من عذابك ، فأدرِك منا ما أُمِّلناه . »

## ١٠٦ - دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : « ربِّ أترك معذِّبنا ، وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما إخالك تفعل ! ولئن فعلتَ لَتَجْمَعُنَا مع قوم طالما أبغضناهم لك . »

## ١٠٧ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يَبْلَى جديده ، ولا يُحْصَى عَدِيدُه <sup>(١)</sup> ، ولا يُبْلَغُ حدودُه ، اللهم اجعل الموت خيراً غائباً ننتظره ، واجعل القبر خيراً يَبْتَ نَعْمُرُه ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إن عيني قد أغرَوزَرتا دموعاً من خشيتك ، فاغفر الزَّلة ، وعُدِّ بحملك ، على جهلٍ مَنْ لم يَرْجُ غيرك . »

## ١٠٨ - دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذَ بِحَلَقَتِي بابِ الكعبة وهو يقول : « ساءَ لك عند بابك ، ذهبت أيامُه ، وبقيت آثامُه ، وانقطعت شَهوَتُه ، وبقيت تَباعُثُه ، فارضَ عنه ، وإن لم ترضَ عنه فاعفُ عنه غير راضٍ . »

## ١٠٩ - دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إنه لا شرفَ إلا بفعال ، ولا فعال إلا بجمال ، فأعطني ما أستعينُ به على شَرَفِ الدنيا والآخرة . »

## ١١٠ - دعاء اعرابي

عن طاووس قال : « بينا أنا بمكة إذ دَفَعْتُ إلى الحجاج بن يوسف ، فتَنَى لى وسكداً فجلست ، فينا نحن نتحدث إذ سمعتُ صوتُ أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : علىَّ بالمَلَمَى ، فَأَتَى به فقال : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قال : من أَفْنَاءِ الناسِ <sup>(١)</sup> ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نَعَمْ سألتنى ، قال : من أىَّ البُلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال له الحجاج : فكيف خَلَفْتَ محمد ابن يوسف - يعنى أخاه ، وكانَ حامِلَه على اليمن - قال : خَلَفْتُهُ عَظِيماً جَسِماً ، خَرَّاجاً وَلَاجاً ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نَعَمْ سألتنى ، قال : كيف خَلَفْتَ سيرته في الناس ؟ قال : خَلَفْتُهُ ظُلوماً غَشُوماً <sup>(٢)</sup> ، عاصياً للخالق ، مُطِيعاً للخلق ، فازور <sup>(٣)</sup> من ذلك الحجاج ، وقال : ما أَقْدَمَكَ لهذا ، وقد تعلم مكاتته منى ! فقال له الأعرابي : أَقْدَرَاهُ بِمَكَانَةٍ مِنْكَ أَغْزَى مِنِّى بِمَكَاتِنِى مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَأَنَا وَافِدٌ بَيْتِهِ ، وَقَاضِي دَيْنِهِ ، وَمَصْدَقُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَوَجَّهَ <sup>(٤)</sup> لها الحجاج ، ولم يُجِرْ له جواباً <sup>(٥)</sup> ، حتى خرج الرجل بلا إذن .

قال طاووس : فتبته حتى أتى المَلْتَرِمَ فتملَّقَ بِأَسْتَارِ الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك أَلُوذُ ، فاجعل لى فى اللَهْفِ إلى جِوارِكَ ، وَالرِّضَا بِضِمَانِكَ ، مندوحة <sup>(٦)</sup> ، عن منع الباخلين ، وَغَنَى عما فى أيدي المستأثرين ، اللهم عُدْ بِفَرَجِكَ القريب ، ومعروفك القديم ، ومادتك الحسنة .

قال طاووس : ثم اختفى فى الناس ، فألفيته بِعَرَفَاتٍ قائماً على قدميه وهو

[١] يقال جرؤ من أفناء الناس إذا لم يعلم من هو ، واحده قروكل أو فنا كعما .

[٢] ظالوماً . [٣] ازور : انحرف وباع ، أى غضب منه . [٤] وجم : سكت على فبط .

[٥] أى لم يردده . [٦] أى مقصداً .

يقول : « اللهم إن كنتَ لم تقبلِ حَجَّتِي وَنَصَبِي <sup>(١)</sup> وَتَعَبِي ، فلا تَحْرِمْني أَجَرَ المَصَابِ على مصيبتِهِ ، فلا أَعْلَمْ مصيبةَ أعظمَ مِن وَرْدِ حَوْضِكَ ، وانصرف محروماً من وجه رغبتك » .

### ١١١ - دعاء أعرابي

وقال الأصمى : رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول :

« إلهي نَجَّتْ <sup>(٢)</sup> إليك الأصواتُ ، بضروبٍ من اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء ، إذا نَسِيتني أهلُ الدنيا ، اللهم هب لي حقك ، وأرض عني خالقك ، اللهم لا تُعْزِني في طلب ما لم تقدره لي ، وما قدرته لي فيدسه لي » .

### ١١٢ - دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت : « كَانَ الله صَاحِبَكَ في أَمْرِكَ ، وَخَلِيقَتَكَ في أَهْلِكَ ، وَوَلِيَّ نُجْحِ طَلِبَتِكَ <sup>(٣)</sup> ، امضِ مُصَاحِبًا مَكْلُوءًا <sup>(٤)</sup> ، لَا أَشْتَمُ اللهَ بِكَ عَدُوًّا ، وَلَا أَرَى مُحِبَّكَ فَيْكَ سَوْءًا » .

( البقد القريد ٢ : ٧٦ - ٧٩ )

### ١١٣ - دعاء أعرابي

وقال الأصمى : خرجت أعرابية إلى مِنَى فَقَطَعَتْ بها الطريقُ فقالت : « يارب : أعطيت وأخذت ، وأنمتَ وسلبت ، وكلُّ ذلك منك عدلٌ وَفَضْلٌ ، والذي عَظُمَ على الخلائق أَمْرُكَ ، لَا بَسَطْتُ لِسَانِي بِمَسْأَلَةٍ أَحَدٍ غَيْرِكَ ، وَلَا بَذَلْتُ رَغْبَتِي إِلَّا إِلَيْكَ ، يَا قُرَّةَ أَعْيُنِ السَّائِلِينَ : أَغْنِنِي بِمُجُودٍ مِنْكَ أَتَبَجِّحُ <sup>(٥)</sup> في

[١] في الأصل « ونسي » وأراه محرفاً عن « نسي » ، ويؤيده قوله بعد « وتعبى » .

[٢] عَجَّ يَجُج بكسر الهمزة وفتح الجيم : صاح ورفع صوته .

[٣] النجح : النجاح ، والطلبة : ما طلبته . [٤] من كَلَاه كَتَمَهُ : حرسه .

[٥] تبجح : تمكن في اللقاة والحلول ، وتبجح الدار : توسطها ، والفراديس جمع فردوس : وهو البستان .

فَرَادِيسِ نِعْمَتِهِ ، وَأَتَقَلَّبَ فِي رُواقِ نَفْسِهِ <sup>(١)</sup> ، اِحْلَى مِنَ الرَّجُلَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَغْنَى مِنَ الْعَيْلَةِ ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى سِتْرِكَ الَّذِي لَا تَحْرِقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ صَمِيعُ الدُّعَاءِ .  
(البيان والتبيين ٢ : ٧٨ ، والقدر الفريد ٣ : ١٣٨)

## ١١٤ - أدعية شتى

ومات ابن لأعرابي فقال : « اللهم إني وهبتُ له ما قَصَّرَ فيه من برِّى ، فَهَبْ لِي ما قَصَّرَ فيه من طاعتِكَ ، فَإِنَّكَ أَجودُ وأَكْرَمُ » .  
(القدر الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٨)

ووقف أعرابي في بعض المواسم فقال : « اللهم إني لك عَلَى حَقِّكَ فَتَصَدَّقْ بِهَا عَلَىَّ ، وَلِلنَّاسِ تَبِعَاتٍ قَبْلِي فَحَمَلْتُهَا عَنِّي ، وَقَدْ أَوْجِبْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قَرِيَّ <sup>(٣)</sup> ، وَأَنَا ضَيْفُكَ اللَّيْلَةَ ، فَاجْعَلْ قِرَايَ فِيهَا الْجَنَّةَ » .  
(القدر الفريد ٢ : ٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٨)

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ :  
« اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ تَعْبِي وَنَصَبِي ، فَلَا تَحْرِمْنِي أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَى مَصِيبَتِهِ » .  
(زمر الآداب ٣ : ١٦٣)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِرَجُلٍ : « أَطْعَمَكَ اللَّهُ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي لَهُ ، فَقَدْ أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جَوْعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، فَحَفِظَكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ عَنكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ » (القدر الفريد ٢ : ٨٤)

[١] في الأصل « راووق » وهو المصفاة ، وأراء معرفة عن « رواق » وهو السطاط ، والنشرة : النعمة والذي . [٢] رجل كعرج فهو راجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر يركبه ، والرجلة بالفتح ويكسر : شدة المني ، واليلة : القفر .  
[٣] قرى الضيف كرمى ، قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .



عن الأصمعي قال : رأيت أعرابيا يصلي وهو يقول : « أسألك الغفيرة <sup>(١)</sup> ،  
والناقة الغزيرة ، والشرف في المشيرة ، فإنها عليك يسيرة » . ( الأمل ٢ : ٢٣ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنِّبَكَ  
الله الأَمْرَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، وكفاك شرَّ الأجَوَفَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، وأذاقك البرَدَيْنِ <sup>(٤)</sup> » .  
( الأمل ٢ : ٧٢ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الإثاء <sup>(٥)</sup> ،  
وَحَطَّ الأعداء ، ورفع الأولياء » . ( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

وقال أعرابي : « اللهم لَا تُنْزِلْنِي ماء سَوَاء ، فَأَكُونَ امْرَأَ سَوَاء » وقال  
أعرابي : « اللهم فَنِي عَثَرَاتِ الكرام » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

ووهب رجل لأعرابي شيئا فقال : « جعل الله للمعروف إليك سبيلا ،  
وللخير عليك دليلا ، وجعل عندك رفدا <sup>(٦)</sup> جزيلا ، وأبقاك بقاء طويلا ،  
وأبلاك <sup>(٧)</sup> بلاء جميلا » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : « اللهم ارزقني مالا  
أَكْبَت <sup>(٨)</sup> به الأعداء ، وَبَنِينَ أَصُولَ بِهِم على الأقوياء » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

[١] الغفيرة : المغفرة . [٢] الأمران : الفقر والمهرم ، أو الجوع والحرى . [٣] الأجوفان :  
البطن والفرج . [٤] البدان : برد العين وبرد المافية . [٥] الإثاء : الرزق ، من أنت الشجرة  
أتوا لإثاء : طلع ثمرها ، أو بداصلاحها ، أو كثر حملها . [٦] الرفد : انقطاع والمصلحة .  
[٧] الإبلاء : الإلغام والإحمال ، أبلت عنده بلاء حسنا ، وأبلاه الله بلاء حسنا .  
[٨] كبت : صرعه وأدله ، ورد العتق ينظله .



ودعت أعرابية على رجل فقالت : « أمكن الله منك عدوًّا حسودا ،  
وَجَمْعَ بك صديقًا ودودا ، وسلَّط عليك هَما يُضْنِيكَ ، وجارًا يُؤْذِيكَ » .

( القند الفريد ٢ : ٩١ )



ودعا أعرابي فقال : « أعوذ بك من الفَوَاقِر<sup>(١)</sup> والبواقر ، ومن جارٍ السوء ،  
في دار المُقَامَةِ وَالظَّنِّ ، ومما يَنْكُصُ رَأْسُ المرءِ ، وَيُغْرِي به لثامُ الناسِ » .



وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَمٍ ، وعداوة ذِي رَحِمٍ ودَعْوَاهِ ، ومن  
فاجِرٍ وَجَدَّوَاهِ<sup>(٢)</sup> ، وعملٍ لا ترضاه » .

( البيان والبيان ٣ : ١٢٦ )



ودعت أعرابية لرجل فقالت : « كَبَّتَ اللهُ كلَّ عدوك إلا نَفْسَكَ » .  
ودعا أعرابي فقال : « اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خَلْقَكَ » .  
وقال أعرابي : « اللهم إنك أمرتنا أن نَفْوَ عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا  
فَاعْفُ عَنَّا » .

( البيان والبيان ٣ : ١٢٧ )



وقال أعرابي : « مِنْحَمُ اللهُ مِنْحَةً لَيْسَتْ بِجِدَّاءٍ ، ولا نَكَدَاءٍ ، ولا  
ذاتِ داءٍ » .

وقال أعرابي : « اللهم إنك حَبَسْتَ عَنَّا قَطَرَ السَّمَاءِ ، فَذَابَ الشَّحْمُ ،  
وَذَهَبَ اللَّحْمُ ، وَرَقَّ الْعَظْمُ ، فَارْحَمْ أُنَيْنَ الْآئِنَةِ ، وَحَيْنَ الْحَائِنَةِ ، اللهم ارحم  
تَحِيرَهَا فِي مَرَاتِمِهَا ، وَأُنَيْنَهَا فِي مَرَابِضِهَا » .

[١] الفَوَاقِر جمع فاقرة : وهي الهامية ، وللبواقر جمع بقر : وهي الفتنة الصاعدة للآفة الشائنة للعسا .

[٢] الجبدوى : الطية .



وحج أعرابي فقال : « اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرج به ، وإن كان نائياً فقرّبه ، وإن كان قريباً فيسرّه » .

( البيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )



ومات ولد لرجل من الأعراب فصلى عليه ، فقال : « اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدّين ، مهملُ الجدّين ، فاغفر له وإلا فلا » . ( الأمل ١ : ٢٠٢ )



وقالت أعرابية لرجل : « رماك الله بلبلة لأخت لها » أى لا تعيش بعدها . ( الأمل ١ : ٢١٧ )



ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضلّ في هداك ، أو أذلّ في عزّك ، أو أضامّ في سلطانك ، أو أضطهدّ والأمرُ إليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )



وقال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : « اللهم ارزقني عمل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أنعم بترك التعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت » . وقال آخر : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق الولائد <sup>(١)</sup> ، وأرسله على هامته كرسوخ السجّل <sup>(٢)</sup> ، على هام أصحاب الفيل » . ( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

[١] الولائد جمع وليدة : وحمه الصبية . [٢] السجّل : طين مطبوخ ، يشير إلى قوله تعالى : « وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » وأبابل أى جماعات .

## ١١٥ - نوارد وملح لبعض الأعراب

غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقبل له : ما رأيت مع رسول الله في غزائك هذه ؟ قال : وَضَعْنَا نِصْفَ الصَّلَاةِ <sup>(١)</sup> ، وأرجو في الغزاة الأخرى أَنْ يَضَعَ النِّصْفَ الْبَاقِي .

✽

وَدَخَلَ أَعْرَابِي الْمَسْجِدَ ، وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا ، فَقَامَ يَصَلِّي ، فَلَمَّا قَرَعَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَعَمِّدْ ، وَلَا تَرْحَمْ مِنَّا أَحَدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَقَدْ تَحَبَّرْتُمْ <sup>(٢)</sup> وَاسِعًا يَا أَعْرَابِي .

✽

وَخَرَجَ الْحُجَّاجُ مُتَصِيدًا بِالْمَدِينَةِ ، فَوَقَفَ عَلَى أَعْرَابِي يَرْعَى إِبْلًا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَعْرَابِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ سِيرَةَ أَمِيرِكُمُ الْحُجَّاجَ ؟ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : غَشُومٌ ظَلُومٌ ، لَا حَيَاءَ لَهُ ، فَقَالَ : فَلِمَ لَا تَشْكُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالَ : فَأَخْلَمْتُ وَأَغْشَمْتُ ! فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ ، فَأَوْمَأَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْأَعْرَابِي ، فَأَخَذَ وَحْمِلَ ، فَلَمَّا صَارَمَهُ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا لَهُ : الْحُجَّاجُ ، فَخَرَّكَ دَابَّتِهِ حَتَّى صَارَ بِالْقَرَبِ مِنْهُ ، ثُمَّ نَادَاهُ يَا حُجَّاجَ ، قَالَ : مَا تَشَاءُ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : السَّرَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا ، فَضَحِكَ الْحُجَّاجُ ، وَأَمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ .

✽

وَخَرَجَ أَبُو الْعَاسِ السَّفَاحُ مُتَنَزِّهًا بِالْأَنْبَارِ ، فَأَمِينٌ فِي نَزْهَتِهِ ، وَاتَّبَعَهُ مِنْ

[١] بِمِصْلَةِ الْفَرَسِ . [٢] أَيْ ضَيَّقَتْ مَا وَسَعَهُ اللَّهُ وَخَصَصَتْ بِهِ تَهْنِئَةً وَنُصْرَةً .

أصحابه ، فوافى خيباء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة ، قال : من أي كنانة ؟ قال : من أبنض كنانة إلى كنانة ، قال : فانت إذن من قريش ؟ قال : نعم ، قال : فن أي قريش ؟ قال : من أبنض قريش إلى قريش ، قال : فانت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فن أي ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبنض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فانت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .

\*\*\*

وولى يوسف بن عمر الدثني صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة فمزله ، فلما قدم عليه ، قال له : يا عدو الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : فقال مَنْ آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن يعطيني فلساً واحداً فافعل ، فضحك منه وختل سبيله .

\*\*\*

وأخذ الحجاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعه بسوط قال : يارب شكراً ، حتى ضربه سبعمائة سوط ، فلقبه أشعب ، فقال له : تدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : وهذا في القرآن ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

يارب لا شكراً فلا تزدني أسأت في شكرى فاعف عني

، باعذ ثواب الشاكرين مني

✽

ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت <sup>(١)</sup> عندها ، فذبحتها وبيأت بها إليه ، فقالت يا أبا جعفر : هذه دجاجة لي كنت أذبحها وأعطيها من قوتي ، وألبسها في آناه الليل ، فكأنما ألبس بنتي زلت عن كبدي ، فنذرتُ لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخمسة درم .

✽

وسُمع أعرابي وهو يقول في الطواف : « اللهم اغفر لأمي » ، فقيل له : مالك لا تذكر أباك ؟ قال : أبي رجل يحتال لنفسه ، وأما أمي فبائسة ضعيفة .

✽

وقال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأن أفعه كوز ، من عظمه ، فرآنا نضحك منه ، فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ، ما كنت فيهم إلا أفضساً .

✽

وجيء بأعراب إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : « هاؤم أقرؤا كتابي » ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة ، قال : « هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسنات وسيئاتي ، وأتم جثم بسيئاتي وتركتم حسناتي » .

✽

واشترى أعرابي غلاماً فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه

[١] دجن الحمام والشاء وغيرهما كنصر : أنهت البيوت .

يُولُ في الفراش ، قال : هذا ليس بسبب ، إن وجد فراشاً فليل فيه .

\*\*\*

ومرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابناً له ، فقالوا له : صفه ، قال : كأنه دُنَيْبِر ، قالوا : لم نره ، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي ، وعلى عنقه جمل<sup>(١)</sup> ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه دُنَيْبِرُ ؟ قال : « الْقَرْنَبِي<sup>(٢)</sup> في عين أمها حسناء . »

\*\*\*

وقيل لأعرابي : ما يمنعك أن تمزق ؟ قال : والله إنني لأبض الموت على فراشي ، فكيف أن أمضي إليه ركضاً ؟ .

\*\*\*

وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : أعلم أنك لما خرجت ، وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسنَ هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك أنت ، وتخرب بيوتنا ! .

\*\*\*

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت في بعض الطريق عطبت راحلتها ، فرفعت يديها إلى السماء ، وقالت : « يارب أخرجتني من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك ! » .

\*\*\*

وعُرِضَت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابي ، أخذ يُولُ في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

[١] الجبل : الهراة .

[٢] القرني : دوية من خشل الأرض فوق الخنفساء إذا مسها أحد تهبطت فصارت مثل الكرة .

إذا ما خرجنا من مدينة واسطٍ خَرِينَا وَبُلْنَا لَا نَخَافُ عِقَابَا

❦

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال : « والله لئن آتَرْتُمُوهُ لَتُمْسِكَنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي <sup>(١)</sup> عيش أغبر » .

❦

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : « أرى عليك قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَضْرَاسِكَ » .

❦

وقال أعرابي : « اللهم إني أسألك مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكُلُ بِدَجَا <sup>(٢)</sup> ، وَشَرِبُ مِشْعَلًا <sup>(٣)</sup> ، وَنَامُ فِي الشَّمْسِ ، فَاتَ دَقَّانَ شُبْعَانَ رَيَّانَ » .

❦

وقيل لأبي الْخَشَّ الْأَعْرَابِي : أَسْرُكَ أَنْكَ خَلِيفَةٌ ، وَأَنْ أَمَتَكَ حُرَّةٌ ؟ قال : لا والله ما يسرَّنِي ، قيل له : ولم ؟ قال : « لأنها كَانَتْ تَذْهَبُ الْأُمَّةَ ، وَتَضِيعُ الْأُمَّةَ » .

❦

وحضر أعرابي سَفْرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَمَلَ عِمْرًا إِلَى مَا يَنْ يَدِيهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : مَنْ أَجْدَبُ اتَّجَعُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : إِذَا خَرَجَ عَنَّا فَلَا يَمُذُّ إِلَيْنَا .

❦

وشهد بعد هذا سَفْرَتَهُ أَعْرَابِي آخَرَ ، فَرَمَى إِلَى مَا يَنْ يَدِيهِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَخْصَبُ تَحْيَرُ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ، فَقَبِرَهُ وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

[١] الذَّنْبُ : الذَّنْبُ . [٢] الْبُذْجُ : وَلَهُ النَّانُ .

[٣] لِلشَّمْلِ : هِيَ ، مِنْ جُلُودِهِ أَرْبَعُ قَوَائِمٍ يَبْذِيهِ ، وَهَرَبُ مِشْعَلٍ أَيْ هَرَبُ مَا فِيهِ .



وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالناقولِ ذَج ، جعل يُسرِع فيه ، فقال سليمان : أتدري ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين إني لأجد ريقاً هنيئاً ، وَمَزْدَرْدَاً<sup>(١)</sup> لِيناً ، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه ، فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ؟ فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدِّماغ ، قال : كَذَبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل ! .



وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شَعْرَةٍ في لقمة الأعرابي ، فقال : أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي ، قال : وإنك لتراعي مِرَاعَةً من يُنَصِّر الشعرة في لقمتي ! وَاللَّهِ لَا وَكَلْتِكَ أَبَدًا ، فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زَلَّة ، ولا أعود لمثلها .



وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : أَتَهَمِرُ<sup>(٢)</sup> إسرائيل ؟ قال : إني إذن لرجل سوء ، قلت له : أَتَجَرُّ فِلَسْطِينَ ؟ قال : إني إذا لَقَوِي .



وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلَا تُشْكِرُوا<sup>(٣)</sup> الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - قرأها بفتح التاء - فقال : ولا إن آمنوا أيضاً لم نَشْكِرْهم ، ف قيل له إنه يلحن وليس هكذا يُقرأ ، فقال : « أَخْرُوه قَبْجَهُ اللَّهُ ! لا تجملوه إماماً ، فإنه يُحِلُّ ما حرَّم الله » . (النفد الفريد ٢ : ١٠٠ - ١٠٥)

وخطب أعرابي فلما أعجله بعضُ الأمر عن التصدير بالتحديد، والاستفتاح بالتحديد، قال: «أما بعد، بنير ملالٍ لذكر الله، ولا إثارٍ غيره عليه، فإننا نقول كذا، ونسأل كذا» فراراً من أن تكون خطبته براءً وشَوْهاً<sup>(١)</sup>.

(البیان والتبيين ٢: ٢، ١: ٢١٥)

ودفعوا إلى أعرابيةٍ عِلْكَاً<sup>(٢)</sup> لَمْضَغُهُ، فلم تفعل، فقيل لها في ذلك، فقالت: «ما فيه إلا تعبُ الأضراس وخيبةُ الحَنَجَرَةِ». (البیان والتبيين ٢: ١٧)

وقيل لأعرابي: عند مَنْ نحب أن يكون طعامك؟ قال: «عند أم صبي راضع، أو ابن سبيل شاسع، أو كبير جائع، أو ذی رحم قاطع».

(البیان والتبيين ٢: ٤٩)

وقال أعرابي:

«لولا ثلاث هُنَّ عيشُ الدهر الماء، والنوم، وأم حمرو،  
لما خَشِيتُ من مَضِيقِ القبر».

(البیان والتبيين ٢: ١٠١)

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال: «ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن»، قيل له: ولم؟ قال: «رأيت عهداً تُبْذَرُ».

(البیان والتبيين ٢: ١٦٩)

---

[١] وكأوا يسمون الخطبة التي لم يتدعى صاحبها بالتحديد، ويستفتح كلامه بالتحديد «البراء» ويسمون التي لم توشح بالقرآن وترن بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم «الشَوْها».

[٢] الملك: البان (بالقم).



وسمع أعرابي رجلا يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُوسِرٍ ، تَجْرِي  
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا <sup>(١)</sup> » ، فالتها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي :  
« لا يكون » ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : « يكون » .  
( البيان والبيان ٢ : ١٧٤ )




---

[١] ذات الألواح والدمر : مع السفينة ، والدمر ما تشد به الألواح من اللسامير وغيرها جمع دسار  
ككتاب ، بأعيننا : برأى منا أى مخطوطة ، وقد قرئ كسر بالبناء للفاعل ، أى للكافرين ، أفرقوا  
مقابلاً لهم .

## الباب الرابع

### في

### خطب النكاح

#### ١ - خطبة قريش في الجاهلية

روى الجاحظ قال :

كانت خطبة قريش في الجاهلية - يعني خطبة النساء :

« باسمك اللهم ، ذُكِرْتَ <sup>(١)</sup> فلانة ، وفلانٌ بها مشغوفٌ ، باسمك اللهم ، لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

#### ٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب فيما عنده ، التنافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميزم بأحكامه » وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه ، ثم إن الله تعالى

---

[١] ذكر فلان فلانة ذكرا ( بفتح فسكون ) : خطبها أو تعرض لخطبتها .

جعل المصاهرة نسباً لاحتقاً ، وأمرأاً مفترصاً ، ووَشَّجَ <sup>(١)</sup> به الأرحامَ ، وألزمه الأنام ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فأمرُ الله يجرى إلى قضائه ، ولكل قضاء قَدَرٌ ، ولكل قَدَرٍ أَجَلٌ « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » .  
ثم إن ربِّي أمرني أن أزوّجَ فاطمة من علي بن أبي طالب ، وقد زوّجتها إياه على أربعمائة مثقال فضّة ، إن رضى بذلك علي <sup>(٢)</sup> .

### ٣ - خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه حين تزوّج بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :

« الحمد لله الذي قرَّب من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد بالجنة من يتقيه ، وقطع بالنار عدد من يعصيه ، أحمدُه بجميع محامده وأياديه ، وأشكره شكرَ مَنْ يعلم أنه خالقُه وباريه ، ومصورُه ومُنْشِئُه ، ومميتُه ومُحْيِيُه ، ومقرِّبُه ومنجيُه ، ومُثَبِّئُه ومجازيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله صلاة تُزلفه وتُدنيه ، وتزده وتُعليه ، وتشرِّفه وتجبِّيه .

أما بعد : فإن اجتماعنا مما قدَّره الله تعالى ورضيه ، والنكاح ما أمر الله به وأذن فيه ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم قد زوّجني فاطمة ابنته على صداق أربعمائة درهم وثمانين درهماً ، ورضيت به فأسألوه ، وكفى بالله شهيداً » .

[١] وشجت الروق والأفصان كوعد : اشتبكت والثفت وتداخلت ، ورحم واشجة ووشيجة : اشتبكة متصلة ، وقد وشجها الله توشيحاً ، وفي الأصل : « وشج به الأرحام » وأراء محرّفاً .

#### ٤ - خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عتبة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته ، فأقمنه على فخذه ، وكان حديثاً فقال :

« أقربُ قريبٍ ، خطبَ أحبَّ حبيبٍ ، لا أستطيع له ردّاً ، ولا أجد من إسما فيه بدءاً ، قد زوجتُكما وأنت أعزُّ عليَّ منها ، وهي ألصقُ بقلبي منك ، فأكرّمها يعذبَ عليَّ لسانُ ذِكْرِك ، ولا تُهنِّها فيصنُرَ عندي قَدْرُك ، وقد قرَّبْتُك مع قُرْبِك ، فلا تُبعدْ قلبي من قلبك » .

#### ٥ - خطبة شبيب بن شيبه

وقال العُتبيّ : زوّجَ شبيب بن شيبه ابنته بنتَ سِوَار<sup>(١)</sup> القاضى ، فقلنا : اليومَ يَمُبُّ عُبَّابُهُ<sup>(٢)</sup> ، فلما اجتمعوا تكلم فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد : فإن المعرفةَ مِنّا ومنكم ، بنا وبكم<sup>(٣)</sup> ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلاناً ذَكَرَ فلانة » .

#### ٦ - خطبة الحسن البصرى

وكان الحسن البصرى يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه :  
« أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعة ، والأنسابَ المتفرقة ، وجعل ذلك في سنة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره ، وقد خطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمةٌ ، وهو يذل من الصدّاق كذا ، فاستخيرُوا الله ، ورزّذوا خيراً ، يرحمكم الله » .

[١] هو سوار بن عبد الله من قضاة البصرة وخطيبها - انظر اليان والثنين ١ : ١٦١ - وافرأى  
أمال السيد المرتضى ٤ : ٢٢ حديثاً غريباً للجاحظ عنه في وقعه وضبطه من همه وماله من حركته -  
[٢] لأنّ والى الروسين خطيباً . [٣] أى المعرفة منا بكم ، والمعرفة منكم بنا .

## ٧ - خطبة ابن الفقير

وقال العتيبي : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة فقال :  
« وما حسن أن يمدح المرء نفسه : ولكن أخلاقاً تَذُمُّ وتُمدَح  
وإن فلانة ذُكرت لي » .

## ٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :  
« قد رَوَّجَكَ أمير المؤمنين ابنته فاطمة » ، قال : « جزاك الله يا أمير المؤمنين  
خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة » .

## ٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي المقدم قال :  
كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير<sup>(١)</sup> ،  
فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز  
أخته أم عمر بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ ، فقال عمر :  
« الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فإن  
الرضا منك دَعَتْك إلينا ، والرضا فيك أجابَتْك منا ، وقد أحسن بك ظناً من  
أودعك كرميته ، واختارك ولم يَخْتَرْ عليك ، وقد زوجْتُكها على كتاب الله :  
إِمْسَاكُ بِمَرْوَفٍ أَوْ تَمَرِّجٌ بِإِحْسَانٍ » .

[١] وكذلك روى الجاحظ في البيان والتبيين ( ١ : ٦٤ ) قال : « والسنة في خطبة النكاح أن يبالغ  
الخطب ، ويقرع الحبيب » والحصري في زهر الآداب ( ٢ : ٣١ ) قال الأصمعي : « كانوا يستحبون من  
الخطب إلى الرجل حرمة الإطالة ، لئلا على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز لئلا على الإجابة » .

## ١٠ - خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خُثَمَ لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ،  
ثم قال :

« أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالِّين فهدانا الله ، عبدين فأعتقنا الله ،  
فقيرين فأغنانا الله ، فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن ترؤدونا فالاستعانة بالله » .

## ١١ - خطبة خالد بن صفوان

وزوج خالد بن صفوان مولاة من أمته ، فقال له العبد : لودعوت الناس  
وخطبت ! قال : أذعهم أنت ، فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن  
صفوان ، فقال :

« أما بعد : فإن الله أعظم وأجل من أن يُذكر في نكاح هذين الكليين ،  
وأنا أشهدكم أنى زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية » .

## ١٢ - خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام  
أعرابي منهم فقال :

« تَوَسَّلْتَ بِمُحْرَمَةٍ ، وَأَوَلَيْتَ بِحَقٍّ ، وَاسْتَنْدْتَ إِلَى خَيْرٍ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سُوءٍ ،  
فَقَرَرْتُكَ مَقْبُولٌ ، وَمَا سَأَلْتَ مَبْذُولٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

قال الفضل : لو كان الأعرابي حمد الله في أول كلامه ، وصلى على النبي صلى الله  
عليه وسلم لفضحني يومئذ .



### ١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكرم: أراد المأمون أن يزوّج ابنته من عليّ بن موسى الرضا، فقال: يا يحيى تكلم، فأجلّته أن أقول: «أنكحت»، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت الحاكم الأكبر، والإمام الأعظم، وأنت أولى بالكلام، فقال: «الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته، وصلى الله على محمد عند ذكره، أما بعد: فإن الله قد جعل النكاح ديناً، ورضيه حكماً، وأنزله وحياً، ليكون سبب المناسبة، ألا وإنني قد زوّجت ابنة المأمون من عليّ بن موسى، وأمهرتها أربعمائة درهم، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتهاءً إلى ما درج إليه السلف، والحمد لله رب العالمين».

\*\*\*

وخطب رجل إلى قوم، فأُتي بمن يخطب له، فاستفتح بحمد الله، وأطال، وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام، وأطال، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض، واقتصر ذكر القرون، حتى صجر من حصر، والتفت إلى الخاطب، فقال: ما أسمعك أعزك الله؟ فقال: والله قد أنسيتُ اسمي من طول خطبتك، وهي طالِقُ إن تزوجتها بهذه الخطبة، فضحك القوم، وعقدوا في مجلس آخر.

(مفتاح الأنكار ص ٦٢، ومواسم الأدب ٢: ١٢٠، والفد الفريد ٢: ١٦٣،

وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ٢٨، والبيان والتبيين ١: ٢١٥، ٢١٧ -

٢: ٥٠ : ١٣٠ - ٢٢١ : ٣، وزهر الآداب ٢: ٣٠، ٣١)

## الباب الخامس

في

### خطب من أرتج عليهم

ونوادر طريفة لبعض الخطباء

روى الجاحظ قال : صَمِدَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْمَنْبَرُ ، فَأُتِجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« إِنْ أَبَا بَكْرٍ وَصَرَكَانَا يُمِدَّانَ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ ، أَحْجُجْ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ » .

❦

وروى ابن عبد ربه قال : أَوَّلُ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ أُتِجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صَعْبٌ ، وَإِنْ أُعِشَ تَأْتِيَكُمْ الْخُطْبُ عَلَى وَجْهِهَا ، وَسَيَجْمَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

❦

ولما قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الشَّامَ وَالْيَا عَلَيْهِ لِأَبِي بَكْرٍ ، خُطِبَ النَّاسُ فَأُتِجَ عَلَيْهِ ، فَمَادَ إِلَى الْحَمْدِ اللَّهُ ، ثُمَّ أُرْتِجَ عَلَيْهِ ، فَمَادَ إِلَى الْحَمْدِ اللَّهُ ، ثُمَّ أُرْتِجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« يَا أَهْلَ الشَّامِ ، عسى الله أن يجعل من بعد عُثْرٍ يُسْرًا ، ومن بَعْدِ عِيٍّ يَانًا ، وأنتم إلى إمامٍ فاعل <sup>(١)</sup> ، أُخَوِّجُكُمْ إلى إمامٍ قَاتِلٍ <sup>(٢)</sup> » ، ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

❦  
وكان يزيد بن المهلب وُلِّيَ ثَابِتَ قُطْنَةَ <sup>(٣)</sup> بعض قرى خُرَّاسَانَ <sup>(٤)</sup> ، فلما صَعِدَ المنبر يوم الجمعة ، قال : الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول :  
فَالَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيْبًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لَخَطِيْبُ  
فقيل له : « لو قاتلها فوق المنبر ، لكنت أخطب الناس » .

❦  
وخطب معاوية بن أبي سفيان لما وُلِّيَ ، خَصِرَ فقال :  
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنتُ أَعَدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَحُجِّبْتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ <sup>(٥)</sup> ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَدَلٍ ، أُخَوِّجُكُمْ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيْبٍ ، وَإِنِّي آمُرُكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

[١] في عيون الأخبار : « إمام عادل » . [٢] وفي أمالي السيد المرتضى أن هذا القول يروى لثُمَانِ بْنِ عَفَانَ ، وفي روايته : « إمام فَعَالٍ » و « إمام قَوَالٍ » بصيغة المباعدة ، وفي الأغانى أنه يروى ثَابِتَ قُطْنَةَ ، وفيه : « أمير نَقَالٍ » و « أمير قَوَالٍ » .

[٣] هو ثابت بن كعب ، ولقب قطنة لأن سبباً أصابه في إحدى عينيهِ ، فغلب بها في بعض حروب الترك ، فكان يحمل عليها قطنة ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيحمد فيها مكانه لكفائته وشجاعته ، وقد مال إلى قول المرجئة ، وله قصيدة في الإرجاء ، انظر ترجمته في الأغانى ج ١٣ ص ٤٧ .

[٤] وفي رواية : أنه خطب على منبر سجستان ، وفي رواية الطبري : « غلب الناس خصر فقال : « من يقطع الله ورسوله فقد ضل » وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال البيت المذكور .  
[٥] الآية الكريمة : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ » .

✽

وصعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة ليخطب فارتج عليه ، فقال : « أيها الناس : أما بعد ، فإن هذا الكلام يحيى أحياناً ، ويعزب أحياناً ، فيسبغ عند بحبته سببه <sup>(١)</sup> ، ويعز عند عزوبه طلبه ، ولربما كوبر فأبى <sup>(٢)</sup> ، وعولج فنأى ، فالتأتى <sup>(٣)</sup> لمحبه ، خير من التماطى لأية ، وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تمدره ، وقد يخلج <sup>(٤)</sup> من الجرى جنانه ، وينتقع من الدرب <sup>(٥)</sup> لسانه ، فلا يُطره ذلك ولا يكسره ، وسأعود فأقول إن شاء الله » ، ثم نزل ، فأرثى حصراً أبلغ منه .

✽

وصعد أبو العنبر منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ، ثم نزل ؛ فلما كان في الجمعة الثانية ، وصعد المنبر وقال : أما بعد ، أرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتكم ؟ ثم نزل ؛ فلما كانت الجمعة الثالثة ، قال : أمّا بعد : فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى ، قال : فليخبر الذي يدرى منكم الذي لا يدرى ، ثم نزل .

[١] السبب : السطاه ، وفي رواية : « فيسبغ عند بحبته سببه » .

[٢] وفي رواية : « فسا » أى اشتد وصعب . [٣] تأتى له : ترفى ، وفي رواية : « فالتأتى » بالنون . [٤] يخلج .

[٥] الحاد لسان ، وفي رواية : « ويرنج على البليغ لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرتج على اللسان لسانه ، ولا ينظره القول إذا انس » ، ولا يجسر إذا امتنع ، ومن لم تمكن له الخطوة ، فخلق أن تمن له النبوة ، وفي أخرى : « وقد يضل على الدرب لسانه » ثم لا يكابر القول إذا امتنع ، ولا يرد إذا انس ، وأولى الناس من حذر على النبوة ، ولم يؤخذ على الكبوة ، من عرف ميدانه ، اشتبه إحسانه وسأعود وأقول .

✽

وولى اليمامة رجل من بنى هاشم يعرف بِالذَّنْدَانِ ، فلما صعد المنبر ارتج عليه ، فقال :

« حَيَّا الله هذه الوجوه ، وجعلنى فِدَاءَهَا ، إني قد أمرت طَائِفِي بِاللَّيْلِ أَنْ لَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَتَانِي بِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ » ، ثم نزل .

✽

وخطب عبد الله بن عامر <sup>(١)</sup> بِالْبَصْرَةِ فِي يَوْمِ أَضْحَى ، فَأُتِيَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ :

« وَالله لَا أَجْعَلُ عَلَيْكُمْ عِيًّا وَلَوْ مِمَّا ، مِنْ أَخَذَ شَاةً مِنَ السُّوقِ فَهِيَ لَهُ ، وَتَمَّتْهَا عَلَيَّ » .

✽

قَالَ الْجَاهِظُ : وَلَمَّا حَصَرَ عَبْدُ اللهِ بْنَ عَامِرٍ عَلَى مَنبَرِ الْبَصْرَةِ ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّكَ إِنْ أَقْتَحَاةً مَنْ تَرَى ، أَصَابَهُ أَكْثَرُ مِمَّا أَصَابَكَ » .

✽

وكَانَ سَعِيدُ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ عَلَى قِفْمَرِينَ <sup>(٢)</sup> ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا ، وَبَايَعَ لَابْنَ الزُّبَيْرِ <sup>(٣)</sup> ، فَلَمَّا قَعَدَ زُفَرُ عَلَى الْمَنبَرِ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدَ الْغَادِرِ الْفَاجِرِ » ، وَحَصَرَ ، فَضَحَكَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ .

---

[١] انظر هامش الجزء الأول ص ١٨٠ . [٢] كورة بالتأم . [٣] انظر هامش الجزء الثاني ص ١٣١ .

✽

وصعد عدي بن أرطاة<sup>(١)</sup> المنبر، فلما رأى جماعة الناس حصر فقال: « الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم » .

✽

وصعد روح بن حاتم المنبر، فلما رآهم شقنوا<sup>(٢)</sup> أبصارهم، وفتحوا أعماهم نحوه، حصر فقال: « نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم، فإن المنبر من كبر صعب، وإذا يسر الله فتح قلب يسر » .

✽

وكان عبد ربه البشكري عاملاً لعيسى بن موسى<sup>(٣)</sup> على المدائن، فصعد المنبر، فحمد الله وأرج عليه، فسكت ثم قال: « والله إني لأكون في بيتي فتجىء على لساني ألف كلمة، فإذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فحأها من صدري، ولقد كنت وما في الأيام يوم أحب إلى من يوم الجمعة، فصرت وما في الأيام يوم أبغض إلى من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

✽

وأرج على مثنى بن زائدة، فضرب المنبر برجله، ثم قال: « فتى حرؤوب، لا فتى منابر » .

✽

وحدث عيسى بن عمر قال :

خطب أمير مرة فاقطع نخيل، فبث إلى قوم من القبائل عابوا ذلك وأنفهم<sup>(٤)</sup>، وفيهم يزيد بن جند، فقال: اخطبوا، فقام واحد فرأى في الخطبة،

[١] كان عامل يزيد بن عبد الملك على البصرة .

[٢] شقنه كسره وطله شقنوا : نظر إليه بمؤخر عينه ، أو رفع طرفه ناظراً إليه كالمتجسس أو كالكاره .

[٣] هو عيسى بن موسى ابن أخي للمصور وكان أمير الكوفة . [٤] نفهم : جههم .

حتى إذا بلغ «أما بعد» قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يذر ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع <sup>(١)</sup> اليوم فتنعتي ، وخطب آخر ، فلما بلغ «أما بعد» بقي ونظر ، فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه ، وتلمحنى بيسرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيت القراقير <sup>(٢)</sup> من السفن تجري بيني وبين الناس ، وصعد اليربوعي فخطب فقال : «أما بعد» فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل فى الزيت ، فقال : «الزيت مبارك» <sup>(٣)</sup> ، فكلوا منه وأدهنوا .

قال : فهو قول الشطار <sup>(٤)</sup> اليوم ، إذا قيل : لم فعلت ذا ؟ فقل فى شأن الزيت ، وفى حال الزيت .



وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما صعد حصروا قال : «الحمد لله الذى يرزق هؤلاء» وبقي ساكتاً فأنزلوه ، وصعد آخر ، فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقمت عينه على صلعة <sup>(٥)</sup> رجل فقال : «اللهم العن هذه الصلعة» .

[١] جع الناس بالشديد : أى شهدوا الجملة ، كما يقال : عبدوا : أى شهدوا العيد .

[٢] القراقير جمع قرقور كصفور : وهى السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

[٣] يشهد إلى الآية الكريمة : «الله نور السموات والأرض ، مثل نور نوره كمشكاة فيها مصباح ، للمصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور» .

[٤] الشطار جمع شاطر : وهو من ألقا أمه خبثاً ، والمراد به هنا أهل الدعارة والمحابب النوادر

والفتكيت والفكاهات . [٥] الصلعة : موضع الصلع .

✽

وقيل لوازع اليَشْكُرِيَّ : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال : « لولا أن امرأتى لمتها الله مَهَلَّتْني على إتيان الجمعة اليوم ما جَمَعْتُ ، وأنا أَشْهَدُ كَم أنها منى طالق ثلاثا » .

✽

وَدُعِيَ أَيُوبُ بْنُ الْقُرَيْبَةِ لكلام ، فاحتبس القول عليه ، فقال : « قد طال السَّمَرُ ، وَسَقَطَ القمر ، واشتد المطر ، فإذا يُنْتَظَرُ ؟ » فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأَرْقُ ، وَسَقَطَ الشَّفَقُ ، وكثر اللَّثَقُ<sup>(١)</sup> ، فلينطق من نطق »

✽

وجاء في أمالي السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بني العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه ذُبابَةٌ ، فطردها ، فرجعت ، فحصر وأرتج عليه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ، صَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

✽

وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا<sup>(٣)</sup> بهذا القرآن ، فإن معي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه ، وما أساء القائل أخو أبراجم حيث قال :

[١] لئن يومنا كفرح : ركبت رجه وكثر نده . [٢] وكأوا يطلون أصنامهم بالطيب والزعفران ، ويغلقون عليها الأبواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله . [٣] مامرا حذفا .



وما عاجلاتُ الطير يُذنين للفتى رَشَادًا ، ولا من رَشِيهِن يَحِيبُ <sup>(١)</sup>  
وَرُبُّ أُمُورٍ لَا تَصِيرُكَ ضَيْرَةً وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ <sup>(٢)</sup>  
ولا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ  
وَفِي الشَّكِّ تَقْرِيطُ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ الْفَتَى فِي حَدْسِهِ وَيُصِيبُ <sup>(٣)</sup>

فقال رجل من كلب : إن هذا المنبر لم يُنْصَبْ للشعر ، بل ليُحْمَدَ الله تعالى ،  
وَيُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلِلْقُرْآنِ ، فقال : أَمَا لَوْ أَنشدتكم  
شعر رجل من كلب لَسَرَّكُمْ ، فَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ بِذَلِكَ فَعَزَلَهُ ، وقال : قد كنت  
أراك جاهلا أحمق ، ولم أَحْسِبْ أَنْ الْحَقَّ يَبْلُغَ بِكَ إِلَى هَذَا الْمُبْلَغِ ، فقال له :  
أَحَقُّ مِنِّي مَنْ وَلَّانِي !



وخطب عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ <sup>(٤)</sup> فحثَّ عَلَى الْجِهَادِ فَقَالَ : هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

فِي كِتَابِهِ :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ <sup>(٥)</sup>

[١] كانت العرب تنمين بالطير السائح ، وهو ما ولاك ميامنه ، بأن يمرّ من مياسرك إلى ميامنك ،  
وتنشام بالبارح ، وهو ما ولاك مياسره ، بأن يمرّ من ميامنك إلى مياسرك ، وذلك لأنه لا يمكنك رمية إلا  
بأن تتعرف له ، وورعاً كل أحد من يهيج الطير ليطير ، فيتمدها ، وأجالات الطير هي أن يخرج الإنسان من  
منزله إذا أراد أن يزجر الطير ، فاسرّ به أول ما يبصر فهو عاجلات الطير ، وإن أبطلت عنه وانتظرها  
فقد رانت أي أبطلت ، والأول عند محمود ، والثاني مذموم .

[٢] خشية خشيّة ومخشاة : خافه ، ووجب القلب وجيباً : خفق واضطرب . [٣] الحدس : الظنّ  
وال تخمين ، والأبيات لضانيّ بن الحارث البرجمي ( انظر زهر الآداب ٢ : ٨٨ ) .

[٤] انظر الجزء الثاني ص ٤٣٣ و ٤٤٥ [٥] البيت لمصر بن أبي ربيعة ، وذلك أن مصعب بن الزبير  
بعد أن قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي دعا امرأته - وهي بنت النعمان بن بشير - إلى البراءة من المختار ،  
فأبت لفتلها ، فقال في ذلك ابن أبي ربيعة :

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْكِبَارِ عَتْدَى قَتَلَ حَسَنَاءَ غَادَةَ عَطُولِ

قَتَلَ بِاطْلَا عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ قَتْلَ دَوَّهَا مِنْ قَتْلِ



وخطب يوما فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنما يفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آت قريب » قالوا له : « إن هذا ليس من كتاب الله » قال : « ما ظننتُ إلا أنه من كتاب الله » .



وخطب وكيع بن أبي سُؤد<sup>(١)</sup> بجراسان فقال : « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر » ف قيل له : « إنها ستة أيام » فقال : « وأنيك لقد قُلتها وإني لأستقلها ! » .



وصعد المنبر فقال : « إن ربيعة لم تزل غَضَابًا على الله مذ بعث نبيّه من مُضَرَ ، ألا وإن ربيعة قومٌ كُشِفَ<sup>(٢)</sup> ، فإذا رأيتهم فاطعنوا الخيل في منأخرها ، فإن فرسًا لم يطعن في منأخره إلا كان أشدَّ على فارسه من عدوه<sup>(٣)</sup> » .



وضربت بنو مازن الحُتَاتَ بن يزيد المُجَاشِئِيّ ، فجاعت جماعة منهم ، فيهم غالبُ أبو الفَرزدق فقال : « يا قوم كونوا كما قال الله : لا يمجَزِ القوم إذا تعاونوا » .



وخطب عدى بن زياد الإياديّ ، فقال : « أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ<sup>(٤)</sup> » ، قالوا

كتب القتل والقتال علينا وعلى الثغيات جبر القبول

« والمطبوع كمصنوع : المرأة الغنية الجليّة المثلثة الطوية المتق » . [١] انظر الجزء الثاني من ٢٩٧  
[٢] كشف جمع أكشف : وهو من ينهزم في الحرب ، ومن لا ترس معه في الحرب ، ومن لا يبيضة على رأسه . [٣] وروى الطبري أن عبد الله بن خازم قال ذلك القول لأصحابه بجراسان ، قال لهم : « إذا لقيتم الخيل فاطعنوها في منأخرها ، فإنه لن يطعن فرس في منأخره إلا أدبر أو رى بصاحبه » . ( الطبري ٤٦ : ٧ ) . [٤] الآية السريّة : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى . . . . . »

له : « ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » ، قال : « من قاله فقد أحسن » .

✽

وروى الطبرى أن عبد الله بن الزبير كان ولي أخاه عبيدة على المدينة ، ثم نزع عنها ، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس ، فقال لهم : قد رأيتم ما صنع <sup>(١)</sup> بقوم فى ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمى مقوم الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا لهو التكلف .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر فقالا : خطب والى اليمامة <sup>(٢)</sup> ، فقال : « إن الله لا يقار <sup>(٣)</sup> عباده على المعاصى ، وقد أهلك الله أمة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم » ، فسمى مقوم ناقة الله .

✽

وخطب قبيصة ، وهو خليفة أبيه <sup>(٤)</sup> على خراسان ، وأتاه كتابه ، فقال : « هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبى وأكبر منى » .

✽

ودعى مضعب بن حيان ليخطب فى نكاح فخير فقال : لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : بحل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟ .

✽

وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح فخير ، فقال : « اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نشرك بك » .

[١] يشير إلى حمود قوم صالح عليه السلام - انظر هامش الجزء الثانى ص ٢٢٣ .

[٢] لعلها المدينة . [٣] أى لا يقر بم .

[٤] هو المهلب بن أبى صفرة ، وكان والياً على خراسان - انظر الجزء الثانى ص ٢٧٢ .

✽

وخطب قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَنبَرِ خُرَاسَانَ ، فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ ،  
فَنَقَّاهُ لَهُ عَدُوهُ بِالشَّرِّ ، وَاعْتَمَّ صَدِيقُهُ ، فَعَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةُ ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ :  
« لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنُّ الْعَدُوِّ ، وَخَافَ الصَّدِيقُ <sup>(١)</sup> ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَيَّامِ الْمُسَافِرِ <sup>(٢)</sup> »

✽

وَتَكَلَّمَ صَعَصَعَةُ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِّقَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ <sup>(٣)</sup> الْقَوْلُ ! فَقَالَ  
صَعَصَعَةُ : إِنْ الْجِيَادَ نَصَّاحَةٌ بِالْمَاءِ .

✽

وَشَخَصَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ إِلَى هِشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَتَكَلَّمَ فَقَالَ هِشَامُ :  
مَا مَاتَ مِنْ خَلْفٍ مِثْلَ هَذَا ! فَقَالَ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ : لَيْسَ هُنَاكَ ، أَمَّا تَرَاهُ يَرْشَحُ  
جَبِينُهُ لِضَيْقِ صَدْرِهِ ! قَالَ يَزِيدُ : مَا لَذَلِكَ رَشَحَ ، وَلَكِنْ جُلُوسِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

✽

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : « نِعِمَّ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ ، لَوْلَا قَقْعَةُ الْبَرِيدِ ،  
وَالْتَشْرِيفُ لِلْخُطْبَةِ » .

✽

وَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : مَجَلَّ عَلَيْكَ الْمَشِيبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :  
كَيْفَ لَا يَجَلُّ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ؟  
« أَوْ قَالَ : شَيْئِي صَعُودَ النَّابِرِ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّحْنِ » .

(الفرد ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ و ٢ : ٢٥٦ ، وميون الأخبار م ٢ : ٢٤٧ و ٢٥٦ و ٢٥٩ ، وأمال السيد المرتضى ٤ : ١٩ - ٢٢ ، والأحقاق ١٣ : ٤٧ ، ١٧ : ١١١ ، وتاريخ الطبري ج ٧ : ص ٩٠ ج ٨ : ١٨٨ ، والبيان والتهيين ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ - ١٨٧ : ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، والأمال ١ : ١١١ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٧ ، وسرح اليون ١٢٥ ، ٢٠٥ ، والصباغين م ٢١ )

[١] وفي رواية : « كما ساء الصديق ، وسر العدو » . [٢] التوى : الثرية البعيدة .

## بدء الخطب وختامها

قال ابن قُتَيْبَةَ في عيون الأخبار :

تَبِعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا :  
« الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنُسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ،  
وَنُمُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ  
لَهُ ، وَمَنْ يَضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » ،  
وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِهَا : « أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْكُمَ عَلَى طَاعَتِهِ » ،  
وَوَجَدْتُ كُلَّ خُطْبَةٍ مِفْتَاحِهَا الْحَمْدُ ، إِلَّا خُطْبَةَ الْعِيدِ ، فَإِنَّ مِفْتَاحَهَا التَّكْبِيرُ .  
( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١ )

وروى ابن عبد ربه في العقد قال :

وَكَانَ آخِرُ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ عُرِفَ أَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ :  
« اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ زَمَانِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ الْقَاكَ » .  
وَكَانَ آخِرُ كَلَامِ عُمَرَ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ عُرِفَ أَنَّهُ فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ : « اللَّهُمَّ  
لَا تَدَعْنِي فِي غَمْرَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْنِي عَلَى غِرَّةٍ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ » .  
وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ : « اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي قَدْ  
عَظُمَتْ وَجَلَّتْ أَنْ تُخَفِّصَ ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ فَاعْفُ عَنِّي » .  
( العقد الفريد ٢ : ١٣٣ ، ١٤٢ )

تمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ

جدول الخطأ والصواب

| الصواب             | الخطأ          | سطر | منفعة |
|--------------------|----------------|-----|-------|
| ولى                | ولى            | ١١  | ١٦٧   |
| يَقُولُونَ         | يَقُولُونَ     | ٤   | ١٧٩   |
| البر               | البر           | ١٥  | ١٩١   |
| الموصل إلى المرغوب | الموصل المرغوب | ٥   | ١٩٣   |
| ولى                | ولى            | ١٣  | ١٩٣   |
| تَتَلَّى           | تَتَلَّى       | ١١  | ٢٠١   |
| الازدراء           | الازدراء       | ١٨  | ٢٠٥   |
| بَضَائِعُهَا       | بَضَائِعُهَا   | ١٣  | ٢٠٨   |
| شَدِيدٌ            | شَدِيدٌ        | ١١  | ٢١١   |
| يَضِيفُ            | يَضِيفُ        | ١٥  | ٢٢٣   |
| يَدَا              | يَدَا          | ١٣  | ٢٣٥   |
| غَفَلْنَا          | غَفَلْنَا      | ٢٠  | ٢٦٤   |
| أَذَابَتْ          | أَذَبَتْ       | ١٠  | ٢٧٨   |
| الرَّدى            | الرَّدى        | ١٠  | ٢٨٧   |
| شُرْبِكَ           | شُرْبِكَ       | ١٤  | ٣١٣   |
| وَتَسَلَّ          | وَتَسَلَّ      | ١٠  | ٣١٨   |
| صَاب               | أَصَاب         | ٧   | ٣٢٠   |
| كَالْتَرِسْ        | كَالْتَرِسْ    | ١   | ٣٣٤   |
| التي               | لَتي           | ٦   | ٣٤٠   |

| الخطأ | الصواب | سطر | صفحة |
|-------|--------|-----|------|
| وتشئج | وتشئج  | ٢   | ٣٤١  |
| الذل  | الذل   | ٥   | ٣٤١  |

تم الكتاب بحسن توفيقه وعونه تعالى

وسيتبعه إن شاء الله كتاب

جمهرة رسائل العرب

في عصور العربية الزاهرة

# فهرس ذيل الجمهرة

## الباب الأول

في خطب الأندلسيين والمغاربة

| الخطبة أو الوصية                                           | رقم الصفحة |
|------------------------------------------------------------|------------|
| خطبة عبد الرحمن الناخل يوم حربه مع يوسف الفهرى             | ١٦٦        |
| عبد الرحمن الناخل ورجل من جند قنسرين                       | ١٦٧        |
| عبد الرحمن الناخل ورجل من جنده يهنته بفتح سرقطة            | ١٦٨        |
| تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر                       | ١٦٨        |
| عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً                       | ١٧٠        |
| يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه                      | ١٧١        |
| وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز      | ١٧٢        |
| خطبة منذر بن سميد البلوطى فى الاحتفال بقدم رسل ملك الروم   | ١٧٣        |
| خطبة أخرى له                                               | ١٧٧        |
| أحد حساد الرمادى الشاعر والنصور بن أبى عامر                | ١٧٨        |
| ابن اللبانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح          | ١٨١        |
| دفاع ابن الفخار عن القاضى الوحيدى بمحضرة ابن تاشفين        | ١٨٣        |
| موعظة ابن أبى رندقة الطرموشى للأفضل بن أمير الجيوش         | ١٨٤        |
| خطبة ابن تومرت مؤسس دولة اللوحدين                          | ١٨٥        |
| مقال لسان الدين بن الخطيب فى الحصى على الجهاد              | ١٨٨        |
| ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبى الحسن الرينى | ١٩٠        |
| وصية لسان الدين لأولاده                                    | ١٩٢        |



- ٢١٦ وصية موسى بن سعيد العنسى لابنه  
٢٢٦ خطبة ابن الزيات للنزوة الألف  
٢٢٩ » القاضى عياض التى ضمنها سور القرآن  
٢٣١ » سعيد بن أحمد للقرى التى ضمنها سور القرآن  
٢٣٤ » الكفمى التى ضمنها سور القرآن أيضاً

## الباب الثانى

فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

- ٢٣٦ خطبة أبى بكر بن عبد الله بالمدينة  
٢٤١ وصية أعمى من الأزدا شاب يقوده  
٢٤١ » رجل لآخر وقد أراد سفرأ  
٢٤٢ » » لابنه وقد أراد التزوج  
٢٤٢ » بعض العلماء لابنه  
٢٤٢ » لبعض الحكماء  
٢٤٣ » أخرى  
٢٤٣ » »  
٢٤٤ عظة لبعض الحكماء  
٢٤٤ نصيحة » »  
٢٤٤ كلمات شتى لبعض الحكماء  
٢٤٦ رجل من العرب والحجاج  
٢٤٦ أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز  
٢٤٧ كاتب وأمير

|                                   |     |
|-----------------------------------|-----|
| وصف الملبأة                       | ٢٤٧ |
| بعض البقاء يصف رجلا               | ٢٤٩ |
| خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن | ٢٤٩ |
| رجل من العرب يصف مطراً            | ٢٥٢ |

## الباب الثالث في نشر الأعراب

٢٥٣ قولهم في الوعظ والتوصية

٢٥٣ مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

٢٥٤ أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك

٢٥٤ خطبة أعرابي

٢٥٥ » أخرى

٢٥٦ » »

٢٥٦ أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

٢٥٧ أعرابية توصي ابنها

٢٥٧ أعرابي يوصي ابنه

٢٥٧ » ينصح لابنه

٢٥٨ » » »

٢٥٨ » » لأخيه

٢٥٨ » يعط أخاه

٢٥٩ » » صاحبه

٢٥٩ » » أخاه

٢٥٩ » » رجلا



|                      |     |
|----------------------|-----|
| صورة أخرى            | ٢٧٩ |
| أعرابي يستجدي        | ٢٨٠ |
| » »                  | ٢٨٠ |
| » »                  | ٢٨١ |
| » »                  | ٢٨١ |
| أعرابية تستجدي       | ٢٨٢ |
| أعرابي يستجدي        | ٢٨٢ |
| » »                  | ٢٨٣ |
| » »                  | ٢٨٣ |
| » »                  | ٢٨٣ |
| أعرابية تستجدي       | ٢٨٤ |
| أعرابي يستجدي        | ٢٨٤ |
| » »                  | ٢٨٥ |
| » »                  | ٢٨٥ |
| » »                  | ٢٨٥ |
| » »                  | ٢٨٥ |
| » »                  | ٢٨٦ |
| » »                  | ٢٨٦ |
| » »                  | ٢٨٦ |
| » »                  | ٢٨٦ |
| ينال رجلا حاجة له    | ٢٨٦ |
| قولهم في بكاء الموتى | ٢٨٦ |
| أعرابية تكيء ابنها   | ٢٨٧ |

|     |                                              |
|-----|----------------------------------------------|
| ٢٨٨ | حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها |
| ٢٩٠ | حديث امرأة مات ابنها بين يديها               |
| ٢٩٠ | قولهم في الشكوى                              |
| ٢٩٠ | أعرابي يشكو حاله                             |
| ٢٩١ | كلمات شتى في الشكوى                          |
| ٢٩٦ | قولهم في العتاب والاعتذار                    |
| ٢٩٧ | قولهم في المدح                               |
| ٣٠٧ | قولهم في الذم                                |
| ٣١٤ | قولهم في الغزل                               |
| ٣١٩ | قولهم في الوصف                               |
| ٣١٩ | أعرابي يصف مطراً                             |
| ٣٢٠ | » » مطراً                                    |
| ٣٢١ | » » مطراً                                    |
| ٣٢٢ | ثلاثة غلّة من الأعراب يصفون مطراً            |
| ٣٢٤ | أعرابي يصف مطراً                             |
| ٣٢٥ | » » »                                        |
| ٣٢٦ | » » »                                        |
| ٣٢٧ | » » »                                        |
| ٣٢٨ | » » »                                        |
| ٣٢٩ | » » »                                        |

|                     |     |
|---------------------|-----|
| أعرابي يصف مطراً    | ٣٢٩ |
| » » »               | ٣٣٠ |
| » » أرضاً           | ٣٣٠ |
| رائد يصف أرضاً جذبة | ٣٣١ |
| » » »               | ٣٣٢ |
| » » »               | ٣٣٢ |
| أعرابي يصف أرضه وما | ٣٣٣ |
| » » » بلدًا         | ٣٣٤ |
| » » أشد البرد       | ٣٣٤ |
| » » إبلا            | ٣٣٤ |
| » » ناقة            | ٣٣٥ |
| » » خيلا            | ٣٣٥ |
| » » »               | ٣٣٥ |
| » » »               | ٣٣٥ |
| » » فرساً           | ٣٣٦ |
| » » خاتماً          | ٣٣٦ |
| » » أطيب الطعام     | ٣٣٦ |
| » » السوق           | ٣٣٧ |
| » » الجبال          | ٣٣٧ |
| أبو الخنثى يصف ابنه | ٣٣٧ |
| أعرابي يصف بنيه     | ٣٣٨ |
| أعرابي يصف أخويه    | ٣٣٩ |

٣٣٩ قولهم في الدعاء

٣٣٩ دعاء أعرابي

» » ٣٤١

» » ٣٤٢

» » ٣٤٣

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٦

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

٣٤٨ أدعية شتى

٣٥٢ نواذر وملح لبعض الأعراب

## الباب الرابع في خطب النكاح

- خطبة قريش في الجاهلية ٣٦٠  
» النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة ٣٦٠  
» الامام علي كرم الله وجهه ٣٦١  
» عتبة بن أبي سفيان ٣٦٢  
» شبيب بن شيبه ٣٦٢  
» الحسن البصري ٣٦٢  
» ابن القثير ٣٦٣  
» عمر بن عبد العزيز ٣٦٣  
» أخرى له ٣٦٣  
» بلال ٣٦٤  
» خالد بن صفوان ٣٦٤  
» أعرابي ٣٦٤  
» للأمن ٣٦٥

## الباب الخامس

- في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة لبعض الخطباء ٣٦٦  
بده الخطب وختامها ٣٦٧











